صفحات من تاريخ مصر

دكتورأحمد فؤاد سيد

تاریخ مصر الإسلامیة زمن سلاطین بنی أیوب

(YFOA.ASFA)

زوال الخلافة الفاطمية والفكر الشيعى الإسماعيلى، وعودة سيادة الخلافة العباسية على مصر، والفكر السنى إليها ؛ وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الفرنج، لاسترداد بيت المقدس

(النائر:مَكتَ بة مدبولي -القامرة)



هذه السلسلة تضم:

١- فتح العرب لمصر

محمدعلي

الفتح الفارسي

حكم إسماعيل

٧ - ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا

باشا (مجلد أول)

باشا (علد ثاني) ١٠ ـ فتوح مصر وأخبارها

تاريخ مصر القديم ١٢ ـ قوانين الدواوين

الحدث

٤ ١ ـ الحكم المصري في الشأم

١٥_ تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق ١٦- أثار الزعيم سعد زغلول

مكتبة مدبولي

٢ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٠١٥ ٥٧٥

تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب

(YFOA - ASFA)

(وال الخلافة الفاطمية والفكر الشيعى الإسماعيلى ، وعودة سيادة الخلافة العباسية على مصر ، والفكر السئل إليها :
 وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الضرنج ، لاسترداد بيت المقس ،

مكتبة مدبولى

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٢١١،٥٧٥ فاكس: ١٨٨٥٥٥

الكتاب: تاريخ مصر الإسلامي زمن سلاطين بن أيوب تأليف : د. أحمد فؤاد سيد

رقم الإيساع : ١٥١٧٨ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى: 4 - 350 - 208 - 977

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة الطبعة الأولى: 2007

عربية للطباعة والنش

العنوان : ۱۰ & ۷ شارع السلام أرض اللواء المهندسين تليفون : ۳۲۵۱۰۲۳ ۳۲۵۱۰۳ فاكس : ۳۲۹۱۴۹۳ صفحات من تاریخ مصر

تاريخ مصرالإسلامية زمن سلاطين بني أيوب

(YFO& - ASF&)

« زوال الخلافة الضاطمية والفكر الشيعي الإسماعيلي ، وعودة سيادة الخلافة العباسية على مصر، والفكّر السُنِّي إليها ؛ وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الفرنج ، لاسترداد بيت المقدس ،

> تأليف دكتورأحمد فؤاد سيد

جامعة عين شمس - كلية الأداب - قسم التاريخ

الناشر مكتبة مدبولي 2002

الرفهرار، الله ورهالي البنتي وها، ، حفظتر والله ورهالي ، وفي الله ورهالي ووهبكر ووهبكر والنجاع والانوفيق .

والدك أحمد فؤاد سيد

المحتويات

الصفحة	الموضـــــوع
9	רו וובו או :
	🗖 الفصل الأول : توحيد الجبهة العربية الإسلامية ضد الفرنج ، لاسترداد القدس ، تحـت لـواء
41	دولة الخلافة العباسية ، بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي
40	🗖 الفصل الثاني : القضاء على الخلافة الفاطمية
**	– وزيران سنيان للفواطم وقيام السلطنة السنية بمصر
٥٣	– وسائل القضاء على المذهب والتراث الفاطمي بمصر واليمن
79	– النسب الفاطمي وطعن الأيؤبيين بمصر فيه
٧٣	 القضاء على فتن متشيعي المصريين المناصرين للدولة الفاطمية
٧٧	 محاولة القضاء على بقايا التشيع في الشام واليمن
۸١	🗖 الفصل الثالث : إعادة الشعائر السنية إلى مصر ونشر الفكر الأشعري بها
٨٤	- استحداث المدارس السنية بمصر
۸٧	- إنشاء دار الحديث
۸۹	 قصر القضاء على المذهب الشافعي وبسط إشرافه على المدارس
94	– قطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر وإبطال تدريس الفكر الفاطمي به
9.8	- استخدام الحسبة لإعادة شعائر السنة
1.7	- تشجيع التصوف والفكر الصوفي
111	 – رصد الأحباس والأوقاف للمنشآت الخيرية والتعليمية
144	 نشر العقيدة الأشعرية والفقه الشافعي بمصر
170	🗖 الفصل الرابع: الوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية
177	 فقدان الخلافة لسلطتها الزمنية وظهور السلاطين
140	 مصر الأيوبية إمارة استيلاء ودار للسلطنة السنية

الصفحة	الموضـــــوع
144	- إحياء الأيوبيين لدولة الخلافة العباسية
181	 نهوض الأيوبين بفريضة الجهاد
14.	– استجابة سلاطين بني أيوب لدعوة الفتوة الناصرية الخليفتية
	 الفصل الخامس: حماية سلاطين بني أيوب لطريق وفريضة الحَـع ، وللحرمين الشريفين ،
197	والقِبلتَين
	🗖 الفصل السادس : تبعية سلاطين بني أيوب ، لدولــة الخلافـة العباسـية الشِّنيَّة ؛ ونهوضهــم
240	بفريضة الجهاد ، وتوحيدهم كلمة المسلمين ، ونشرهم لعلوم السُّنَّة
227	– التقليد والتفويض الخليفي لسلاطين بني أيوب
	 سَلطنات إسلامية متعاصرة وأسباب تفرد السلطنة الأيوبية بالتفويض الخليفى
707	في ديار الإسلام
414	- الوضع الشرعي للسلطنة الأيوبية
	🗖 الفصل السابع : القُدس : بين الفتح العُمري سنة ١٥هـ ، والفتـح الصلاحيـي سنة ٥٨٣هـ ،
444	والفتح الناصري الداودي سنة ٦٧٧هـ ، والفتح الصالحي النجمي سنة ٦٤٢هـ
***	🗖 المصادر والمراجع:
۳۳۷	أولاً : المصادر العربية المخطوطة
404	ثانيًا : المصادر العربية المطبوعة
419	ثالثًا : المراجع العربية الحديثة
**	رابعًا : مقالات بالمجلات والدوريات العربية
" ለኘ	خامسًا : أهم المراجع الأجنبية
۳۸۷	سادسًا : أهم المقالات بالدوريات الأجنبية
	•

المقدمة

لاتزال المكتبة العربية الحديثة تفتقر إلى كتاب شامل مفصل موثق عن عصر سلاطين بنى أيوب ؛ رغم أهمية هذا العصر بين عصور مصر الإسلامة ، وارتباطه بتأصيل تاريخ الصراع العربى الإسرائيلي ، وتاريخ فتوح الإسلام لمدينة القدس .

وأهم ما يميز عصر سلاطين بنى أيوب ، هو توحيد الجبهة العربية الإسلامية لاسترداد القدس من الفرنج ؛ وعودة سيادة الخلافة العباسية على مصر ، والفكر السنى إليها ؛ وإنزواء الفكر السياسى الإسماعيلى عنها .

وإذا كان تقى الدين المقريزى ، شيخ مؤرخى مصر الإسلامية المتأخرين ، قد حقى فى كتابيه : إتعاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، والمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطيط والآثار ، صحة نسب الخلفاء الفاطميين ؛ فلا ريب أن من مفاخر مصر وفضائلها ، أنها شهدت قيام دولة الخلافة الفاطمية على أرضها ؛ والواقع أن هذه الدولة العلوية المنسبه الشريفة ، تُعدّ من أعظم دول الإسلام ، وفى عهدها ، تحولت مصر إلى حاضرة دولة الخلافة الإسلامية ، وأصبح الخلفاء الفاطميون بحصر ، يزاحمون أبناء عمومتهم من خلفاء بنى العباس بالعراق ، زعامة العالم الإسلامي .

وهنا تجدر الإشارة ، إلى أن التشكيك والطعن في نسب الخلفاء الفاطميين ، إنما جاءاولاً من قِبــل دولة الخلافة العباسية المنافسة لها في بلاد العراق ؛ ثم جاء ثانيًا من قِبَل الدولــة الأيوبيــة المواليــة لدولــة الخلافة العباسية ، التي استبطنت دولة الخلافة الفاطمية في عصرها المتأخر ، وقامت على أنقاضها .

ولا يخفى أن حُبّ الشعب المصرى لآل البيت النبوى الشريف ، والعترة النبوية الشريفة ، قد استقوى بمصر واستمر إلى اليوم ، بسبب انحدار الخلفاء الفاطمين الذين اشتهروا بر (المصريين) من النسل النبوى الشريف ؛ فضلاً أن مصر منذ العصر الأموى وطوال العصر العباسى ، قد عاش فيها بطون كثيرة من الأشراف والقرشيين بصفة عامة ، ومن العلويين بصفة خاصة ، وخرج بها عدد كبير من الأئمة العلويين مطالبين بالخلافة ؛ على نحو ما تتبع ذلك المؤرخ أبو عمر الكندى في كتابه ولاة مصر ، والمقريزى والقلقشندى في كتبهم عن تاريخ القبائل العربية بمصر . بمعنى أن عددًا كبيرًا من آل البيت النبوى الشريف ، قد أحبوا مصر ، وعاشوا بها ؛ وأحبهم أهل مصر ، وتعلقوا بهم ، وشادوا لهم الأضرحة والمزارات ، وتبركوا بها ، مثل مشاهد : السيدة نفيسة ، والإمام الحسين ، والإمام زين العابدين ، والإمام الحسين ، والإمام زين

ولكن بضعف دولة الخلافة الفاطمية في عصرها المتأخر ، بسبب صغر سن الخلفاء ، واستبداد وزراء السيوف المفوض ، والانقسامات السياسية والمذهبية التي ألمت بالدعوة الإسماعيلية الفاطمية، ونجاح الفرنج في احتلال القُدس وساحل الشام ، وعجز خلفاء الفاطميين الأواخر عن النهوض بفريضة الجهاد في وجه الروم والفرنج ، وتتابع الأزمات الاقتصادية على مصر ؛ فقدت الدولة الفاطمية مبرر بقاءها ووجودها ، وتعين أن تقوم على أنقاضها دولة فتية قوية ، تسعى لجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم ، لقتال الفرنج ، واسترداد القُدس وساحل الشام .

وتما لا شك فيه ، أن انقسام العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجرى ، إلى خلافة عباسية سنية وخلافة فاطمية شيعية ؛ هو الذي أدّى إلى اختراق حركة الفرنج لبلاد الشام ، واستيلائهم على ساحله، واحتلالهم للقُدس .

ولم يغب عن خلفاء وسلاطين الإسلام الذين عاصروا حركة الفرنج للاستيلاء على بيت المقدس وساحل الشام ، أن الخِطَّة المثلى ، والاستراتيجية العامة ، للتصدى لهذا الغزو ، واستنصال شافته من بلاد الشام ، ترتكز على عدَّة محاور :

أولاً: توحيد مصر والشام والعراق في قيادة مشتركة ، أو على الأقبل في تعاون مشترك ، لحصر الفرنج وإماراتهم ببيت المقدس وساحل الشام بين شقى الرَّحى ؛ على نحو ما تم ـ كما أفاد المقريزى في كتابه اتعاظ الحنفا ـ بين السلطان نور الدين محمود زنكى ـ سلطان الشام والجزيرة الفراتية ـ ودولة الخلافة الفاطمية ، زمن وزارة الوزير الفاطمي العادل بن سلار ، ثم زمن وزارة الوزير الفاطمي السد الدين شيركوه ، الوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك ، ثم زمن وزارة الوزير الفاطمي أسد الدين شيركوه ، ثم زمن وزارة الوزير الفاطمي صلاح الدين الأيوبي سقوط دولة الخلافة الفاطمية بمصر ، والدعوة بها للخليفة العباسي المستضىء بالله ، والسلطان نور الدين زنكي ولنفسه بعدهما .

وقد رضى نور الدين زنكى ، رغم هاسه للمذهب الشّنّى ، ان يلبس خِلَع خلفاء الفاطمين الشيعة ، لتفويضه للنهوض بفريضة الجهاد ؛ ورضى شير كوه وصلاح الدين هذا الأمر أيضًا ، لنفس الهدف السامى ؛ وقبّل الخليفة الفاطمى العاضد الإستنجاد بنور الدين زنكى للحيلولة دون احتلال الفرنج لمصر ، ورحب بشير كوه وصلاح الدين ، وهما من قواد نور الدين ، لتمكنهما من ضبط

الدولة الفاطمية ؛ وصرَّح الخليفة العاضد أنه مستعد للتضحية بملكه ودولة خلافته ، في سبيل أن تظل مصر « إسلامية » ، ولا يحتلها الفرنج ؛ حكى ذلك كله المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا .

ثانيًا: العناية بالأسطول المصرى بصفة خاصة ؛ الذى بقى طوال العصر الفاطمى ، وحتى بعد احتلال الفرنج لبيت المقدس وساحل الشام ، أقوى قوة بحرية إسلامية ضاربة ، تستطيع مواجهة أساطيل الفرنج والجمهوريات الإيطالية فى البحر المتوسط ، وتهديد إماراتهم فى ساحل الشام ، وعزلها عن إمداداتها القادمة عليها من وراء البحر من سواحل غيرب أوروبا ، وجزر البحر المتوسط التى استولى عليها الفرنج ؛ وقد رصد المؤرخون (سبط ابن الجوزى - المقريزى) جهود الأسطول الفياطمي فى هذا المجال ، بعد احتلال الفرنج للقدس سنة ٢٩٤هـ ، وتكوين إماراتهم فى أنطاكية والرها وطرابلس وعكا (٥٩٤هـ - ٩٥هه ه) ؛ وذلك إبان تبولى الأفضل بن بدر الجمالى ، ثم العادل سلار ، ثم الصالح طلائع بن رزيك ، لوزارة التفويض والسيف خلفاء الفاطمين الأواخر .

وفى ضوء هذا المحور الثانى ، ندرك الأهمية الكبرى لوصية شيركوه ، حين أحس بدنو أجله ، بضرورة العناية بالأسطول المصرى ، كما حكى المقريزى فى اتعاظ الحنفا ، وهو الأمر الذى امتثله إبن أخيه صلاح الدين الأيوبي بعده ، فأفرد ديوانًا للأسطول ، وأوقف عليه أوقافًا وأحباسًا ، وعهد بالإشراف عليه ، وبنيابة ثغر الإسكندرية إلى أخيه الملك العادل أبى بكر بن أيوب ؛ وهو الأمر الذى تفهمة بعد ذلك السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، حين بنى قلعة جزيرة الروضة فى بحر النيل ، لتكون قلعة وحصنًا له ولجيشه ، فى حالة تفكير الفرنج فى غزو مصر ، وفى نفس الوقت لتكون دار صناعة وقاعدة حربية بحرية للأسطول المصرى فى بحر النيل ، للدفاع عن مصر ، إذا ما حاول الفرنج غزوها براً وبحراً .

وقد تَجَلَّى بعد نَظَر السلطان الصالح نجم الدين أيوب ـ الدَّى عَدَّه أبو المحاسن بن تغرى بردى أعظم سلاطين بنى أيوب بعد السلطان صلاح الدين ـ وحُسن تدبيره ، فى الانتصارات الحاسمة العظيمة ، التى حققها الأسطول المصرى على أساطيل الفرنج عند احتلالهم لدمياط سنة ٤٨ هـ فى معارك : المنصورة ، وفراسكور ، ودمياط ؛ إذ تحكن الأسطول المصرى بقيادة أمراء المماليك الصالحية البحرية ، من تحطيم أغلب أساطيل الفرنج التى حاولت تأمين احتلالهم لدمياط ، وأسر أغلب سفنها وأغلب مُقاتليها وبحرية باسم «البحرية» ،

وصيرورة هذا الاسم علمًا على دولتهم الماليكية الأولى بمصر ، هو تدربهم على القتال البحرى وقيادة الأساطيل البحرية ؛ وهو أمر تتوفر له قرائن كثيرة ، وسوف نفرد له بحثًا إن شاء الله .

وقد أفصح القاضى بهاء الدين إبن شداد فى سيرته للسطان صلاح الدين الأيوبى المسماه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، إن الخطة العامة لصلاح الدين فى قتال الفرنج واستئصالهم من ساحل الشام ، كانت فى استخدام الأسطول فى قطع وصول الإمدادات إليهم من غرب أوربا ، ثم استئصال شأفتهم من بلاد الشام ، ثم تتبعهم فى سواحل بلادهم وجزرهم فى قارة أوربا وجزر البحر المتوسط ؛ ذكر ذلك ابن شداد ، فى الفصل الذى أفرده لذكر حب السلطان صلاح الدين للجهاد .

هذا وقد أوضح أبو شامة في كتابه الروضتين في ذكر أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، إن الخطة العامة لنور الدين وصلاح الدين للتعاون في قتال الفرنج بالشام ؛ كانت تقضى بأن يقصدهم نور الدين من بلاد الشام من السهل والجبل ، ويقصدهم صلاح الدين من مصر ، من البر والبحر .

ويستخلص من أحداث العصر الأيوبي ، أن ثغر الإسكندرية ودار صناعته ، كانت قاعدة بحرية للأسطول المصرى المهاجم لإمارات الفرنج بساحل الشام ، ثم مهاجمة الجزر التابعة للفرنج في البحر المتوسط وبحر إيجة (قبرص - أرواد - رودس - صقلية) ؛ وأن قلعة جزيرة الروضة ودار صناعتها ، كانت قاعدة بحرية للأسطول المصرى المدافع عن مصر أمام حملات الفرنج الهادفة إلى غزو مصر ؛ والجدير بالذكر أن الهروى السائح في كتابه الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ذكر أنه زار جزيرة صقلية ، بعد استرداد السلطان صلاح الدين الأيوبي للقدس سنة ٤٨٥هـ ، فناشده أهل صقلية المسلمون ، أن يخبر السلطان صلاح الدين برغبتهم أن يقوم بفتح صقلية ، واستردادها من الفرنج . وقد حاول سلاطين المماليك - تلامذة سلاطين بني أيوب - إكمال وتنفيذ استراتيجيتهم الحربية البحرية ، فقاموا باستئصال الفرنج من ساحل الشام ، بإسقاط إمارة عكا ؛ كما قاموا أيضًا بفتح جزيرتي قبرص ورودس .

قالقًا: جعل البحر الأحمر والقرن الأفريقى والخليج العربى والمحيط الهندى ، بحيرة إسلامية ؛ وذلك بهدف حماية بلاد الحجاز والحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، من محاولات الفرنج تهديد قبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وذلك عن طريق قيام جبهة إسلامية موحدة ، ودولة خلافة إسلامية كبرى ، تضم بلاد العراق والشام والجزيرة الفراتية ومصر واليمن ؛ وعن طريق

القضاء على ممالك البجة والنوبة والحبشة المتعاونة مسع الفرنج ، وإدخالها في الإمسلام ؛ وهو ما تم في العصر المماليكي ، في عهود سلطنات بيبرس وقلاوون وأولاده .

ولم يتأت تكوين الجبهة الإسلامية الموحدة ، إلا بعد القضاء على الكيانات السياسية الشيعة الإسماعيلية في بلاد الشام واليمن ، التي ألم بها الضعف والتفكك في نهاية العصر الفاطمي ؛ بعد انقسام الدعوة الفاطمية بمصر ، إثر وفاة الخليفة الفاطمي المستعلى ، إلى مستعلية ونزارية ؛ وبعد تغلب وزراء السيوف المفوضين على خلفاء الفاطميين الأواخر ، والاستبداد بالسلطة دونهم .

وفى هذا ما يفسر الفتح الأيوبى الأول لليمن زمن صلاح الدين الأيوبى سنة ٢٩هم، وإدخال بنى أيوب لكتب الفكر الأشعرى السنى إلى اليمن ، كما أفاد المؤرخ اليمنى يحى بن الحسين فى كتابه أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ؛ وما يفسر فتح السلطان الصالح نجم الدين أيوب لليمن فى عهد سلطنته، وتلقبه بـ (ملك السند والهند واليمن) ، ونقشه هذه الألقاب على نقوشه الرسمية فى قبته ومدرسته الصالحية بمصر ، وغيرها .

لقد تحولت مصر ، منذ قيام الدولة الأيوبة بها (٧٦٥هـ) ، من دار خلافة ، إلى ولاية استيلاء تابعة للخلافة العباسية ؛ ولكنها سرعان ما تبوأت في ظل سلاطين بني أيوب ، مكانة لا تقل أهمية عمّا كانت عليه في ظل الخلافة الفاطمية ؛ وذلك لميراثها للخلافة الفاطمية بمصر (٧٦٥هـ) ، واليمن (٩٦٥هـ) ، والجوزرة الفراتية (٩٦٥هـ) ، والجوزرة الفراتية (٧٦٥هـ) ؛ ولنجاحها في ضم القيروان ، من ممتلكات الخلافة الموحدية بالمغرب (٨٦٥هـ) وصم إقليم أرمينية الإسلامية ، وهي بلاد خلاط وميافارقين ونواحيهما (٧١ههـ ١٨٥هـ) ، وهو إقليم لم يخضع من قبل للخلافة الفاطمية ، وتم ضمه إلى مصر ، لأول مرة في تاريخها الإسلامي ، على يد الأيوبيين .

وعلى يد الأيوبين أيضًا ، تحت موجة جديدة من الفتوحات الإسلامية ؛ فغزا الأيوبيين مملكة النوبة المسيحية (١٩٥٩ هـ) ؛ وحققوا أعظم انتصاراتهم الحربية المسيحية (١٩٥٩ هـ) ؛ وحققوا أعظم انتصاراتهم الحربية بتصديهم لجهاد الفرنج بالشام ، واسترداد بيت المقدس من أيديهم (١٩٥٣ هـ) ؛ وقد كُلُلُ الأيوبيون جهودهم في إعلاء شأن مصر ، بأن عقدوا حلقًا مع الإمبراطورية البيزنطية (١٩٥٥ هـ) ، يقضى بعزلها عن تأييد الحركة الصليبية ، وإعلان الخطبة بالمسجد الجامع بمدينة القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ، للخليفة العباسى ، وسلطان مصر (١٩٥٩ هـ) ؛ كما وقع سلاطين بنى أيوب (صلاح

الدين - العادل الأول - الكامل - الصالح نجم الدين أيوب) معاهدات مشروطة مع الجمهوريات الإيطالية التجارية (بيزا - البندقية - جنوه) ، قضت بعزل هذه الجمهوريات عن الحركة الصليبية ، وبيعها السلاح والعبيد المسيحي والمواد اللازمة لصناعة السفن لسلاطين بني أيوب والمسلمين ، دون الفرنج ، وهو ما يمثل خيانة صريحة من هذه الجمهوريات للحركة الصليبية وللبابوية الكاثوليكية .

والواقع، أن دولة الخلافة الفاطمية، كانت أعظم دول الإسلام التي حكمت مصر؛ وناهيك دليل على ذلك كتاب إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي شيخ وكبير مؤرخي مصر الإسلامية، والدلالة الواضحة لعنوان كتابه في هذا الصدد؛ والمجلد الضخم والأجزاء المطولة التي أفردها وخصصها المقريزي للحديث عن تاريخ الخلفاء الفاطميين بعصر ونظمهم ورسوم دولتهم والاحتفالات والأعياد والمواسم الدينية والقومية والوطنية التي ازدهرت بعصر في عصرهم، في كتابه الخطط، نقلاً عن مؤرخي العصر الفاطمي نفسه مثل ابن زولاق والقضاعي والمسبحي وابن المأمون وابن الطوير وغيرهم؛ لنقف على مدى الإزدهار السياسي والنقافي والحضاري والاقتصادي والاجتماعي، الذي شهدته مصر وشهده شعب مصر، في ظل هذه الدولة الإسلامية العظمي، دولة الخلافة الفاطمية؛ وهذا الاهتمام بتاريخ الدولة الفاطمية، في مؤلفات المقريزي، لم تحظ به أي دولة إسلامية أخرى حكمت مصر؛ وهذا ما نلمسه أيضًا في موسوعة صبح الأعشى للقلقشندي، عند حديثه عن رسوم المكاتبات الفاطمية.

والمعروف ، أن أجمل رسوم وعادات وتقاليد الاحتفالات والأعياد والمواسم الدينية الباقية بمصر إلى الآن ؛ سواء في الأعياد الدينية (عيد الأضحى - عيد الفطر - رمضان) ؛ أو الأعياد القومية (وفاء النيل - شم النسيم) ، وما يصاحبها من مأكولات جيلة شهية ، يرجع أغلبه إلى عصر الخلافة الفاطمية؛ بدليل أننا لا نجد هذه الاحتفالات والعادات والتقاليد ، في البلاد العربية والإسلامية التي لم يمتد إليها النفوذ السياسي لدولة الخلافة الفاطمية .

وليس أذلّ على حُبّ الشعب المصرى لدولة الخلافة الفاطمية ، واعتزازه بها ، لأنها قامت على يد آل البيت النبوى من العترة النبوية المطهرة ، من تركّد صلاح الدين الأيوبى في إعلان سقوطها ، وإسقاط اسم الخليفة الفاطمي العاضد آخر خلفاء الفاطميين بحصر من الخطبة الجامعة على المنابر ؛ رغم الإلحاح المتكرر لنور الدين زنكى بسرعة إنجاز هذا الأمر ، والخطبة للخليفة العباسى على منابر

مصر ؛ حتى أن صلاح الدين الأيوبي لم يجرؤ على إتمام هذه الخطوة الأخيرة في إعلان سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، إلا بعد إرسال نور الدين زنكي له أباه نجم الدين أيوب ، ليتولى بنفسه إعلان هذا الأمر الجلل ، وليجد فيه صلاح الدين المشجع والسند والمشير والمؤجد ؛ وعَلَّلَ صلاح الدين لنور الدين إحجامه وتردده في إعلان زوال الخلافة الفاطمية بمصر ، بخوفه من انتفاضة المصريين وثورتهم عليه .

وافصَحَت النورات ومحاولات الانقلاب المتكورة على صلاح الدين الأيوبى ، أول استقلاله بالحكم بمصر ، على مدى حُبّ المصريين للدولة الفاطمية ، وولائهم لها ، وتعلقهم بها ؛ والذكريات الجميلة التى حملوها واحتفظوا بها لهذه الدولة ، حين كانت فى أوج مجدها وقمّة ازدهارها ، ومنتهى نفوذها وسطوتها وقوتها ؛ وهى ثورات وانقلابات عديدة ، لم تقتصر على مدينة القاهرة ، بل تعدتها إلى مدينة الإسكندية ، ومدن صعيد مصر .

وَوَشَتَ تصرفات سلاطين بنى أيوب أنفسهم عن اقتناعهم الشخصى الداخلى بصحة نسب الخلفاء الفاطميين ، وآل البيت الفاطمى ؛ فنجد أن صلاح الدين الأيوبى ، وخلفاءه من سلاطين بنى أيوب ، كانوا يتورعون عن قتل آل البيت الفاطمى ، ويكتفون بسجنهم أو نفيهم بعيدًا عن مصر ، حتى لو اتضح أنهم حاولوا بالفعل قلب نظام الحكم الأيوبى ، وإعادة الخلافة الفاطمية .

وإذا كان بعض كبار مؤرخى العصر المماليكى مشل أبى العباس القلقشندى فى كتابه مورد اللطافة ، قد ألمح إلى ترجيحه صحة نسب الفاطميين ؛ فإن الحافظ المؤرخ شمس الدين السخاوى قد تجاهر فى كتابه استجلاب ارتقاء الفُرّف بحب أقرباء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذوى الشرف، بحبه لمن عاش بمصر من العترة النبوية ، وأشاد بكثرة أسانيد آل البيت بمصر التى وصلت إليه، واحتفظت بها مصر فى العصر الفاطمى ؛ وفى نفس الوقت ، راح حفاظ ومؤرخو مصر فى العصر المماليكى ، يستعيضون عن عدم إظهار مودتهم لدول الخلافة الفاطمية ، عن فضائل ومناقب آل البيت ولتلامذتهم سلاطين المماليك ـ بالتأليف بكثرة تمشل ظاهرة ثقافية ، عن فضائل ومناقب آل البيت النبوى والعترة النبوية الشريفة .

ولكن رغم الحب الدفين الذى أخفاه مؤرخو العصر الأيوبى والمماليكى للخلفاء الفاطمين ، لكونهم من نسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ فقد أجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى ، قد أعان السلطان صلاح الدين الأيوبى وأيده ، في القضاء على دولة الخلافة الفاطمية ، بعد أن ألم بها

الضعف نتيجة لسلبيات الفكر السياسي الشيعي الإسماعيلي ، وأصبحت غير قادرة على توحيد العالم الإسلامي ، والنهوض بفريضة الجهاد ؛ بل أصبحت حتى غير قادرة على حماية الديار المصرية ذاتها من أخطار غزو الفرنج لها في عُقر دارها .

وقد حقق تقى الدين المقريزى ، وهو شريف حسينى ، يشارك الفاطميين فى الانتساب إلى العترة النبوية الشريفة ، فضلاً عن إعجابه الشديد بتاريخ الدولة الفاطمية . ؛ حقق المقريزى ، أن جيع النظريات السياسية الفاطمية الإسماعيلية ، التى غلّت فى ذات الخليفة الفاطمى والأئمة الفاطمين ، غريبة عن الإسلام ؛ وأن أصلها يرجع إلى آراء الفرقة السبأية من غُلاة الشيعة ، الذين نسبوا إلى عبد الله بن سبأ ، وهو أحد مسالة اليهود ، عن أبطنوا اليهودية وتظاهروا بالإسلام ، وادّعى ألوهية الإمام على تبرؤه منهم ، وتكفيره لهم ؛ كما حقق الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فأعلن الإمام على تبرؤه منهم ، وتكفيره لهم ؛ كما حقق المقريزى أيضًا أن جانبًا آخر من النظريات السياسية الفاطمية ، يرجع إلى مذاهب الشعوبية من مسالمة الفرس ، الذين أبطنوا المجوسية .

وقد قصد دُعاة الفاطميين ، من وراء هذه النظريات السياسية ، تقوية مبدأ «الولاية » أى الطاعة لأئمة الفاطميين ، وإعلاء شأن خلفاء الفاطميين على خلفاء بنى العباس المنافسين لهم فى الخلافة والسيادة على العالم الإسلامى ؛ وهذا ما حققه محمد كامل حسين فى كتابيه : «الأدب المصرى فى العصر الفاطمى » و «دراسات فى الشعر الأيوبى » ، وقسر به نظريات وعقائد الشيعة الإسماعيلية فى القول بعصمة الأئمة ، وميراثهم للعلم اللدنى ، والقول باستتار الأئمة ورجعتهم ، وكون الإمام الفاطمى ، هو المجتهد المطلق فى الشريعة الإسلامية .

ولم يستطع الفاطميون بعد قيام خلافتهم في إفريقية التونسية وبلاد المغرب ، ثم انتقالها إلى مصر واستقرارها بها ؛ أن يتراجعوا عن هذه النظريات السياسية الغريبة عن الإسلام ، بعد أن استقرت في نفوس وأذهان وقلوب العوام من أنصار وأتباع دولتهم ، وأصبحت من محاور الدعاية الفاطمية ، لإعلاء شأن الخلفاء الفاطميين على شأن أبناء عمومتهم من خلفاء بني العباس بالعراق .

والجدير بالإلتفات والتأمل والتدبر، أن علوم الجديث والسنة ، ظلت مزدهرة وفي غاء وتطور ونضوج دائم في العصر الفاطمي ؛ رغم تشدد الفكر السياسي الإسماعيلي الفاطمي في عدم قبول الأحاديث والأخبار عن غير أئمة الشيعة ومن غير آل البيت النبوى ؛ ونقده وتجريحه لغير أئمة الشيعة وغير آل البيت من حفظة ورواة الحديث .

وقد ترجم لوفيات النقلة من نقلة العلوم الدينية النقلية السمعية الشرعية ، وخفّاظ الحديث ورواته ، الذين عاشوا بحصر في عصر الخلافة الفاطمية ، عالمان من علماء الجرح والتعديل المصريين من أهل السنّة ، وهما : ابن الحبّال ، وابن الطحان ، ولكل منهما كتاب في الجرح والتعديل ونقد رجال الحديث وصل إلينا مطبوعًا .

أما من أدرك من حفاظ ومحدثي مصر العصر الأيوبي ، وعاصر الدولتين الفاطمية والأيوبية ، فقد ترجم لهم الحافظ ابن نُقطة في كتاب وفيات النقلة ، والحافظ المنذري في كتاب التكملة لوفيات النقلة .

ولم يُجبر الخلفاء الفاطميون المصريين من العامة أو العلماء والخاصة ، على الالتزام بالفكر السياسي والكلامي الإسماعيلي الفاطمي ؛ وظل تدريس كتب الدعوة الفاطمية الإسماعيلية مقتصرًا على دار الحكمة وعلى الجامع الأزهري ؛ أما بقية جوامع ومساجد مصر ، فلم يُلزم خلفاء الفاطميين ألمتها وخطباءها وعلماءها بتدريس الفكر الفاطمي وكتب الدعوة الإسماعيلية ، وتركوا لهم حرية الفكر والتدريس .

ولم يمانع الخلفاء الفاطميون في إسناد منصب قاضى القضاة لبعض العلماء السنيين الشافعية ، مثل القاضى مجلى ؛ على نحو ما أفاد السيوطى في كتابه حُسن المحاضرة عند ذكره لقُضاة مصر ، وعلى نحو ما أسهب السبكي في كتابه طبقات الشافعية عند ترجمته للقاضى مجلى ، من التنويسه برحابة صدر الخلفاء الفاطميين وتقديرهم الكبير لفقهاء أهل السنة بمصر في عهد خلافتهم .

ولقد حافظ الجامع الأزهر _ بعد تحوله في العصرين الأيوبي والماليكي إلى جامعة إسلامية سنية ؟ نتيجة لهجرة علماء الفسطاط السنة إلى القاهرة بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٦٧هـ ، ومجاورتهم بالجامع الأزهر ، وتوليهم التدريس به _ ؛ على اتصال سند الرواية في العلوم الدينية الشرعية النقلية ، رواية ودراية ، بين أهل مصر بصفة خاصة وأمة الإسلام بصفة عام ، وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، عن طريق من شهد فتح مصر ونزلها واستطونها من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وروى عنه وتفقه به أهل مصر .

ولقد شهد العصران الأيوبى والمماليكى بمصر والشام ، نهضة كبرى فى علوم الحديث ، كان من أعلامها أئمة وحفاظ من أعلام الإسلام ، تركوا مصنفات كثيرة ضخصة فى علوم السنة النبوية المشرفة ، والفقه الإسلامى ، لا تزال إلى اليوم تُعدّ من عيون التراث الإسلامى ، وأمهات المصنفات الإسلامية ، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام : عى الدين النووى ، وابن الصلاح الكردى ، وتقى الدين المنذرى ، وابن حجر العسقلانى ، وشمس الدين الذهبى ، وابن كثير ، وشمس الدين السخاوى ، وجلال الدين السيوطى ، وبدر الدين العينى ، والقطب القسطلانى ، والزين العراقى ، وأبو زكريا الأنصارى ، وابن دقيق العيد ، والعز بن عبد السلام ، وابن تيمية ، وابن القيم الجوزية .

وما أحرانا اليوم ، ونحن نستقرىء عبر التاريخ ، أن نُشيد بأهمية الجهود الصادقة المؤثرة الفعالة ، التى بذلها علماء الإسلام المحدثون من علماء الشيعة وعلماء السنة على حَد سواء ، لتبنى فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ؛ وهى دعوة لها تاريخها الراسخ بين مصر وإيران ، منذ الثلاثينيات من القرن العشرين ؛ بذل خلالها علماء الأزهر جهودًا فقهية عظيمة ، حمل لواءها أعلام من شيوخ الأزهر ؛ كان فى مقدمتهم الشيخ محمود شلتوت (شيخ الجامع الأزهر آنذاك) ، والشيخ عبد المجيد سليم ، والشيخ عبد العزيز عيسى ، وغيرهم من مصر ؛ ومن أئمة الشيعة فى إيران ، آية الله البروجردى .

وقد أفتى الشيخ محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذاهب الإسلامية المختلفة ، وكانت لــ علاقات علمية ومراسلات مع آية الله البروجردي وسائر علماء الشيعة .

وكانت مصر هى المهد الذى ولدت فيه فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، لنبذ الخلافات وتوحيد كلمة المسلمين وتأليف قلوبهم ؛ وكانت مصر أيضًا هى التى احتضنت الفكرة ورعاها أزهرها وعلماؤه ؛ ومن ثم ظهرت هيئات ، وصدرت مجلات ، وانعقدت مؤتمرات ، حقققت للأمة الإسلامية أجّل الخدمات والفوائد ، وقلصت خلافاتها ؛ و كرّست هذه الهيئات والمجلات والمؤتمرات جهودها ، في مساحة الاتفاق بين المذاهب الإسلامية ، وهي مساحة واسعة تبلغ ٩٥٪ تقريبًا ؛ و تأت

عن النبش في المسائل الخلافية ، التي تمثل اله ٥٪ الباقية ؛ تاركة ذلك لمزيد من الاجتهاد ، وإيراد الأدلة التي تُطمئن كل طرف على صواب ما يعتقد .

وإذا كانت فكرة التقريب تلك ، قد نشأت للمرة الأولى ، إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية في الأربعينيات من القرن العشرين ، وكانت بمثابة ردّ فعل لها ، وحاجة المسلمين الماسة آنذاك إلى نبذ خلافاتهم والدخول كقوة بارزة إلى عالم ما بعد الحرب ؛ فإن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية اليوم ، تأتى في وقت تشتد فيه الحاجة إلى تآلف المسلمين وتقاربهم ، ووحدة صفوفهم ؛ وهي الوحدة التي تحاربها قوى الغرب ، وتبذل كل جهودها للحيلولة دونها .

والجامع الأزهر الشريف ، هو المؤسسة الوحيدة في العالم الإسلامي ، القادرة على جمع كلمة المسلمين ؛ وقد حقق الجامع الأزهر التقارب بين المذاهب الإسلامية ، عندما أجاز تدريس جميع المذاهب الفقهية ، ضمن البرامج التعليمية في المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر ، وتقديمها في حيدة تامة ، وموضوعية كاملة .

وحين تم تأسيس جماعة التقريب سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٧م، وافتتحوا دار التقريب بالقاهرة وطهران، انعقد عزم الجماعة على إصدار مجلة: (رسالة الإسلام)؛ وصدر وها بالبيانات التي تُشير في مجملها إلى ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية، إنطلاقًا منها إلى الوحدة الإسلامية.

وكانت مجلة (رسالة الإسلام)، تنشر الفكر التقريبي بين المسلمين، وتجمع العلماء على صعيد الحوار العلمي في مختلف المجالات. كتب فيها كبار علماء الشيعة، من أمثال: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد صدر الدين شرف الدين، والسيد هبة الله الشهرستاني، والشيخ محمد تقى القُمّى، ومحمد صادق الصدر، وغيرهم. وكبار علماء السنة، من أمثال الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت «وكلاهما من أئمة الأزهر وشيوخه»، والشيخ محمد محمد المدني « رئيس تحرير المجلة »، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد البهسي، والأستاذ محمود فياض، والشيخ محمد على علوبة باشا، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والأستاذ محمود العقاد، وغيرهم كثير.

ولقد صدر العدد الأول من مجلة رسالة الإسلام ، في ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هــ ٩ ١٩٩٩ م ؛ وتواصلت تصدر كل ثلاثة أشهر ، وتعشرت في الصدور بعض الأعوام ، وصدر عددها الستون

والأخير في رمضان ١٣٩٢هـ أكتوبر ١٩٧٢م ؛ ومجموعة ما تضمنته من مقالات ودراسات وأخبار، يشكل سفرًا مهمًّا من أدبيات التقريب في عالمنا المعاصر ؛ إذ أن المجلة انفتحت على كتاب أهل السُّنة والشيعة ، وانعكست فيها مسيرة دار التقريب ، ومسيرة التقريب في العالم الإسلامي ؛ ومن هنا فإنها تشكل رصيدًا مهمًّا للتقريب ، ومعلمًّا لمسيرته .

ولا يغيب عن بالنا ، ونحن بصدد بيان أهمية دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، في توحيد أمة الإسلام ؛ إن أساس الخلاف بين الشيعة وأهل السنة ، كان بسبب قصر الشيعة أحقية الخلافة على الإمام على وذريته ؛ وهو خلاف سياسي محض ، لا داعى له ، ولا وجة له اليوم ، بعد نجاح الدول الأوروبية في إسقاط دولة الخلافة الإسلامية في مطلع القرن العشرين ؛ وقد أفاد الدكتور محمد كسامل حسين ، أنه قرأ كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن حيون داعى دعاة الفاطميين ، وهو كتاب في فروع الفقه ، فوجده يتطابق مع الفقه المالكي .

وبعد ، فإن دراستنا هذه عن جهود سلاطين بنى أيوب فى توحيد الجبهة العربية الإسلامية الاسترداد القُدس من الفرنج ، وإعادة الفكر السنى والشعائر السنية إلى مصر ؛ تمشل الجزء الأول من سلسلة دراسات عن عصر سلاطين بنى أيوب ، تتناول هذا العصر الحيوى الهام من شتى جوانبه ، مع التركيز على تاريخه السياسى ، والسياسة الخارجية والداخلية لسلاطين بنى أيوب ، ونظم الحكم والإدارة فى دولتهم ، والحياة الثقافية والاجتماعية فى عصرهم ؛ وأدعو الله أن يمتعنا بالصحة والعافية ، ويوفر لنا الأسباب ، لإصدار هذه الدراسات ، التى من شأنها إجلاء حقائق تاريخية هامة عن عصر سلاطين بنى أيوب بصفة خاصة ، وعن تاريخ مصر الإسلامية بصفة عامة .

والله ولى التوفيق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل . ﴿

دكتور / ﴿ حمر فؤ ﴿ و سير

الفصل الأول

توحيد الجبهة العربية الإسلامية ضد الفرنج ، لاسترداد القدس ، تحت لواء دولة الخلافة العباسية ، بين نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي

لم يشهد التاريخ الإسلامي ، وضعًا سياسيًّا شرعيًّا ، بلغ أوج التداخل والتشابك بل والتناقض ، مثلما كانت عليه حال مصر الإسلامية ، غداة ارتقاء صلاح الدين لوزارة التفويض الفاطمية ، خلفًا لعمه الراحل شيركوه . إذ أضحى صلاح الدين وزيرًّا سنيًّا للخليفة الفاطمي الشيعي ، يتلمس الأسباب للإطاحة بخليفته ، والقضاء على دعوته واجتثاث جذور التشيع من مصر ؛ وفي نفس الوقت، آل إليه ملكًّا وراثيًّا طابعه الاستبداد ، عن عمه شيركوه ، يسانده فيه ولاء الجنود الشوام النورية له لكونه قائدهم ، وتعصب القوات الكرديه في الجيش الشامي له لكونه من أرومتهم ؛ وفوق هذا وذاك كان صلاح الدين نائبًا في ولاية مصر ، عن أقوى السلاطين السنين بالمشرق الإسلامي آنذاك ، نور الدين زنكي ، الذي ورث عن السلاجقة مهمة الانتصار للمذهب السني ، وإعلان الدعوة لبني العباس على منابر ديار الإسلام ، التابعة للخلافة الفاطمية الشيعية .

فبعد تولى صلاح الدين لوزارة العاضد «رسخ ملك» ، والخطبه مع ذلك على المنابر بالديار المصرية للخليفة العاضد ، وبعده للملك العادل نور الدين » فالملك في الظاهر له ولا يتصرف صلاح الدين إلا عن أمره »(1) ، فكان «نائبًا عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها »(1) ، وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الاسفهسلار ، ويكتب علامته في الكتب تعظيمًا ، أن يكتب اسمه ، ولا يفرده في كتاب بل يكتب : الأمير الإسفهسلار صلاح الدين وكافة الأمرا المصرية يفعلون كذا وكذا (1) .

⁽١) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

⁽٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٨ .

⁽٣) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٨ ، واسفهسلار كلمة مكونة من لفظين ، أحدهما فارسى ، وهو « اسفه » ، ومعناه المقدم ، والشانى تركى وهو « سلار » ومعناه العسكر ، فكأن معناهما : « مقدم العسكر » ، أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ ، و ج ٢ ، ص ٥٠ ، ص ٧ ، ص ٨ .

ونحن لا نميل إلى الآراء التي رددها عز الدين بن الأثير _ مؤرخ البيت الأتابكي _ في كتابيه الكامل في التاريخ ، والباهر في تاريخ الدولة الأتابكية ، ونقلها عنه عدد من المؤرخين ؛ وفحواها أن صلاح الدين لم يكن وقيًا لأستاذه نور الدين ، بل كان يجتهد منذ استقرار نفوذه في مصر ، إلا الاستقلال عنه ، ومزاحمته السيادة السياسية ببلاد الشام ، فكل هذه الأراء (١) ، كتبها ابن الأثير بعد وفاة صلاح الدين ، واضطرار صلاح الدين إلى الخروج على رأس عساكره إلى بلاد الشام ، وضم ممتلكات أستاذه نور الدين بها إلى ممتلكاته بمصر ؛ إذ أن خروج صلاح الدين إلى الشام كان من أجل إعادة الجبهة العربية الموحدة ، التي كان عماد الدين زنكي ثم ابنه نور الدين قد أجهدا نفسيهما طويلاً في تكوينها ، وكانت بعد وفاة نور الدين على وشك أن تنفصم ، بعد انقسام البيت الزنكي ، حزب في حكوينها ، وحزب في حلب ، ولم يتسطع ابنه الطفل الصالح إسماعيل إعاد توحيد مملكة والده (٢) ؛ في دمشق ، وحزب في حلب ، ولم يتسطع ابنه الطفل الصالح إسماعيل إعاد توحيد مملكة والده (٢) ؛ ولقد كتب صلاح الدين إلى الخليفة العباسي (٢) ، وإلى ابن نور الدين ، يخبره أن خروجه للشام ، هو لتوحيد كلمة المسلمين ضد الفرنج (٤) .

وأغلب الظن أن هذه الأقوال التي رددها ابن الأثير ، ونقلها عنه بعض المؤرخين بخصـوص عـدم ولاء صلاح الدين للبيت الزنكي ، والروايات التي قيلت حـول هـذا الموضوع ، قد صاغها المؤرخون

⁽۱) مال إلى ترجيح هذه الأراء ، والأخذ بها الأستاذ على بيومى ، على أسساس انها تؤيد رأيه بخصوص طموح الأسرة الأيوبية في تكوين ملك وراثي لها منذ أن كانت في قلعة تكريت ، ثم في خدمة الدولتين البورية والزنكية ، أنظر على بيومى : قيام الدولة الأيوبية ، ص ١٤٧ – ١٩٨ . ولكن يجب ألا يفوتنا أن نور الدين نفسه ، قد أعد صلاح الدين وعائلته ليكونوا نوابه في مصر ، وباقى ما يفتح من ممتلكات الخلافة الفاطمية الشيعية البائدة سواء في اليمن أو المغرب . وإن تتخل نور الدين في مصر إبان نيابة صلاح الدين عنه في حكمها ، مثل إرساله وزيره إبن القيسراني ، لكشفها ومراجعة حساباتها ، كان نوع من الإشراف الإدارى ، الذي مارسه نور الدين على نائبه بحصر . أنظر خبر كشف إبن القيسراني للديار المصرية وارتفاعها ٢٥٥هـ - ١٤٥هـ ، ثم تحديد القطيعة المالية التي يدفعها صلاح الدين إلى نور الدين رمزًا لتبعيته ، عند المقريزى : السلوك ج ١ : ٥ - ٥ ، أبو شامة : الروضتين ١ : ق ٢ ، ص ٥ ٢ ٥ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ،

⁽۲) انظر ابن الأثير : الباهر ، ص ۱۹۲ – ۱۹۲ ، ۱۸۱ – ۱۸۴ ، ابن واصل : مفرج، ج ۲ ، ص ۱ – ۱۰. (۳) انظر قبله .

⁽٤) يقول سبط ابن الجوزى: أن صلاح الدين كتب إلى الملك الصالح بن نور الدين كتابًا يتواضع له فيه ويخاطبه بمولانا وابن مولانا ، ويقول : إغا جنت من مصر خدمة لك ولؤَأدًى ما يجب من حقوق المرحوم فلا تسمع ممن حولك فتفسد أحوالك وتختل أمورك ، وما قصدى إلا جمع كلمة الإسلام على الفرنج ، سبط : مرآة ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

- وعلى رأسهم ابن الأثير - لتعليل مسلك صلاح الدين بعد موت أستاذه كان الدافع وراءها ولاء ابسن الأثير للبيت الزنكى ، من ناحية ، ثم عدم تعاطفه مع صلاح الدين ، الذى قضى على هذا البيت وممتلكاته من ناحية أخرى ، خاصة وقد لاحظ المؤرخون المحدثون أن ابن الأثير ، قد تحامل على صلاح الدين ، فى تاريخه الكامل والباهر ، وتلمس له مواضع الزلل ، وأسباب الخطأ(١) ، ويرجح ما ذهبنا إليه ، أن أغلب هذه الأقوال ، حاولت استقراء ما فى نفس نور الدين وصلاح الدين ، كل منهم ناحية الآخر ، ولا يعلم خفايا الأنفس والقلوب إلا الله(٢) .

لهذا فنحن نؤيد ما ذهب إليه بعض مؤرخي صلاح الدين ($^{(7)}$) ، وأيده بعض المؤرخين المحدثين ($^{(1)}$) من أن صلاح الدين ، ظل يأتمر بأمر نور الدين ولا يخرج عنه ، حتى وفاة نور الدين .

لقد لاحظ العماد أن صلاح الدين كان « لا يخرج عن أمر نور الدين ، ويعمل له عمل القوى الأمين ، ويرجع في جميع مصالحه إلى رأيه المتين (٥) ، أما أبو شامة ، فقد عمد إلى تفنيد اتهامات إبن الأثير لصلاح الدين بخصوص خروجه عن طاعة نور الدين ، وفي رأى أبي شامة ، أن نور الدين لم ينتقد على صلاح الدين إلا إسرافه في تفريق الأموال وصرفها واستبداده بذلك من غير مشاورته (٦) ، ويؤكد أبو شامة رأيه ، بوثيقة وقف عليها بنفسه ، بخط نور الدين ، يقرر فيها للقاضي شرف الدين بن أبي عصرون ، الذي تولى القضاء له بالشام ثم لصلاح الدين بعصر ، إعجابه الشديد بما قام به صلاح الدين من نصره المذهب السنى بعصر ، والقضاء على الدولة الفاطمية ، والمذهب الشيعي ، ويطلب من أبي عصرون مساندة صلاح الدين ، في هذا الأمر الجلل (٧) .

⁽١) راجع عباس العزاوى : التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، ص ٣٨ – ٤٩ .

⁽۲) أنظر تفاصيل الأزمة السياسية بين الملك العادل نور الدين ، وبين صلاح الدين نائبه بمصر سنة ٥٦٧هـ ، ولقد سماها ابن الأثير « الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين » وعنه أخذ أغلب المؤرخين هذه التسمية ، أنظر ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥٨ – ١٥٩ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٤٨ – ٤٩ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٢٩ – ٢٢٣ .

⁽٣) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ١ : ق ٢ ، ٤٤١ – ٤٤٣ ، ص ٣ ٥٥ .

⁽٤) أنظر جمال الشيال: مصر الإسلامية، ص ٣١ - ٣٩ في فصل طريف بعنوان: حقيقة العلاقات بين صلاح الدين ونور الدين.

⁽٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٣ ، س ١ – س ٢ .

⁽٦) نفس المصدر ، ص ٤٤١ .

⁽٧) راجع نص هذه الوثيقة ، نفس المصدر ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

والواقع أن جميع الخطوات الحاسمة ، التى اتخذها صلاح الدين لإسقاط الخلافة الفاطمية بمصر ، والقضاء على الدعوة الإسماعيلية بها ، جاءت بأمر مباشر من نور الدين ، ولم تتم إلا بعد أن وصل نجم الدين أيوب والد صلاح الدين من طرف نور الدين إلى مصر ، ليباشر بنفسه تنفيذها (۱) ، بل إن صلاح الدين ظل مترددًا في قطع الخطبة للفاطميين بمصر ، حتى سنة 700 هـ ، خشية انتفاض شيعتهم بها ، حتى ألزمه نور الدين بذلك إلزامًا (۱) ، وقام نور الدين بنفسه بإرسال بشارة الخطبة لبنى العباس بها ، حتى ألزمه نور الدين بذلك إلزامًا (۱) ، وقام نور الدين بنفسه بإرسال بشارة الخطبة لبنى العباس بمصر إلى الخليفة العباسي (۱) ، فكان نور الدين هو « الآمر » ، وصلاح الدين هو « المباشر » (۱) بل يعلق أبو شامة على الخطبة لبنى العباس بمصر ، وانقراض الدولة الفاطمية بقوله : « واستولى على مصر صلاح الدين وأهله ونوابه ، و كلهم من قبل نور الدين رحمه الله ، هم أمراؤه و خدمه وأصحابه » (۱) .

وليس أدل على التبعية الكاملة لصلاح الدين تجاه نور الدين ، وكونه ناتباً عنه في حكم مصر ، من كونه كان يخطب له على المنابر في أرجاء الدولة الفاطمية ، إبان وزارته للخليفة الفاطمي العاضد (٢) ، وأثر نقل الخطبة للعباسيين ، كان الخطيب بمصر وأعمالها ، يدعو لنور الدين بعد الخليفة (٢) ، وقررت السكة باسم المستضىء بأمر الله وباسم الملك العادل نور الدين ، قنقش إسم كل منهم في وجه (٨) ، وكان مجيء ابن القيسراني وزير نور الدين إلى مصر سنة ٥٦٨ - ٥٦٩ هـ لكشف المبلاد ، وإرتفاعها ، ومراجعة حساباتها ، لتقرير القطيعة أو الوظيفة السنوية التي يدفعها صلاح الدين للور الدين ، أمرًا طبيعيًا يؤكد تبعية مصر لنور الدين ؛ ولم يكن استغراب صلاح الدين لهذا العمل لنور الدين الم في نزاهته وزمّته لو كان قام بنفسه برفع بقوله : « إلى هذا الأمر وصلنا » ، إلا لكون هذا قد يشكك في نزاهته وزمّته لو كان قام بنفسه برفع تقرير إرتفاع مصر إلى نور الدين ، دون مجيء إبن القيسراني ، خاصة وإن الوزير الفاطمي شاور ، كان

⁽١) أنظر قبله ، الفصل الأول الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية بمصر ، والفصل الثاني الخاص ياعادة الشعائر السنية إلى مصر ونشر الفكرة الأشعرية السنية بها .

⁽٢) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٤٨٨ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ ، ص ٤٩٦ – ٤٩٩ ، وانظر قبله. (٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٥ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ٢٢ه – ٥٢٣ .

⁽٥) نفس المصدر، ص ٥٠٩.

⁽٦) نفس المصدر ، ص ٤٠٨ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، أنظر قبله .

⁽٧) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٦ ص ٨ وأنظر قبله .

⁽٨) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٥ ، وانظر قبله .

⁽٩) أبو شامة : الروضتين / ١ : ق ٢ ص ٥٢ ، ابن واصل : مضرج ج ١ : ٢٥٧ – ٢٥٨ ، المقريزى السلوك ج ١ ، ص ٥١ – ٥٢ .

حين لجأ إلى نور الدين في المرة الأولى ، قد وعده إذا ما أمده بالجيوش النورية لطرد الفرنج من مصر ، إن يكون نائبًا عن نور الدين في حكم مصر ، ويرفع له سنويًا تُلثُ خراجها(١) .

ولقد أدركت الخلافة العباسية ، هذه الحقيقة الجوهرية ، فميزت بوضوح بين الحِلَع الخليفية لنور الدين ، وبين الحِلَع الخليفية لصلاح الدين ، وجعلت خِلَع صلاح الدين أقبل من خلع نور الدين ، وعين قلدت نور الدين بالسَّيْفَين ، إشارة إلى تقليده لقطرى الشام ومصر ؛ وفي نفس الوقت أرسل نور الدين من قبله خَلع شَيَّرَها من بلاد الشام إلى صلاح الدين وأهله وأمرائه بمصر (٢) ، تأكيدًا لتبعيتهم المباشرة له .

ولدينا وصف شائق خفل وصول الخلع الخليفية لنور الدين ، على لسان شاهد عيان هو العماد الأصفهاني ، الذي يخبرنا أن رسول دار الخلافة ، في جواب بشارة نور الدين بالخطبة لبني العباس بعصر ، كان عماد الدين صندل ، أستاذ دار الخلافة ، ونص في ذلك اليوم على من يحضر مجلس نور الدين من أكابر دولته ، وتولى قراءة كتاب الخليفة الموفق ابن القيسراني ، وكان عند نور الدين في مقام الوزير « فاجتاب نور الدين الأهبه العباسية » () ، ولبس الفرجية فوقها ، وتقلد مع تقلد الشيقين طوقًا ، وخرج وركب من داخل القلعة ، وهو حال بما عليه من الخلعة ، واللواء منشور ، والنضار (الذهب) منثور ، والركبان الشريفان أحدهما مركوبه ، والآخر بحليته مجنوبه (أي بجانبه دون ان يركبه) . قال العماد « وسألت عن معنى تقليده السيفين .. فقيل لي هما للشام ومصر ، والجمع له بين البلدين » وخرج نور الدين إلى ظاهر دمشق ، حتى انتهى إلى منتهى الميدان الأخضر ، وكان وزن الطوق مع أكرته ، ألف دينار من الذهب الأحر () ؛ أي أن الخلعة الخليفية لنور الدين كانت فرجيه الطوق مع أكرته ، ألف دينار من الذهب الأحر () ؛ أي أن الخلعة الخليفية لنور الدين كانت فرجيه سوداء ، وظرف مُذَهب () . ولواء أسود ، وسيّقين ، وقرسين ، وحُرسين ، وحُلل موشيه () .

⁽١) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٣٩٦ ، ص ٤١٨ .

⁽٢) أنظر المصدر ، ص ٥٠٦ ، ابن واصل : مفرج ج ١ ، ص ٢١٩ .

^{(&}quot;) أهبة الحرب عدتها ، والجمع أهب (ابن منظور – اللسان) .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ : ٥٠٥ - ٥٠٦ ، وهو ينص على النقل عن العماد في البرق الشامية .

⁽٤) المقريزى: السلوك ج ١ ص ٤٦.

⁽٥) ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ ونص ابن واصل أكثر وضوحًا لعدم استخدامه السجع وهو فسى الغالب شرح لوصف العماد ، فيقول « وورد .. التشريف الشريف لنور الدين مكملاً بالأهبة السود والجلل الموشية والطوق الذهب الثقيل واللواء الجليل لبس نور الدين الفرجيه وتقلد بالسيفين ووضع في عنقه الطوق وخرج راكبًا من داخل القلعة واللواء الأسود مقشور على رأسه ، وقدم له مركوبان أحدهما ركبه ، والآخر كان جنبيًا بين يديه ، على بجلبته وجمع له بين تقليدى السيفين الإشعار بتقليده الإقليمي : الشام والديار المصرية ... » .

كذلك أرسلت الخلافة ، تشريفًا وخلعًا إلى صلاح الدين ، ولكنها كانت أقل من خِلع نور الدين ، إذ لاحظ المؤرخون المعاصرون مشل العماد أن تشريف نور الدين أميز وأفضل ، وأجمل وأكمل (١) ، لذلك فحين وصلت خِلْعة صلاح الدين إليه بمصر «إستقصرها واستنزرها واستصغرها دون قدره (١) ، كما جعل نور الدين يُطيِّب خاطره ، بأن سيَّر تشريفه بَرَهَته إلى مصر (١) ، وكانت هذه أول خِلْعة عباسية دخلت الديار المصرية ، بعد انقراض الدولة الفاطمية (١) ؛ وذلك في ٩ رجب سنة الله خرج قاضى القضاة صدر الدين إبن ديرباس والشهود والمقرنون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخِلْعة وزينت البلد (٥) ؛ وفي ٢١ رجب من السنة المذكورة لبس صلاح الدين الخلعة الخليفية وركب بها (١) ، وكانت وصلت مع الرسل أعلام وبنود ، ورايات سُود ، وأهب عباسية المنطباء في الديار المصرية ، فَسُيِّرت إلى صلاح الدين ، ففرقها على المساجد والجوامع والخطباء والقضاة والعلماء (١) .

وكما قرَّقتُ الخلافة بين خِلَع نور الدين وخلع صلاح الدين ، على أساس أن الشانى كان تابعًا للأول ، ونائبه بمصر ؛ فإن صلاح الدين نفسه ، كان يراعى التأدُّب فى رسوم الملك ، فلا يُساوى نفسه بسيده نور الدين . ففى رجب فى نفس هذه السنة ، ضُرِبَت نُوب الطبلخانة (^) بالباب الناصرى ثلاث مرات فى كل يوم ، وضربت بدمشق خس مرات كل يوم بالباب النورى (¹) ؛ وفى نفس هذه السنة سارت الرُّسُل من القاهرة إلى نور الدين ، تخبره بلبس صلاح الدين للخلع وباستجابة صلاح الدين على مُداومة إرسال ما قُرِّر عليه من مال إلى نور الدين فى كل سنة (١٠) .

⁽١) أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ : ٠٠٥ .

⁽۲) المقریزی: السلوك: ج۱، ص ۲۶.

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ ، ٥٠٦ .

⁽٤) ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢٢٠ ، أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ ص ٥٠٦ .

⁽٥) المقريزى : السلوك ، ١ / ٤٦ .

⁽٦) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

⁽٧) أبو شامة : الروضتين ، ٢/١ ، ص ٥٠٦ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

 ⁽٨) الطبلخانة كلمة فارسية معناهاالموسيقى السلطانية ، وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة
 المغرب وتكون صحبة السلطان في الأسفار والحروب، القلقشندى : صبح ، ج ٤ ، ص ٨ – ٩ ، و ص ١٣.

⁽٩) المقريزي: السلوك ، ج ١ ، ص ٤٦ .

⁽١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤٧ .

وإذا كانت جميع الإجراءات التى اتخذها صلاح الدين لإسقاط الخلافة الفاطمية ، والخطبة لبنى العباس والقضاء على الدعوة الإسماعيلية عصر ، قد تمّت بتوجيه مباشر من نور الدين ، وبعد إرساله لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين من الشام ليباشر هذه الأمور بنفسه (1) ؛ فإن صّمّ صلاح الدين لليمن ، تمّ بإذن نور الدين ، للقضاء على الدعوة الإسماعيلية هناك ، بحيث أرسل نور الدين هذه البشارة ، بنفسه للخليفة العباس على الرسل إليه أيضًا يبشره بالخطبة لبنى العباس على منابر القيروان على يد بنى أيوب ، ويزف إليه غزو مملكة النوبة المسيحية وهى بلاد لم تطأها من قبل سنابك الخيل الإسلامية ، ويبشره بقرب فتح القسطنطينية وبيت المقدس (٢).

ومنذ استقرار صلاح الدين بعصر ، حتى وفاة نور الدين ، داوم صلاح الدين على إرسال تحف القصر الفاطمى ، إلى سيده نور الدين رمزًا للولاء والتبعيّة (أ) ، وداوم صلاح الدين على إطلاع نور الدين على كل صغيرة وكبيرة داخل مصر ، فنجده مثلاً يرسل إليه كتابًا يتضمن ذكر ثورة عمارة اليمنى (أ) ؛ وليس أدل على تعاون كل من صلاح الدين ونور الدين ، من تفاهمهما الاستراتيجى فى قتال الفرنج ؛ فيذكر أبو شامة أنه فى سنة ٥٦٥ / ١٧٢ « تبولى السُلطانان نور الدين فى الشام وصلاح الدين من مصر فى هذه السنة جهاد الصليبيين ، ولقد وصف العماد هذا الحدث بد «جهاد السُلطانين للفرنج » (أ) ؛ وهذا ما أكده صلاح الدين فى كتاب له للخليفة العباسى بقوله أنه «كان انعقد بينه وبين نور الدين رحمه الله ، فى أن يتجاذبا طَرَفي الغَزّاه من مصر والشام ، المملوك (أى صلاح الدين) بعسكرة بره وبحره ، ونور الدين من جانب سهل الشام و وعره (٧) .

⁽١) أنظر قبله .

⁽٢) المقريزي : السلوم ، ١ : ٥٣ ، ابن واصل : مفرج ١ : ٢٣٧ ، سبط : مرآة ٨ : ٢٩٩ .

⁽٣) كتب نور الدين إلى الخليفة العباسى « وقسطنطينه والقدس يجريان إلى أمّد الفتوح فسى مضمار المنافسة والله تعالى بكرمه يدنى قطاف الفاتحين لأهل الإسلام ويوفق الخادم لحياذة مراضيى الإمام .. ومن جملة حَسنات هذه الأيام الزاهرة ، ما تبسر فى هذه النوبّة ، من افتتاح بعض بلاد النُوبّة ، والوصول إلى مواضع منها ، لم تَطرُقها سنابك الحيل الإسلامية فى العصور الحَالية ؛ وكذلك استولى عساكر مصر أيضًا على برقة وحصونها .. حتى بلغوا إلى حدود المغرب (ابن واصل : مفرج ج 1 : ٢٣٥ ، أنظر ص ٢٣٦) حيث يفيد ابن واصل أن فتح بلاد المغرب تم بأمر نور الدين .

^(\$) أنظر أبو شامة : الروضتين ٢/١ ص ٢٢٥ – ٥٢٥ ، ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢٢٤ – ٢٢٥، ٢٢٦ .

⁽٥) ابن واصل : مفرج ١ : ٢٤٨ ، ولقد أورد ابن واصل فقرات من هذا الكتاب ١ : ٢٤٨ – ٢٥١ .

⁽٦) أنظر أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ ، ٢٦٥ – ٥٣٠ .

⁽٧) نفس المصدر / ٢ ص ٢٢٤ .

ولقد أبدى صلاح الدين تبعيته لبيت نور الدين حتى بعد وفاته سنة ٩٦٥ / ١١٧٣ ، بحيث خطب صلاح الدين لابنه الصالح إسماعيل ، وضرب السكة باسمه (١) ، ووافى إرسال الرسائل في العزاء بنور الدين (٢) ؛ وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول آله حتى وفاة نور الدين ، كانت مصر والشام ، قد توحدتا تحت زعامة نور الدين ، وهذا ما عبر عنه العماد الأصفهاني ، حتى حين قال عتد ح نور الدين :

قيت وابشر بنصر الله عن أمسم في عقد عز من الإسلام منتظر (") علسك مصسر اهنسىء مسالك الأمسم فملسك مصسر وملسك الشسام قسد نُطمّساً

وفى رأى ابى شامة ، أن خروج صلاح الدين إلى بلاد الشام ، بعد موت نور الدين لأنَّ بموته « إنفردت مصر عن الشام ، وطَمَعَ أهلُ الكفر فى بلاد الإسلام » (أ) ؛ أى أنه يؤيد ما أعلنه صلاح الدين ، من أن حروجه إلى الشام « لتوحيد كلمة المسلمين ضد الفرنج » () ؛ لكن بعد فشله فى إصلاح ذات البين بين الأوصياء على عرش إبن نور الدين (أ) ، ونجاحه فى هزيمتهم فى موقعة قرون حماه ، وتوقيعه الصلح معهم على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ، ولهم ما بايديهم منها ؛ قطع صلاح الدين الخطبة للصالح ، وأزال إسمه عن السكة فى بلاده () ، وبهذا انتهت مرحلة نيابة صلاح الدين عن البيت الزِّنكي فى حكم مصر ، واستقل استقلالاً تامًا بالديار المصرية .

وما لبث صلاح الدين في سنوات وجيزة ، أن ورث جميع ممتلكات نور الدين ، وورث رسالته في توحيد المشرق الإسلامي لجهاد الصليبيين ، وكان نور الدين قد اتسع ملكه ، ففتح الموصل والجزيرة وديار بكر والشام والعواصم ودمشق وبعلبك وبانياس ومصر واليمن ، وخُطِبْ له

⁽١) المقريزي : السلوك ١: ٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ : ٥٨٥ .

⁽٢) أنظر الرسائل التي أوردها أبو شامة : المصدر السابق ٢/١ ، ص ٤٨٦ – ٥٨٨ .

 ⁽٣) أنظر أبو شامة : نفس المصدر ، ١ / ٢ ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

⁽٤) أنظر أبو شامة : الروضتين ٢/١ ، ص ٩٩٥ – ٥٩٨ .

⁽٥) سبط: مرآة ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

⁽٦) راجع أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ ، ص ٦٠٣ – ٦٠٦ ، ص ٦٣٣ – ٦٤٠ ، ص ٦٤٧ – ٦٠٥ .

⁽V) القريزى : السلوك ، ج 1 ، ص 9 0 .

فى الدنيا(١). بل حاول قبيل وفاته ، ضم ممتلكات سلطنة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى إليه وذلك فى سنة ٨٨ ٥هـ(١) ، ولكنه توفى قبل أن يحقق أمله . كما كان نور الدين يتطلع أيضًا إلى فتح مملكة

(١) سبط: مرآة ، ج ٨ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، وبالنسبة للوضع الشرعي للدولة الإنابكية بالشام ، كما تبلور في الربع الأول من القرن السادس الهجرى في عهد عماد الدين زنكي ، فقد كان اتابكة الموصل والجزيرة الفراتية والشام ، يظهرون تبعيتهم وطاعتهم للخلافة العبامسية والسلطان السلجوقي ، فيحضرون إلى بغداد أحيانًا (سنة ٨ . ٥هـ) لخدمة السلطان السلجوقي في دار السلطنة (سبط : مرآة ج ٨ ، ص ٥٣) وكانوا يظهرون ولاءهم للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ببغداد ، بالهدايا والتحف التي يرسلونها إلى بغداد ، وفي نفس الوقت كانوا يتلقون « الخلع الخليفتية » و « السلطانية » و « المشور السلطاني » ؛ بالولاية حربًا وخراجًا (سبط : مرآة) ٨: ٥٦ ، وَلَقد استقوى نفوذ عماد الدين زنكي ، والد نور الدين زنكي ، على جميع أتابكة الموصل والشام والجزيرة ، حين حالت مشاغل السلطان السلجوقي في العراق في سنة ٧ . ٥هـ من جمع ملوك الأطراف لمحاربة الفرنج بالشام (سبط : مرآة : ٨ : ٤٦) ، ولما كان السلطان السلجوقي قد أغلَنَ مِنْ قَبِل (سنة ٤ ، ٥هـ) عماد الَّدين زنكي ، قائدًا لقوات جميع أتابكة الشام والجزيرة بعد أن أبلي بلاءً حسنًا فسي قال الإمارات الصليبية بالشام (سبط : مرآة ، ٨ : ٣٥ - ٣٦) بل استطاع بالفعل هزيمة ملك بيت المقدس الصليبي سنة ٢ . ٥ه. ، وأرسل بشارة النصر للسلطان السلجوقي (سبط : مرآة ، ٨ : ٤١ - ٤٣) . فلا ريب أن عَهدُ السلطان السلجوقي في سنة ٧ . ٥هـ لعماد الدين زنكي بمهمة جهاد الصليبين بالشام نيابة عنه وأَمَرُ أتابكته في بلاد الموصل والجزيرة على الدخمول في طاعته ، (سبط : مرآة ، ٨ : ٥٢) ، وقد عمد عماد الدين زنكي على الاستنجاد بجيوش السلطان السلجوقي في الأوقات الحُرجَة من صراعه مع الصليبين (ابن واصل ، ١ : ٧٩ - ٨١) واستقرت الأمور بين عماد الدين زنكي والسَّلطان السلجوقي ببغداد على هذا الأساس، وحين توفي عماد الدين، سنة ٤١هـ أقر السلطان أولاده على تمتلكاته (ابسن واصل ج ١ ، ص ۱۰۲ – ۱۰۹ ، سبط : مرآة ، ص ۱۸۹ – ۱۹۰) .

ولا شك أن عماد الدين زنكى قد نجح فى تكوين الجبهة الإسلامية الموحدة من ملوك الجزيرة الفراتية والشام وضم الإمارات الكردية والتركمانية ، للتصدى للوجود الصليبي بالشام ، واستطاع إسقاط إمارة الرها الصليبية ، سبط : مرآة ، ج ٨ ص ١٨٩ – ١٩٥) وامترداد أغلب حصون الساحل من الصليبيين ثم تبابع ابنه نور الدين رسالته هذه ، أنظر سبط : مرآة ج ٨ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٢ ، ٢٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ من المدين وسائل جمع من البلاد ، كان يعمل شيئًا حتى يستأذنه » (سبط : مرآة ، ص ٢٨٧ – ١٨٣) . واتخذ نور الدين وسائل لجمع القلوب حوله للجهاد ؛ (أنظر سبط مرآة ج ٨ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٢) اتبعها من بعده تلميذه صلاح الدين .

ومن هذا يتضح أن الوضع الشرعى لممتلكات الدولة الزنكية كان هـو نفس الوضع الشرعى لممتلكات الدولة الأيوبية ، على أساس تبعية كلا الدولتين من الناحية الشرعية للخلافة العباسية .

والجدير بالذكر أن عماد الدين زنكى ، فى محاولته لتقوية نفوذه الدعائى فى مقاتلة الصليبيين ، كان قد فكر فى إزالة نفوذ السلاجقة من العراق ، ونقل الخلافة العباسية والخليفة العباسى إلى مقر حكمه بالموصل ٥٠٥هـ ، ولكن محاولته باءت بالفشل ؛ وعن محاولة عماد الدين زنكى نقل مقر الخلافة العباسية إلى الموصل أنظر ابن الأثير : الياهر ص ٤٥ ، ص ٨٤ ، ص ٥١ ، ص ٥٣ . وفى رأينا أن محاولة عماد الدين هذه ، قد بعثها من جديد المماليك حين نقلوا مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٥١هـ .

(٢) عن هـذه المحاولة راجع ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢٣٣ – ٢٥٣ ، أبـو شـامة : الروضتين ٢/١ ، ص ٥٤٣ – ٤٤٥ أرمنية المسيحية ، واسترداد بيت المقدس ، وكتب إلى الخليفة العباسي في نفس هذه السنة يبشره بقرب تحقيق هذه الآمال ، ويزُفُ إليه خبر غزو نوابه بمصر (بني أيوب) لمملكة النوبة المسيحية (١٠) .

وأفاد سبط ابن الجوزى في ترجمة نور الدين ، أنه «كان في عزمه أن يفتح بيت المقدس ، فَعَمَر منبرا وقبله بجامع حلب على اسم القدس ، فتوفى قبل الفتوح ؛ فلما ملك صلاح الدين البيت المقدس ، حَمَلَ المنبر إليه ، وأبقى القبلة بجامع حلب (٢) . كذلك أكّد أبو شامة وراثة صلاح الدين لرسالة نور الدين ، حين لاحظ أن صلاح الدين «بني على ما اسسه نور الدين من جهاد المشركين ، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمّها ؛ ولو علم نور الدين ما فَرَحَ الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرّت عينه (٢) .

ويبدو أنَّ سلطان سلاجقة الروم ، قد قطن بعد ضم صلاح الدين لأغلب ممتلكات نور الدين بالشام والجزيرة الفراتية (أ) ، آنه كان في عزمة أيضًا ضم مملكة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ، وهو ما حاوله نور الدين قبيل وفاته ، فكاتب سلطان سلاجقة الروم صلاح الدين وأعلن دُخُوله في طاعته (٥) ، كما أرسل إلى صلاح الدين يرجو النّصر على ملك الأرمن المسيحي ابن لاون وذلك بعد أن تم بينهم الصلح سنة ٦٧ هه (كذا)(١) ، وكان صلاح الدين عند حسن ظن سلطان سلاجقة الروم به إذ نجح في نفس هذه السنة في فتح مملكة أرمنية المسيحية (١) ، الأمر الذي حاوله نور الدين قبيل وفاته .

وبدخول الزنكيين ، وسلطان سلاجقة الروم في طاعة صلاح الدين ، ونجاحه في فتح مملكة أرمنية المسيحية، تأكد لصلاح الدين أنه أصبح أقوى ملوك الأطراف في الشرق الإسلامي، فكتب(^)،

⁽١) نفس المصدر ، ج ١ : ص ٢٣٥ .

⁽٢) سبط: مرآة، ج ٨، ص ٣١٣.

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ١ / ٢ ، ص ٥٨٢ .

⁽٤) أنظر قبله .

⁽٥) العماد : الفتح ، ص ٥٧٢ – ٥٧٦ .

⁽٦) أبو المحاسن: النجوم، ج ٦، ص ٢٢٧.

⁽٧) نفس الصدر، ج ٦، ص ٢٢٨.

⁽۸) عن نصوص هذه الرسائل المتبادلة بين صلاح الدين والخلافة العباسية لتعديد أيادية البيضاء على الخلافة ، أنظر أبو شامة : الروضت ين ج ٢ ص ٦١٤ ، ٦١٣ - ٦٢٣ ، ص ٦٢٤ ، ص ٦٤٨ - ٦٤٩ ، ابسن شاهنشاه : مضمار الحقائق ، ص ٣٦٣ - ٦٥، ١١٤ ، القلقشندى : مآثر الإنافة ، ج ٣ ، ص ٣١٥ – ٣١٨ ، العماد : السبرق ، ليسسدن ، ق ٢٠١ – ١٠٥ ، ق ١٠١ – ١٠١ ، ق ١٢٤ – ١٢٥ ، ق ١٢١ – ١٣١ ، القلقشندى : صبح ج ٣ ، ص ٥٠٥ – ٢٠٥ ، ٥٠٥ – ٢٠٥ ، ١١٥ – ١١٥ ، ٥١٥ – ٥١٥ .

إلى الخليفة العباسى ببغداد سنة • ٧٥هـ ؛ يذكر فتوحاته وجهاده للفرنج ، وإعادته الخطبة العباسية عصر ، واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب ، وعلى بلاد اليمن كلها ، وأنه قدم عليه فى هذه السنة وفد سبعين راكبًا ، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدًا . وطلب صلاح الدين من الخليفة تقليده مصر واليمن والمغرب والشام ، وكل ما يفتحه يسيفه ، فوافته بحماة رسل الخليفة المستضىء بأمر الله ، بالتشريف والأعلام السُّود و توقيع يسلطنة بلاد مصر والشام وغيرها (١٠) .

والجدير بالإلتفات ، أن صلاح الدين ، أراد بطلبه للتقليد الخليفى ، أنّ يَجْعَلْ ما آل إليه من الممتلكات الفاطمية والتورية ، وما يسترده بسيفه من بلاد الفرنج ، أو ما يفتحه من دار الحرب ، مُلكًا وراثيًا له ولذريته من بعده ، بحيث يُحقق له التقليد الخليفى ، السّند الشرعى لهذا الملك الوراثى ، لذلك نجد صلاح الدين ، في أحد رسائله لديوان الخليفة ، يُناشد الخليفة العباسي لتحقيق هذا الغرض بقوله : آنه يريد ، تقليدًا جامعًا ، بمصر والمغرب واليمن والشام ، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية ، وكل ما يفتحه الله تعالى للدولة العباسية بسيوفه وسيف عساكره ، ولمن يقيمه من أخ أو ولد من بعده ، تضمن لنعمة تخليدًا ، وللدعوة تجديدًا (٢) .

ولا رَيْبَ أَنَّ التفويض الخليفي لصلاح الدين ولخلفه ، كان بالإضافة إلى إسباعة الشَّرْعيَّة ، في نظر العالم الإسلامي ، على الممتلكات النُوريَّية والفاطمية التي ضمها إلى دولته الفتية ، فإنه كان تفويضًا من الخليفة العباسي ، إلى صلاح الدين ، بجميع السلطات الشرعية ، التي يُعَدَّ الخليفة هو القائم بها ، من واقع تفويض الأمَّة الإسلامية له هذه السلطات من واقع البيعة (٢) .

ولقد حدد القلقشندى ، الوظائف الرئيسية ، في الدولة الإسلامية ، بوظائف عشرة ، يُفَوِّضُها الخليفة إلى مَن يَرى فيه الكفاءة على القيام بها على خير وجه ، ثم أفاد أن هذه الوظائف العشر ، أصبحت يفوضها الخليفة إلى السلطان ، ثم يفوضها السلطان بدوره إلى من يستطيع النهوض باعبائها(۱).

⁽١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٩ – ٦٠ ، وأنظر قبله .

⁽۲) ابن واصل : مفرج ، ج ۲ ، ص ۲۹ .

⁽٣) أنظر قبله .

⁽٤) أنظر الفصل السابع ، من الجزء الأول ، من كتاب ما ثر الإنافة في معالم الخلافة ، ج ١ ، ص ٧٤ - ٨٠ حيث يقول : « الفصل السابع : في ذكر الوظائف التي كانت تصدر عن الخليفة في الزمن المتقدم ، وما يصدر عنه الآن من تفويض السلطنة إلى السلطان ، ويرجم المقصود من ذلك إلى عشر وظائف » ، المقلق التعلق المقلقة الذي : ما ثر ، ج ١ ، ص ٧ ٤ ، ص ٧ - ص ١٠ .

ولقد عَلَقَ القلقشندى على هذه الوظائف العشر التى يُقَوِّضها الخليفة إلى السلطان بقوله: « وقد كان فى الزمن المَتقَدِّم ، يُكتب بِكُلَّ ولاية من هذه الولايات عَهدُ عن الخليفة بما يَقَع به التولية ، وتشملها عَلاَمة الخليفة على عادة الولايات فى ذلك ، ولم يَزَلَّ ذَلِكَ مُستمرًا إلى حين إنقراض الخلافة من بغداد . أمّا بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية ، فقد صارت علامة الخليفة مقصورة على عهد السلطان بتفويض الأمور العامة إليه ، وتفاصيل الأمور يَشملها خط السلطان بحكم تفويض الخليفة ذلك إليه (١) .

وواضح أنَّ الشق الثانى من كلام القلقشندى ، ينسحب على العصر المماليكى بعد انتقال الخلافة العباسية إلى مصر ، ونحن نستطيع أنَّ نُقرِّر مطمئنين إعتمادًا على وثانق العصر الأيوبى ، أنَّ الخليفة العباسى ببغداد كان يُفَوِّض هذه الوظائف ، أو الشُلطات العشر ، أوِّ ما يُعادِلها إلى الشُلطان الأيوبى عصر ، لِيُفَوِّضها بدوره لن يباشرها ويقوم بأعبائها وتتوفر فيه شروط النهوض بها على خير وجه .

ولدينا لحسن الحظ، وثيقتان هامّتان، إحداهما خاصة بتقليد الحليفة الناصر لدين الله العباسى للملك الدين الله العباسى للملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (٢)، وثانيهما تقليد الخليفة المستنصر بالله العباسى للملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (٦)، وبدراستنا لهاتين الوثيقتين دراسة مُقارّنة، نستطيع أنّ نُحلّد الشلطات الشرعيّة التي قوصة الخلفاء العباسيون، لسلاطين بني أيوب، على أساس أنّ الوثيقة الأولى، ترجع إلى عهد قيام الدولة الأيوبية، والوثيقة الثانية ترجع إلى عصر استقرارها وبلوغها أوج اتساعها في عصر السلطان الكامل محمد.

كما للينا أيضًا وصفًا دقيقًا شائقًا ، لرسوم وصول الخِلَع الخليفتية مع رُسُل وسُفراء الخلافة العباسية إلى مصر ، واستقبال سلاطين الأيوبيين لهولاء السفراء ، وركبوب السلاطين المصريين في موكب رسمى ، بالآلات الملوكية والخِلع والأعلام الخليفتية المميزة باللون الأسود شعار بنى العباس ،

 ⁽۱) نفس المصدر ، ج ۱ ، ص ۸ ، س ۱ – س ۸ .

⁽٢) أنظر نص هذا التقليد عن القلقشندى : مآثر الإنافة ، ج ٣ ، ص ٨٦ - ٨٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ - ١٥٢ .

⁽٣) أنظر نص هذا التقليد عند القلقشندى: مآثر الإنافة ، ج ٣ ، ص ٩٩ - ١٢١ ، القلقشندى: صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٩٨ - ١١١ .

وبين يدى السلطان وزيره راكبًا فرسه ، حاملًا عهد الخليفة - التقليد الخليفى ، للسلطان - قاطعين أهم شوارع القاهرة ، فى موكب مُهيب ، إعظَامًا للخَلَعّ والتقليد الخليفى ، الذى يسبغ الشرعية على سَلطَنة بنى أيوب ، أما رعاياهم المصريين وأمّام العالم الإسلامي كُله(١) .

(۱) أفادنا المقريزى بالرسوم الملكية التى استحدثها الأيوبيون بمصر لاستقبال الخلع الخليفتية والتقليد الخليفى ، وما صاحب ذلك فى عهدهم من احتفالات عامة فى الدولة ، ولقد أوضح المقريزى أن المماليك قد ورثوا هذه الرسوم عن الأيوبين حتى نقل الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى مصر ، فغير من هذه الرسوم ، لوجود الخليفة نفسه فى مصر ، وخضوعه لسطوة بيبرس السياسية ، فيقول المقريزى فى الخطط ج ٣ ص ١٧٤ – ١٧٥ إن السلطان من ملوك بنى أيوب ، ومن قام بعدهم من ملوك الترك ، لابد إذا استقر فى سلطنة ديار مصر ، أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة ، ويدخل إليها راكبًا ، والوزير بين يديه على فرس ، وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه ، وقد أمسكه بيديه ، وجميع الأمراء ورجال العساكر السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسه ، وقد أمسكه بيديه ، وجميع الأمراء ورجال العساكر مشاة بين يديه ، منذ يدخل إلى القاهرة من باب الفتوح أو من باب النصر ، إلى أن يخرج من باب زويلة ركب حينئذ الأمراء وبقية العسكر . وأول من ركب بخِلَع الخليفة فى القاهرة ، السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

«قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمانة (٢٧٥هـ) تاسع شهر رجب : وصلت الخلع ، التى نفذت إلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود زنكى ، من الخليفة بغداد ؛ وهى جبة سوداء ، وطوق ذهب ؛ فلبسها نور الديم بدمشق ، إظهارًا لشعارها ، وسيرها إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ليلبسها .. وكانت أنفذت له خلعة ، ذكر أنه استقصرها واستزراها ، واستصغرها دون قدره . واستقر السلطان صلاح الدين بداره ، وباتت الخلع مع الواصل بها شاه ملك ، برأس الطابية ، فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرنون والخطباء إلى خيمته ، واستقر المسبر بالخلعة – وهو من العاشر منه خرج قاضى القضاة والشهود والمقرنون والخطباء إلى خيمته ، واستقر المسبر بالخلعة على الرسم الأصحاب النجمية – وزينت البلد ابتهاجًا بها . وفيه ضُربَت النُوب الثلاث بالبساب الناصرى ، على الرسم النورى ، فى كل يوم ؛ فأما دمشق ، فالنوب المضروبة بها خمس ، على رسم قديسم ؛ لأن الأتابكة لها قواعد ورسوم مستقرة بينهم فى بلادهم . وفى حادى عشرة ، ركب السلطان بالخلع، وشَقَ بين القصرين والقاهرة ؛ ولم يزل الرسم كذلك فى ملوك ولما بلخ باب زويلة ، نزع الخلع وأعادها إلى داره ، ثم شَمَر للعب الأكرة . ولم يزل الرسم كذلك فى ملوك بنى أيوب ، حتى انقضت أيامهم ، وقام من بعدهم عماليكهم الأتراك ، فجروا فى ذلك على عادة ملوك بنى أيوب ، حتى انقضت أيامهم ، وقام من بعدهم عماليكهم الأتراك ، فجروا فى ذلك على عادة ملوك بنى

الفصل الثاني

القضاء على الخلافة الفاطمية

•

ـ وزيران سنيان للفواطم وقيام السلطنة السنية بمصر

ـ طعن الدولة الأيوبية بمصر في النسب الفاطمي

ـ محاولة القضاء على بقايا التشيع في الشام واليمن

ـ وسائل القضاء على المذهب والتراث الفاطمي بمصر والشام واليمن

ـ القضاء على فتن متشيعي المصريين المناصرين للدولة الفاطمية

القضاء على الخلافة الفاطمية

وزيران سنيان للفواطم:

لاحظ مؤلفو كتب ودساتير ومراسيم ديوان الإنشاء في مصر الإسلامية المتأخرون ، مشل الخالدي (١) والقلقشندي (٢) ، إن وزراء السيوف ، في العصر الفاطمي الثاني ، الذين تولوا وزارة التفويض لخلفاء الفاطمين الضعاف ، وحجروا على الخلفاء واستبدوا بالشلطنة الزمنية الفعلية في أيديهم ، كانت سلطاتهم بالنسبة لأوضاع الخلافة الفاطمية في ذلك الوقت ، مطابقة لسلطات السلاطين الذين تغلبوا على الخليفة العباسي بالعراق ، واستبدوا بالأمر دونه ، شأن البويهيين والسلاجقه في القرنين الرابع والخامس الهجري على التوالى (١) ، فكانت الوزارة في العصر الفاطمي

⁽۱) يقول الخالدى : أما تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يديرها ، فعلى ثلاثة ضروب : الضرب الأول : وهو أعلاها " وزارة التفويض " ، وهو أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور وإمضائها على اجتهاده ، وينظر فيها على العموم ، وعلى ذلك كانت الوزارة في زمسن الفاطميين بمصر . الضرب الشانى : إمارة الإستيلاء . فلما استولى الفاطميون واستوزروا أرباب السيوف في أواخر دولتهم ، وعظمت كلمتهم عندهم ، صارت سلطنتها وزارة تفويض ، فكان الخليفة يحتجب ، والوزير هو المتصرف كالملوك الأن (أنظر الخالدى : المقصد العالى المنشأ – خ ، لوحة ١٩٣ ا – ١٩٣ ب) .

⁽٢) أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٤ . ونصه يكاد يطابق نص الخالدى السابق .

⁽٣) عن استقلال البويهيين والسلاجقه بالسلطنة دون الخلفاء ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ – ٤٠٤ ، حيث يلاحظ القلقشندى : صبح ٣٠٤ – ٤٠٤ ، حيث يلاحظ القلقشندى : أولاً إن كل من البويهيين والسلاجقه ، سلاطين ملازمين للحضره بيغداد ، والأيوبيين سلاطين غير ملازمين للحضره الخليفيه العباسية بيغداد ، بيل أقاموا بحصر ، ولكنه يلاحظ أيضًا أن تقليدهم الخليفي ، وخلعهم الخليفيه ، هي مطابقة لتقليد وخلع سلاطين البويهيين والسلاجقه ، أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ٩ ٢ ٢ – ٢٧٢ ، وخاصة ص ٢٨٧ س ٨ – ١٩ ، وعن لقب سلطان يقول القلقشندى " السلطان : هو اسم خاص في العرف العام ، للملوك ، ويقال أن أول من تلقب به خالد بن برمك . ثم انقطع التلقيب به إلى أما بني بويه ، فتلقب به ملوكهم، فمن بعدهم من الملوك السلاجقه وغيرهم ، وهلم جرا إلى زماننا ، (أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ – ٤٤٤) . ويقول أبو المحاسسن : وبنو زنكي هؤلاء ، وبقول أبو المحاسسن : وبنو زنكي هؤلاء ، ما أنشأ بنو بويه بنو سلجوق ، وأنشأ بنو سلجوق بني أرتق واقسنقر جد بني زنكي هؤلاء ، بنو بويه ، ثم أنشأ بنو زنكي ، أعني الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، بني أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ بنو زنكي ، أعني الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، بني أيوب سلاطين مصر وغيرها ، ثم أنشأ بنو أيوب المماليك ودولة الترك " . ولقد أوضح المؤرخ الكبير ابن خلدون ، بحاسته التاريخية المرهفة تطابق كل بنو أيوب المماليك ودولة الترك " . ولقد أوضح المؤرخ الكبير ابن خلدون ، بحاسته التاريخية المرهفة تطابق كل من وظيفة إمرة الأمراء ، و " و زارة التفويس " و " السلطنة " ، مع بعضها البعض وكون بني بويه و زراء سيوف ، استنكفوا اتخاذ ألقاب الوزراء ، فتلقبوا بالسلطان بقوله : " ... فلما جاءت دولة بني العباس .. =

المتأخر « تقوم مقام السلطنة » على حد قول القلقشندى (١) ، فلا غروان استلفت مؤرخى الأيوبيين الذين أتوا معهم من الشام ، إن الوزير الفاطمى شاور ، وزير التفويض الذى استنجد بنور الدين ، كان يركب بالطبل والبوق والعلم ، على قاعدة الوزراء المصريين (٢) ، وأن « عادة المصريين » ، أنه إذا غلب شخص صاحب المنصب ، وعجز صاحب المنصب عن دفعه ، وعرفوا عجزه ، وقعوا للقاهر منهم ورتبوه و مكّنوه ، فإن قوتهم إنما كانت بعسكر وزيرهم ، وهو ملقب عندهم بالسلطان (٢) .

⁼ وعظم شأن الوزير ، وصارت إليه النيابة في إنفاد الحل والعقمد .. ، فصار اسم الوزير جامعًا لخطتي السيف والقلم .. فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ ، وهي حال ما يكون السلطان قائمًا على نفسه ، وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدًا عليه ، ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم (بسو بويه) ، وتعطل رسم الخلافة ، ولم يكن لهؤلاء المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب ، لأنهم خول لهم فتسموا بالإمارة والسلطان ، وكان المستبد بالدولة يسمى أمير الأمراء أو بالسلطان ، إلى ما يحتليه به الخليفة من ألقاب كما تراه في ألقابهم وتركوا اسم الوزارة إلى ما يتولاها للخليفة من خاصته ، ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم (أنظر ابـن خلـدون المقدمـة ، طبـع المطبعـة الأدبية ببيروت ١٩٠٠م ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) أي أن ابن خلدون يقول : أن بني بويه قبد اتخذوا ألقاب السلاطين ، دون إذن الخليفة العباسي . ويلاحظ حسن الباشا : أن لقب سلطان لم يرد على النقوش البويهية ، في حين ورد على نقش خاص بالسلطان محمود الغزنوي مؤرخ سنة ٢١٪هـ ، وأن ذكر المقريـزي فـي شــذور العقود أن بني بويه قد سكوا لقب سلطان على عملتهم (أنظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤) أما السلاجقه ، قد تفشى لقب سلطان على نقوشهم كلقب عام لهم (حسن الباشا: المرجع السابق) ، كما سكوه على العملة أيضًا (ماجد : الخليفة المستنصر ، ٢٣٥ هامش ١١٨) وقد ذكر السيوطي " إن أول من لقب بالسلطان في الإسلام محمود بن سبكتكين .. ، وأول من لقب بالملك عضد الدولة فناخسروا " (السيوطي : الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، تحقيق أسعد طلس ، طبع بغداد ص ٧٨) ، ولقد أورد أبو نصر العتبي مؤرخ سيرة محمد بن سبكتكين ألقابه كاملة أولها لقب سلطان. أنظر الشيخ المنيني: شرح التاريخ اليميني المؤلف ليمين الدولة محمود ، المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبى نصر العتبي ، طبع مصر طبعة قديمة د.ت (في عهد الخديوي توفيق) ٣٠ - ٣١ وأغلب الظن أن لقب سلطان قد أخذ على عهد محمود بن سبكتكين أول السلاطين العسكريين السنيين بالشرق الذين أعادوا للخلافة العباسية هيبتها ، معنى جديد وهو حجة الخليفة الظاهرة ويده القوية تؤيد خلافته . كان لقب " يمين الدولة " أهم الألقاب الرسمية لهذا السلطان ، أنظر المنيسي : الفتح ص ٣١ ، وتوارث هذا اللقب بعده السلاجقة ثم الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك (حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦) وأنظر بعده .

⁽١) أورد القلقشندى عهد شيركوه بـالوزارة عـن العاضد الفاطمى ، وقال قبـل إيـراده ، والـوزارة يومنـذ - أى في العصر الفاطمي المتأخر - قائمة مقام السلطنة ، أنظر صبح ١٠ : ٨٠ .

⁽٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٠ .

⁽٣) نفس الصدر ، ص ٣٦ ، س ١ - ٦ .

والواقع أن وزراء التفويض الفاطميين ، كانوا قد حجروا على الخلفاء تمامًا ، ولم يقتصر هذا الحجر على مجرد الاستيلاء على السلطة الزمنية ، بل امتد نفوذ وزراء التفويض إلى السلطات القضائية والدينية الخاصة بالخلفاء ، والمتعلقة بصميم أحقيتهم للإمامة ، من وجهة نظر الفكر السياسى الفاطمى ، أعنى شئون القضاء والدعوة (1) ، لكون الخليفة هو المجتهد المطلق في الفقه الإسماعيلي ليراثه للعلم اللدني الذي إختص به الأئمة من آل البيت وما اكسبهم هذا من قدرة على تأويل آيات القرآن (7) ، ولكون الهدف الأول من الدعوة الفاطمية ، هو تأكيد عقيدة «الولاية» أي الطاعة للأئمة ، في نفوس المستجيبين للدعوة (٣) ، ووصل الحد بتهاون وزراء التفويض بالخلفاء ونفوذهم الروحي ، إلى الحد الذي تلاعبوا به بالنص ، وهو الوصية بولاية عهد الخلافة ، التي يعتقد الشيعة أن الروحي ، إلى الحد الذي تلاعبوا به بالنص ، وهو الوصية بولاية عهد الخلافة ، التي يعتقد الشيعة أن الخليفة الفاطمي موحى بها من الله (٤) ، فكان وزراء التفويض يبعدون أولياء عهود الخلفاء الكبار ، ويدّعون النص على أمراء صغار من البيت الفاطمي ، ليسهل السيطرة عليهم وعلى الدولة (٥) .

وسواء صدق ما ذهب إليه البندارى ، من القول بأن شير كوه ، بعد حملاته المتكررة على مصر كقائد لجيوش نور الدين ، قد راودته فكرة أن يصبح « عزيز مصر » (١) وهو اللقب الذى ورد فى القرآن للدلالة على فرعون مصر الذى عاصر نبى الله يوسف الصديق (٧) ، فإن الواقع يؤكد ما لاحظه ابن الأثير من أن شير كوه بعد توليه للوزارة الفاطية قد استقرلات له السلطنة بمصر (٨) . وقد ذكر بعض المؤرخين أن صلاح الدين قد تولى الوزارة بوصية من عمه شير كوه (٩) ، ويؤيد هذا ما ذكرته المصادر من أن صلاح الدين كان يقوم بتدبير جميع الأمور ، ويُباشر مهام الحكم ، إبان وزارة

 ⁽١) كان وزير التفويض يتلقب بـ " كافل قضاة المسلمين ، ويلقب " هادى دعاة المؤمنين ، ماجد نظم الفاطميين ،
 ج ١ ص ٨٤ .

⁽٢) نفس المرجع: ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ ، محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ص ٦ - ٨ .

 ⁽٣) يقول د. محمد كامل حسين: " وخلاصة القول في الفقائد الفاطمية "، إن الولايـة هـي محـور هـذه العقـائد،
 وأن فلسفتهم كلها تدور حول الإمام وتمجيده، أكثر مـن أى شـيء آخـر، أنظر فـي أدب مصـر الفاطميـة،
 ص ١٩. وعن مبدأ الولاية عند الإسماعيلية أنظر ماجد: نظم الفاطمين، ج١، ص ٢٦ – ٣٤.

⁽٤) ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٦٦ – ٨٨ .

⁽٥) جمال الدين الشميال : مجموعة الوثمائق الفاطميمة ، المجملد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٩ - ٢٢ ، ص ٢٦ – ٣٢ .

⁽٦) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٥٢-١٥٣ .

⁽٧) القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية ٣٠، ٥٠، ٥١، ٥٠ .

⁽٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٧ .

⁽٩) ابن شداد : النوادر ، ص ٤٠ ، س ١٥–١٦ .

شيركوه (1) ، في حين ذهب البعض الآخر ، بأن الخليفة العاضد ، هو الذي اختار صلاح الدين ليوليه الوزارة ، لكونه صغير السن ، قليل الاتباع والعسكر في الجيش النوري بمصر ، مما يسهل انقياده له (٢) ، وبالغ بعض المؤرخين ، فذكروا أن شيركوه كان قد سم في خِلْقه الوزارة ، لما خلع عليه (٢) .

وأياً كان الأمر فإن تولى وزيرين سنيين على التوالى ، لوزارة التفويض ، أى السلطنة ، خلفاء الفاطميين الشيعة بمصر ، جعل حال الخليفة العاضد في ذلك الوقت ، أقرب بأحوال الخلافة العباسية السنية ، حين سيطر عليها سلاطين البويهيين الشيعة (أ) ، ولقد أكد ابن شداد أن صلاح الدين بعد توليه للوزارة الفاطمية ، قد تغلب على الأمر كله ، وأدرك ما ينتظره من مهام ضخمة في استرداد ساحل الشام من الصليبين ، بل شرع صلاح الدين في إزالة الخلافة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية من مصر ، وهو لا يزال وزيراً للفاطمين ، إذ يقول ابن شداد : « ولقد سمعت منه يقول : لما يسر الله لي الديار المصرية ، علمت أنه أراد فتح الساحل ، لأنه أوقع ذلك في نفسي . ومن حين استتب له الأمر ، مازال يشن الغارات على الأفرنج إلى الكرك والشوبك وبلادها ، وغشي الناس من عجائب الأفضال والنعم مالم يؤرخ عن غير تلك الأيام ، هذا كله وهو وزير متابع للقوم ، ولكنه مقو لمذهب السنة ، غارس في أهل البلاد العلم والققه والتصوف والدين ، والناس يهرعون إليه من كل صوب ، ويفدون عليه من كل جانب ، وهو لا يخيب قاصداً ، ولا يعدم وافداً إلى سنة ٥ ٥ ٥هـ / ١٦٩ م ١٩٥٥ .

والطريف أن صلاح الديس ، إبان وزارته للعاضد ، قد أشاد بحرص العاضد على الجهاد ، وإمداده بالأموال الطائلة لرد الفرنج حين حاصروا ذمياط ٥٥ه / ١٦٩ ام^(١) ولا شك أن انتصار صلاح الدين في دمياط قد وطد أقدامه (٧) كذلك ضغط صلاح الدين على العاضد لإعطائه أموال يفرقها على الناس لاستمالة الأنصار ، فاستجاب له العاضد ، فكان كما لاحظ المؤرخون كالباحث

⁽١) نفس المصدر ، ص ٤٠ .

⁽٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٢ .

⁽٣) ابن خلكان : وفيات ، ج ٧ ، ص ١٥١ .

⁽٤) راجع ماجد : الناصر صلاح الدين الأيوبي ، بيروت ١٩٦٧ ، ٧٢ – ٧٤ .

⁽٥) ابن شداد النوادر ، ص ٤٠ – ٤١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٠٦ .

⁽٦) النابلسى: لمع القوانين ص ١١ كان صلاح الدين يقول: ما رأيت أكرم من العاضد، جهز إلى في حصار الفرنج ألف ألف دينار، سوى الثياب وغيرها. (سبط: مرآة ٨: ٢٧٩).

⁽٧) وصف ابن شداد صلاح الدين إبان حملة الفرتج على دمياط ، وما قام به من استعدادات عسكرية ، وما وهبه من العطايا والهبات بأنه " كان وزيرًا متحكمًا لا يرد أمره في شيء " ، (ابن شداد: النوادر، ص ٤٣ ، س٩).

عن حتفه بظلفه (۱) .ثم ما لبث صلاح الدين ، حسب قول الخالدى ، أن نقل ما كان من وزارة التفويض والعهد بها إلى السلطنة ، وصارت الوزارة عن السلطان معدوقة بقدر مخصوص من التصرف ، وبقى الأمر على ذلك إلى زماننا (۲) ، أى إلى العصر المماليكى . فلا غروان اعتبر ابن واصل ، تاريخ تولى صلاح الدين للوزارة الفاطمية سنة ٥٥ هـ ١٦٩ م تاريخ إبتداء الدولة الأيوبية . إذ قال معلقًا على المنشور العاضدى بوزارة صلاح الدين . «وهذا آخر منشور كتب عنهم، أى الفاطمين ، وانقرض أمرهم ، وانقصمت عرى دولتهم . وفي هذا التاريخ ابتداء الدولة الأيوبية ، وأخذت الدولة المصرية في الوهن والضعف والإنحطاط إلى أن انقرضت بالكلية بعد سنتين (۱) .

ولعل ثما يؤكد تطابق منصبى وزارة التفويض ، والسلطنة ، ما حدث فى مصر عند قيام الدولة الأيوبية بها . إذ إتخذ كل من شيركوه وصلاح الدين دار الوزارة الفاطمية مقرًا رسميًا لهما $^{(1)}$ ، بل دفن فيها كل من شيركوه $^{(0)}$ ونجم الدين أيوب $^{(1)}$ بعد وفاتهما .

وإذا كان شيركوه ، هو أول من نال وزارة التفويض والسلطنة من البيت الأيوبى ، فإن أخماه الأكبر نجم الدين أيوب ، هو ولا ريب عميد الأسرة الأيوبية ، وإليه انتسب جميع أفراد هذا البيت ، سواء من نسله ، أو من نسل أخيه شيركوه ، لهذا وصفه المؤرخون بـ « والد الملوك » (٧) فنجد أن

⁽۱) ابن واصل: مفرج ، ص ۱ ، ص ۱۷٤ ، ابسن خلكسان : وفيسات ،ج ۷ ، ص ۱٥١ – ١٩٥ . يقسول ابن شداد : " وبذل المال " ، وملك الرجال ، وهانت عنده الدنيا فملكها ، (النوادر ، ص ٤ ، ١٦ – ١٧) يقول ابن واصل : ثم شرع صلاح الدين في استمالة قلوب الناس إليه وبذل من الأموال ما كان أسد الدين جمعه وطلب من العاصد شيئًا يخرجه ، فلم يمكنه منعه ، فمال الناس إليه وأحبوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والنبات فيه ، وضعف أمر العضاد ، وكان كالباحث عن حتفه بظلفه (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٢٠٤ ، س ٢ – ٨ ، وانظر ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

⁽٢) الخالدي : ١٩٣ ب - ١٩٤ أ ، وأيضًا القلقشندي : صبح ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ - ١٠٤ .

⁽٣) اين واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧١ .

⁽٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٠ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٦٤ . س ١ .

 ⁽٥) ابن خلكان : وفيات ج ٧ : ١٥١ س ٦ ، سبط : مرآة ، ٨ : ٢٩٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١، ق ٢،
 ص ٣٣٥ – ٤٤٥ .

⁽٦) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٣ ، س ١٥ – ١٦ .

⁽٧) ابن واصل: مفرج ، ج ١ ص ٢٣٠ ، س ٢ ، وأنظر محمد عبد الغنى حسن: والمد الملوك الأيوبية ، مقال بمجلة الرسالة ، السنة التاسعة ، ١٩٤١هـ – ١٩٤٢م ، ص ٩٩١ ، وأنظر أيضًا جمال الدين الشيال: والمد الملوك الأيوبية ، مقال بمجلة الرسالة ، السنة التاسعة ص ١٠٧٩ – ١٠٨٠ . وقد وصفه مترجموه بأن " إليه نسبه الأيوبيين كافة " ، بمعنى أنه حتى الفرع الذي من نسل شيركوه والممذى حكم في حمص ، عرف أيضًا بالأيوبيين .

ولده صلاح الدين يخرج إليه إبان وزارته لاستقباله عند دخوله مصر ، ومعه الخليفة العاضد ('' ، وفي هذا استهانه بالخليفة الفاطمي ، ومبالغة في تمجيد والد صلاح الدين كبير البيت الأيوبي . الذي استقرت له السلطنة بمصر ، بعد أن ورث صلاح الدين عمه شيركوه في وزارة التفويض الفاطمية . وهذا ما أكده تقليد العاضد لصلاح الدين ('') . وما حاول صلاح الدين تثبيته في الأذهان ، حين عرض على أبيه وزارة مصر ، فأبي ذلك عليه أبوه ، فحكمة صلاح الدين في الخزائن باسرها ('') .

ولقد ظل صلاح الدين يسكن دار الوزارة الفاطمية طوال فترة استقراره بعصر ، ثم سكنها من تلاه من ملوك الأيوبين بعصر ، وصاروا يسمونها الدار السلطانية (1) . حتى انتقل الملك الكامل محمد إلى قلعة الجبل مقراً لسلاطين مصر الأيوبيين ثم المماليك ، ثم ملوك أسرة محمد على ، حتى عهد الخديوى اسماعيل (1) .

⁽١) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، س ٤ ٪

⁽٢) أنظر القلقشندى : صبح ، ج ، ١ ، ص ٩٥ ، ص ٨ – ١١ ، وانظر قبله . وقد رأينا ظاهرة تولى وزراء التفويض الوزارة ورائة عن آبانهم أكثر من مرة في العصر الفاطمي المتأخر ، حتى أن آخرهم شاور ، جعل ابنه نابًا عنه في الوزارة إبان حياته . ولقد حفظ لنا القلقشندى ، السجل الصادر بتوليه ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه ، أنظر جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٣٣ – ٣٣) .

⁽٣) يقول ابن واصل: ولما اجتمع صلاح الدين بأبيه سلك معه من الأدب ما جرت به عادته ، وفوض إليه الأمر كله فأبى ذلك عليه أبوه وقال له: " يا ولدى ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفؤ له ، فلا ينبغى أن تغير مواقع السعادة ، فحكمة فى الخزائن بأسرها (ابن واصل: مفرج ، ج ١ ص ١٨٦ ، س ٧ - ١٠) . ويقول سبط ابن الجوزى: " ولما قدم نجم الدين أيوب مصر سأله صلاح الدين أن يكون هو السلطان فقال أنت أولى (مرآة ٨ : ٢٥٥) وهذا النص قرينه أخرى على تطابق وظيفتى وزارة التفويض والسلطنة .

⁽٤) ذكر المقريزى أن دار الوزارة أنشأها الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمائى ، ولهذا كان يقال لها أيضًا الدار الأفضلية وكانت تقوم بجوار القصر الكبير الشرقى تجاه رحبة باب العبد ، ومازال وزراء الفاطميين أرباب السيوف من عهد الأفضل يسكنون بدار الوزارة إلى أن زالت الدولة ، فاستقر بها الملك الناصر صلاح الدين ثم من تلاه من ملوك الأيوبين ، وصاروا يسمونها الدار السلطانية ، وأول من انتقل عنها وسكن بالقلعة الملك الكامل محمد ، وجعلت منذ ذلك الحين منزلاً لضيافة الرسل (المقريزى: الخطط ، ٢ : ١ - ٣ - ١ - ٣ ، ١) ، من مطبعة بولاق و ج ٢ ص ١٥٧ من طبعة مطبعة النيل .

⁽٥) ابتدى العمل بقلعة الجبل ٧٧ه هـ - ١١٧٦ م في عهد صلاح الدين وأثناء العمل توفي صلاح الدين ٥٥ه - ١٩٢٥ م ، ثم أرقف العمل إلى أن كمل في سلطنة العادل ٤ ، ٦ه - ١٢٠٧ م . ولم يبق من بناء القلعة الأيوبية سوى بعض الأسوار بأبراجها وبعض الأبواب وأهمها باب المدرج وقد أدخلت على الأسوار وعلى كثير من الأبراج والأبواب تعديلات وزيادات في أزمنة مختلفة منذ الدولة الأيوبية حتى عصر محمد على ، أنظر بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ترجمة أحمد دراج القاهرة ٤ ١٣٩ه - ١٩٧٤م ، د. أ. كريزويسل : ووصف قلعة الجبل ترجمة جمال محرز القاهرة ٤ ١٣٩ه - ١٩٧٤م ، وأنظر زكى محمد حسن : قلعمة الجبل ، ومقال بمجلة الكاتب ، ١٩٤٦م ، ص ٨٧٣ - ٨٨٠م ، وأنظر قبله .

⁽٦) أنظر حسن عبد الوهاب : جامع السلطان حسن وما حوله ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٦٤ - ٩٦ .

فإذا كنا قد انتهينا إلى تطابق منصب وزارة التفويض الفاطمية ، مع منصب السلطنة الذى عرف بالعراق العباسى اعتمادًا على ملاحظة المؤرخ المشرقى ابن الأثير وملاحظة مؤرخى دساتير الإنشاء المصريين ، وإذا كان تقليد الخليفة الفاطمى العاضد بالوزارة لصلاح الديسن ، قد نص على أنه نالها وراثة عن عمه شير كوه شأن الأفضل بن بدر الجمال ، وغيره من وزراء التفويض الفاطميين الذين ورثوا أباءهم فى هذا المنصب ، وشأن توارث البيت البويهى ثم السلجوقى بالعراق لمنصب السلطنة ، فإن فى اعتبار ابن واصل ، تاريخ اعتلاء صلاح الدين للوزارة ، هو ابتداء قيام الدولة الأيوبية بمصر ، وفى دفن صلاح الدين لعمه وأبيه فى دار الوزارة الفاطمية ، ثم اتخاذه هو وملوك بنى أيوب من بعده هذه الدار مقرًا رسميًا لسكناهم وسميت « بالدار السلطانية » ، ما لا يدع أى مجال للشك فى تطابق منصبى وزارة التفويض والسلطنة .

والأن ما هى السلطات التى تمتع بها كل من شير كوه وصلاح الدين ، كوزيرى تفويض للخليفة الفاطمى العاضد ؟ يلاحظ الشيال ، أن الوزراء فى العصر الفاطمى الثانى ، لم يعدوا يقنعون بالتفويض الشامل ، الذى ينص عليه الخليفة فى السجل الصادر بتعيين الوزير ، بل أصبح من التقاليد المتبعة أن تصدر وثيقة جديدة تسمى بالتوقيع ، وتلحق بالسجل ، وفيها يوقع الخليفة بخطه بكلمات فيها معنى التأييد لوزيره والإشارة بفضله وسجاياه . وقد احتفظ القلقشندى بثلاث وثائق من هذا النوع أحدهما توقيع بخط الخليفة الفائز على طرة السجل بتعيين الصالح طلائع بن رزيك الوزارة ، والآخران توقيعان بخط الخليفة العاضد على طره سجل كل من أسد الذين شير كوه ثم صلاح الدين بالوزارة (١) .

ولاشك أن صدور هذه الوثيقة الجديدة ، التي يكتبها الخليفة بخطه ، دلالة على الازدياد المستمر لسلطات وزراء التفويض على حساب السلطة الروحية للخليفة ، تلك السلطة التي لم يعد الخليفة عتلك غيرها في الواقع ، خاصة إذا عرفنا أن الخلفاء الفاطميين ، لا يكتبون بخط أيديهم إلا نادرًا(٢٠) ، وبالإضافة إلى كل هذا ، ومع ما عرف من استحواذ وزراء التفويض لجميع سلطات الخليفة ، فلقد استهل العاضد توقيعه على طره سجل شيركوه بالوزارة بهذه العبارة «هسذا عهسد لم يعهد لوزير مثله »(٣) ، فهذه العبارة ولا ريب تؤكد بداية سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، بخط يد آخر خلفاء

⁽١) جمال الدين الشيال: مجموع الوثائق الفاطمية، ص ٣١ - ٣٢ .

⁽٢) عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ص ٧٧ – ٧٣ .

⁽٣) أنظر ابن واصل : مفرج ، ١ : ١٦٥ ، القلقشندى : صبح ٩ : ٤٠٦ – ٤٠٧ ، أبو شامة : الروضتين ، ٢٠١١ .

الفاطميين، كما يستشف من حرص الخليفة العاضد على أخذ الإيمان والمواثيق ، بالوفاء للدولة ، على كل من شير كوه ثم صلاح الدين ، إن العاضد ، كان يشعر في داخلية نفسه ، ما يعده وزيراه السنيان لإزالة خلافته الشيعية (١) .

اما سجل تقليد العاضد لشيركوه بالوزارة ، فهو يبدأ بتعداد ألقاب شيركوه التى منحها له الخليفة ، وهى تطابق ألقاب وزراء التقويض الفاطميين قبله (٢) ، يتلو هذا فقرات وصيغ تؤكد ميراث الخلفاء الفاطميين للإمامة ، لكونهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبناء على بن أبى طالب ، ومن ذرية آل البيت الطاهرين من الأئمة المهديين (٦) ، كما تؤكد حق الخلافة الفاطمية في السيادة على جميع أرجاء العالم الإسلامي ، لكون الخليفة الفاطمي هو حجة الله في الأرض وشاهد على عصره (١) ، ثم يعقب السجل على هذه الفقرات ، المؤيدة للنظريات السياسية الإسماعيلية الخاصة بالإمامة ، بفقرات أخرى تظهر شيركوه على أنه نعمة أنعم بها الله على الخليفة الفاطمي ودولته (٥) ، وأنه جاء لنجدة الخلافة الفاطمية وتأييدها ، وإنقاذها من الخطر الصليبي المتمثل في جيوش ملك بيت المقدس التي دهمت الديار المصرية أكثر من مرة ، حتى هزمها شيركوه وأرغمها على الانسحاب (٢) ، كما أنقذها أيضًا من شرور وزراء التفويض المستبدين الذي نهبوا خزاتن الخلفاء واجتلبوا الصليبين إلى البلاد (٧) .

ثم يمضى السجل بحذر ، للمواءمة بين هاتين الفكرتين ، فيعرض فقرة تؤكد أحقية الفاطمين ، في ميراث الخلافة ، ثم يُذَيِّلها بفقرة أخرى تشيد بشيركوه الذى أنقذ الخلافة وأيدها ؛ أى أن السجل يحاول أن يمسك العصا من منتصفها ، ويخفى الوضع المتناقض ، الذى أضحت عليه الدولة الفاطمية ، من حجر وزير تفويض سنى ، لا يقر بالدعوة الإسماعيلية ، وبحق الفاطميين فى الخلافة ، على خليفة فاطمى شيعى ، يقوم حقه فى الخلافة على الإقرار بالدعوة الإسماعيلية ، والاعتقاد بأن الولاية والطاعة للإمام الفاطمي ، أساس العقيدة الفاطمية ، فيظهر السجل الأمر ، كما لو أن الله قد ألهم

⁽١) أنظر ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٧٠ – ١٧١ أبو شامة : الروضتين ٢/١ ، ١٤٤ .

⁽٢) أنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

⁽٣) أنظر القلقشندي : صبح ، ج ١٠ ، ص ٨١ – ٨٣ .

⁽٤) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٣ .

ره) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٤ .

⁽٦) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٤ .

⁽۷) أنظر نفسه، ج ۱۰، ص ۸٤.

العاضد ، لإختصاصه بالعلوم والأسرار النبوية باختيار شيركوه لوزارته (١) وإبعاد منافسيه (شاور) ، بحيث عدد السجل مثالب شاور ومفاخر شيركوه (١) .

ولقد حاول كاتب السجل وهو القاضى الفاضل أن يخفى بخبرته الطويلة فى صياغة السجلات الرسمية هذا التناقض ، كما حاول أن يدس بين ثنايا السطور ، تلميحات وتقريرات للأفكار الإسماعيلية الخاصة بالنفوذ الروحى للائمة الفاطمين ، كما أقرّته العقيدة الإسماعيلية : فالخليفة هو سليل النبوة (٣) ، ووارث أسرارها وعلومها(١) ، وله حق الطاعة على جميع المسلمين (٥) بل زاد هذا السجل فى إظهار نفوذ روحى مزعوم للخليفة العاضد ، لا نجد له مثيلاً فى النظريات الإسماعيلية ، مثل ظهور معجزات وكرامات خاصة به (١) ، وأن الله قد اختصه بالشفاعة يوم القيامة للمستجيبين لدعوته (٧) ، وأنه مؤيد من الله عند الانتقام عمن عصا أو حاول سلب حقوقه (٨) ؛ ولا يخفى أن هذه السلطات الروحية الجديدة ، التي زعمها هذا السجل للخليفة العاضد ، ما هي في الواقع إلا محاولة مستميتة للاحتفاظ بما بقي من ولاء ، للخليفة الفاطمي في نفوس أنصار دعوته ، بعد أن ابتذل وزراء التفويض سلطاته الروحية ، واستهانوا بها ، وبعد أن أمسى نفوذه الروحي مهددًا بالتلاشي النهائي على يد وزيره السني الجديد .

واختتم سجل شيركوه بتكرار أخذ المواثيق والعهد على هذا الوزير السننى، بأن يخلص الولاء للدولة الفاطمية وللخليفة الفاطمى، وأن يلتزم بما حدده له الخليفة من مهام وسلطات فى هذا السجل^(۱). وسجل تقليد صلاح الدين الوزارة، لا يختلف فى مجمله عن سجل عمه، إلا فى الإشارة بأنه قد نال الوزارة وراثة عن عمه شيركوه، كما ورثها الأفضل عن أبيه بدر الجمالي أول وزراء التفويض الفاطمين، وفى التأكيد على صلاح الدين فى الاقتضاء بسيرة عمه فى الوفاء للدولة الفاطمية، وللخليفة الفاطمي (۱۰).

⁽۱) أنظر القلقشندى ، ج ، ۱ ، ص ۸۵ - ۸٦ .

⁽۲) أنظر نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۸۷ .

⁽٣) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ٨٦ - ٨٧ .

⁽٤) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٣ ، س ١٢ - ١٣ ..

⁽٥) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٢ ، س ٢ - ٩ .

⁽٦) أنظر نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۸۳ ، س ۱۰ - ۱۲ .

⁽۷) أنظر نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۸۲ س ۱۰ – ۱۱ .

⁽٨) أنظر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٣ ، س ١٨ - ١٩ .

⁽٩) أنظر تفسه ، ج ١٠ ، ص ٨٨ ، س ٥ - ٢ ، ج ١٠ ، ص ٩٠ .

⁽۱۰) أنظر نفسه، ج ۱۰، ص ۹۱، ص ۹۱، ص ۱۹، ص ۱۹ - ۲۰، ج ۱۰، ص ۸۱، ص ۹۶.

أما مضمون سجل تقليد شيركوه بالوزاره ، فهو كما لاحظ ابن واصل : « تفويض أمور الخلافة إليه ، والقيام بأعباء حفظها ، والذب عنها ، والتوصية بتقوى الله تعالى ، والعمل بفرائضه ، والانتهاء عن مناهيه (١) وهذا في الواقع ما نص عليه التقليد ، إذ جاء به :

« وقلدك أمير المؤمنين أمر وزارته ، وتدبير مملكته ، وحياطة ما وراء سرير خلافته ، وصيانة ما اشتملت عليه دعوة أمامته ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبير ما عدقه الله بأمير المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، المقيمين منهم والقادمين ، وكافة رعايا الحضرة بعيدها ودانيها ، وسائر أعمال الدول باديها وخافيها ، وما يفتحه الله تعالى على يديك من البلاد ، وما تستعيده من حقوقه التى اغتصبها الأضداد ، وألقى إليك المقاليد بهذا التقليد .. وناطبك العقد والحل ، والولاية والعزل .. ، وما توجب السياسة إمضاءه من الأحكام »(٢).

وجلى إذا أن الخليفة قد تنازل عن جميع سلطات الخلافة ، سواء الإدارية الخاصة بتدبير المملكة ، أو الدينية الخاصة بالاشراف على الجيش والمستردة الخاصة بالاشراف على الجيش واسترداد الأراضى التى احتلها الصليبيون من ممتلكات الدولة الفاطمية ، أى بيت المقدس ، بالإضافية إلى رعاية شئون رعايا الخليفة ، والملاحظ من هذه السلطات ، أنها قد جمعت لشيركوه الإشراف الأعلى على السلطتين التنفيذية ، والقضائية أى التشريعية ، وذلك لأن الفكر السياسى الفاطمى ، ومعان المنافية الم يأخذ بنظام فصل السلطات ، الذى يعد من أهم خصائص النظرية السياسية في الإسلام" ، على أساس أن الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، واستنباط الأحكم منها ، طبقًا لقواعد علم أصول الفقه وهو علم مناهج البحث في الفقه الإسلامي (أ) ، هو من حق أهل الحل

⁽١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

⁽۲) القلقشندی : صبح ، ج ، ۱ ، ص ۸۷ – ۸۸ .

⁽٣) أنظر عبد الوهاب خلاف : السلطات الثلاث في الإسلام ، بحث بمجلة القانون والاقتصاد التي تصدرها جامعة القاهرة في السنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٥ ، مليمان محمد الطماوى : السلطات الثلاث في الدساتير العربية المعاصرة ، وفي الفكر الإسلامي ، تكوينها واختصاصاتها ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٧ ، محمد صادق الصدر : سلطة القضاء في الشريعة الإسلامية ، مجلة رسالة الإسلام، العددان : الثالث والرابع ، السنة الثانية عشرة ، منة ، ١٣٦٨هـ / ١٩٥٠ م ، ص ٣٢٦ – ٣٥٥ .

⁽٤) عن علم أصول الفقه ، أنظر محمد أبو زهرة : أصول الفقه ، دار الفكر العربى ، د.ت. محمد طـاهر النيفر : أصول الفقه ، طبع تونس ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

والعقد والفقهاء المثلين لإجماع الأمة (١). بمعنى أنه إذا كانت السلطة التنفذية من حق الخليفة السنى ، فإن السلطة التشريعية من حق الأمة ، أما الفكر السياسي الإسماعيلي ، فقد جعل الخليفة المجتهد المطلق في الفقه الإسماعيلي (٢) ، ومن ثم فقد فوض شيركوه ، السلطتين التنفيذية والتشريعية ، مقتضى تفويض الخليفة العاضد له أمور الخلافة كلها ، وهذا التفويض للسلطتين قد آل أيضًا إلى صلاح الدين ، فلقد جاء في سجل تقليده الوزاره :

«.. وخرج أمره (أى الخليفة العاضد) إليك ، بأن يوعز إلى ديوان الإنشاء ، يكتب هذا السجل لك بتقليد وزارته التي أحلك ربوتها ، فتقلد وزارة أمير المؤمنين من رتبتها التي تناهت في الإنافة ، إلا أن لا رتبة فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافة (٢) ، وليس أكثر من هذا تصريح وإفصاح ، عن استحواذ صلاح الدين لجميع سلطات الخليفة الفاطمي .

ويتفق سجلا تقليد شيركوه وصلاح الدين للوزارة ، في تحديد المطلوب من هذين الوزيرين تجاه كل شأن من شئون الدولة ، فبالنسبة لعساكر الدولة ، وكان الخليفة يقصد جنود دولته وليس الجنود الشامية النورية التي قدمت مع شيركوه ، لقول الخليفة «العساكر المنصورة .. ، الذين غذوا بولاء أمير المؤمنين ، وربوا في حجور فضله وكرمه » ، طالب الخليفة وزيريه بتوفير الإقطاع لهم وأدرار النفقات ، وإن يجريهم على ما جرت عليه العادة من تقليد الولايات (4) ، يعنى ولاية الأقاليم

⁽۱) أنظر محمود اللبابيدى: نظام الإسلام السياسى ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الوابعة العدد الوابع ، محسوم سنة ١٣٧٢ هـ - أكتوبر سنة ١٩٥٧ م ، ص ٣٧٦ - ٢ ، ٤ ، محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧ ، مكتبة الأنجلز المصرية ، ص ٢٩٠ - ٣١٠ ، عبد الحميد متولى : مبادىء نظام الحكم في الإسلام مع مقارنته بالمبادىء الدستورية الحديثة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ م .

ويذهب هؤلاء الباحثون إلى أن فكرة السيادة العامة للدولة ، هي بالنسبة للفكر السياسي الإسلامي (عند أهل السنة) متمثلة في الأمة وأنظر رسالة للدكتوراه عن فكرة السيادة في الفكر الإسلامي أجيزت من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٥ ، على محمد جريشه : المشروعية الإسلامية العليا ، نشر مكتبة وهبة ١٩٩٦ه - ١٩٧٦م ، أما بالنسبة للفكر السياسي الشيعي ، فإن فكرة السيادة أي الحق الذي تحكم به الدولة ، أو المشروعية العليا للدولة فهي تستند في رأينا على فكرة " الولاية " ، أي الطاعة للخليفة الفاطمي ومن لم فإن الأمة في الفكر السياسي الشيعي ، فإن الأمة في الفكر السياسي الشيعي ، فإن الإمام هو مصدر السياطات ومصدر السيادة اما في الفكر السياسي الشيعي ،

⁽٢) ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

⁽٣) القلقشندى : صبح ، ج ١٠ ، ص ٩٥ .

⁽٤) القلقشندى : صبح ، ج ، ١ ، ص ٨٨ – ٨٩ ، ص ٩٦ س ١٢ – ١٦ .

والإدارات المحلية ، وبالنسبة للقضاء ، فقد طالب الخليفة وزيريه بحفظ نظامه ، وتنفيذ أحكامه ، وإقامة حدوده ، وإمضاء عقوده ، واستعمال الكفاه (١) ، أما الدعوة ، ففي حين أكد العاضد على شيركوه ، بالقيام على تشييد أساس الدعوة وبنائها ، وتمييز آخذى عهودها وأبنائها (١) ، فإنه قد اكتفى بالقول لصلاح الدين ، وأما القضاه والدعاه فهم في كفالتك وهديك ، والتصريف على أمرك ونهيك (١) ، وكأنه يقول له ، لقد سلمت إليك أمر دعوتي ، فافعل فيها ما يمليه عليك ضميرك .

ولقد اتفق التقليدان ، في الحض على حفظ أموال بيت المال ، وصرفها في وجوهها الشرعية والعمل على تثميرها وتعمير البلاد ، وأهم ما نلاحظه بخصوص السلطات الإدارية أن الخليفة قد طالب وزيره شيركوه ، برفع المكوس وهي الضرائب غير الشرعية التي عمد الجباه على جبايتها مما أثقل كاهل الرعية ⁽¹⁾ ، كذلك ناشد السجلين شيركوه وصلاح الدين ، معاملة الرعية بالعدل والرأفة ، على أساس تقوى الله ، وليحظوا من الرعية بالدعاء الذي من شأنه أن يوفقهما فيما نهضا به من أعباء المملكة (٥) .

ويتميز هذان السجلان بتخصيص فقرات طويلة بليغة تؤكد عظم فريضة الجهاد وتشيد ببطولة كل من شيركوه وصلاح الدين في جهاد الصليبين ، سواء في الشام أو بحصر ، ولقد تنبأ السجلان ، بأن فتح بيت المقدس، واسترداد ساحل بلاد الشام من الصليبين ، سيكون على يد هذين الوزيرين (٢٠).

ونحن لا نعرف ما اشتملت عليه خلعة الوزارة ، التي خلعها العاضد على شيركوه ، في حين وصلنا وصف دقيق كامل للخلع التي خلعت على صلاح الدين عند توليته الوزارة ، ولقد أورد هذا الوصف أبو شامة الأصفهاني فقال : «وكانت خلعة الوزارة : عمامة بيضاء تنيسي بطرز ذهب ، وثوب دبيقي بطرازي ذهب ، وطيلسان ديبقي بطراز دقيق ذهب ، وعقد جوهر قيمته خمسة آلاف دينار ، وفرس حجر وعقد جوهر قيمته خمسة آلاف دينار ، وفرس حجر صفراء من مراكب العاضد قيمتها ثمانية آلاف دينار ، لم يكن بالديار المصرية أسبق منها ، وطوق وتخت ، وسرفسار ذهب مجوهر ، وفي رقبة الحجر مشده بيضاء وفي رأسها مائتا حبة جوهر ، وفي رأسها مشدة

⁽۱) القلقشندى: ج ۱۰، ص ۸۹، ۹۷.

⁽۲) نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۸۹ .

⁽٣) نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۹۷ .

⁽٤) نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۸۹ – ۹۰ .

⁽٥) نفسه ، ج ۱۰ ، ص ۹۷ – ۹۸ .

⁽١) نفسه ، ح ، ١ ، ص ، ٩ ، ٩٧ .

بيضاء بأعلام ذهب ، ومع الخلعة عدة بقج ، وعِدّة من الخيل ، وأشياء أخرى(١) ، كما أفاد أبو شامة أيضًا أن منشور تقليد صلاح الدين الوزارة ، كان ملفوقًا في ثوب من الأطلس الأبيض(٢) .

والملاحظ أن هذه الخلعة ، قد اشتملت على أزياء رسمية خاصة بالوزراء الفاطميين مشل العقد الجوهر ، كذلك فأغلب الظن أن النوب الديبقى المطرز بالذهب ، هو الدراعة ، وهى ثوب قصير مشقوق من أمام محلى بعرى وأزرار ، عن النوب الميز للوزراء الفاطميين (٢) ؛ كما يلاحظ أيضًا خلو هذه الخلعة من الدواه المحلاة بالذهب ، وهى من علامات الوزارة ، وترمز إلى سلطة الوزير الإدارية (٤) . أغلب الظن لأن صلاح الدين كان وزير سيف وليس وزير قلم .

ومن ناحية أخرى نلاحظ تشابه خلع الخليفة الفاطمى لوزير تفويضه صلاح الدين مع خلع الخليفة العباسى لكل من سلاطين بنى بويه وبنى سلجوق وبنى أيوب على التوالى^(٥). فيما عدا اختلاف جوهرى واحد، وهو أن الخلع العباسية قد اتخذت لون السواد^(١) وهو الشعار المميز للعباسين^(٧)، فى حين اتخذت الخلع الفاطمية لصلاح الدين لون البياض^(٨)، وهو الشعار المميز

⁽١) أبو شامة : الروضتين ، ح ١ ، ص ١٧٣ (من الطبعة القديمة) ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٩ ، من طبعـة د. حلمى . ولقد قال أبو شـامة : ج ١ ، ٤٠٧ س ٧ - ٨ ، أن خلعة الوزارة لصـلاح الدين كانت الجبة والعمامة وغيرهما .

⁽٢) نفس المصدر ، ١ : ١٧٣ أيضًا (من الطبعة القديمة) ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٩ ، من ط د. حلمى . ويذكر سبط ابن الجوزى أن العاضد قد خلع على صلاح الدين خلعة الوزارة فى إيوان القصر ، ولقبه بالملك الناصر ، وقيل إغا لقبه المستضىء بعد ذلك مرآة ، ج ٨ ، ص ٢٧٩) .

⁽٣) أنظر ماجد : صلاح الدين ، ص ٧٣ ، وأيضًا ماجد : نظم الفاطمين ، ١ : ٨٩ - . ٩ .

⁽٤) ماجد: نظم الفاطميين ، ح ١ : ص ٩٠ .

⁽٥) عن هذه الخلع العباسية ، أنظر القلقشندي : صبح ، ٣ : ٢٧٢ وأنظر قبله وبعده .

⁽٦) أنظر القلقشندى : صبح ، ح ٣ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

⁽۷) سبب اتخاذ بنى العباس السواد فى ملايسهم ، يعلله المؤرخون يأكثر من تعليل ، فربما يرجع ذلك إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم عقد لعمه العباس يوم حنين ويوم الفتح راية سوداء ، وقيل بل حزنًا على إبراهيسم الإمام (أخو أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور) وأوفى مرجع جمع كل ما يتعلق بساتخذا بنى العباس للسواد ، هو كتاب شمس الذين السخاوى . عمدة الناس فى مناقب بنى العباس ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٩ تاريخ ، ولقد تناول السخاوى هذا الموضوع فى قصل خاص عنونه بد: "كون شعارها أى الخلافة العباسية – السواد ، ورقة ١٩١ – ١٩٠ ظ، وانظر أيضًا السيوطى : رفع الباس عن بنى العباس ، مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠ مجاميع ، ق ٤٥ ، وانظر أيضًا السيوطى : رسالة بعنوان " بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٣٤ مجاميع ، للج الفؤاد فى أحاديث لبس السواد " ، مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٣٤ مجاميع ، الحسن بن عبد الله ، أثبار الأول فى تراتيب الدول ص ١٠١ سر١٥ ، القلقشندى : مآثر الإناقة ، ٢ : الحسن بن عبد الله ، أثبار الأول فى تراتيب الدول ص ٢٠١ – ٣٠ ، القلقشندى : مآثر الإناقة ، ٢ : السيوطى : الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، ص ٢٩ – ٧٠ ، أحمد تيمور باشا : التذكرة التيمورية ، ص ٢٠٨ .

⁽٨) ماجد : صلاح الدين ، ص ٧٣ .

للفاطميين (١) ، وأخيرًا فإن احتواء الخلعة على «الطيلسان » ، وهو زى القُضاة ، يشير إلى أن صلاح الدين ، كوزير تفويض ، كان له الإشراف على القضاء والدعوة .

كذلك نجد تشابها في رسوم تقليد الخليفة العاضد لكل من شيركوه وصلاح الدين للوزارة ؟ من ناحية إنفاذ الخلعة لهم ثم استقبالهما في قصره ، ومخاطبتهم بلقبهم الرسمي الذي خصهم به ، بحيث خوطب شيركوه بالملك المنصور (٢) ، وخوطب صلاح الدين بالملك الناصر (٣) ؛ ثم مسير هذين الوزيرين وهما مرتديين الخلع الخليفتية إلى دار الوزارة ؛ مع رسوم تقليد خلفاء بني العباس لسلاطين بني بويه وبني سلجوق الذين كانوا ملازمين للحضرة السلطانية في بغداد (١) .

أما ألقاب شيركوه وصلاح الدين ، التى منحها لهما الخليفة العاضد ، فهى تطابق ألقاب وزراء التفويض الفاطمين ، إذ لقب كل منهم بـ « السيد » ، الأجل ، الملك ، المنصور ، سلطان الجيوش ، ولى الأمة ، فخر الدولة ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، كما نسب كل منهما إلى الخليفة الفاطمى أى وصفا بـ « العاضدى » أو أن تميز كل من هذين الوزيرين السنيين بلقب جديد ، هو « سلطان الجيوش » ، أغلب الظن لتوليهما الإشراف على الجيوش المصرية الفاطمية والشامية النورية ، الموجودة تحت قيادتهما بمصر (١٠) .

⁽۱) عن كون البياض هو شعار الفاطميين أغلب الظن لمخالفة ومناقضة شعار أعدائهم العباسيين وهو السواد، القلقشندى: صبح ٣: ٤٧٣، المقريزى: الخطط ١: ٤٤٨، ٥٥٥، ٢: ٢٨١، الحسن بن عبد الله: أثار الأول، ص ٢٠١، المقدس: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٨، ابن خلدون: المقدمة ج ١: ٢١٦، أحمد تيمور: التذكرة التيمورية ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

⁽٢) أنظر ابن خلكان : وفيات ٧ - ١٥١ ، ابن واصل : مفرج ١ - ١٦٣ - ١٦٤ ، ابن الألير : الباهر ص ١٤٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ط. د . حلمي ، ج ١ ق ٣ ص ٢ • ٤ - ٣ • ٤ ويقول أبو شامة : ولما خرج منشور الوزارة إلى أسد الدين ، أمر بقراءته على رؤوس الإشهاد وفرح به غايمة الفرح وأعيدت قراءته عليه عدة دفعات استحسانًا لمعانيه ، واستطرافًا لما أودع من بدائع الكلام فيه رأبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٤ - ٤٣٧) .

⁽٣) ابن واصل : مفرج ١ : ٦٦٥ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢ : ٤٣٩ حيث يقول "وقَرئ المنشور بين يدى الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزارة وحضر جميع أربساب الدولتين المصرية والشسامية ، وكمان يومًا عظيمًا ، وخلع السلطان (كذا) على جماعة الأمراء والكبراء ، ووجوه البلد ، وأرباب دولة العاضد " .

⁽٤) القلقشندي : مآثر ٢ : ٧٣٧-، ٢٤ ، القلقشندي : صبح ٣ : ٢٦٩-٢٧٩ ، وانظر قبله .

⁽٥) القلقشندى : صبح ، ح ، ١ ، ص ، ٨ ، س ١٥ – ١٨ .

⁽٦) ماجد: نظم الفاطميين ، ح ١٠ ، ص ٨٤ .

والجدير بالذكر أن لقب الملك (1) ، الذى همله جميع افراد الأسرة الأيوبية ، خاصة ملوك الأطراف منهم ، وذلك بعد قيام السلطنة الأيوبية بمصر ، قد ورثوه أيضًا عن وزراء السيوف الفاطمين ، إذ همل هذا اللقب بملاحظة الخالدى والقلقشندى كل من الملك الأفضل رضوان وزير الفاظ ، وهو أول من لقب بالملك منهم ، والملك الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز ثم العاضد ، أم شير كوه وصلاح الدين ، وذلك قبل أن يستقل بالملك ويخطب بالديار المصرية لبنى العباس ، ويضيف الخالدى ، أن الخليفة كان يحتجب والوزير هو المتصرف كالملوك (٢) ، كذلك لاحظ أبو شامة أن وزير السيف الفاطمي كان يلقب عندهم (٦) بالسلطان ، لذلك اعتقد بعض الباحثين ، أن لقب سلطان قد ورثه الأيوبيون عن طريقين ؛ إحداهما ، وراثة عن أستاذهم نور الدين الذي همل هذا المقب بدوره وراثة عن أساتذته السلاجقة ، إذ كان نور الدين ، أتابكا تابعًا لهم بحلب ودمشق ؛ وثانيهما ، وراثة عن وراثة عن وزارة التفويض من رجال السيوف في العصر الفاطمي (١) ، ويؤيد هذا المراى ما

⁽۱) عن لقب ملك ، وكون ملوك بنى بويه هم أول من حملوه فى الإسلام ، أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٥ ، ٧٤ - ٤٤ ، وأنظر السيوطى : الوسائل إلى مسامرة الأوائل ، ص ٨٤ ، حيق يقول : "أول من خوطب فى الإسلام (بالملك) ، عضد الدولة بن بويه ، وقام بعده ولده بهاء الدولة فزاده الطانع فى ألقابه (قوام الدين غياث الأمة) ، فهو أول من خوطب بالدين والأمة " ويقول القلقشندى : الفرق بين الملك والسلطان ، أن الملك أخص (أنظر صبح الأعشى ، ج ٩ : ٣٩٨) .

⁽۲) الخالدى: المقصد - خ لوحة ۱۹۲ أ - ۱۹۳ ب ، القلقشندى: صبح ، ۹ : ۳۹۹ - ٤٠٤ وفى رأى السيوطى أن هؤلاء الوزراء - الملوك ، يشبهون فى سيطرتهم على خلفاء القاطمين ، البويهيين مع خلفاء العاسين ، السيوطى : حسن المحاضره ، ۲ : ۱۷ ، عن ماجد : نظم الفاطمين ، ج ۱ : ۸۷ حيث يلاحظ أن الأيوبين تلامذتهم المماليك ورثوا لقب الملك عن وزراء السيوف الفاطمين ، ثم ورث هذا اللقب عن الأيوبين تلامذتهم المماليك .

⁽٣) يقول أبو شامة : وكانت عادة المصريين (يقصد الخلفاء الفاطميين) أنه إذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن دفعه وعرفوا عجزه وقعوا للقاهر منهم ورتبوه ومكنوه فإن قوتهم إنما كانت تكون بعسكر وزيرهم ، وهو الملقب عندهم بالسلطان ، وما كانوا يرون المكاشفة وأغراضهم مستتبة وقواعدهم مستقرة من أول زمانهم على هذا المثال (أبو شامة : الروضتين ١ ق ٢ ، ص ٣٣١ س ١٤ - ١٧) وهذا ما يعلل إطلاق الشاعر عمارة اليمنى لقب سلطان على وزير التفويض الفاطمي طلائع بن رزيك . أنظر عمارة اليمنى : النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ، تحقيق درنبرج ١ : ٤٤ و ١٢٢ ، عن ماجد : نظم الفاطمين ١ : ٧٨ وإن ذهب إن هذه التسمية صادرة أغلب الظن عن خيال الشاعر .

⁽٤) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ . وقد ورث السلاجقة لقب سلطان عن القرنويين ، راجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٤٥ – ١٧٧ .

سبق أن لاحظه الخالدى والقلقشندى عن تطابق منصب وزارة التفويض الفاطمية مع منصب السلطنة العراقية وما لاحظناه من استقرار الأيوبيين الأول حتى عصر السلطان الكامل في دار الوزارة الفاطمية وتسميتها بالدار السلطانية (١).

⁽١) أنظر قبله . والواقع أن الفقيه السنى أبو الحسن الماورذي ، قد ألمح فسي كتابيه الأحكمام السلطانية ، وقوانين الوزارة ، إلى أن وزارة التفويس ، التي اقتصرت على رجال السيوف ، قـد تطورت في عصره وقبله ، فأصبحت تعنى مفهوم السلطنة . والجدير بالملاحظة هنا أن الماوردي ألف كتابيه في نهاية القرن الخامس أي في نهاية العصر البويهي وبداية العصر السلجوقي ، إذ عدد الماوردي اشتقاق كلمة الوزارة ثم علق بقوله :" ولاي هذه المعاني كان مشتقًا ، فليس في واحد منها ما يوجب الاستبداد بالأمور ، (الأحكام السلطانية ، ص ٢٣ ، س ٢٠ - ٢١) ، ثم حرص الماوردي على أن يظهر أوجه الفرق بين وزارة التفويض والخلافة . فقال : " ويعتبر في تقليد هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده .. ويحتاج فيهما إلى شـرط زائـد علـى شــروط الإمامة ، وهو أن يكون من أهل الكفاية ، فيما وكل إليه من أمرى الحرب والخراج .. وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تنتظم السياسة ، (الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٢١ ، س ٨ - ١٤) ، كمسا حسرص الماوردي أن يفرق بين سلطات الإمام وسلطات وزير التفويض . فقال عن وزارته : " فالنظر فيها .. بشسرطين يقع الفرق بينهما بن الإمامة والوزارة ، أحدهما يختص بالوزير ، وهو مطالعة الإمام لما أمضاه من تدبير .. ، والثاني مختص بالإمام وهو أن يتصفح أفعال الوزير .. ، وكل ما صح من الإمام صح من الوزير إلا للالة أشياء ، إحداها ولاية العهد ، فإن للإمام أن يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير ، الثاني أن للإمام أن يستعفى الأمّة من الإمامة وليس ذلك للوزير ، والثالث أن للإمام أن يعزل من قلده الوزير ، وليس للوزير أن يعزل من قلده الإمام (الماوردي : الأحكام ، ص ٢٣ - ٢٤) . فعلى هذا الأسساس فيان الوضع الشرعي لوظيفة وزارة التفويض أو السلطنة كما أوضحمه الماوردي لا يعنى استبداد رجال السيوف من الوزراء المفوضين والسلاطين بالسلطة دون الإمام ؛ كما يجعل حـق ولاية العهـد مـن حق الإمـام - وهـو مـا لـم يحترمـه وزراء التفويض الفاطميين بتلاعبهم بالنص ؛ كما يجعل للإمام حق مراجعة تصرفات وزيرة وإبطالهـا إذا لـزم الأمر . وهذا شيء لم يحدث أبدًا . سواء بالعراق العباسي أو بمصر الفاطمية . وعن أحكام وزارة التفويض ، أنظر الماوردي : قوانين الوزارة وسياسة الملك ، ص ١٠ – ٣٥) . ولقد أوضح ابن خلدون بحاسته التاريخية المرهفة كيفية تحول وزارة التفويض إلى وظيفة إمرة الأمراء أو السلطنة في العصر العباسي الثاني وكون بني بويه وزراء سيوف استكفوا اتخاذ ألقاب الوزراء ، فتلقبوا بالسلطان . يقول ابن خلدون : " فلما جاءت دولة بني العباس .. وعظم شأن الوزير ، وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد .. ، فصار اسم الوزير جامعًا لخطتي السيف والقلم .. ، فانقسمت الوزارة حيث إلى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائمًا على نفسه ، وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدًا عليه ، ثم استمر الإستبداد وصار الأمر لملوك العجم البويهيين وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقـاب الخلافـة واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لأنهم خول لهم فتسموا بالإمارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسسمي أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يحليه به الخليفة من ألقابه كما تراه في ألقابهم وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة من خاصته ، ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم ﴿ أنظر ابن خلدون : المقدمـة ، طبـع المطبعـة الأدبيـة بيروت ، ۱۹۰۰م ، ص ۲۳۸ - ۲۳۹) .

وسانل القضاء على المذهب والتراث الفاطمي بمصر والشام واليمن:

وعلى هذا النحو ، كانت أمور الدعوة الفاطمية ، عندما نجح كل من شير كوه وصلاح الدين ، في استحواذ وزارة التفويض الفاطمية ، التي تكفل لهم سلطاتهم ، حجر الخليفة الفاطمي ، وانتزاع جميع سلطاته السياسية ، وفي نفس الوقت الهيمنة على شئون الدعوة الفاطمية : تقوقعت النزارية الشرقية في إيران ، تحت عنف الضربات العسكرية لسلاطين السلاجقه ، وتشبت النزارية بالشام وضعف التشيع به ، نتيجة للسياسة الدينية والتعليمية لنور الدين ، بحيث لم يبق لهم إلا قلعبة مصياف الذي استقر بها سنان بن سليمان بن راشد ، وامتنع فيها عن نور الدين ، وإن ظل للنزارية بالشام بعض النفوذ السياسي ، في كبرى معاقلهم الشامية ، وهي مدينة حلب ، في حين أدت الانقلابات العسكرية والانشقاقات المذهبية المتكررة التي واجهت الدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية عصر، إلى ذبذبة العقيدة الإسماعيلية ، وهي تستند في المقام الأول ، على منصب الخلافة والطاعة «الولايــة» للسلطة الروحية للإمام ، بحيث شك كثير من المصريين الذين استجابوا للدعوة الفاطمية واعتنقوها في صحة النظريات السياسية الإسماعيلية ، ومن ثم في صحة العقيدة الفاطمية ذاتها ، بحيث ضعف التشيع في قلوب المصريين ، وكبار رجال الدولة الفاطمية(١) ، مما سهل لشير كوه وصلاح الدين القضاء على الدعوة الإسماعيلية بحصر ، أما الدعوة الطيبية في اليمن فيبدوا أنها كانت مازالت تحتفظ ببعض التماسك السياسي والمذهبي : بحيث لجأ توارنشاه الأكبر ، أخو صلاح الدين ، إلى اللجوء إلى العنف الدموى ، للقضاء على الكيانات السياسية الإسماعيلية باليمن (٢) . كما شتتوا أيضًا المذاهب الشيعية الأخرى ، مثل الزيدية عكة (٢) .

ويؤكد واقع الأحداث ، أن كلاً من شيركوه وصلاح الدين قـد خالفا أهـم العهـود والمواثيـق ، التى أخذها عليهما الخليفة الفاطمى ، فى تقليده لهما بـالوزراة ، فلقـد أكـد على كليهما ، ضـرورة الإبقاء على إقطاعات أمراء الجيش الفاطمى وتوليتهم ولايات الأقاليم والإدارات المحلية بمصر ، كمـا جرت عادة الخلفاء الفاطمين معهم فى ذلك(⁴⁾ . فكان أول عمل أقدم عليه شـيركوه بعـد اسـتقراراه

⁽١) أنظر مناقشة عن مدى ضعف العقيدة الإسماعيلية في نفوس الشعب المصرى ، وفي نفوس كبار رجال الدولسة الفاطمية في نهاية العصر الفاطمي بمصر ، أنظر محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في العصر الأيوبي ، ص - ٠٠ .

⁽٢) أنظر قبله . وأنظر ابن شداد : النوادر ، ص ٤٦ .

⁽٣) ذكر الصفدى فى ترجمة الملك المسعودا قسيس بن الملك الكامل ، ت ٢٦٦هـ ، الذى ناب عن أبيه فى حكم اليمن ومكة تسع عشر سنة أنه " قمع الخوارج باليمن ، وطرد الزيدية عن مكة . (الصفدى: الوافى ، ج ٩ ، ص ٣١٦) .

⁽٤) راجع ما تقدم في فصلنا هذا .

فى الوزارة ، هو إقطاع البلاد المصرية بمناشير لأمرائه الشوام (١) ، وقد ظل إقطاع البلاد ، والإدارات المحلية بالأقاليم بمناشير إقطاعية على كبار أمراء الدولة ، من أهم مظاهر السلطنة طوال العصر الأيوبى، خاصة عند حدوث تقلبات سياسية بعد خلع أحد السلاطين ، وتولية غيره عقب انقلاب عسكرى ، إذا كان هؤلاء المقطعين بمثابة الحكام الإداريين المحليين - أى المحافظين بالمصطلح الإدارى الحديث - في هذه الولايات ، خاصة المدن ذات الأهمية العسكرية الخاصة ، مثل الثغور ، التي تستلزم وجود حامية عسكرية محلية بها (١) ، وهذا ما قام به صلاح الدين أيضًا بعد أن صفى له الأمر في الوزارة بانسحاب الحزب المنافس له المتمشل في الأمراء التركمان الموالين لنور الدين ، وعودتهم الوزارة بانسحاب الحزب المنافس له المتمشل في الأمراء التركمان الموالين لنور الدين ، وعودتهم من العساكر (١) ، ثم اقطع البلاد بمناشير إقطاعية لأفراد أسرته ، وبذلك تمت سيطرته التامة على الديار المصرية (١) ، كذلك أكد تقليد العاضد على كل من شيركوه وصلاح الدين رعاية شئون الجيوش الماطمية ، التي أصبحت تحت قيادتهما المباشرة ، والسهر على توفير النفقات لهم ، وإعدادهم المغريضة الجهاد (٥) . ورعاية خواص الدولة الفاطمية (١) ، ففعل صلاح الدين نقيض ما أصر به ، إذ أباد لفريضة الجهاد (٥) . ورعاية خواص الدولة الفاطمية (١) ، ففعل صلاح الدين نقيض ما أصر به ، إذ أباد المؤيش الفاطمي عن بكرة أبيه ، كما قضى على حاشية القصر (٧) .

وفى رأى المؤرخ الشيعى ابن أبى طىء ، أن القضاء على الدعوة الفاطمية بمصر ، لم يبدأ إلا فى عهد وزارة صلاح الدين ، إذ وصف فترة وزارة شيركوه بقوله : «إن أسد الدين لما ولى الوزارة ، لم يغير على أحد شيئًا ، وأجرى أصحاب مصر على قواعدهم وأمورهم إلى أن انقضت أيامه »(^) ، وقد أوضح ابن شداد أن صلاح الدين ، قد عمد على نشر المذهب السنى بمصر ، منذ أن كان وزيرًا للفاطميين ، فكان «وزير متابع للقوم ، ولكنه مقو لمذهب السنة ، غارس فى أهل البلاد العلم والفقه والتصوف والدين ، وأغلب الظن أن التكوين العلمي لصلاح الدين ، ونقاء عقيدته

⁽١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٠ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

⁽٢) أنظر بعده . ويشبه هذا الإجراء الذى استنه شيركوه ، وظل طوال العصر الأيوبى بمصر ، ما جرى عليه العُرف في العصر الفاطمي عند تولى الخليفة العرش ، فكان يصدر سجلات بتجديد ولايسة الولاه في الأقاليم (الشيال : مجموع الوثانق الفاطمية ، ص ٢٥) .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ ، س ١٢ .

⁽٤) نفس الصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٦ .

⁽٥) أنظر قبله .

⁽٦) أنظر قبله .

⁽٧) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٠ – ٤٥٢ ، المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢ –٥ .

⁽A) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ ، س ١ – ٢ .

⁽٩) ابن شداد : النوادر ، ص ٤٠ – ٤١ .

السنية (١) ، وشغفه بعلوم الحديث والسنة (٢) ، وتعظيمه للعلماء والفقهاء من حملة الشريعة وحماتها ، إلى جانب كراهيته للفلاسفة والمتكلمين ، سواء من المعطلة (الذين ينفون الصفات الإلاهية) أو المشبهة (الذين يثبتونها) أو الدهرية (القائلين بقدم العالم) ، وهذا ما دفعه إلى الأمر بقتل الفيلسوف الصوفى الشهير السهروردى (٢) . وإن كنا نظن أن السهروردى ، وهو من متكلمى الصوفية ، كان يبطن التشيع ويدعو إليه ، شأن المتصوف الشهير الحلاج (١) ، فأغلب الظن أن مقتل السهروردى كان وراءه سببًا سياسيًا لم يفصح عنه مؤرخى صلاح الدين ، خاصة وقد ظلت مكانة

⁽۱) يقول ابن شداد: في سيرة صلاح الدين ، تحت عنوان ، ذكر ما شهدناه من مواظبته على القواعد الدينية وملاحظته للأمور الشرعية " .. كان - رحمة الله عليه - حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث عن مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء وتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولاً حسناً وإن لم يكن بعبارة الفقهاء فتحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه غير مارق سهم النظر فيها إلى التعطيل والتمويه ، موافقة لقانون النظر الصحيح مرضية عند أكابر العلماء . وقد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النيسابورى عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب وكان يعلمها الصغار من أولاده لترسخ أذهانهم (ابن شداد : النوادر ، ص ٧) .

⁽٢) قال ابن شداد: " وكان - رحمة الله - شديد الرغبة في سماع الحديث ، ومتى سمع عن شيخ ذى رواية عالية وسماع كثير ، فإن كان ممن يحضر عنده استحضره وسمع عليه ، فأسمع من يحضره في ذلك المكان من أولاده ومماليكه المختصين به ، وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالاً له ، وإن كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى إليه ، وسمع عليه ، تردد إلى الحفظ الأصفهاني بالإسكندرية .. ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وكان رحمة الله تعالى - يحب أن يقرأ الحديث بنفسه ، وكان يستحضرني في خلوته ، ويحضر شيئًا من كتب الحديث ، ويقرؤها هو ، فإذا مر بحديث فيه عبرة دق قلبه ، ودمعت عينه ، (ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩ - ١٠) .

⁽٣) يقول ابن شداد: " وكان - رحمة الله عليه - كثير التعظيم لشعائر الدين ، قائلاً ببعث الأجسام ونشورها ، ومجازاة المحسن بالجنة والمسيىء بالنار ، مصدقًا بجميع ما وردت به الشرائع ، مبغضًا للفلاسفة والمعطلة والدهرية ومن يعاند الشريعة ، ولقد أمر ولده صاحب حلب الملك الظاهر ، أعز الله أنصاره ، بقتل شاب نشأ يقال له السهروردى ، قيل عنه أنه كان معاندًا للشرائع مبطلاً ، وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من عبره ، وعرف السلطان به ، فامر بقتله ، وصلبه أيامًا ، فقتله " (ابن شداد : النوادر ، ص ، ١ ، س ٣-٧).

⁽٤) وصف ابن النديم المتصوف الشهير الحسين بن منصور الحلاج بأنه كان " جسورًا على السلاطين ، مرتكبًا للعظائم ، يروم انقلاب الدول ، .. ويظهر مذاهب الشيعة للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة ، (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠) .

الصوفية مرموقة ومحلاً للتبجيل والاحترام من سلاطين بني أيوب(١) ، ومن بعدهم في عهد تلامذتهم سلاطن الماليك(٢) .

ولا جدال في أنه ليس من السهل اليسير ، أن يقتلع مذهب من المذاهب ، بمجرد تغيير النظام السياسي في بلد من البلاد ، إنما يحتاج التغيير إلى سنوات عديدة ، وإلى تدابير ليست هي من تدابير القوة والبطش فحسب (٢) ، لذلك فالملاحظ أن صلاح الدين ، قد استخدم وسائل وأساليب عديدة ، في سبيل القضاء على الدعوة الفاطمية بمصر ، جاءت بعض هذه الأساليب تتسم بالشدة والعنف ، والحسم الفورى المباشر ، والبعض الآخر اتخذ وسيلة الحيلة والتدرج ، واستخدم بعضها العنف العسكرى الدموى ، في حين نهج البعض الآخر سبيل الدعوة والتعليم والإقداع ، والاستمالة عن طريق المنشآت الاجتماعية الدينية الخيرية وما يوقف عليها من أوقاف للصرف عليها .

لقد بدأ صلاح الدين بإذلال شخص الخليفة الفاطمى العاضد ، للقضاء على فكرة « الولاية » ، التى تبنى عليها جميع النظريات والعقائد الإسماعيلية ، ويستمد منها الخلفاء الفاطميون قداستهم ، فأرغم الخليفة العاضد ، على الخروج بنفسه لاستقبال والده نجم الدين أيوب ، عند وصوله إلى مصر ، رغم ما جرى عليه العرف ، وحرصت عليه الرسوم الفاطمية ، من استعلاء الخليفة الفاطمى ، واحتجابه عن الناس ، لعدم ابتذاله بكثرة ظهوره أمام الناس ، ولإكسابه مسحة من القداسة والتعظيم ، بل يذكر أبو شامة ، أن العاضد قد خرج لتلقيه إلى ظاهر باب الفتوح ، ولم يجر بذلك عادة لهم ، وكان من أعجب يوم شهده الناس (أ) ، بل اضطر العاضد إلى مخالفة التقاليد والعرف وقواعد

⁽١) يقول الشيزرى في كتابه المنهج المسلوك في سياسة الملوك الذي ألفه لصلاح الدين في الباب العشرون ، الذي عنونه في الحث على استماع المواعظ وقبولها من النساك: "أعلم أن استيلاء الدنيا على الملوك وإقبالها عليهم ، ربحا شغلتهم عن أمر الآخرة وأغفلتهم عن مهمات الدين ، فيجنحون إلى اللذات ، ويهملون أمر الديانات ، لأن النفوس مطبوعة على الميل إلى الترف وايثار التنعم وكراهة التكليف فلا ينبغي أن تخلو مجالسهم من علماء الدين ، وصلحاء المسلمين ، لينبئوهم عند طرق الغفلة ، ويذكروهم عند حرارة الشهوة ، ويُوضحوا لهم نهج الآخرة ومعالم الشريعة ، وقد كان شعار الملوك العارفين والخلفاء الراشدين أن يدعوا إلى عبالسهم الحكماء ، ويتخلوا لاستماع مواعظ العلماء (الشيزرى : المنهج المسلوك ص ١١٧ - ١١٨) .

⁽٢) بلغ احترام سلاطين الماليك لشيوخ الصوفية حدًا كبيرًا جعل هؤلاء الصوفية يتطاولون أحياتًا على السلاطين، وهذا ما استكفه الفقيه ابن جماعة ، فأوضح أن احترام السلاطين وتعظيمهم من واجبات الرعية على السلاطين ثم قال : وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم بخلاف السنة (أنظر ابن جماعة : تحرير الأحكام ، خ ، ورقة ١٤ ٥ – ١٥) .

٣) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبين ، ص ١٠٠.

 ⁽٤) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٦ ، س ٥ – ٣ .

ورسوم الدولة ، فمنح والد صلاح الدين ألقاب وزراء السيوف ، إذ خلع عليه ، ولقبه الملك الأفضل، وحمل إليه من القصر الألطاف والتحف والهدايا^(۱) ،ثم ما فتىء صلاح الدين ، يعمل على الاستهانة بالخليفة ، وابتذال مكانته الروحية بين أتباعه وأنصار دولته ، فأخذ يستولى على موجوداته وممتلكاته الشخصية وخيوله ، بحجة شدة الحاجة إليها في أمور الجهاد ، حتى أن الخليفة في آخر الأمر ، عرض على صلاح الدين أن يتنازل له عن فرسه الخاص الذي لا يملك غيره ، فأجاب صلاح الدين بالاعتذار عن الحاجة (^{۱)} . ولا يخفى أن هذا الابتذال المتكرر المتعمد الموجه للخليفة ، للاستهانة به أمام رعيته ، كان يهدف أيضًا إلى إجبار الخليفة على الاعتزال ، وتجنب الظهور في المناسبات العامية ، حتى ينساه المصريون .

والغريب أن صلاح الدين قد أخذ في إمضاء وتنفيذ أهم وسيلة تدريجية تعليمية للقضاء على المعوة الإسماعيلية بمصر، وهي المدارس المذهبية السنية، التي كانت هي السبب الأول في تحول الشيعة في مصر إلى رأى الجماعة والسنة (١٠). وهو من الناحية الرسمية لايزال وزيسر تفويسض فاطمي (١٠). من المفروض أن يعمل على نشر الدعوة الإسماعيلية ورعاية شنونها، لكونه « داعي الدعاه، وقاضي القضاه»، المفوض من قبل الخليفة الفاطمي (٥).

ويفيدنا الأديب المغربي ، ركن الدين الوهراني ، وقد عاصر قيام الدولة الأيوبية بمصر : إن نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، هو الذي حضه على سرعة إنشاء هذه «المدارس» السنية بمصر ، فور قدومه عليه من بلاد الشام ، وأنه قد باشر بنفسه الإشراف على إنشاء هذه المدارس ، بالإضافة إلى تنظيمه «لمجالس» أغلب الظن أنها مجالس للوعظ الصوفى ، وهي إحدى وسائل نشر المذهب الأشعرى - كما قام نجم الدين أيوب بإنشاء «الزوايا» في مشاهد كبار ائمة السنة وآل البيت المدفونين بمصر ، وأيضًا أشرف بنفسه على بناء عدد من المساجد (١) .

⁽١) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٤ ، س ٢ - ٧ .

⁽٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص .

⁽٣) محمد كامل حسين: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، ص ٢٨.

⁽٤) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ٠ ٤ - ١ ٤ ، وانظر قبله .

⁽٥) أنظر قبله .

⁽٣) نورد نص الوهرانى لأهميته الشديدة ، لكونه معاصر لقيام الدولة الأيوبية ، ولأنه لم يستفد منه من قبل ، فيقول الوهرانى : " ولما وصل الملك الأفضل نجم الدين أيوب أبو السلطان ، انمع به حزب الشيطان ، ورد الناس إلى الأوطان ، فقتح الله به أبواب الجنة ورفع ببركته منار السنة ، فأحدث المدارس ، و " المجالس " وشيد المساجد والمشاهد وتفجرت يمينه بالنفقات حتى عمم أهل الأرض بالصدقات وجعل قبر الإمام محمد بن إدريس " زاوية " للفقه والتدريس فقويت به عرى الإسلام ، واشتد به دين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (الوهرانى : المنامات والمقامات ، ص ١٣ - ١٤) .

وأغلب الظن أن قدوم والد صلاح الدين من الشام ، كان بتكليف من نور الدين ، ليشرف بنفسه وهو الشيخ المحنك ، على إبطال الشعائر الشيعية من مصر ، وإظهار شعار أهل السنة بها ، إذ تجمع المصادر أن صلاح الدين كان مترددًا في قطع الخطبة للفاطميين ، وأنه لم يقدم على هذا العمل رغم إلحاح نور الدين المتكرر ، إلا بعد قدوم والده ، الذى أشرف بنفسه على هذا العمل ، بعد أن حرص صلاح الدين ، أن يبدو وكأنه لم يأمر هو بهذا ، خشية انتقاض المصريين وثورتهم ، وليتملص من هذا العمل الخطير إذا لزم الأمر (١) . ولقد أفادنا ركن الدين الوهراني أيضًا ، أن نجم الدين أيوب ، قد مهد لقطع الخطبة لخلفاء بنى العباس ، بعدة إجراءات تمهيدية ، أهمها التصريح بأسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة والدعاء لهم على المنابر ، وهو أمر مخالف للشعائر الإسماعيلية ، وذلك لكي تبدأ أذهان المصريين في تقبل اختفاء الشعائر الإسماعيلية رويدًا رويدًا ، ثم صرح صلى نجم الدين الجمعة أربعة ركعات لعدم اكتمال العدد اللازم لإقامتها جماعة ركعتين ، ثم صرح أخيرًا بقطع الخطبة للفاطميين والخطبة لبنى العباس ، بحيث نظر العالم الإسلامي ، لهذا الانتصار السنى الحاسم ، على أنه قد تم على يد «بنى شادى » وليس على يد صلاح الدين فقط ، لكون السنى الخاسم ، على أنه قد تم على يد «بنى شادى » وليس على يد صلاح الدين فقط ، لكون والده ، هو الذي باشر هذا الأمر بنفسه (٢).

⁽١) عن قطع الخطبة للعاضد في افتتاح سنة ٥٦٧ ، أنظر أبو شامة : الروضتين ، ح ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٢ -

⁽٢) وكما أسند الوهراني لنجم الدين أيوب، فضل إنشاء المشآت السنية بمصر، لرفع منار السنة ، أسند إليه أيضًا فضل قطع الخطبة القاطمية في مصر، فيقول الوهراني في نبص هام آخر: "وصلى الملك الزاهد، والبطل المجاهد، نجم الدين وسيف المجاهدين، أول جمعة صلاها أربعًا، ولم يجد فيها للسنة بجمعًا، فصعب عليه تبطيل هذا الفصل وإسقاط ذلك الأصل، فأقبل يمهد القواعد ويهبها، ويخمد البدع ويخفيها، حتى كمل الإسلام، وتم دين النبي عليه السلام، وأتى البيت من بابه، ورد الأمر إلى أربابه أجرًا ساقه الله إليه، وفتحًا مبينًا قضى به على يديه. فأمر بذكر العشرة الكرام البررة، وصرح بأسمانهم على المنابر ... ، ثم خرج من الشك والإلناس، ودعا للأئمة من بني العباس، لعلمه أنه لا يتم الإيمان إلا بولايتهم، ولا تحسن المنابر الإبسواد رايتهم، ولكونه قد غذى بلبانهم، ونشأ في إحسانهم، فحصل بنو شادى على الرتبة الفاخرة .. وفازوا بنعيم الدنيا وثواب الآخرة، فسار ذكرهم في الأقطار. (الوهراني: المنامات والمقامات، ص ٦، س وفازوا بنعيم الدنيا وثواب الآخرة ، فسار ذكرهم في الأقطار. (الوهراني من أن نجم الدين أيوب هو وأخاحه على صلاح الدين في إقامة الخطبة بمصر للعباسيين، وأنه أنفذ إليه أباه الأمير نجم الدين أيوب لأجل الذي قطع الخطبة بأمر نور الدين، قال أبو شامة : قال ابن أبي طئ الحلبي : قد قدمنا ذكر مكاتبة نور الدين وإلحاحه على صلاح الدين في إقامة الخطبة بمصر للعباسيين، وأنه أنقذ إليه أباه الأمير نجم الدين أيوب لأجل ذلك لما كتب الخليفة المستنجد ألى نور الدين في قطع الخطبة وأن هذا الأمر دام على مدى جمعين كاملين وأنه بدأ ذلك ما دس ٢٠ على خير العمل "، أنظر أبو شامة : الروضين، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٨ – ٤٩ .

وإلى جانب هذه الوسائل التدريجية التى استخدمها الأيوبيون للقضاء على المذهب الإسماعيلى بمصر ، استخدم الأيوبيون فى نفس الوقت . وسائلاً سياسية اتسمت بالحسم والفورية ، وتميز بعضها بالشدة والعنف ، وذلك للقضاء على بقايا الوجود السياسي للفاطميين وأنصارهم بمصر والشام .

وكان أول إجراء حاسم ، أمضاه صلاح الدين ، في سنة ٢٦هـ - ١١٨ ، إذ يخبرنا المؤرخ الشيعى ابن أبي طيء ، أنه «أمر في هذه السنة بتغير شعار الإسماعيلية ، وقطع من الأذان حي على خير العمل ، وشرع في تمهيد أسباب الخطبة لبني العباس» (أ) ، وفي افتتاح سنة ١٦٥ه هـ / ١٧١م، تم قطع الخطبة للخليفة العاضد ، وخطب لخلفاء بني العباس ، بعد أن تزيي الخطباء والقضاه بمصر (") ، شعار العباسيين (") ، ثم جعل صلاح الدين من شعار السواد زيّا رسميًا للخطباء والقضاه بمصر (") ، وذلك والملاحظ أن الخطبة للعباسيين قد تحت بالإسكندرية قبل القاهرة ومصر بنحو إسبوعين أ) . وذلك لأنها ظلت على المذهب السنى طوال العصر الفاطمي (ق) ، ويصور لنا المؤرخ الشيعي ابن أبي طئ الحلبي ، رد فعل قطع الخطبة الفاطمية من مصر ، تصويرًا مبالغ فيه يوحي بوقوع اضطهاد عنيف الحلبي ، رد فعل قطع الخطبة الفاطمية من مصر ، تصويرًا مبالغ فيه يوحي بوقوع اضطهاد عنيف الأتباع الدعوة الإسماعيلية ، ويوهم بأن أكثر أهل مصر كانوا من أنصار الدعوة الإسماعيلية ، بحيث هاجر عدد كبير منهم من مصر (")

⁽١) نفس المرجع ، ص ٤٨٨ ويقول ابن أيبك الدوادارى فى حوادث ٦٧٥هـ ، وفيها بطل الأذان بحى على خــير العمل وعاد لما عليه أولاً ، واستمر للآن (الدرر ، ص ٤٩) .

⁽٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ ، ص ٤٩٦ – ٤٩٩ . يقول ابن أيبك الدوادارى أن صلاح الدين خلع العاضد من الخلافة بفتاوى الأئمة والفقهاء ، الدرر المطلوب ، ص ٤٧ ، وذكر أن أكثر الفقهاء مبالغة في الفتيًا وتصميمًا على زوال أمر العاضد كان فقيه صوفى اسمه الخبوشاني وهو كما سبق القول اعتمادًا على نقوش الإمام الشافعي ، فقيه أشعرى سنى كان أول من تولى التدريس بمدرسة قبة الشافعي وهي أول مدرسة سنية أنشأها الأيوبيون في مصر .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٦ ، ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٤ – ٢٥ ، أنظر قبله .

⁽٤) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٣ ، ص ٤ · ٥ ، حيث يقــول أبـو شــامة : قــال العمــاد فــى ديوانــه ونقلتــه من خطه ، قال : ووصل الخبر بأن الخطبة قامت فـى الإسكندرية يــوم الجمعـة ســابع شــهر رمضــان وفــى مصــر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشرى شهر رمضان لمولانا الإمام المستضىء بأمر الله أمير المؤمنين وإقامته شعار بنــى العباس بها .

⁽٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٩ ، س ١ ، وأنظر قبله .

⁽٣) قال ابن أبى طىء : " ولما قطعت خطبة العاضد استطال أهل السنة على الإسماعيلية ، وتتبعوهم واذكوهم ، وصاروا لا يقدرون على الظهور من دورهم ، وإذا وجد أحد من الأتراك – المقصود أمراء صلاح الدين – ، مصريًا (أى إسماعيليًا فاطميًا) أخذ ثيابه ، وعظمت الأذية بذلك وجلا أكثر أهل مصر عنها إلى البلاد وفرح الناس بذلك وكتبت الكتب به إلى الأقطار وتحدث به السمار ، (أبو شامة : الروضتين ، ١ / ٢ ، ص ١ ، ٥).

وفى نفس هذه السنة عمد صلاح الدين إلى تغيير رسوم الدولة الفاطمية (١) ، ذلك لأن الفاطميين كانوا قد طبعوا بلاطهم الملكى وقصورهم بطابعهم المذهبى الخاص (٢) ، وكانوا يتخذون من حفلاتهم الرسمية مناسبة لتأكيد عقيدتهم بحيث صبغوا حفلاتهم بطابع شيعى مذهبى ، كان دليلاً على طابع دولتهم المميز (٢) .

ثم وضع صلاح الدين من مكانة قصر الخلافة الفاطمية، بأن أسكن فيه أمراء دولته الأكراد (1)، وكان هذا العمل تأكيداً لسقوط الدولة الفاطمية من مصر ، إذ ظلت الدولة الفاطمية تعرف طوال عصور ازدهارها «بالدولة القصرية »(٥) ، نسبة لسكنى خلفاء الفواطم لقصور عاصمتهم القاهرة ، ففي سنة ٢٦هـ - ١١٧ م ، قبض صلاح الدين على القصور الفاطمية وسلمها لمملوكه قراقوش الخادم (٢) ، ثم اسكنها لجنوده وأهله وأسكن أباه بقصر اللؤلؤة على الخليج ؛ ولقد على ابن أبي طئ على هذا بقوله «وانقضت تلك الدولة برمتها ، وذهبت تلك الأيام بجملتها ، بعد أن كانوا قد احتلوا على البلاد ، واستخدموا العباد مائتين وثمانين سنة وكسوراً »(٧) ، وينقل المقريزي عن مياومات القاضي الفاضل أنه في ربيع الآخر سنة ٧٦ههـ ١١١١ م ، كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش ، وأخليت أمكنة من القصر الغربي سكن بها أمراء صلاح الدين ، ويعلق القاضي الفاضل عن هذا بقوله «ومُلِئت المناظر المصونة عن الناظر والمنتزهات التي لم يخطر ويعلق القاضي الفاضل عن هذا بقوله «ومُلِئت المناظر المصونة عن الناظر والمنتزهات التي لم يخطر ابتذالها في الخاطر ، فسبحان مظهر العجائب وعدثها ، ووارث الأرض ومورثها »(٨) .

⁽١) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ص ٢٧٣ ، س ١٦ - ١٧ حيث يقول : " لما استبد الناصر صلاح الدين .. بملك مصر بعد وفاة العاضد غير رسوم الدولة الفاطمية ووضع من قصر الخلافة ، وأسكن فيه أمراء دولته الأكراد".

⁽٢) ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، ج ٢ ، ص ٩ .

⁽٣) نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

 ⁽٤) المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٢٧٣، س ١٧ – ١٨.

⁽٥) القفطى: أنباه الرواه على أنباه النحاه تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ج ٢ ، ص ٩٥ س ٧ ، وهو يسميها في موضع آخر " الدولة العلوية القصرية ، نفس المصدر ج ٢ ، ص ٧٣ ، س ٨ ، وهو يسمى الفاطمين في موضع ثالث " المصريين " أنظر نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢١٩ – ٢٢١ والمعروف أن القفطى عاصر سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية وعمل وزيرًا للأيوبين بالشام ، أنظر بعده .

⁽٦) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٨ .

⁽٧) نفس المدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧ ٠ ٥ .

⁽A) المقريزى: الخطط، ج ۲: ۲۹۴ – ۲۹۳.

ولقد رثى القصور الفاطمية ، رثاءًا مبدعًا ، الشاعر عمارة اليمنى ، الذى ظل رغم كونه شافعى سنى ، على وده للفاطميين ، إخلاصًا لذكرى خلفائهم ، الذين أحسنوا إليه أبان إزدهار دولتهم ، فوقف يصف أطلال قصورهم ويبكى من بناها قائلاً ضمن قصيدة الشهيرة التى مطلعها : « رميت يا دهر كفّ المجد بالشلل » ، .. يقول :

بالله زر ساحة القصريان وابكى معى عليهما لا على صفيان والجمل وقال لاهلهما: والله ما التحما فيكم قروحى، ولا جرحى بمندمال مسررت بالقصر والأركان خالية من الوفوود وكانت قبلة القبل فملت عنها بوجهى خوف منتقد من الأعادى ووجه الود لم يمل أسبلت من أسف دمعى غداة خلت أرجائكم وغدة مهجورة السبل(1)

ولقد سكن القصور الفاطمية الملك العادل إبان نيابته للسلطة بمصر عن أخيه صلاح الدين(٢).

وعمد صلاح الدين إلى الآلات الملوكية الفاطمية ، وكنوز القصر الفاطمى ، فعمل على إفسادها^(٦) ، وأهدى بعضها إلى نور الدين زنكى^(٤) ، والبعض الآخر إلى الخليفة العباسى^(٥) ، ثم طرح باقيها للبيع ، بحيث دام البيع فيها مدة عشر سنين ، وتنقلت إلى البلاد بأيدى المسافرين الواردين والصادرين^(٢) .

وتحول إلى كتب الدعوة الإسماعيلية ، التى احتوت عليها مكتبة القصر الفاطمى ، فأحرقها ، وألقاها على جبل المقظم ، بحيث صارت تعرف بكميان الكتب ، ثم فرق الكتب غير المذهبية التى صودرت من مكتبة القصر ، على كبار علماء وأنصار دولته ، مشل العماد الأصفهاني والقاضى

⁽١) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٧٠ .

⁽٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٨ .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٦ ، نقلاً عن ابن أبي طيء .

⁽٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٥ - ٥٢٥ ، ٥٢٥ - ٢٦٥ ، ٥٥٦ - ٥٩٥ .

⁽٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٩٥ ٤ .

⁽٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، المقريــزى : الخطــط ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ ، نقــلاً عــن مياومات القاضي الفاضل .

الفاضل ، وأبى شامة الأصفهاني (١) ، مما يؤكد أن هدف صلاح الدين ، كان إحراق كتب الدعوة فقط ، لترويجها للقضية السياسية التي ينادى بها خلفاء الفاطميين .

وفي رأينا أن إحراق مكتبة القصر الفاطمي ، لم يكن خطأ كبيرًا وجريمة ثقافية ، من جانب صلاح الدين كما ذهب البعض (٢) ، بل هو عمل مقصود ، استهدف القضاء على كتب الدعوة الإسماعيلية بقط ، والحقيقة أن إحراق كتب الدعوة الإسماعيلية بمصر يذكرنا بإقدام الخليفة العباسي القادر بالله ، والسلطان السني محمود بن سبكتكين الغزنوى ، على إحراق كتب الرافضة (الشيعة) والمعتزلة والمتكلمين ، في بلاد الرى والعراق وخراسان في سنتي ٨ ، ٤ه ـ ١٠١٧م و ، ٢٠ه / ٩ م ، ١٠١٥م ، واستنابتهم عن المناظرة في مذاهبهم (٢) ، ولا ريب أن كتب الدعوة الإسماعيلية ، كانت من أهم وسائل التأثير التي يتخذها دعاة الفاطميين للترويج لدعوتهم ، بحيث أقدم المؤيد في الدين الشيرازى ، داعى دعاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، على تهريب كتب الدعوة الإسماعيلية من مصر ، حين شهد الضعف السياسي الذي تردّى فيه خلفاء الفاطمين ، ثم أرسلها على يد القاضي من مصر ، حين شهد الضعف السياسي الذي تردّى فيه خلفاء الفاطمين ، ثم أرسلها على يد القاضي اليمني للك بن مالك ، ليحفظها أنصار الدعوة الإسماعيلية باليمن والهند (١٠ فكان كأنه يقرأ لوح المين ، إذ أحرق صلاح الدين كتب الدعوة بمكتبة القصر الفاطمي ، وقامت السلطات الأيوبية بالشام ياحراق كتب الإسماعيلية والمتزلة والقدرية والمتكلمين ، والقبض على كل من يضبط بالشام ياحراق كتب الإسماعيلية والمتزلة والقدرية والمتكلمين ، والقبض على كل من يضبط بالشام ياحراق كتب الإسماعيلية والمتزلة والقدرية والمتكلمين ، والقبض على كل من يضبط

⁽۱) راجع أبو شامة : الروضتين ، ج ۱ ، ق ۲ ، ص ۷ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٢ ، ٢ ، ١ المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ۱۹۷ حيث يذكر عن القاضى الفاضل ، أنه وقف مكتبه وكانت مائة ألف مجلد على مدرسته المعروفة بالمدرسة الأفضلية ، وأنها ظلت بها إلى سنة ١٩٤ه حيث حدث الغلاء ، فكان طلبة المدرسة يبيعون كل جزء منها برغيف . ثم تداولت أيدى الفقهاء عليها بالعارية فيفرقت ولكن يبدو أن عددًا ضخمًا آخر من كتب مكتبة القصر الفاطمي التي آلت إلى القاضى الفاضل ، قد انتقلت بعد وفاته إلى المكتبة السلطانية الأيوبية بالقلعة ، فيقول المقريزى : في حوادث سنة ٢٦٦ه " وفيها وقعت الحوطة على دار القاضى الأشرف أحمد ابن القاضى الفاضل وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلد وحمل من داره خشب خزائن الكتب مفصلة وحملها تسعة وأربعون جملاً وكانت الجمال التي حملت الكتب تسعة وخمسون جملاً . ثلاث دفعات (السلوك : ج ١ ص ٢٣٣) وبعد عدة شهور حملت الكتب منها كتاب الأيك من القلعة إلى دار الفاضل وقيل أن عدتها أحد عشر ألف كتاب وثماغائة وثمانية كتب منها كتاب الأيك والغصون لأبي العلاء الموى ، في ستين عجلدًا (السلوك ، ١ : ٣٣٣) .

⁽٢) أنظر الشيال: مصر الإسلامية ، ص ٤٩ .

⁽٣) أنظر ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٧ ، ص ٢٨٧ ، ج ٨ ، ص ٣٨ – ٠ ٤ .

 ⁽٤) المؤيد في الديس الشيزري: ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاه ، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ،
 دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٩ ، ص ١٨٥ ، وأنظر أيضًا ص ٤٩ ، و ص ١١ وهي في مقدمة المحقق .

فى منزله شىء منها^(۱) ، بحيث لم يتبق من كتب الذعوة الإسماعيلية التى وصلنا إلا الكتب التى احتفظ بها أنصار الفاطميين باليمن والهند (^{۲)} . بعد سقوط دولتهم بمصر ، وإن وصلنا بعض الكتب الأدبية الخزائنية برسم ماكتبه القصر الفاطمى^(۳) .

ولم يغب عن فكر صلاح الدين ، أثر الأعياد المذهبية للشيعة (أ) ، في الترويح لمذهبهم وترسيخ معتقداتهم في نفوس المصريين ، فألغى جميع الأعياد المذهبية للفاطميين ثما أدى إلى إنقراضها من مصر منذ ذلك الوقت ؛ وبخبث سياسي شديد ، عمل الأيوبيون على مسخ أشهر الأعياد الشيعية ، المقترنة بأولى مآسى الشيعة الطالبين ومقاتلهم في سبيل خروجهم بطلب الخلافة ، وأعنى عيد عاشوراء ، الذي كان يعبر فيه الشيعة عن حزنهم الشديد بمقتل الحسين في كربلاء ، وكان يحتفل به في العاشر من محرم من كل سنة ، بحيث أصبح يوم عاشوراء ، عيدًا بهيجًا طوال العصرين الأيوبي (٥)

⁽۱) ضياء الدين بن الأثير: رسائله، نشر المقدسي، ص ١٤٠، س ١٧ - ٢١، وهي ضمن سجل تقليد لمحتسب أيوبي بالشام، وأنظر قبله.

⁽٢) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ، ص ٤٥ - ٦٥ ، ولقد صورت ، بعثة دار الكتب المصرية إلى البمن سنة ١٩٥١م و ١٩٦١م عددًا من كتب الدعوة الإسماعيلية وكتب المعتزلة التي احتفظ بها الشيعة الزيدية باليمن ، للتقارب الفكرى والعقائدى بينهم وبين كل من المعتزلة والإسماعيلية و ثما اعتز به أن والدى المرحوم الأستاذ فؤاد سيد رئيس قسم المخطوطات الأسبق بدار الكتب المصرية ، كان عضوًا بهاتين البعثين .

⁽٣) أنظر كتاب النوادر والتعليقات ، لأبي على الهجرى ، الذي حقق أخيرًا في العراق سنة ١٩٨٠م إذ إعتمد في تحقيقه على نسخة قديمة خزائنية برسم خزانة الخلفاء الفاطميين .

⁽٤) عن هذه الأعياد المذهبية للفاطمين أنظر ماجد: نظم الفاطمين وسومهم في مصر، ج ١، ص ١٢٥ - ١٣١ وأهمها عيد الغدير، في ١٨ ذى الحجة، وهو ذكرى وصاية النبي لعلى في موضع يسمى غدير خم، وعيد عاشوراء، وهو ذكرى مقتل الحسين بكربلاء في ١٠ عرم.

⁽٥) عن الرسوم الحزينة ليوم عاشوراء في عهد الفاطميين ، أنظر المقريني : الخطط ، ج ٢ ، ٢٨٩ - ٢٩١ ، وعن الرسوم البهيجة ليوم عاشوراء في عهد الأيوبيين والمماليك ، أنظر أيضًا المقريزي : الخطط ، ج ٢ ص ٣٨٥ حيث يقول تحت عنوان (يوم عاشوراء) " كانوا يتخذونه يوم حزن ، تعطل فيه الأسواق ، ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن .. وكان يصل إلى الناس منه شيء كشير ، فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور ، يوسعون فيه على عيالهم ، ويتبسطون في المطاعم ، ويصنعون الحلاوات ، ويتخذون الأواني الجديدة ، ويكتحلون ويدخلون الحمام جريًا على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ، ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبي طالب ، كرم الله وجهد ، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء ، وحزن فيه على الحسين ابن على ، لأنه قتل فيه ، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء ، يوم سرور وتبسط ، وكلا الفعلين غير جيد ، والصواب ترك ذلك ، والاقتداء بفعل السلف فقط . (المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٥) .

والمماليكي (١) ، وعلى هذا النحو وصل إلينا موسم عاشوراء ، واقترن بصنع أطباق الحلوى من حبوب القمح ، رغم أن هذا الاحتفال البهيج بعاشوراء ، كان في الأصل وسيلة يلجأ إليها أعداء الشيعة في مصر الأيوبية ، لإغاظة بقايا المتشيعين للفاطميين بمصر (٢) ، والطريف أن عيد عاشوراء ، ظل يحتفل به احتفالاً حزينًا بالعراق العباسي حتى بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر (٣) .

⁽١) أوضح المفسر والمؤرخ والفقيم الحافظ ابمن كثير ، أن أصل الرسوم الحزينة التي اتخذهما الفاطميون لعيمد عاشوراء يرجع أول ظهورها إلى ملوك بني بويه الشيعة بالعراق ، أما الرســوم البهيجــة التــى اتخذهــا الأيوبيــون ليوم عاشوراء ، فيرجع أول ظهورها إلى الأمويين والنواصب (أعــداء الشبعة) في العصر الأمـوى : فيقـول ابن كثير : " وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها ، فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء . ويذر الرماد والتبن في الطزقات والأسواق ، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتين، موافقة للحسين لأنه قتل عطشانًا. ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ، ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن ، حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة .. وإنما يريدون بهذا وأشباهه ، أن يشنعوا على دولة بني أمية ، لأنه قتل في دولتهم . وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء ، النواصب من أهل الشام ، فكانوا إلى يـوم عاشـوراء ، يطبخـون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ، ويلبسون أفخر ثيابهم ، ويتخذون ذلك اليوم عبدًا ، يصنعون فيه أنواع الأطعمة ، ويظهرون السرور والفرح ، يرون بذلك عناد الدوافض ومع كستهم . راجع ابن كثير : استشمهاد الحسين ، طبع بمطبعة المدني ، بتحقيق محمد جميل غازي ، القاهرة ١٣٩٧هـ ، ص ١٣٠ - ١٣٣ ، وعن رسوم بني بويه والفاطميين في عاشوراء وتفنيد الفقيه السني ابن تيمية لها: أنظر ابس تيمية: رأس الحسين، طبع في ذيل كتاب استشهاد الحسين لابن كثير ، وانظر على الخصوص ، ص ١٦٨ - ١٦٩ . كذلك تتبع ابن تيمية ، أصل التناقض في الاحتفال بيوم عاشوراء عند الشيعة والمعادين لهم في رسالة ألفها بعنوان : " سؤال في يزيد بن معاوية ، نشرت بتحقيق صلاح الدين المنجد ، الطبعة الثالثة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، ص ١٧ - ١٩ ، حيث يقول ابن تيمية : " .. كان بالعراق طائفتان : طائفة من النواصب تبغض عليا وتشتمه ، وكان منهم الحجاج بن يوسف ، وطائفة من الشيعة ، تظهر موالاة أهل البيت، منهم المختار ابن عبيد الثقفي .. ، فصار النواصب والروافض يحتفلون بيوم عاشوراء ، هؤلاء يتخذونه يوم مأتم وندب ونياحة ، وهؤلاء تتخذونه يوم عبد وفرح وسرورًا ، وكل ذلك بدعة وضلالة .. وليس في دين الإسلام أن يجعلوا يوم قتل أحد مأتمًا وكذلك اتخاذه عيدًا بدعــة .. والجديـر بالالتفـات أن يـوم عاشــوراء كــان عيدًا دينيًا أيضًا عند العرب في الجاهلية ، أنظر ابن حجر العسقلاني : فتح البارى في شرح صحيح البخارى ، طبعة الحلبي ، ج ٥ ، ص ١٤٧ - ١٥٣ .

⁽٢) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، ص ٣٥ .

⁽٣) حدث ذلك سنة ٧٧٦هـ ، نتيجة لتشيع أهل حى الكرخ الشيعة ، راجع تفاصيل هذا الاحتفال الشيعى في العراق العباسي عند سبط ابن الجوزى : مرآة ج : ١ ٣٨٧ - ٣٨٧ .

واستكمالاً لهذه الخطوة ، أقدم الأيوبيون على صبخ الأعياد والمواسم الدينية بمصر ، بصبغة سنية ، بقيت إلى اليوم في جميع احتفالاتنا الدينية ، واهتم الأيوبيون اهتمامًا خاصًا بذكرى المولد النبوى (1) . وذلك لتعويض المصرين ، ما تعودوا عليه وافتقدوه من الأعياد الشيعية المرتبطة بآل البيت النبوى ، وأهمها عيد عاشوراء . وأغلب الظن أن الاحتفال بالمولد النبوى ، على النحو الذى نقيمه اليوم من نصب السرادقات والقباب والخيام في الساحات ، وملئها بانواع الألعاب المختلفة ، وأنواع الحلوى ، يرجع أول ظهوره بمصر على هذه الهيئة إلى العصر الأيوبي وإن كان الفاطميين هم أول من أحدثوه بمصر ، ويبدوا أن الأيوبيين قد استعاروا رسوم الاحتفال بالمولد النبوى ، عن مظفر الدين كوكبرى ، صاحب أربل ، وهو حاكم إسلامي تركماني ، توارثت أسرته حكم مدينة أربل ، وهي إحدى عواصم إقليم الجزيرة الفراتية ، إذ وجه هذا الحاكم وكان معاصرًا لصلاح الدين ، وتابعًا له الماليكي والعثماني ، اشتهر نظم الشعراء لأحداث المولد النبوى شعرًا في قصيدة تعرف بد «المولد» وتنشد عند الاحتفال بهذه الذكرى الدينية الكريمة (٢).

الكتب والفنون ، طبع استانبول ، ج ٢ ، ص ١٩١٠ - ١٩١١ .

⁽۱) راجع تعداد القلقشندى لأعياد المسلمين ، في صبح الأعشى ، ج ٢ : ٤١٦ – ٤١٧ . أحمد تيمور باشا : التذكرة التيمورية ، ص ، ٣٩٩ – ٣٩٩ .

⁽٢) يقول ابن خلكان في ترجمة مظفر الدين كوكبرى : " وأما احتفاله بمولد النبي " (صلى الله عليـه وسـلم) ، فإن الوصف يقتصر عن الإحاطة به ، لكن نذكر طرفًا منه : وهو أن أهـل البـلاد ، كـانوا قـد سـعوا بحـــن اعتماده فيه ، فكان في كل سنة ، يصل إليه من البلاد القريبة من أربل ، مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي - خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولايزالوا يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب ، كل قبة أربع وخمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر ، منها قبة له ، والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحمد قبة ، فإذا كان أول صفر ، ذينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة ، وقعد في كل قبة جوق من المغاني ، وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق في كل قبة ، حتى رتبوا فيها جوقًا ، وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ، (ابن خلكان : وفيات ج ٤ ، ص ١١٧ - ١١٨) ، وبعد أن يصف ابـن خلكـان بالتفصيل رسـوم اشتراك مظفر الدين كوكبرى وأمراء دولته وصوفيه الخوانق بمدينة أربل في الاحتفال بالمولد النبوي (أنظر ابن خلكان ، وفيات ج ٤ ص ١١٨ - ١١٩) وهي تفاصيل شيقة جدًا ، يقول ابن خلكان : وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحيه ، وصوله إلى أربل ، وعمله لكتاب : التنوير في مولد السراج المنير ، لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وأنه أعطاه ألف دينار ، كما وصف ابن خلكان مظفر الدين كوكبرى بأنه شديد المسل إلى أهسل السنة والجماعة ، وأنظر أيضًا ترجمة مظفر الدين كوكبرى ودخوله في طاعة صلاح الدين الأيوبي ومنشآته الاجتماعية ورسوم احتفالاته بالمولد النبوي ، عند سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ : ١٨٠ – ٦٨٣ . (٣) عن المؤلفات والقصائد المؤلفة بعنوان " المولد النبوي " أنظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسماء

ولاشك أن اقترن بمحو الرسوم الفاطمية من مصر ، أبطال التعامل بالعملات الفاطمية ، خاصة وأنها كانت تحمل نقش العقيدة الفاطمية المؤيدة لحقهم في الخلافة « لا إله إلا الله ، محمد رسوم الله ، على ولى الله » وكما أنها كانت تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين ، وصيغ عقائدية فاطمية ، كما أن بعضها كانت عملات تذكارية تفرق في المواسم والأعياد المذهبية الشيعية على المقربين ، استمالة لهم لعقيدة الدولة (1) ، وإن لم يحل هذا من ظهور صدى هذه الصيغ على بعض العملات الأيوبية ذاتها (٢) ، إذ لم ينسى عمال السكة المصريين هذه الصيغ التي عهدوها لمدة طويلة بسهولة .

ومع ذلك ، فقد بقيت بعض خصائص الاحتفالات الفاطمية بالمواسم الدينية بمصر ، عالقة في أذهان المصريين ، محببة إلى نفوسهم ، بحيث لم يستطع الأيوبيون ، بكل ما بذلوه من جهد ، اقتلاعها من قلوبهم ، إذ بقيت الاحتفالات الرمضائية مثلاً إلى اليوم ، تحمل ولاشك أثرًا فاطميًا ، حتى أننا لا نجد للاحتفالات الرمضائية المصرية ، أثر في البلاد العربية والإسلامية التي لم يستقر بها حكم الفاطميين .

ولما كان نسل البيت الفاطمى، عثل بالنسبة للسلطنة الأيوبية السنية بمصر، الوريث الشرعى للخلافة الفاطمية المنهارة، بعد موت الخليفة العاضد، كبير البيت الفاطمى، والقائم بالخلافة، وكان الأيوبيون يصبون لإقامة سلطنة وراثية فى أسرتهم المالكة بمصر، فإن دواعى السياسة وطبائع الملك، حتمت على الأيوبيين، طوال حكمهم بمصر، أن يتحفظوا على جميع أفراد البيت الفاطمى، خشية أن يظهر من دعاتهم من يجمع حولهم الأتباع والمريدين والراغبين فى إعادة دولتهم، وفى هذا ما قد يزلزل عروش الأيوبيين، خاصة وأن الفاطميين ينتسبون إلى بيت النبوة، فى حين أن الأيوبيين، ينحدرون من أصل كردى، وتبوأ آباءهم المناسب الحربية والإدارية بالكدح والسعى والطموح الدؤب، فلا ريب أن أى مقارنة بين الأسوتين الفاطمية والأيوبية، المتصارعتين على عرش مصر، كان من شأنه أن يرجع كفة الفاطميين لانتسابهم إلى البيت النبوى.

لذلك عهد صلاح الدين ، بأفراد البيت الفاطمي ، إلى مملوكه بهاء الدين قراقوش الذي احتجزهم أولاً في بعض حجرات القصر ، بعد أن فرق الرجال عن النساء كي لا يتناسلوا ، تمهيدًا

⁽١) أنظر عبد المنعم ماجد: النقود الفاطمية بمصر ، حوليات كلية الأداب ، جامعة إبراهيم (عين شمس) المجلسد الثاني ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٨ .

⁽²⁾ p. Balog, monnaies islamiques rares fatimidis et ayoubites B.I.E. XX VI, 2, P 827-846, LE Cairo, 1955.

لانقراض نسلهم (۱) ، ثم أخلى القصور من سكانها وأقفل أبوابها (۲) ، وحبس أفراد البيت الفاطمى فى دار الضيافة (۲) ، ويبدو أنهم ظلوا بهذه الدار ، حتى أنتقبل الملك الكامل فى سنة ٤٠٣ه / ٧٠٧ م بمقر سلطنة من دار الوزارة بمدينة القاهرة ، إلى قلعة الجبل بعد الفراغ من بنائها ، واصطحب معه بقايا الفاطميين ، وحبسهم فى سبحن القلعة ، على هيئة البيت (٤) ، ولقد ظل بقايا الفاطميين مجبوسين بالقلعة حتى نهاية العصر الأيوبي ، بحيث رآهم المؤرخ ابن واصل فى سبحن القلعة وتحدث إلى بعضهم (٥) ، ولما كان المساليك هم ورثة سلطنة الأيوبيين ، وكانوا فى الأصل أرقاء ، عارون من أى نسب ، فطبيعى أن بقى المماليك على بقايا الفاطميين ، فى سجنهم بالقلعة ، حتى حولوا منه فى نسب ، فطبيعى أن بقى المماليك على بقايا الفاطميين ، فى سجنهم بالقلعة ، حتى حولوا منه فى نسب ، فطبيعى أن بقى المماليك على بقايا نسل الفاطميين فى سجون الأيوبيين والمماليك حوالى قرن ونصف ، يؤيد كونهم فعلاً من النسل النبوى ، وإلا فما الداعى لسجنهم هذه المدة حوالى قرن ونصف ، يؤيد كونهم فعلاً من النسل النبوى ، وإلا فما الداعى لسجنهم هذه المدة المديدة ، وما الخطورة التى عساها أن تنشأ من بعض المدعين بعد زوال دولتهم بقرن ؟! .

Casanova: Les Derniers Fatinides, Memoires de la Mission Archologique Française du Caire, Tome VI, 1893, pp. 415-445.

⁽١) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٣ – ٤٩٥ .

⁽۲) أنظر المقريزى : الخطط ، ج ۲ ، ص ۳۹۶ – ۳۷۹ .

⁽٣) المقريزى: الخطط، ج ٢ ، ص ٣٣٨ عند الحديث عن دار الضيافة. ولقد ذكر المقريزى فى موضع آخر، الخطط، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، أنهم بعد أن أخرجوا من القصر سكنوا أولاً دار المظفر، ثم نقلوا إلى القلعة، ولقد أورد المقريزى حصر لعدد هؤلاء الفاطميين، سواء من الرجال أو النساء، ولقد أفاد أنه كان فيهم الأمير داود بن العاضد، وكان ولى العهد ويُنعت بالحامد لله، وجميع أخوته وجماعة من بنى أعمامه أولاد الخليفة الحافظ لدين الله. ولقد ذكر المقريزى أسماء هؤلاء الأفراد بأسمائهم كاملة، فيراجعوا هناك. وانظر عن بقايا النسل الفاطمي أيضًا ابن واصل، مفرج، ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١ .

S. M. Stern: The Succession of the Fatimid Imam Al-Amir The Claims of the Later Fatimids to the Imamate, and the Rise of Tayyibi Ismailism. Oriens, Vol. 4. No 2, pp.93.

⁽٤) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

⁽٥) اين واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢١١ .

⁽٦) المقريزى: السلوك ، ج ١ ، ص ١٦٩ ويذكر المقريزى فى الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ ، خبرًا طويلاً فحواه أن الملك الظاهر بيبوس قد جمع فى سنة ، ٣٦ه ، من بقى من أمراء الفاطميين من أيناء العاضد فى سجن القلعة ، وأشهد عليهم فى وثيقة رسمية أنهم لا يمتلكون أى شىء من بقايا القصور الفاطمية ولا المنشآت الواقعة داخل مدينة القاهرة الفاطمية وأخذوا خطوطهم بذلك ، وأرخ هذه الوثيقة بتاريخ ١٣ ربيع الأول سنة ، ٣٩٨ .

وفي رأى البعض أن بناء الأيوبين لقلعة الجبل ، خارج مدينة القاهرة ، كان بهدف أن تكون معقلاً لهم من ثورات وانتقاضات الشيعة ، الرامية إلى إعادة الدولة الفاطمية (۱) ، ويبدو أن لهذا الرأى ما يؤيده في وثائق الأحداث في عصر بني أيوب ، فلقد حاول بعض دعاة الإسماعيلية بالقاهرة في ما يؤيده في وثائق الأحداث في عصر بني أيوب ، فلقد حاول بعض دعاة الإسماعيلية بالقاهرة في المحبوسين بها ، وإعادة الخلافة الفاطمية (۲) ، كذلك يذكر المؤرخون أنه كلما قامت ثورة شيعية في مصر أو في الصعيد أو في أي جزء من الأقاليم المصرية ، كان الأيوبيون ، يشددون إجراءات الجبس والاعتقال على الفاطمين بالقلعة ، بل ربما كبلوهم بالأغلال (۲) ، خشية محاولة شيعتهم إطلاق سراحهم ، ومع ذلك فإنه لا يمكن أن يعد بناء قلعة الجبل مجرد وسيلة لاحتماء الأيوبيين من الثورات الشيعية بمصر ، فلاشك أن بناء القلعة كان عملاً عسكريًا بعيد المدى ، يهدف إلى تحصين مصر ضد هجمات الفرنج ، خاصة وأن مشروع بناء القلعة ، قد ارتبط به مشروع آخر لم يكتمل ، هدف إلى إحاطة عواصم مصر الإسلامية الأربع ، الفساط والعسكر والقطائع والقاهرة ، بسور واحد ، خاصة وأن الصليبين قد تهددوا القاهرة نفسها عاصمة الفاطميين ، أكثر من مرة ، في نهاية عصر دولتهم .

وبعد نقل الأيوبيين مقر الحكم بمصر إلى قلعة الجبل ، انتهزوا هذه الفرصة ، لابتذال مدينة القاهرة ، عاصمة الفواطم ، التى ظلت طوال مدة دولتهم ، مدينة ملكية ، خاصة بسكنى الخلفاء ، وطوائف العسكر ، ورجال البلاد ، وأرباب الدواوين ، كما كانت فى نفس الوقت حصنًا عسكريًا ، بحيث كان أغلب أهل مصر ، يسكنون مدينة الفساط (أ) ، وقد علق المقريزى على ابتذال عاصمة الفاطميين بقوله : « فصارت القاهرة مدينة سكنى ، بعد ما كانت حصنًا يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ إليها ، فهانت بعد العز ، وابتذلت بعد الاحترام ، وهذا شأن الملوك ، مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم » (٥) .

⁽١) أنظر بول كازانوفا : تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ترجمة أحمد دراج ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ، ذكـى محمد حسن : قلعة الجبل ، مجلة الكتاب ، أكتوبر ١٩٤٦ ، ص ٨٧٣ – ٨٨٨ .

⁽۲) أنظر المقريزى: السلوك، ج ۱ ، ص ۱۰۱ ، المقريزى: الخطيط، ج ۱ ، ص ۳۹٥ نقلاً عن مياومات القاضى الفاضل، وأنظر بعده.

⁽٣) أنظر المقريزى : السلوك ، ج 1 ، ص ٨٧ هـ ، حيث يذكر أنه في سنة ٥٨٠ ، رسم السلطان بتقييد أولاد الخليفة العاصد الفاطمي ومن بقي من أقاربه ، أنظر بعده .

⁽٤) راجع فريد شافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص ٣٢٤ - ٣٢٦ .

⁽ه) عن مناقشة هذه القضية أنظر: , Mamour: Polemies on the origin of Fatimi Caliphs. London القضية أنظر

النسب الفاطمي وطعن الأيوبيين بمصر فيه:

وارتبط بإبادة الأيوبيين ، لجميع التراث الفاطمي من مصر ، أحياءهم لقضية قديمة شهيرة ، أغلب الظن أن أول من ابتدعها وروجها خلفاء بني العباس ، وهي قضية انتحال النسب الفاطمي إلى البيت النبوى ، وإشاعة أن الفاطمين ينحدرون من نسل يهودى أو مجوسى ؛ فلا شك ، أن الخلافة الفاطمية ، كانت تهدد شرعية الخلافة العباسية ، لانتسابها إلى بيت من قريش ، أكثر قرابة للنبي من البيت العباسي ، وهو البيت العلوى ، فكان الطعن في حقيقة انتساب الفاطمين لعلى بن أبي طالب في الواقع ، محاولة لهدم السند الشرعي للخلافة الفاطمية ، والسلاح الذي يستطيع الفاطمين عن طريقه تهديد أحقية بني العباس في الخلافة "

وبلغت قضية الطعن فى نسب الفاطميين ، أوج تصعيدها ، فى عهد الخليفة العباسى ، المقتدر بالله ، الذى كتب محضرًا وقع عليه فقهاء العراق ، وبعض كبراء العلويين العراقيين ، مشل الشريف الرضى ، يشهدون فيه بانتحال نسب الخليفة المصرى الفاطمى الحاكم بأمر الله (٢) ، ثم ما لبشت هذه القضية أن فترت ، وقل الاهتمام بها ، ربما لعدم صحتها (٦) ، وتهاوى أدلتها وظهور تدليسها ، وعدم جدوى الخوض فيها .

ولكن بسقوط الخلافة الفاطمية من مصر ، وحبس الأيوبيين لبقايا النسل الفاطمى ، وتربع بنى أيوب على عرش مصر ، أصبحت الفرصة مواتية للطعن فى نسب الفاطميين مرة أخرى بعد أن زالت دولتهم ، وكثر أعداءُهم ، وكسرت شوكة شيعتهم وأنصارهم ، وأبيد تراثهم .

فنجد عددًا كبيرًا من المؤرخين المعاصرين لسقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولـة الأيوبيـة ، مشل ابن خلكان (٤٠) ، وابن حماد (٥٠) ، وأبى شامة (١٠) ، وابن واصل (٧٠) ، يطلقون على الفاطميين اسم

⁽١) عن مناقشة هذه القضية راجع ,Mamour, Polemies on the origin of fatimi Caliphs. london, والقضية راجع ,1934. 1934. 1934. 1934 ماجد: ظهور الخلافة ، ص ١٩٦٨-١٩٦٨ ، عباس العقاد: فاطمة الزهراء والفاطميون ، مجموعة الهلال ، سنة ١٩٥٨ ، وهذه المراجع الثلاثة تؤيد صحة النسب الفاطمي ، وتُدَلِّل على ذلك في حين ذهب البعض مثل الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية إلى اعتقاد زيف النسب الفاطمي ، أنظر : محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله .. إلخ . الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ / السب الفاطمي ، من ٢٩ - ٢٧ .

⁽٢) أنظر ابن الجوزى : المنتظم ، ص ٧ ، ص ٢٥٥ .

⁽٣) راجع ماجد : ظهور الخلافة ، ص ١٦٢ – ١٦٧ .

 ⁽٤) أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣: ١١٦-١١٩ (ترجمة عبد الله ، المهندى العبيندى) ، و ج ٣ :
 ١٩٠٩ ترجمة الخليفة العاضد (آخر ملوك مصر من العهدين " كذا ") .

⁽٥) أنظر ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد .

⁽٦) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٩–٥١٦ .

⁽۷) أنظر ابن واصل: مفرج، ج۱، ۲۱۰–۲۱۱.

« بنى عبيد » إشارة إلى انتسابهم إلى عبيد الله بن ميمون القَدَّاح المجوسى ، بل نجد أبو شامة ، يخبرنا بأنه ألف كتابًا منفردًا ، يدلل فيه على زيف نسب الفاطميين ، سماه : « كشف ما كان عليه بنو عبيد، من الكفر والكذب والمكر والكيد » (١) ، والكتاب رغم أنه فقد ولم يصل إلينا إلا أن الهدف الدعائى الهادف إلى الطعن في نسب الفاطميين ، ظاهرًا من عنوان الكتاب ، بحيث يكاد يعلن صراحة عن تحامل أبي شامة على الفاطميين .

ولقد خصص أبو شامة في كتابه الروضتين ، صفحات طوال ، حاول فيها التدليل على انتحال نسب الفاطميين ، اعتمادًا على نقول نقلها عن كبار دعاة المذهب الأشعرى ، من مؤلفات خصصوها في الطعن على الفاطميين ومذاهبهم وأحقيتهم في الخلافة . مشل كتاب كشف أسرار الباطنية ، لأبي بكر الباقلاني (٢٠) . وكتاب « الرد على الباطنية لأبي القاسم الشاسي (٣٠) ، إلى جانب محاولته الإيهام بأنه تتبع نسب الفاطميين في كتب الأنساب العلوية ، التي ألفها الأشراف العلويين ، فلم يجد للنسب الفاطمي أي صلة بهذه الأنساب العلوية (٤٠) ، كما راح يعلل الأبيات المشهورة التي قالها الشريف الرضى ، نقيب العلويين بالعراق ، والتي يعترف فيها بانتمائه هو والخليفة الفاطمي إلى النسل العلوي والبيت النبوى ، تعليلات لا تصمد أمام أقل تفنيد (٥) .

واستند كل من أبى شامة وابن واصل ، على حجة قوية فى الواقع ، لازال الباحثين إلى اليوم لا يجدوا لها تعليلاً ، وهى أن الفاطميين بعد ظهورهم من فترت الستر ، وقيام دولتهم بالمغرب ، ثم انتقالها إلى مصر ، واستمرارها أكثر من قرنين من الزمان ، ظلوا يكتمون أخبار أنمتهم المستورين، الذين ظلوا فى فترة الستر ، أكثر من مئة عام ، ولا يذكرون شيئًا عنهم ، وهنا يلاحظ كل من ابن واصل (٢) ، وأبو شامة (٧) . إن كتمان الفاطميين لأخبار هؤلاء الأئمة المستورين حتى بعد قيام دولتهم واستقرارهم يؤكد زيف انتسابهم للبيت النبوى ، لأنه لا داعى لكتمان أخبارهم بعد انتهاء فترة الستر وقيام الدولة .

⁽١) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٩٥ .

 ⁽٢) أبو شامة : نفس المصدر ، ص ١١٥ .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٤ ٩ وأنظر أيضًا . بالإضافة إلى هذه الكتب فى الرد على الباطنية الفـاطميين لدعاة الأشاعرة الباقلانى والشاشى ، كتاب آخر لداعى أشعرى آخر هو أبـو حـامد الغزالى : كتـاب فضـائح الباطنية ، تحقيق أخنانيوس جولد تسيهبر ، مطبعة بريل ليدن سنة ١٩١٦ .

⁽٤) أبو شامة : نفس المصدر ، ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ .

⁽٥) نفس المصدر ، ص ٥١٥ .

⁽٦) راجع ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢١٠ – ٢١١ .

⁽٧) راجع أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٠٩ – ١٦٥ .

ولاشك أن هذه الحجة التى استند إليها مؤرخو بنى أيوب للطعن فى نسب الفاطميين قوية ، ووجيهة ومنطقية ، إلا أنه يبدو لنا أن أئمة الفاطميين فى دور الستر أضطروا بالفعل إمعانًا فى التخقّى بإدعاء انتسابهم لنسل يهودى أو مجوسى ، لإبعاد أى شبهة حولهم من كونهم أبناء بيت النبوة ، وربحا أيضًا اضطروا إلى امتهان بعض المهن التواضعة ، إمعانًا أيضًا فى التخقّى مثل قدح الحديد والكحالة ، فلما قامت دولتهم استنكف أحفادهم الأئمة الفاطميين بالمغرب ومصر ، تسجيل ذكريات هذه الأيام الأليمة ، التى اضطر آباؤهم وأجدادهم إمعانًا فى التقية ، وخشية من تتبع بنى العباس وبطشهم من امتهان مهن مستحقرة ، والانتساب إلى ديانات يهودية ومجوسية ، ففى هذا ولا ريب ما يسىء إلى خلفاء الفاطميين ، بعد أن تربعوا على عرش الخلافة ، والواقع أن ابن واصل قد ذكر واقعة حوار حدث بينه وبين بعض أبناء الفاطميين بسجن القلعة ، يفهم من بين سطورها ، إن ابن واصل يحاول التخلص من طعنه فى النسب الفاطمي. (١)

ويقوى من اعتقادنا بأن إحياء مؤرخى بنى أيوب ، لقضية انتحال النسب الفاطمى ، قد أوحى إليهم بها تملقهم للدولة الأيوبية الجديدة ، وزوال الخلافة الفاطمية من مصر ، وانقراض شيعتها من البلاد ، إن هؤلاء المؤرخين قد عمدوا إلى تشويه تاريخ الفاطميين على نحو ينكره أى عالم بتأريخ دولتهم وما حققوه للإسلام من انتصارات ، وما حققوه للحضارة الإسلامية من رفعة وإزدهار ؛ نحن لا ننكر على أبى شامة أن يربط بين الحركة الفاطمية ، وحركة القرامطة فى العراق والبحرين ، وحركة الزنج بالبصرة (٢) ، فكلها فى الواقع حركات علوية شوهتها أيضًا الدعاية العباسية ؛ ولكننا ننكر عليه أن يربط بين المدعوه الإسماعيلية والمدعوة النصيرية والدرزية بالشام (٣) ، لأن هذه المدعوات كانت دعوات متطرفة ، أعلن الخلفاء الفاطميون أنفسهم تبرؤهم منها (١) ، كما أننا نرى فى اتهامه كانت دعوات متطرفة ، أعلن الخلفاء الفاطميون أنفسهم تبرؤهم منها الإراء ألإلحادية ، وأن دولتهم كانت نكبة على الإسلام ، لأن الصليبيين أخذوا بلاد الشام فى عصرهم (٥) ، تشويها متعمدًا لتاريخ نكبة على الإسلام ، وقلبًا لحقائق التاريخ ، بطريقة يأباها المؤرخ المنصف .

⁽۱) يقول ابن واصل: " وبقى منهم (الفاطميون) رجلان مجبوسان بقلعة الجبل ، شيخان ، جدهما العاضد ، وكان أحدهما واسمه القاسم ، قد بلغه أنى صنفت تاريخًا للسلطان الملك الصالح وذكرت فيه أخبار هؤلاء القوم ، وما قاله النسابون فيهم ، وأن بعضهم قال أن أصلهم من اليهبود ، فطلعت يومًا إلى القعلة المحروسة ودخلت على باب الحبس ، والقاسم ابن العاضد هذا قاعد على بابه فسأل عنى ، فعرف بى ، فاستدعانى ، فأتيته ، فقال : " أنت ذكرت أن نسبنا يرجع إلى اليهود؟ ، فخجلت منه وما أمكننى له إلا الاعتراف بذلك ، وأحلت الأمر على أقوال المؤرخين فسكت ، (مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢١١) .

⁽٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١٥ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ١٩٥ .

⁽٤) أنظر ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، ص ١٠٥ – ١٢٦ .

⁽٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١٥ .

والطريف أنه في نفس الوقت الذي راح فيه مؤرخو بني أيوب ، ومتملقوا دولتهم الفتية ، يشوهون فيه تاريخ الخلافة الفاطمية ، ويحاولون الطعن في نسب الفاطمين ، راح فريق آخر من المؤرخين الذين عاصروا سقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية ، يؤلفون في تاريخ ونسب الخلفاء العباسيين ، الذين يتبنى سلاطين بني أيوب دعوتهم السياسية ، وخطبوا لهم على منابر دولتهم (۱) ، بل وفي المسجد الجامع بمدينة القسطنطينية (۲) ، عاصمة العالم المسيحي آنذاك .

فالف كل من أبى السرور السروجى (٣) ، وهو مؤرخ مصرى عاصر نهاية حكم الفاطمين ، وابن دحيه الكلبى (٤) ، وهو محدث ومؤرخ أندلسى ، نال الحظوة فى بلاط الأيوبيين ، كتابين فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، منذ ظهور دعوتهم حتى عصر الخليفة العباسى المعاصر لهم ، ثم أصبح التأريخ لخلفاء بنى العباس ، تقليدًا احتذاه الكثيرون من شيوخ مصر الإسلامية فى العصر المماليكى ، مثل شمس الدين السخاوى (٥) ، وجلال الدين السيوطى (٢) ، وغيرهم .

⁽١) أنظر ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٠٠-٢٠١ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٦ ، حيث خطب الأيوبيون للخلافة العباسية بمصر عاصمة الخلافة الفاطميسة ، وفي القيروان التابعة للخليفة ابن عبد المؤمن الموحدي المغربي ، وفي اليمن وكان تابعه أيضًا للفاطمين ، أنظر قبله .

⁽۲) أنظر ابن شداد: النوادر السلطانية ، ص ۱۲۵-۱۲۹ ، ۱۳۲-۱۳۳ . سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ، ج ۱ ، ج ۸ ، ٤ ، ٤ حوادث سنة ۵۸۱ حيث يقول " ووصل رسول ملك القسطنطينية يعتذر إلى السلطان من الروم ، وكان صديق السلطان ، وأنه خطب للخليفة بقسطنطينية ، وأنظر عبى الدين بن عبد الظاهر: الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم ، ص ۳۷-٤٤ ، ولعل هذا تم بعد المعاهدة بين صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي سنة ۷۷٥ه. فيها قدم رسول ملك القسطنطينية إلى القاهرة ، فوقع الصلح مع صاحبها وأطلق مائة وثمانين أسيرًا من المسلمين ، أنظر المقريزى: السلوك ، ج ۱ ، ص ۷۷ ، ثم عقد صلاح الدين حلفًا بينه وبين الإمبراطور البيزنطي إسحاق الثاني سنة ٥٨٥ه.: أنظر المقريزى: السلوك ، ج ۱ ، ص ۹۸ ، ص ۹۸ هامش (۱) للدكتور زيادة ، وفي سنة ٥٨٦ه، يقول المقريزى: وافي كتاب ملك الروم يقسطنطينية ، بخبر وصول المنبر من عند السلطان ، وكذلك الخطيب والمؤذنين والقراء ، وأن الخطبة تحت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر لدين الله (المقريزى : السلوك ج ۱ ، ص ۱۵) .

⁽٣) هو الفقيه أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى عبد الله محمد بن أبى السرور السروجي المتوفى بعد سنة ٨٤ ٣هـ / ١٢٥٠م واسم كتابه بلغة الظرفاء فسى ذكر تواريخ الخلفاء ، طبع بمطبعة النجاح بمصر ، سنة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .

⁽٤) توفى ابن دحيه الكلبي سنة ٦٣٣هـ وكتابه اسمه " النبراس في تاريخ خلفاء بني العبساس ، طبع في بغداد ، لجنة التأليف والنشر في وزارة المعارف سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

⁽٥) أنظر السخاوى ، ت ٩٠٢هـ : عمدة الناس في مناقب سيدنا العباس ، مخطوط بندار الكتب المصرية برقم ١٥٦٩ تاريخ .

⁽٦) أنظر السيوطي ، ت ٩١١هـ : تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .

والحقيقة أن كل هذه التدابير والوسائل التي استخدمها الأيوبيون ، لإبادة التراث الفاطمي ، وتشويه تاريخ الخلافة الفاطمية ، كانت من الشمول والإحكام ، بحيث كادت تودى بالفعل بذكر الفاطميين ، وتشوه الدور التاريخي الضخم الذي أدته دولتهم في تاريخ الإسلام ، لولا جهود بعض المنصفين من المؤرخين المتأخرين مثل ابن خلدون (١) ، والمقريزي (١) ، الأول في تفنيد قضية انتحال النسب الفاطمي ، والثاني في عرض تاريخ الفاطميين عرضا مفصلاً مسهبًا اعتمادًا على المصادر الأصلية لمؤرخي دولتهم ومعاصريها من المصريين ، ولولا جهود الباحثين المحدثين في التفتيش عن بقايا كتب الدعوة الإسماعيلية في خزائن اليمن والهند والعمل على نشرها ، وتعليل الغلو والاشتطاط في عقائد الإسماعيلية ، ذلك الغلو الذي أملاه عليهم رغبتهم في تأييد أحقتهم في الخلافة ، وحق ائمتهم في الولاية ، أي الطاعة على جميع المسلمين (١) .

ولقد أفصح صلاح الدين عن خطته التدريجية في محو العقيدة الإسماعيلية من مصر ، حين قال لأبيه حين وفد عليه سنة 770 - 110 من السودان وغيرهم ، وإن هذا الأمر إن لم يؤخذ على التدريج ، وإلا فسدت الأحوال» (1) .

القضاء على فتن متشيعي المصريين المناصرين للدولة الفاطمية :

وأكدت الأيام ، صدق حدث صلاح الدين ، وبعد نظره ، إذ أبدى بقايا الشيعة في مصر ، وأنصار الدولة الفاطمية مقاومة مستميته للحكم الأيوبي ، بل لم تمنع الإجراءات التعسفية التي اتخذها الأيوبيون ضد أفراد البيت الفاطمي ، وأمراء دولتهم ، وحاشيتهم وجنودهم ، أحد الشعراء المحيّبين لدولتهم مثل عمارة اليمني ، من أن ينظم قصيدة ، طار ذكرها في الآفاق ، ينعي فيها أيام الفاطميين وأياديهم البيضاء على الوافدين إلى عاصمة ملكهم من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، ويعلن حنينه إلى ذكرى مواسمهم وأعيادهم البهيجة ، وينعي قصورهم ومناظرهم ، ويشيد بالازدهار الصناعي والحضاري الذي عاشته مصر في أيامهم ، خاصة طراز تنيس ، المذي لم يستطع الأيوبيون في رأيه تعويضه بمثيل له . بل لقد تحدى عمارة الدولة الأيوبية الجديدة ، وتحدّي دعاياتها المغرضة للطعن في

⁽١) أنظر ابن خلدون : المقدمة ، طبع بيروت ، ١٩٠٠ ص ٢١ – ٣٣ .

⁽٢) أنظر المقريزى: الخطط، ج ٢، والمقريزى: اتعاظ الحنفا في أخبار الفاطميين الخلفاء، ولقد طبع الجزء الأول من هذا الكتاب مرتين الأولى لتحقيق جمال الدين الشيال. ج ١ والثانية بتحقيق محمد محمود حلمي

⁽٣) أنظر قبله ، وأنظر ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٤ ، محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، ص ١٨ .

⁽٤) أبو شامة : الروضتين ، ق ٢ ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .

نسب الفاطميين ، وصوح في هذه القصيدة بانتماء الفاطميين للنسل النبوى . ونعى على الأيوبيين ، ما أنزلوه بأبناء النبي ، من إهانات فيقول :

> يا عاذلى في هوى ابناء فاطمة ماذا ترى كانت الإفرنسج فاعلة هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما وقد حصلتم عليها واسم جدكم

لك الملامة أن قصرت في عَسدَّل في نسل آل أمير المؤمنين على ملكتم بين حكم السبى والنفل عمسد وأبيكم ، غير منتقسل

بل نظم عمارة قصيدة أخرى صرح فيها بأن الخليفة العاضد ، آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، من نسل النبي ، ولا مجال للشك في ذلك ، فقال :

أسفى على زمن الإمسام العساضد أسفُ العقيم على فراق الواحسد لهفى على حجرات قصرك إذ خلت يا بن البسى من ازدخام الوافد(٢)

بل سرعان ما انخرط الشاعر عمارة اليمنى، فى أول ثورة شيعية حاولت الإطاحة بالسلطنة الأيوبية، وإعادة الخلافة الفاطمية. ففى ٢ رمضان سنة ٦٩ هــ ١١٧٣م، أجمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، منهم القاضى المفضل ضياء الدين ابن كامل القاضى، والشريف الجليس، ونجاح الحمامى، والمفقية عمارة اليمنى، وعبد الصمد الكاتب، والقاضى الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ثم القضاء، وداعى الدعاة عبد الجبار إسماعيل بسن عبد القوى، والواعظ زين الدين ابن نجا، فوشى ابن نجا بخبرهم إلى السلطان، فأحيط بهم، وشنقوا بين القصرين، وشنق معهم جماعة من الأجناد والعبيد والحاشية، وبعض أمراء صلاح الدين ـ ربما لتعاونهم مع النوار ـ وتتبع من له هوى فى الدولة الفاطمية، فقتل منهم كثيرًا، وأسر كثيرًا، ونودى بأن يرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد والسعد(٢).

⁽١) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٧٠ .

⁽٢) نفس المعدر ، ق ٢ ، ص ٥٦٩ .

 ⁽٣) المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ابن واصل : مفسرج ، ج ١ ، ص ٢٤٣ - ٢٥١ . أبسو شسامة :
 الروضتين / ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٠ - ٥٦٥ .

ولم تمضى إلا أيام قلائل على إخماد الأيوبيين لهذه الثورة القاهرية ، التى انخرط فيها جميع كبار رجال الدولة الفاطمية تقريبا ، حتى اشتعلت ثورة شيعية أخرى فى ثغر الإسكندرية رغم غلبة المذهب السنى عليه طوال العصر الفاطمى ، مما كان موضع تعليق صلاح الدين واندهاشه (١) ففى يوم الأحد ٥ ارمضان سنة ٩ ٦ ٥ هـ / ١١٧٣م ، قبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية ، من دعاة الفاطمين ، وقبض على كثير من السودان ، وكووا بالنار فى وجوههم وصدورهم (٢).

ويبدو أن الشيعة وأنصار الفاطميين بحصر ، قد فروا إلى صعيد مصر ، والتفوا حول أحد أمراء العرب المتحمسين للدولة الفاطمية . كان يلقب كنز الدولة . وكان واليا لمدينة أسوان ، فجمع كنز الدولة العرب والسودان في سنة ٥٧٥هـ ـ ١٧٤م ، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية ، وأنفق في جموعه أموالاً جزيلة ، وانضم إليه جماعة عمن يهوى هواهم ، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين ؛ وخرج في قرية طود ، رجل يعرف بعباس بن شادى ، وأخذ بلاد قوص ، وأنهب أموالها . فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل في جيش كثيف ، فسار وأوقع بشادى ، وبدد جموعه وقتله ؛ ثم سار فلقيه كنز الدولة بناحية طود ، وكانت بينهم حروب ، فر منها كنز الدولة ، بعد ما قتل أكثر عسكره ، ثم قتل كنز الدولة ، بعد ما قتل

وتشير الحوادث ، أن أغلب بلاد صعيد مصر ، كانت مؤيدة ، لعودة الخلافة الفاطمية ، متمسكة بالدعوة الشيعية . ففي سنة ٧٧هـ - ١٧٦ م ، حدثت فتنة كبيرة بمدينة قفط ، سببها أن داعيًا من بني عبد القوى - آخر داعي دعاة للفاطميين بمصر - ادعى أنه دواود بن العاضد ، فاجتمع الناس عليه ، فبعث السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل ، على جيش ، فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف ، وصلبهم على شجرها ظاهر قفط بعمائمهم وطيالستهم (٤) ، ثما يؤكد قوة هذه الثورة ، وكثرة مؤيديها .

ورغم تمثيل الأيوبيين ، بنوار مدينة قفط الشيعة ، فإن نشاط دعاة الإسماعيلية لم يفتر في مدن الصعيد ، ففي سنة ٧٧هه/ ١٨١ م ، ظفر والى قوص برجلين من أهل إسنا يدعوان إلى مذهب الماطنية (٥) ؛ ولاشك أن هـندا النشاط المتزايد لدعاة الإسماعيلية في صعيد مصر ، قد أقلق بال

⁽۱) أبو شامة : الروضتين ، ق ۲ ، ص ٥٦٦ ، ابن واصل : مفرج ، ج ۱ ، ص ۲۵۰ . المقريـزى : السـلوك ، ج ۱ ، ص ۵۶ .

⁽۲) المقريزى: السلوك / ج ۱ ، ص ٤٥ .

⁽٣) أبو شامة : الروضتين ، ق ٢: ٥٣١ ، ابن واصل : مفرج ، ج ٢ ، ص ١٦-١٧، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ١٥ - ٥٨ .

⁽٤) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

⁽٥) المقريزى: السلوك، ج١، ص٧٦.

السلطات الأيوبية بالقاهرة ، بحيث رُسم في سنة • ٥ ه هـ - ١ ١ ٨ م ، بتقييد أو لاد الخليفة العاضد ومن بقي من أقاربه (١) .

وكان قلق الأيوبين في موضعه ، فلقد زحف الدعاه والدوار الشيعة من الصعيد إلى القاهرة ، ولى سنة ١٨٥ هـ ١٨٨ م ، ثار في القاهرة إثنا عشر رجلاً من الشيعة في الليل ، ونادوا «يا آل على يا آل على »، وسلكوا الدروب وهم ينادون كذلك، ظنّا منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم، ويقومون في إعادة الدولة الفاطمية ، فيخرجون من الجبوس ، ويملكون البلد ، فلما لم يجبهم أحد تفرقوا (٢) ، فكانت هذه المحاولة دافعًا للسلطات الأيوبية ، إلى نفي بعض أنصار الدولة الفاطمية خارج مصر . ففي سنة ٨٨٥ هـ / ١٩٢ م ، كتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين في الإيوان ودار المظفر ليلا ، بحيث لا يشعر بهم أحد ، حتى يوصلهم المكلف بذلك صرحد (٣) . ومرة أخرى أيدت الأحداث قلق الأيوبين وأغلب الظن أنهم كانوا يستعينون في تتبع نشاط دعاة الشيعة من أولاد حسن بن الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله ، وأحضر إلى الملك العزيز عثمان بن صلاح من أولاد حسن بن الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله ، وأحضر إلى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بالقاهرة ، فقيل له أنت تدعى أنك خليفة ؟ قال نعم ، فقيل له : أين كنت في هذه المدة ، فذكر وشرع يتحدث له في الخلافة ، وأنه تردد على عدة بلاد دعى لنفسه فيها ، وأقطع أناسًا عمن بايعه الإقطاعات ، على أساس قرب توليه للخلافة ، فسجن هذا الفاطمي ، وفي نفس هذه الأيام عثر أيضًا على بعض أقارب الوزير الفاطمي القديم شاور ، وقد ثار بالقاهرة ، فسجن هو وجماعته (٤) .

وكانت آخر ثورة شيعية لإعادة الدولة الفاطمية شهدها العصر الأيوبى سنة ٢٠٤ه - / هـ / ٢٠٧ ، في عصر السلطان الكامل حين كان إبنه الملك العادل ولى عهد ، ففى هذه السنة توفى الأمير داود بن العاضد في محبسه ، وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد إليه ، وأنه الإمام من بعده ، فاستأذن أصحابه الملك الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه ، فأذن لهم ، فبرزت النساء حاسرات، والرجال في ثياب الصوف والشعر ، وأخذوا في ندبه والنياحة عليه ، واجتمع معهم من كان

⁽١) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٧ ، وأنظر قبله .

⁽۲) المقریزی : السلوك ، ج ۱ ، ص ۱ ، ۱ ، المقریزی : الخطط ، ج ۲ ، ص ۳۹۰ نقـلاً عـن میاومـات القـاضی الفاضل .

⁽٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١١ .

⁽٤) نفس المعدر ، ج ١ ، ص ١١٠ - ١١١ .

فى الاستتار من دعاتهم ، فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم ، وقبضوا على المعروفين منهم ، ففر من بقى. ويعلق المقريزى على هذه الثورة بقوله : « وزال من حينئذ ، أصر الإسماعيلية من ديار مصر . ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم »(١) .

محاولة القضاء على بقايا التشيع في الشِّام واليمن :

هكذا قضى الأيوبيون على الخلافة الفاطمية بمصر ، وأبداوا تراثها ، وتتبعوا شيعتها بالقاهرة والصعيد ، حتى لم يجسر أحد على التظاهر بمذهبها ، فانقرضت دعوتها من مصر ، ونحن نؤيد المقريزى فيما ذهب إليه من أن زوال المذهب الإسماعيلي بمصر ، بدأ بقدوم عساكر نور الدين زنكى إليها سنة ٤ ٦ هم / ٢ ٦ ٩ ١ م (٢) ، ولقد أدرك الإسماعيلية أن دعوتهم لم تصب طوال تاريخها المديد، على يد السلاطين السنيين مثل الغزنويين والسلاجقة والزنكيين بمثل النكبة التى نكبوا بهم بسقوط الخلافة الفاطمية ، وهى أعظم دولة شيعية قامت فى التاريخ الإسلامي استحوذت الخلافة ، وكادت تضم المعالم الإسلامي كله تحت لوائها حين خطب لها ببغداد سنة ، ٥ ٤هم / ٥٥ ، ١ م (٣) ، فلا غرو أن نظر الشيعة الإسماعيلية كلهم إلى صلاح الدين ، على أساس أنه هـو الذي أزال دولتهم الكبرى من مصر ، بحيث أننا نجد أن ثوار القاهرة الشيعة في سنة ٢ ٥ هم / ١٩٧٣ م ، ضد صلاح الدين ، قد كاتبوا سنان بن سليمان زعيم النزارية بالشام ـ رغم عداء الدعوة النزارية الشامية مع الدعوة قد كاتبوا سنان بن سليمان زعيم النزارية بالشام ـ رغم عداء الدعوة النزارية الشامية مع الدعوة واحد والكلمة جامعة (٥) .

فلا غرو أن حاول الإسماعيلية النزارية السنانية بالشام اغتيال صلاح الدين مرتين عند خروجه للشام لضم ممتلكات أستاذه نور الدين زنكى ، وكانت محاولة الاغتيال الأولى سنة ، ٥٧ هـ / للشام لضم ممتلكات أستاذه نور الدين زنكى ، وكانت محاولة الاغتيال الأولى سنة ، ١٧٥هـ ما ١١٧٥ م إبان حصاره لمدينة عزاز (٧) فحاول صلاح الدين الانتقام من نزاريه الشام بأن رحل في عاشر محرم ٢٧٥هـ - ١١٧٦م إلى بلادهم

⁽١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

⁽۲) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

⁽³⁾ أنظر قبله .

⁽٤) أنظر قبله .

⁽٥) أنظر أبو شامة : ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٥ ، س ٥ – ٢ ، ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .

 ⁽٦) أنظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢١ – ٢٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة ، ص ٣٢٨ ، أبو شامة :
 الروضين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦١٣ – ٦١٤ .

⁽٧) سبط : مرآة ، ٨ : ٣٣٥ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥٨ – ٦٦٣ .

ونازل قلعة مصياب وفيها مقدمهم وزعيمهم راشد بن سليمان بن محمد صاحب قلاع الإسماعيلية التي تنسب إليه الطائفة السنانية من الإسماعيلية ، ونصب على قلعتهم المجانيق والعرادات عدة أيام ثم رحل ولم يقدر عليهم (١) ، ثم إضطر الفريقان تحت ظروف جهاد الصليبين إلى توقيع الصلح والتعاهد على التعاون على قتال الفرنج (١) .

والجدير بالتنويه ، أن أنصار الدعوة الطيبية باليمن ، بعد أن أسقط صلاح الدين الدولة الفاطمية بمصر ، كانوا يعتبرون أنفسهم الورثة الحقيقيين للدعوة الإسماعيلية القديمة ، المتمثلة في الدولة الفاطمية بمصر ؛ وذلك لأن مبدأ النص قد خولف بتولى الخليفة عبد المجيد الملقب بالحافظ الخلافة بعد ابن عمه الخليفة الآمر ، وهذا ما عبر عنه دعاة الدعوة الطيبية بقولهم : قد ذكرنا تغلب عبد المجيد (الخليفة الحافظ) وادعائه الخلافة والإمامة ، وإمرة المؤمنين ، وإنكار الحرة السيدة (أروى ملكة اليمن الصليحية) ذلك .. ودفع الاختلاط في الناس ، فصار بناء دينهم على غير أساس ، ووقع الستر ، واختفى ولى الأمر (المقصود الخليفة الطيب بن الأمر) فلم يعرف مكانه إلا أوليائه المخلصون .. وخفيت نجوم الدين وأقماره و خل أوليائه وأنصاره ، ما خلا الدعوة في جزيرة اليمن (المن يتبع الداعي إدريس تلاعب وزراء السيوف بالنص في نهاية العصر الفساطمي ويعلق بقوله : فكثر لذلك الاضطراب ووقع في المملكة الخراب ، وكثر الريب والارتياب ، ونسخت أحكام الدعوة الهادية وعطلت ، وتركت وبطلت ، وعاث الناس في المملكة وأفسدوا ، وغلبت الشيعة واضطهدوا (أ) ، ثم يذكر صراحة أن خلافة الخليفة العاضد آخر الفاطميين بمصر لم تكن شرعية لمخالفتها مبدأ النص

⁽۱) ابن العديسم: زيسدة الحلسب، ج ٣، ص ٣٢ - ٣٤، سبط: مسرآة، ج ٨، ص ٣٢٩، ص ٣٣٥، القريزى: المسلوك، ج ١، ص ٣٣٠.

⁽٢) أبو شامة : الروضتين ، ج 1 ، ق ٢ ، ص ٦٦٩ - ٢٧٠ ولقد صاغ أحد الشيعة الإسماعيلية المحدثين ، قصة على أساس هذه المعاهدة للجهاد المشترك بين صلاح الدين وسنان زعيم الإسماعيلية بحصياب ضد صلاح الدين ، أنظر عارف تامر : سنان وصلاح الدين قصة تاريخية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ . وأنظر :

S. Guyard: Un grand maitre des Assassins au temps de Saladin, Hournal Asiatique, VII serie, 9 Janviers - Juin 1877.

⁻ Lewis, B.: Saladin and the Assassins, B.S.O.A.S. 15 (1953), PP. 239-245.

⁻ Lewis, B.: The sources for the History of Syrian Assassins (Speculum 1952, XXVII/4).

⁻ Lewis, B.: Kamal al dins biography of Rasid al-din Sinan, Arabica, Tome XIII, 1966, Fasciule (3) pp. 225-262.

وهو يروى في هذا المقال ، النص العربي الكامل ، لترجمة مقدم النزارية بالشام ، رشيد الدين سنان بن سليمان مسن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم .

⁽٣) الداعي إدريس: عبون الأخبار، ورقة ٢٣٠.

⁽٤) نفس المصدر ، ورقة ٢٣١ - ٢٣٢ .

عند الإسماعيلية وأنه في الأبناء فقط ، وفي رأيه أن صلاح الدين قد استغل تسليم الشيعة بمصر بعدم شرعية خلافة العاضد ، وأعلن سقوط الخلافة الفاطمية ، إذ يقول الداعي إدريس: ولما مات الفائز بن الظافر ، وهل من القصور إلى المقابر ، سعى أرباب الدولة في إقامة ابن عمه الموسوم بالعاضد عبد الله بن يوسف بن عبد المجيد الحافظ ، فأقاموه في الخلافة ، فادعي إمرة المؤمنين ، وكتب بذلك إلى القاصين والدانين في سنة ٥٥٥ه / ١٩٠٥م ، واستوزر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وملكه ، وفوض إليه جميع ما حازه وملكه ، فقام الملك الناصر بأمر الملك وشده ، وتولى حله وعقده ، وضمن أطرافه ومنع أكنافه ، ودعا للعاضد بالإمامة والخلافة ، ثم أن الملك الناصر رأى الأمور قد انقلبت ، وتحقق أن بني عبد المجيد على الخلافة بغير حق قد تغلبت ، وأئمة الحق قد استترت فلم يعلم حيث حلت وذهبت ، فازداد طمعه في الملك ، مع أنه كله قد صار إليه ، ولم يقنع نفسه ، إلا أن يصير الأمر إليه ، ومعول جميعه عليه .. وزالت الدولة العلوية ، فسبحان الذي لا يزول ولا تغيره الحول ، واستولى الملك الناصر يوسف بن أيوب على الملكة في مصر والشام (۱) .

وعلى هذا النحو قضى الأيوبيون على الدعوة الإسماعيلية بمصر واليمن والشام ، واستكملوا ما بدأه الغزنويون والسلاجقة والزنكييون في محاربة الدعوة الإسماعيلية ونشر الدعوة السنية في إيران والشام ، بحيث لم يبق من فرق الشيعة بالعنالم الإسلامي اليوم إلا الدروز بلبنان والشيعة الإثنا عشر يه بإيران والشيعة الزيدية باليمن وبعض الشيعة الإسماعيلية بجبال حراز باليمن إلى جانب بقايا الإسماعيلية الطيبية بالهند الذين يعرفون اليوم بالبهره والدوادية والسلمانية (٢) ، وبقايا الشيعة النزارية الذين يعرفون اليوم بالأغاخانية . أما « الحافظية » فماتت دعوتهم بسقوط دولة الفاطمية بمصر سنة ٢٧٥هـ/ ١٧٧١م (٣) .

وظل التشيع يضعف في مصرشينًا فشينًا ، حتى كاد يمحى منها ، وأصبحت مصر في القرن العاشر الهجرى وما بعده تدين بمذهب أهل السنة والجماعة (٤) ، وإن ظلت بعض شرازم الشيعة متقوقعة في مدن صعيد مصر ، مثل بنو الكنز بأسوان الذين أدرك منهم المؤرخ أبو الفضل الأدفوى

⁽١) الداعي إدريس : عيون الأخبار ، ورقة ٢٣٣ – ٢٣٤ .

⁽٢) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر ، ص ٧ ، ماجد : نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ٦١ .

⁽٣) طه شرف : دولة النزارية ، ص £ .

٤٩ - ٤٨ صين : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .

فى القرن الثامن الهجرى اثنين من أمرائهما ، كانا مشهورين بالمكارم والإحسان (١) ، ويقول الأدفوى عن مدينة أسوان أنه : لما كانت البلاد للعبيدين (أى الفاطمين) غلب على أهلها التشيع ، وكان بها قديمًا أيضًا وقد قل ذلك واضمحل ولله الحمد والمنة (٢) ، أما مدينة إدفو « فكان التشيع بها فاشيًا ، وأهلها طائفتان : الإسماعيلية والإمامية ، ثم ضعف حتى لا يكاد ينبز به إلا أشخاص قليلة جدًا (1) ، كذلك مدينة إسنا : كان التشيع بها فاشيًا ، والرفض بها ماشيًا فجف حتى خف ، ونزل بها الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطى ((1) ، (1) ، (1) ، وكانت «إسفون أيضًا بلدة معروفة بالتشيع الشنيع ، لكنه جف بها وقل (1) »

كذلك ظلت ذكرى تشيع المصريين ، تترك أثرها في صور تشبيهات الشعراء المصريين من أهل السنة بعد سقوط الدولة الفاطمية (٢) ، كما ظهر بمصر بعد سقوط الخلافة الفاطمية أيضًا بعض الشعراء المتشيعين عقيدة (٧) ، وظلت ذكرى الفاطميين ماثلة إلى اليوم في نفوس المصريين ونلمسها بوضوح في حنين المصريين الجارف لآل البيت ، واعتزازهم بأضرحتهم بمصر ، رغم أن السيدة نفيسة ، هي الوحيدة من آل البيت الثابت تاريخيًا أنها مدفونة بمصر (٨) .

⁽۱) الأدفوى ، ت ٧٤٨هـ ، الطالع السعيد ، الجامع أسماء نُجَباء الصعيد ، تحقيق شعد محمد حسن ، مراجعة طه الحجرى ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٣٠ .

⁽٢) الأدفرى: الطالع السعيد، الجامع أسماء نُجَباء الصعيد، ص ٣٤.

⁽٣) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ص ٢٩١ - ٣٩٨ ترجمة هبة الله القفطى .

⁽٥) نفس المصدر ، ص ٣٩ .

⁽٦) محمد كامل حسين: دراسات في الشعر، ص ٣٥ - ٤٨.

⁽٧) نفس المرجع ، ص ٢٨ – ٣٥ .

 ⁽٨) الزركل: الإعلام، ج ٩، ص ١٦ – ١٧، ابن خلكان: وفيات، ج ٢، ص ١٦٩، ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات، ج ١٦، ص ٣١٠.

الفصل الثالث

إعادة الشعائر السنية إلى مصر

ونشر الفكر الأشعري بها

ـ استحداث المدارس السنية بمصر . ـ إنشاء دار الحديث .

ـ قصر القضاء على المذهب الشافعي وبسط إشرافه على المدارس . ـ قطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر وإبطال تدريس الفكر الفاطمي به .

- استخدام الحسبة لإعادة شعائر السنة . - استخدام الحسبة لإعادة شعائر السنة .

ـ تشجيع التصوف والفكري الصوفي . ــ

ـ رصد الأحباس والأوقاف للمنشآت الخيرية والتعليمية .

ـ نشر العقيدة الأشعرية والفقه الشافعي بمصر .

إعادة الشعائر السنية إلى مصر ونشر الفكر الأشعرى بها

استطاع سلاطين المشرق السنيون ، منذ القرن الخامس الهجرى ، التضييق على الدعوة الإسماعيلية ، في الهند وإيران والعراق وبلاد الشام ، وتتبع دعاتها والقضاء على كياناتها السياسية، وإرغام معتنقيها على التخلى عنها ، بعد أن زالت سطوتها السياسية ، خاصة بعد حلول الضعف والتدهور بالخلافة الفاطمية بمصر ، التي كانت عمل الخلافة الشيعية الشرعية القائمة ، والتي كانت تدين لها أغلب الفرق الشيعية ، والكيانات السياسية ، المعتنقة لدعوة التشيع ، بالولاء السياسي والعقائدي (١).

وكان لزامًا على هؤلاء السلاطين السنيين المشارقة ، في خراسان وإيران والعراق وبلاد الشام ، أن يشغلوا الفراغ الفكرى والعقائدى للدعوة الإسماعيلية ، بفكر سياسي وعقائدى بديل ، يناقض الفكر الإسماعيلي الشيعي ، ويتواءم مع جوهر الفكر السياسي والعقائدي لأهل السنة .

ومن ثم عمد سلاطين المشرق السنيون - الغزنويون ومن بعدهم السلاجقة والزنكيين والأيوبين - إلى اعتناق الفكر السياسي والعقائدي للدعوة الأشعرية السنية ، وتعميم وسائل هذه الدعوة ، التي هدفت إلى القضاء على الدعوة الإسماعيلية من جميع أرجاء العالم الإسلامي ، وعلى الحصوص فرعها الأساسي ، المتمثل في الخلافة الفاطمية بحصر (٢).

والواقع أن أغلب الوسائل التي اتخذها هؤلاء السلاطين ، ببايران والعراق والشام ، ثم طبقها الأيوبيون بمصر ، منذ كانت من وسائل الدعوة الأيوبيون بمصر ، منذ كانت من وسائل الدعوة الأشعرية ، وخاصة المدارس والتصوف ، كما استخدم الأيوبيون أيضًا في سبيل نشر الفكر السنى بمصر ، جميع النظم الدينية السنية ، التي طبقوها بمصر .

⁽١) أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على المذهب الفاطمي ، وبعده الفصل الخناص بالوضع السياسي والشرعي لمر الأيوبية .

⁽٢) أنظر بعده ، نفس هذا الفصل الحالى .

استحداث المدارس السنية بمصر:

لقد لاحظ القلقشندى ، أن أول من أحدث المدارس بالفسطاط بنو أيوب (١) ، وأنها كانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود ، بل تكاد تكون معدومة ، ثم جاءت الدولة الأيوبية ، فكانت الفاعة لباب الخير ، والغارسة لشجرة الفضل (٢) ، فى حين لاحظ المقريزى أن صلاح الدين يانشانه المدارس بمصر ، قد اقتدى بالملك العادل نور الدين الذى بنى بدمشق وحلب وأعمالهما عدة مدارس للشافعية والحنفية ، فبنى لكل من الطائفتين مدرسة بمدينة مصر ، وكانت أول مدرسة أحدثت بديار مصر المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر ، ثم المدرسة القمحية المجاورة للجامع أيضًا ، ثم المدرسة السيوفية التى بالقاهرة ، ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين فى بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر ، وبالبلاد الشامية والجزرية ، أولاده وأمراؤه ، ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم . وقدافاد المقريزى أن حركة بناء المدارس ظلت نشطة دؤوبة إلى أيامه (٢) ، كما تتبع جميع المدارس التى أنشأها الأيوبيون ، وترجم لمنشئيها وأساتذتها ، وحدد أماكنها فى مدينتى القاهرة والفسطاط ، وميز الباقى منها إلى عهده والمندرس (١٠) . كما قام النعيمى المؤرخ الدمشقى ، بالتأريخ للمدارس التى أنشاها الأيوبيون بدمشق والترجمة لمنسئها النعيمى المؤرخ الدمشقى ، بالتأريخ للمدارس التى أنشاها الأيوبيون بدمشق والترجمة لمنسئها النعيمى المؤرخ الدمشقى ، بالتأريخ للمدارس التى أنشاها الأيوبيون بدمشق والترجمة لمنسئها النعيمى المؤرخ الدمشقى ، بالتأريخ للمدارس التى أنشاها الأيوبيون بدمشق والترجمة لمنسئها النعيمى المؤرخ الدمشقى ، بالتأريخ للمدارس التى أنشاها الأيوبيون بدمشق والترجمة لمنسئه المنسية المناسة المناسفة المناسفة المنسؤر المدرسة المنسؤر والترجمة المنسئة المناسفة المنسؤرة والفسطة المنسؤر المنسؤرة والمدرسة المنسؤر المناسفة المنسؤرة والمدرسة المنسؤرة والفسطة المدرسة المنسؤرة والمدرسة المدرسة والمدرسة والمنسؤر والترجمة المنسؤر المناسفورة والمدرسة المدرسة والمدرسة والمنسؤرة والمدرسة المنسؤرة والمدرسة المنسؤرة والمدرسة والمدرسة والمدرسة والمنسؤرة والمدرسة والمدرسة والمدرسة والمدرسة والمنسؤرة والمدرسة وال

⁽۱) القلقشندی: صبح، ج ۳، ص ۳٤۳، س ۲۰ - ۲۱.

⁽٢) نفس المصدر: ج ٣، ص ٢٦٢، ص ١٥.

⁽٣) أنظر المقريزى : الخطط ج ٤ ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ، أنظر قبله .

⁽٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٩٣ - ٠ ، ٢ ، وهي المدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق ، ثم عرفت بمدرسة زين التجار ، وقد بناها صلاح الدين سنة ٦٦هـ وجعلها برسم الفقهـاء الشافعية . يقـول المقريـزى : وكـان حينئذ يتولى وزارة مصر للخليفة العاضد وكان هذا من أعظم ما نزل بالدولة وهي أول مدرسة عملت بديار مصر (الخطط ج ٤ ص ١٩٣ س ١٧ – ١٩) والمدرسة القمحية بجوار الجامع العتيق بمصر ، وكان الشروع فيها للنصف من المحرم سنة ٦٦٥هـ . ورتب فيها أربعة من المدرسين ، عند كل مدرس عِدّة من الطلبة ، وهي أجل مدرسة للفقهاء المالكية (الخطط ص ١٩٣ - ١٩٤) ومدرسة ينازكوج ، ومدرسة ابن الأرسوفي ، ومدرسة منازل العز ، وقد بناها الملك تقي الدين عمر بن أخ صلاح الدين ، كما بني بمديسة الفيـوم مدرسـتان إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية ، وبني مدرسة بمدينة الرها ببلاد الجزيرة الفراتية (الخطط ، ج ٤ ، ص١٩٤ - ١٩٥) ومدرسة العادل ومدرسة ابن رشيق والمدرسة الفائزية والقَطبية والسيوفية ، أوقفها صلاح الدين على الحنفية ورتب لمدرسها مجمد الدين الجبتي في كل شهر أحد عشر دينـــارًا وبـــاقي ربـــع الوقــف يصرفــه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم وهذا ما نقله المقريزي من وَقَفِيَّة المدرسة التي ترجسع إلى عصر صلاح الدين ومؤرخه بسنة ٧٧هـ وأفاد المقريزي أن هـذه المدرسة هي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر (الخطط ٤: ١٩٦ - ١٩٧) ومحلها اليوم جامع الشيخ مطهر ، أثر رقم ١٠ شــارع المعز لدين الله ، والمدرسة الأفضلية وقفها القاضي الفاضل على الشافعية والمالكية (الخطط ٤: ١٩٧ - ١٩٩) والمدرسة الأزكشية والمدرسة الفخرية والمدرسة السيفية والمدرسة العاشورية والمدرسة القطبية ، وأنظر عن المدرسة الصالحية المقريزي : الخطط ٤: ٢٠٩ – ٢١١ والمدرسة الكاملية ، الخطط ٤: ٢١١ – ٢١٦ .

ومدرسيها (۱٬ ، وقد حدد ابن واصل تاريخ بداية إنشاء صلاح الدين للمدارس بحصر سنة ٦٦هه / ، ١١٧ م ، إبان وزارة صلاح الدين للعاضد ، وفي رأى المقريزي ، أن إنشاء المدارس السنية بمصر ، كان من أعظم ما نزل بالدولة الفاطمية (٢) .

ولحسن الحظ فقد وصل إلينا وصفًا شائقًا دقيقًا لحركة بناء المدارس وترتيب الأساتذة والمدرسين والقومة عليها ، وتوفير الرعاية الصحية لطلابها وخاصة من الغرباء ، إلى جانب وقف الأوقاف الكثيرة ، للصرف على منشآت هذه المدارس وأساتذتها والمشرفين عليها ، على لسان شاهد عيان زار مصر في مطلع العصر الأيوبي ، وهو الرحالة المغربي الشهير ابن جبير الأندلسي ، الذي زار مدارس الإسكندرية التي أنشأها صلاح الدين هناك ، وخصصها لطلاب العلم الوافدين من بلاد الأندلس والمغرب ، ووفر لهم فيها المساكن والحمامات والبيمارستانات « المستشفيات » ، كما وفر لهم الأساتذة والأطباء وأجرى عليهم الأرزاق والمرتبات الغذائية اليومية (٣) والطويف ما لاحظه الأساتذة والأطباء وأجرى عليهم الأرزاق والمرتبات الغذائية اليومية (٣) والطويف ما لاحظه

⁽١) أهم المدارس الشافعية التي أسسها الأيوبيون بمدمشق ، هي : المدرسة الصلاحية بالقرب من البيمارستان النورى بانيها نور الدين زنكي ونسبت إلى صلاح الدين (النعيمي : الدارس في تباريخ المدارس ١: ٣٣١ -٣٣٣ ، والمدرسة العمادية الصلاحية وهي مختلف فيها ، قيل بناها نور الدين زنكي وقيل بل ابنــه عـمـاد الديـن اسماعيل والواقف عليها صلاح الدين وأول مدرس بها العماد الأصبهاني كاتب الإنشاء لنور الدين ثم لصلاح الدين (النعيمي ١: ٧٠ ٪ – ٤١٣) المدرسة الأسدية أنشأها أسد الدين شيركوه الكبير (النعيمي ١: ١٥٢ - ١٥٧) المدرسة الإقبالية بناها جمال الدين إقبال الشرابي ، حاجب نور الدين ثـم صلاح الدين (نفسه ١: ١٥٨ – ١٦٦) المدرسة العزيزية لصيق الجامع الأموى ، أول من أسسها الملك الأفضل ابسن صلاح الديـن ، ثم أتمها الملك العزيز أخوه ونقل إليها رفات والده في قبــة جوارهــا (نفســه ١: ٣٨٢ – ٢٩٨) ولقــد درس فيها سيف الدين الآمدي المتكلم الأشعري الشهير طوال فترة استقراره في بـلاد الشـام (نفسـه ١: ٣٩٣ -٣٩٨) المدرسة العادلية الكبرى وأول من بناها نور الدين ثم بنى بعضها الملك العادل ســيف الديـن أبـو بكـر ابن أيوب ثم أتمها ابنه المعظم عيسى ودفن فيها أباه ونسبها إليه (نفسه ١: ٣٥٧ - ٣٦٧) المدرسة العادلية الصغرى (ص ٣٦٨ – ٣٨٢) المدرسة العصرونية (١ : ٣٩٨ – ٢٠٦) المدرسة الأتابكية (١: ١٢٩ – • ١٥) وأهم المدارس التي أنشأها الأيوبيون لفقراء الحنفيه بدمشق فهي المدرسة الأسدية (١: ٤٧٣) المدرسة الإقبالية (١: ٥٤٩ - ٥٥٠) أما أهم المدارس المالكية التي أنشأها الأيوبيون بدمشق فهي المدرسة الصلاحية (٢: ١٠ - ٢٨) ومدرسة العالمة (٢ : ١١٢ - ١١٣) والمدرسة الصالحية (٢ : ٧٩ - ٨٦) . (٢) قال ابن واصل في حوادث سنة ٥٥٦هـ : وفي هذه السنة حرر صلاح الدين دارًا كانت للمعونة بمصر مدرسة للشافعية ولم يكن بمصر للشافعية ولا لغيرهم مدرسة لأن الدولة كانت اسماعيلية ولم يكس لهم مَيْسل إلى شيء من هذه المذاهب ثم بني رحمه الله - دار الغزل ، مدرسة للمالكية (ابن واصل : مفرج ١ : ١٩٧ - ١٩٨) ويتضح من هذا النص أن بناء المدارس السنية ، كان عملاً مناقضًا للدعوة الإسماعيلية . وهذا النص بالإضافة إلى نص المقريزي المتقدم بأن بناء المدارس إبان وزارة صلاح الدين للفاطميين ، كان من أعظم ما نزل بالدولة الفاطمية يؤكد كون إنشاء المدارس السنية بمصر كان أحد وسائل الدعوة السنية ومن أهم عوامل نشر السنة بمصر ، وانقراض المذهب الإسماعيلي منها .

 ⁽٣) يقول ابن جبير عن مدينة الأسكندرية : ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه :
 المدارس والمحارس (أى الروابط ، أنظر بعده) الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد ، يفدون من الأقطار النائية =

الدارسون المحدثون ، ونصت عليه المصادر القديمة ، من أن الأيوبيين هم أول من عين المرتبات الثابتة للأساتذة والمعيدين ، في المدارس السنية التي أنشأوها بحصر⁽¹⁾ ، كذلك ترك لنا ابن جبير وصفًا شائقًا لكيفية سير العمل في بناء مدرسة الإمام الشافعي بالقرب من ضريحه ، ومدى اهتمام صلاح الدين والفقيه الخبو شاني بإظهار هذه المدرسة ، كأحسن ما تكون عمارة وروعة وضخامة (^{٢)} .

وثمة ملحوظة هامة أبداها بعض الباحثين المحدثين ، تتعلق بأماكن المدارس التى شبدها صلاح الدين بمصر والقاهرة ، وهى أنها كانت مجاورة لأماكن العبادة والتبرك القديمة عند المصريين مثل جامع عمرو وضريح الشافعي والمشهد الحسيني ، عما يوحى بأن صلاح الدين قد حاول ربط المدارس السنية بالجديدة بأماكن العبادات التي لها الاحترام في نفوس المصريين ، فضلاً عن إكساب الشهرة لمدارسه نتيجة لارتباطها بأسماء هذه الأماكن (٣) ولازالت بعض المدارس التي شيدها الأيوبيون بمصر والشام باقية إلى اليوم (١) .

⁼ فيلقى كل واحد منهم مسكنًا يأوى إليه ومدرسًا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء (مرتب) يقوم به جميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين ، حتى أمر بتعين حمات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانًا لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء . وقد رتب أيضًا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون عن الوصول للمارستان المذكور من الغرباء خاصة وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكلفوا بمعالجتهم . . راجع النص بأكمله لأهميته عند ابن جبير : الرحلة (١٥ - ١٦)) .

⁽١) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، الطبعة الثانيسة ١٩٧٢ ص ١٩٣١ - ١٩٣٠ فكانت أجور المدرسين بالمدارس في أيام صلاح الدين ، أربعون دينارًا للممدرس ، وعشرون دينبارًا للعميد ، وكل يوم له ستون رطلاً من العيش وأنظر القفطى تأريخ الحكماء ، ص ٩٨ .

 ⁽۲) راجع ابن جبير: الرحلة ص ۲۲ – ۲۳.

⁽٣) عبد الغنى عبد العاطى : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير جامعة القاهرة ، ١٩٧٥، ص ٥٧ .

⁽٤) أنظر أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ٢٥ هـ / ٢٥ هـ (دراسة مقارنة بمصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر المماليكي ، مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية من الأرشيفات الإيطالية، تنشر لأول مرة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ٢١٤ ١هـ / ٢٩٩٦م ، والجدير بالملاحظة أن الأيوبيين قد اتخذوا من إنشاء المدارم وسيلة لإعادة نشر الإسلام وعلوم الدين في البلاد التي تم استردادها من أيدى الصليبين ، فبعد استرداد صلاح الدين لبيت المقدس سنة ١٨٥هـ ، أبطل صلاح الدين الكنائس وأنشأ المدارس للفقراء الشافعية كما أنشأ رباط للصلحاء الصوفية وأوقف عليهما وقوفًا . أنظر العماد : الفتح ص الما معاد : الفتح ص المعاصر لنا ، في الإسلام تعنى بناء خاص يخصص له من الأوقاف والموارد ما يكفي لإطعام وإسكان الطلبة المعاد المعاد المعاد المعاد المعاد المعاد والمدارس الحرية في المعاد التي يدرسها للطلبة إلا إذا كان من شرط وقفية المدرسة أن تكون محصصة بنوع من العلوم التي تدرس كذلك لم تكن تعطى شهادات للتخرج كذلك لم يكن ثمة التزام بالنسبة لحضور جميع العلوم التي تدرس كذلك لم تكن تعطى شهادات للتخرج كذلك لم يكن يشترط سن معين للالتحاق بالمدرسة معلومة شفوية عن الأستاذ محمود شاكر ؛ وإن لوحظ في العصر الأيوبي نوع من التدريس الموجه للعلوم الحديث وللفقه السني ، اعتمادًا على شروط وقفية المدرسة .

ولقد تطورت حركة بناء المدارس بمصر طوال العصر الأيوبي ، سواء من ناحية تخصصات هذه المدارس ، أو من ناحية التخطيط المعمارى الهندسي ، أو من ناحية التنظيم الإدارى ، الخاص بالإشراف على المدرسة . أو من ناحية تسجيل مواقيت الحضور والانصراف للطلبة ، وتسجيل أسسماء المتخلفين عن الحضور ، والإشراف على مرافق المدرسة ، وتعيين متخصصين للإشراف على مكتبتها العامة ، ومتخصصين للإشراف على التأذين لإقامة شعائر الصلوات الخمس في أوقاتها (1) . ويبدو أن سلك الترقى كما عرف في أوربا في أكاديميات عصر النهضة ، وكما انتقل إلى جامعاتنا الحديثة ، قد تبلور في صورته الأخيرة التي نقلتها أوربا عن المدارس السنية التي أنشأها الأيوبيون بمصر . فنسمع عن السلك أكاديمي يأتي على رأسه المنتهي من الفقهاء ثم المدرس ثم المفيد ثم المعيد (1) ؛ وأغلب الظن ونضج واستقر بمصر ، في نهاية العصر الأيوبي ، استجابة للحاجة التي أملت إنشاء مدارس سنية تجمع المذاهب الفقهية الأربعة الشافعية والحنفية والحنيلية ، وقد وضح هذا في مدرسة الملك المناح بجم الدين أيوب ، القائمة إلى اليوم بحي الصاغة بمدينة القاهرة (1) . وغني عن البيان أن الأعوبين قد أنشأوا المدارس السنية ، لتحل عل الجامع الأزهر ، الذي كان بمنابة جامعة شيعية ضخمة . الأيوبين قد أنشأوا المدارس السنية ، لتحل عل الجامع الأزهر ، الذي كان بمنابة جامعة شيعية ضخمة .

إنشاء دار الحديث :

وواكبت حركة إنساء المدارس الفقهية بمصر في العصر الأيوبي ، ظاهرة على قدر كبير من الأهمية ، وهي إنشاء مدارس متخصصة لدراسة علوم الحديث عرفت بدار الحديث . وكان السلطان الملك الكامل محمد ، ـ من أعظم سلاطين الأيوبيين ، وأشهر من عرف عنه العناية بالعلوم وتشجيعها ـ ، هو أول من أنشأ دارًا للحديث بمصر . وأسند التدريس فيها للمحدث الأندلسي الشهير ابن دحيه الكلبي (أ) . والمعروف أن أول من أنشأ دار للحديث بالشام كان نور الدين زنكي (أ) . ولا ريب أن المدرسة الكاملية التي أنشئت بمصر كدار للحديث النبوي ، ولازالت إطلالها باقية إلى اليوم (أ) ، قد بنيت على غرار دار الحديث النورية بدمشق ، لنفس الهدف الذي شيدها من أجله نور الدين ، وهو نشر علوم السنة كوسيلة لمحاربة الدعوة الإسماعيلية ببلاد الشام ، وقد أنشأ فرر الدين ، وهو نشر علوم السنة كوسيلة لمحاربة الدعوة الإسماعيلية ببلاد الشام ، وقد أنشأ

⁽١) أنظر السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٩ ، ١١١ ، ١١١ .

⁽۲) نفسه: ص ۱۰۵ - ۱۰۷ ، ۱۰۸ ، ۱۰۸ - ۱۰۹ ، ۱۱۱ ، ۲۷ - ۱۰۱ ، وعمن التدريس للصفار في الكتاتيب أنظر الثيزري: نهاية أرتبه ص ۱۰۳ - ۱۰۵ .

⁽٣) أنظر أحمد فؤاد سيد: مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، ص ١٧٣ - ١٩٠ (آثار الدولة الأيوبية) .

 ⁽٤) عن المدرسة الكاملية والسلطان الكامل، وابن دِحْيَه الكلبي، أنظر المقريزي: الحطط ج ٤، ص ٢١٦ ٢١٦

⁽٥) أنظر النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٩٩ – ١١٣ .

⁽٦) راجع أحمد فؤاد سيد : المرجع السابق ص ١٧٣ – ١٩٠ (آثار الدولة الأيوبية) .

الأيوبيون ببلاد الشام أيضًا دارًا ضخمة أخرى للحديث بدمشق هى دار الحديث الأشرفية (١) التى أنشأها الملك الأشرف موسى أخو الملك الكامل وعهد بأستاذيتها إلى المحدث الكردى الشهير تقى الدين ابن الصلاح (٢) ، وهو صاحب أشهر كتاب ألفه المتأخرون فى علم مصطلح الحديث ، أى فسون الحديث وعلومه ، وهو الكتاب المعروف باسم «مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث » ، ولقد صرح ابن الصلاح فى هذا الكتاب أن علوم الحديث كانت قد قل الاهتمام بها فى عصر الفاطمين ، مما دعاه إلى التأليف فيها (٣).

ولا شك أن فكرة إنشاء دار للحديث بمصر ، كان الغرض منها إحياء علوم السنة النبوية القائمة على الرواية والنقل والإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كوسيلة لمحاربة المذاهب الفلسفية التي روج لها الفاطميون من قبل في « دار الحكمة » (أ) .

 ⁽١) أنظر النعيمى : الدارس ١: ١٩ – ٤٧ ، ٤٧ – ٥٥ وأنظر أيضًا عن دور الحديث التي أنشأها الأيوبيون
 بالشام ، دار الحديث الفاضلية ، النعيمي ١: ٨٩ – ٩٦ ، ص ١١٥ – ١٢٢ .

 ⁽٢) أنظر ترجمته عند ابن خلكان: وفيات ١: ٣١٣ (الطبعة القديمة) ، طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٣٧
 (الطبعة القديمة أيضًا) .

⁽٣) صور لنا ابن الصلاح في مقدمته لعلوم الحديث كيف أن علوم الحديث عند عبىء الأيوبين كانت في شبه محنة عيث قال ابن الصلاح: "لقد كان شأن الحديث فيما مضى عظيمًا عظيمة جموع طلبته، رفيعة مقادير حفاظه وجملته .. فلم يزل حملته في انقراض ولم يزل في اندثار ، حتى آلت به الحال إلى أنصار أهله إنحا هم شرذمة قليلة العدد ، ضعيفة العدد (أنظر مقدمة ابن الصلاح - خطبة الكتاب) ، وعن أحوال علوم الحديث في العصر الفاطمي بحصر ، أنظر قبله ؛ ولقد وصفه ابن خلكان يقوله : مكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة وهو أحد أشياحي الذين انتفعت بهم ، وكان من جلة مشايخ الأكراد المشار إليهم (ابن خلكان : وفيات ، ج ٣ : ص ٢٤٣ من طبعة بيروت) .

ونظرًا لموقف الفاطميين من علم الحديث ، نظرًا لتحفظهم في الراوية إلا عن انمتهم من الشيعة للعداوة السياسية بينهم وبين أهل السنة ، وهذا ما شرحه بالتفصيل القاضي النعمان في أحد فصول كتابه دعائم الإسلام ، ونظرًا لتأثرهم بفكر المعتزلة التي كان بعض مشايخها يرى في علم الحديث ، أخبار آحاد ؛ للدهورت علوم الحديث في عصرهم بعض الشيء ، رغم أن كتابي ابن الحبال وابن الطحان عن محدثي مصر في العصر الفاطمي عامر بتراجم الحفاظ والمحدثين وكذلك كتابي مُشتبه النّسية والمؤتلف والمختلف للحافظ عبد الغني المقدسي .

⁻ لذا فقد شهد العصر الأيوبي بمصر والشام ، حركة علمية ضخمة سعت إلى نشر علوم الحديث والسنة النبوية ، ونبغ في هذا العصر عدد من كبار حفاظ الإسلام الذين ألفرا في شتى علبوم الحديث وعلى رأسهم ابن عساكر الدمشقى ت ٧١هم ، وابن الصلاح ، والنووى ، والمنذرى ، والذهبى ، وابن كثير . (راجع حسن المحاضرة للسيوطى ، باب ما كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده ، وباب من كان بمصر من المحدثين لمن لم يبلغ درجة الحفظ) ؛ ويبدو أن نهضة علوم الحديث في العصر الأيوبى ، هي امتداد لحركة الإصلاح السنى السلجوقى ، التي كانت قاعدتها بلاد العراق .

قصر القضاء على المذهب الشَّافعي وبسط إشَّرافه على المدارس:

وكما أقدم صلاح الدين ، وهو وزير للخليفة العاضد الفاطمى ، له الإشراف على شئون الدعوة الفاطمية بمصر ، لكونه «هادى دعاة المؤمنين» على مناقضة عهود ومواثيق العاضد ، فى رعاية دعوته ، بأن عمل على محاربتها بإنشاء المدارس السنية ؛ فلقد قرن صلاح الدين ، إنشائه للمدارس السنية بمصر ، ومحاربته للدعوة الإسماعيلية ، بإزالة القضاء الشيعى من مصر ، وتفويض القضاء بالديار المصرية ، إلى قاضى شافعى المذهب فى الفقه ، أشعرى العقيدة فى أصول الدين ، كردى الجنس ؛ ولا ريب أن صلاح الدين بهذا العمل قد ناقض أيضًا عهود مواثيق العاضد ، وما فوضه إليه من تفويض أمر القضاء الشيعى بمصر ، لمن ينهض به من فقهاء الشيعة ، لكونه كوزير فاطمى «كافل قضاة المسلمين »(١٠) . ففى سنة ٢٦هه مه / ١٧٧ م ، فوض صلاح الدين القضاء بالديار المصرية إلى قاضى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذباني الشافعي ، فجعل صدر الدين القضاء في سائر الديار المصرية شافعية ؛ فاشتهر مذهب الشافعية ، واندرس مذهب الفاطمية

ولا شك أن هذه النهضة في علوم الحديث التي شهدها العصر الأيوبي بمصر والشام ؛ هي التي تفسر ظهور طائفة من كبار حفاظ الإسلام بمصر والشام في العصر المملوكي ، فظهر بمصر زين الدين العراقي ، ونور الدين الهيشمي ، وابن حجر العسقلاني ، وشمس الدين السخاوى ، وجلال الدين السيوطي ، وشهاب الدين القسطلاني وغيرهم ، وظهر بالشام ابن ناصر الدين الدمشقي حافظ الشام في عصره كما وصفه السخاوى في الضوء اللامع . وقد ذكر السخاوى في كتابه استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول و ذوى الشرف في الضوء اللامع . وقد ذكر السخاوى في كتابه استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول و ذوى الشرف إن لديه من مُسانيد آل البيت مُجلدات ضخمة تفوق الحصر ، وإن اصح أسانيد آل البيت عن جعفر الصادق رضى الله عنه ، بشرط أن يكون الراوى عن جعفر لقة .

⁻ ويستفاد من مقدمة الحافظ زكى الدين المنذرى لكتابه مختصر سنن أبى داود ، أنه قد أقدم على اختصار الكتب الستة الصحاح ، بادنًا بصحيح البخسارى ثم صحيح مسلم ثم سنن الترمزى ، بهدف إملاء هذه المختصرات وتدريسها لطلبة العلم من طلاب مدرسة دار الحديث الكاملية بحصر . كما يستفاد من مقدمة الحافظ ابن الصلاح لكتابه مقدمة في علوم الحديث ، أن علوم الحديث قد شهدت تدهوراً في العصر الفاطمي .

ودار الكتب المصرية ، ومكتبة الجامع الأزهر بمصر ، والمكتبة الظاهرية بدمشق ، والمكتبة الوطنية بتونس ؛ هذه المكتبات على الحصوص لا تزال إلى اليوم عـامرة بعـدد كبير مـن مخطوطـات كتب الحديث التـى ألفت فى العصرين الأيوبى والمماليكية ، والجامع فى العصرين الأيوبى والمماليكية ، والجامع الأزهر بمصر ، وبمدارس الحديث بالشام ، وبجامع الزيتونة بتونس ؛ كمـا أن عـددًا ضخمًا مـن هـذه المؤلفـات قد تم نشره بالفعل ويمثل جانبًا له أهميته بل لا يستغنى عنـه ضمـن كتب مصطلـح الحديث وشـرح وتفسير الحديث ، وكتب الخورح والتعديل ونقد الرجال .

كذلك امتدت هذه النهضة الخاصة بنشر علوم الحديث والسنة إلى بلاد العراق فى ظل الحلافة العباسية السنية ، فظهر الإمام أبو الفرج ابن الجوزى الحنبلي البغدادي سنة ٩٧هـ .

⁽١) أنظر قبله ..

بالكلية ، وانحى أثره ، ولم يبق أحد من أهل البلاد يمكنه التظاهر به (١) ، وقام ابن درباس بعنول سائر القضاه ، واستناب قضاه شافعية ، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي . . ، واختفى مذهب الشيعة إلى أن نُسى من مصر (٢) .

وتأكيدًا لسرعة تطبيق وتعميم الفقه السنى بمصر ، سواء فى الحياة اليومية فى الأسواق ، أو فى المصالح الحكومية ، وكذلك لنشر الفقه السنى بين المصريين المترددين على المساجد ، أضافت الحكومة الأيوبية فى سنة ٩٥هم / ١٩٨ م ، الخطابة والإحباس والحسبة ودار الضرب ، إلى ولاية القضاء ، وعهد بهذه الولايات مجتمعة إلى قاضى القضاه صدر الدين ابن درباس (٦) ؛ وصارت مهمة الإشراف على المدارس السنية ، بل وجلوس قاضى القضاه بنفسه لتدريس الفقه السنى فى هذه المدارس ، من أهم وظائف قاضى القضاه بمصر ، بحيث تذكر فى تقليد تعينه ، كما ورد فى تقليد قاضى القضاه ، عين الدولة ابن بندار ، الذى خلف ابن درباس على قضاء الديار المصرية (١٤) . والمتبع لتراجم

⁽۱) ابن واصل: مفرج ج ۱ ص ۱۹۸ و يعلق الشيال على هذا الحدث بقوله: وهذه النسبة تدل على أن القاضى كردى كصلاح الدين ومن نفس القبلة التى ينتمى إليها ، وتحويسل القضاء فى مصر إلى المذهب الشافعى ، وتعيين قاضى قضاه كردى والخليفة الفاطمى لا زال حيًا – إجراء له دلالته السياسية الواضحة . الشيال هامش " ۲ " على مفرج الكروب ، ١ : ١٩٨ ، سبط : مرآة ١ : ٢٨٣ ، أنظر ترجمة صدر الدين بعن درباس ، عند السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة القديمة ١ : ٣٣٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ١ : ١ ، ١ ، ١ ، ابن حجر : رفع الأصر ، طبع القاهرة ١ : ٣٦٧ – ٣٦٧ ، وفى ترجمة أخيه ضياء الدين ، وقد ناب عنه فى القضاء ، عند ابن خلكان : وفيات ٣ : ٢٤٢ – ٢٤٣ وأنظر عودته إلى القضاء سنة ٥ ٩ ٥ه ، عند ابن تغرى بردى : النجوم ٣ : ١٥٠ – ١٥١ .

⁽٢) المقريزى: الخطط، طبعة بولاق، ١: ٣٥٩ - ٣٥٩، وأنظر أيضًا السيوطى: حسن المحاضرة، ٢: ١٨٠ وما بعدها. يقول: لما استولى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب على القساهرة، وزيرًا عن العاضد، أزال الرفض والشيعة، وصرف ابن كامل (أبو القاسم جلال الدين هبة الله ابن عبد الله بن كامل بن عبد الكريم الصعدى)، وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردى الشافعي قضاء القضاه بالقاهرة.

⁽٣) ابن حجر : رفع الأضر ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، س ١١ - ١٥ .

⁽٤) جاء في نص التقليد ، الذي صاغه ضياء الدين بن الأثير ، لتوليسه زين الدين بن بندار قاضي قضاة للديار المصرية سنة ٥ ٩ ٥هـ : " فقد رأينا أن نجمع لك بين تنفيذ الأحكام وحفظ أصولها ، وإلا نخليك من النظر في دليلها ومدلولها ، فإن الترك يوحش العلوم من معهود أماكنها ، ويذهب بها من تحت أقفال خزائنها ، ومنصب التدريس كمنصب القضاء ، أخ يشد من عضده ويكثر من عوده ، فتول المدرسة الفلانية ، عالما أنك قد جمعت بين سيفين في قراب ، وسلكت بابين إلى تحصيل الثواب ، وركبت أعز مكان وهو تنفيذ الحكم ، وجالست خير جليس وهو الكتاب " ، (أنظر نص هذا التقليد كاملاً عند السيوطي ، حسن المحاضرة ٢: ١٥٤ - ٩٥ ، وأنظر نص تقليد قاضي سنجار ، بعد أن ضمها صلاح الدين إلى ممتلكته عند العماد : البرق الشامي ج ٥ لوحة ٨٦ أ - ٢٩ ب، وأنظر منشور لمدرس بحلب من إنشاء العماد: البرق ج ٥ لوحة ٢٦ ب- ٨٤ أ، وكما يفيد تولى ابن درباس لتدريس علوم الفقه لسنوات طويلة ، ما ذكره الأديب المغربي الساخر ركن الدين الوهراني، وهو يسخر من صدر الدين بن درباس : وهو من كوادن المدارس ، له أرجون سنة يقرأ، لا يحفظ مسألة من الفقه ، ولا أية من كتاب الله تعالى (الوهراني : المنامات والمقامات، ص ٥٥ س ٧ - ٨) .

قضاة مصر فى العصر الأيوبى ، ونوابهم فى أقاليم الديسار المصرية يجدههم جميعًا بـلا استثناء تقريبًا ، قد جلسوا بأنفسهم للتدريس فى المدارس السنية التى أنشأها الأيوبيون بالقساهرة والفسسطاط وأغلب أقاليم الديار المصرية^(۱) .

وقامت الدولة الأيوبية ، منذ عهد صلاح الدين ، بتفويض قضاء الشام ، لبيتين من كبار البيوتات السنية ، التى اشتهرت بتولى القضاء والوظائف الدينية منذ عهد نور الدين زنكى ، وهما بيتا الشهر زورى وابن عصرون (۱۳) ، وبهذا تم نشر الفقه السنى بمصر والشام ، إبان العصر الأيوبى ؛ وغنى عن التدليل ، أن تولى قضاة سنيون ، لمنصب قاضى القضاه فى العصر الفاطمى ، المذى كان له الإشراف على الدعوة الفاطمية ، وأغلب الظن أن ذلك ته على يد وزراء التفويض السنين مشل

⁽۱) جاء في ترجمة القاضى أبو طاهر الأسواني ت ٥٩٥ أنه: أقام بأسوان حاكمًا ومدرسًا (السيوطى: حسن: ١٤ ٨٠ الأدفرى: الطالع السعيد ص ٥٦)، وفي ترجمة ابن الخراط الدمياطي ت ٢٦٩هـ أنه تميز في الفقه والخلاف، ورجع إلى بلده فأقام بها قاضيًا مدرسًا ثم ولى قضاء مصر والوجه القبلي (السيوطى: حسن: ١١ ٠١٤) وفي ترجمة عماد الدين بن عصرون الكردى ت ٢٦٥هـ، أنه قدم مصر، فتولى قضاء دمياط، ثم ناب بالقاهرة ودرس بالجامع الأقمر وغيره (السيوطى: ١: ١٠١٠) وفي ترجمة صدر الدين موهوب الجزرى. ت ٥٦٥هـ، أنه: تخرجت به الطلبة، وجمعت عنه الفتاوى المشهورة، وولى القضاء بمصر (السيوطى ١: ٥١٥) وفي ترجمة نجم الدين الخضراوى ت ٢٦٦ أنه: تولى قضاء أسيوط وتدريس الفائزية بها (السيوطى ١: ٥١٥) وفي ترجمة شيخ الشيوخ، صدر الدين بن شيخ الشيوخ ابن حمويه، أنه: أفتى ودرس، وولى تدريس الشافعي والمشهد الحسيني ومشيخة سعيد السعداء، (السيوطى ١: ١٠٧٤) وفي ترجمة شيخ المشيوخ ابن درباس ت ٢٦٤هـ أنه ناب عن والده في القضاء وحراء في ترجمته إسماعيل ابن قاضي القضاء عبد الملك ابن درباس ت ٢٤٢هـ أنه ناب عن والده في القضاء ودرس بالسيفية بالقاهرة (الصفدى: الوافي، ٩: ١٥٧٢ ترجمة ٨٠٥٥).

⁽٢) سبط: مرآة، ج ٨ ص ١٢١، ص ٢٦٠ - ٣٤٠ ، ص ٣٤٠ - ٣٤٠ ، أبو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٥ . حيث يقول نقلاً عن العماد الأصفهاني : كان السلطان لإحياء القضاء في البيت الزكوى مؤثرًا ، وذلك بعد أن استعفى من القضاء ، القاضي ضياء الدين الشهرزوري الذي تولاه منيذ العصر النوري ، وفي نفس هذه السنة سنة ٢٧٥ه ، وهي التي سيطر فيها صلاح الديس على أغلب ببلاد الشام ، وقف صلاح الدين قرية من قرى حوران على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة أو بعلم يحتاج إليه الفقيه أو لمن يحضر لسماع الدروس بالزاوية الغربية من جامع دمشتي وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضع من أصحاب الإمام الشافعي ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري . ثم أضاف أبو شامة : ورأيت كتاب الوقوف بداك على هذه الصورة وعليه علامة السلطان رحمه الله ، الحمد لله وبه توفيق ، أنظر الروضتين الوقوف بداك على هذه الصورة وعليه علامة السلطان رحمه الله ، الحمد لله وبه توفيق ، أنظر الروضتين الرحلة ص ٢٤٤ ، وعن النشآت التعليمية والخيرية بدمشق في العصريين النوري والصلاحي أنظر الرحلة ص ٢٤٤ ، وعن النشآت التعليمية والخيرية بدمشق في العصريين النوري والصلاحي أنظر أيضًا ابن جبير : الرحلة ص ٢٥٥ - ٢٥٧ . وعن اقتران وظيفة التدريس ببلاد الشام مع وظيفة قاضي القضاء ، جاء في ترجمة يونس بن بدران المعروف بحمال الذين المصري ت ٢٢٣ ، أنه ولد يحصر منة ٥٥٥ ما الشعف وغيره ، واختصر الأم للشافعي ، وولى قضاء الشام ، ودرس التفسير بالعادلية بدمشق وسمع من السلفي وغيره ، واختصر الأم للشافعي ، وولى قضاء الشام ، ودرس التفسير بالعادلية بدمشق (السيوطي : حسن ١ : ٢١١) .

ابن السلار وشيركوه وصلاح الدين ، أو قليلي الولاء للمذهب الفاطمي مثل المأمون البطائحي . ، كان من أقوى أسباب ضعف الدعوة الفاطمية بمصر ، في النصف الثاني من العصر الفاطمي (1) .

(١) قال السيوطي : وفي القون الرابع الهجري ، ملكت العبيديون مصر ، وأفتُوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة ، مثلاً ونفيًا وتشريدًا ، وأقاموا مذهب الرفض والشبيعة ولم يزالوا منها إلى أواخر القرن السادس ، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب (السيوطي : حسن ١: ١٨٠) ، ولكن لا شك أن في هذا القول تعصب ضد الفاطمين وإنكارًا لتسامح الفاطمين تجاه المذاهب الفقهية السنية بمصر ، خاصة وأن الفقه الإسماعيلي نفسه لا يخالف فقه أهل السنة إلا في مسائل نادرة جدًا ، أصلها الخلاف حول نظرية " الإمامة " بين السنة والشيعة ، (أنظر محمد كامل حسين : في أدب مصـر الفاطمية ، ص ١٢ - ١٣ ، وأنظر مـاجد : نظم الفاطمين ١ : ١٣٦١ حيث يذكر أنه في عهد المعز ترك أبو الطاهر الذهلي في وظيفة القضاء في ظل النظام الفاطمي الجديد ، رغم أنه تولى القضاء منذ العصر الأخشيدي وبالرغم من أنه مالكي المذهب ، كما أقام المعز بمصر مع هذا القاضي قضاة شيعة جاءوا مع المعز من المغرب تما يبرهن على تشابه التشريعيين السنى والشيعي . (أنظر : ماجد نفس المرجع ص ١٣٦) . والواقع أن عبارة السيوطي ســـالفة الذكــر لا يخفـي فيهــا التعصب والكراهية للفاطمين ؛ ولقد أنصف القلقشندي حين ذكر أن الفاطميين تركوا مذاهب مالك والشافعي ظاهرة الشعار في مصر . أنظر القلقشندى : صبح ج ٣ ، ص ٢٤ ٥ . وعن تسامح الفاطمين مع أهل السنة طوال عصرهم أنظر نصوص هامة أوردها كل من المؤرخين السنيين المصريين الذيسن عناصروا حكم الفاطمين بمصر وهما ابن الطحان وابن الحبال ، ونص أورده القفطي وهو مؤرخ مصرى عاصر سقوط الدولمة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية خناص بأمسرة شبيث الإسنائي التبي تظاهرت ببالمذهب المبالكي طوال العصسر الفاطمي دون معارضة من الدولة . وراجع ما ذكرته المصادر عن مدرسة السلفي ومعجم السفر للحافظ السلقي ، و عن أسرتي ابن قريش المخزومي ، والتابلسي .

غير أن تولى قضاء على غير المذهب الإسماعيلي ، منصب قاضي القضاه بمصر ، تم في نهاية العصر الفاطمي كعمل سياسي الغُرَض منه القضاء على الدعوة الإسماعيلية التي تندرج ، تحت إشراف وتوجيه قاضي القضاه . حدث ذلك في سنة ٥٢٥ ، على يد الوزير أبو أحمد على بن الأفضل شاهنشاه ابن بـدر الجمالي الملقب كتيغات . الذي رئب في الحكم أربع قضاه ، يحكم كل قاضي بمذهب ، ويورث بمذهبه ، فكان قاضي الشافعية سلطان بن رشا ، وقاضي المالكية أبا محمد عبد المولى بن الليشي ، وقاضي الإسماعيلية أبا الفضل ابن الأزرق ، وقاضي الإمامية ابن أبي كامل ، ولم يسمع بمثل هذا في الإسلام (أنظر : تقي الدين المقريــزى : المنتقى من اخبار مصر لابن ميسر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمسي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٨١ ، ص ١١٤ – ١١٥ وقد نقل عنه هذا النص السيوطي: حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، س ١١ – ١٧. ويخبرنا السيوطي أنه في سنة ٥٣٣هـ ، شغرت مصر من قاضي ثلاث أشهر ، فعرض القضاه على أبي العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيئه اللخمسي القاسر ، فاشترط ألا يقضى بمذهب الدولة ، فأبوا وتولى غيره . السيوطي : حسن المحاضرة ٢: ٤٥٣ ، القفطي : انباه الرواه ، ١: ٣٩ ، وحـين تـولى القـاضي مجلى المخزومي لمنصب قاضي القضاه بمصر ، رغم أنه شافعي المذهب ، إبان وزارة العادل بن سلار ، وزير التفويض السنى الكردى ، أنظر الذهبي : العبر ، ج ٤: ١٤١ . كذلك كان المؤرخ المصرى ، القاضى القضاعي ، سنى المذهب وتقدم في الدولة الفاطمية ولكن يبدو أنه كان يظهر التشيع للفاطميين . (أنظر محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١١٢ - ١١٣ . وعن الإصلاحات السنية التي قام بها وزير التفويض الفاطمي المأمون البطائحي ، بالنسبة للنظم القضائية بمصر ، استجابة لتوجيهات الفقيه السنى الطرطوشي ، أنظر قبله .

قطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر وإبطال تدريس الفكر الفاطمي به:

وما لبث صلاح الدين في سنة ٦٧ ه.، / ١٧١ م أن وجه للدعوة الفاطمية بمصر ، طعنة قاتلة ، كانت كفيلة ولا ريب بالإجهاز عليها ، وذلك بقطعه للخطبة الجامعة من الجامع الأزهر ، الذي اتخذه الفاطميون جامعة لنشر علوم الدعوة الإسماعيلية (١٠) . وذلك بعد أن قلد وظيفة القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس ، فعمل بمقتضى مذهبه ، وهو امتناع إقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد ، كما هو مذهب الإمام الشافعي ، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، وأقر الخطبة بالجامع الأزهر معطلاً من إقامة الجمعة فيه مائة عام ، من ذلك الخاكمي من أجل أنه أوسع ، فلم يزل الجامع الأزهر بيبرس (١٠) .

وأيد صلاح الدين هذه الخطوة الجريئة ، بإزالة الشعائر الشيعية ، التى أدخلها الفاطميون إلى مصر ، واستمرت بها طوال عصر دولتهم ، من الآذان ، وإبان إقامة الصلاوات ، فأبطل من الأذان قول (حى على خير العمل) ، وصار يؤذن فى سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة ، وفيه تربيع التكبير ، وترجيع الشهادتين ، فاستمر الأمر على ذلك إلى أن انتشر مذهب أبى حنيفة بمصر فى العصر المماليكى ، فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة ، وتقام الصلاة أيضًا على المماليكى ، فصار يؤذن فى بعض المدارس التى للحنفية بأذان أهل الكوفة ، وتقام الصلاة أيضًا على رأيهم ، وما عدا ذلك ، فقد استمر الأذان بمصر كما أقره صلاح الدين (٢) ومنع صلاح الدين ما كان قد تعود عليه المؤذنون فى العصر الفاطمى ، من السلام على الخليفة الفاطمى فى الأذان ، وذلك احترامًا للخيفة العباسى ببغداد ، فجعلوا عوض السلام على الخليفة السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر ذلك قبل الأذان للفجر فى كل ليلة بمصر والشام والحجاز (٤٠) . وكان الذى أملى عليه وسلم واستمر ذلك قبل الأذان أنه كان ينتحل مذهب الإمام الشافعى ، وعقيدة الشيخ أبى الحسن هذا التعديل السنى فى الأذان أنه كان ينتحل مذهب الإمام الشافعى ، وعقيدة الشيخ أبى الحسن

⁽۱) يذكر المقريزى أنه بعد بناء جوهر الصقلى للجامع الأزهر في سنة ، ٣٦ه. ، كانت الجمعة تقام في جامع عمرو وجامع ابن طولون والجامع الأزهر ، وجامع القرافه الذي يعرف في عصر المقريزى بجامع الأولياء ، ثم أن الخليفة العزيز بالله ، ثانى خلفاء الفاطميين بنى في ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح ، الجامع المذى يعرف اليوم بجامع الحاكم في سنة ، ٣٨ه وأكمله ابنه الحاكم بأمر الله وبنى جامع المقس وجامع راشده ، فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع كلها إلى أن انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين في سنة ٦٧ هد ، فبطلت الخطبة من الجامع الأزهر ، واستمرت فيما عداه . (المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ٧) .

⁽۲) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

⁽٣) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٦ ، س ١٨ – ٢٥ .

⁽٤) نفس المصدر ، ٤: ٤٥ س ٢٦ - ٢٩ ، وبذكر سبط ابن الجوزى انه في سنة ٥٨٦هـ ، دخل سيف الإسلام طغنكين الأيوبي إلى مكة (وكان أمرائها شيعة) ومنع من الأذان بحبي على خير العمل ، (مرآة ، ج ٨: هم ٨٣) .

الأشعرى (١) ، وكان تحمس صلاح الدين وقاضيه ابن درباس للعقيدة الأشعرية ، حتى كانا يكفران مسن خالف اعتقاد الأشعرى ، سببًا في ترتيبهم المؤذنين لقراءة العقيدة المسسماة بـ « المرشدة » الأشعرية ، طوال الليل على المآذن ، الذي عرف بمصر منذ العصر الطولوني ، وكان يرتب له المؤذنين والقراء من قبل الدولة (٢) .

واقيمت الخطبة الجامعة بجامع الحاكم بأمر الله ، على نحو يأخذ الخطيب فيها مأخذًا سنياً ، يجمع فيه الدعاء للصحابة ، رضى الله عنهم ، وللتابعين ومن سواهم ، ولأمهات المؤمنين زوجات النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولعميه هزة والعباس رضى الله عنهما ، ويأتى للخطبة لابسًا السواد على رسم العباسية ، وصفة لباسه بردة سوداء عليها طيلسان شرب أسود ، وعمامة سوداء ، متقلدًا سيقًا . وعند صعوده النبر ، يضرب بنعل سيفه المنبر في أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين ، كأنها أيذان بالإنصات ، وفي توسطه أخرى ، وفي انتهاء صعوده ثائنة . ثم يسلم على الحاضرين يمينًا وشمالاً ، ويقف بين رايتين سوداوين فيهما تجزيع بياض قد ركزتا على أعلى المنبر . وجاء دعاء الخطيب في تاريخ زيارة الرحالة ابن جبير لمصر ، للإمام العباسي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام أبي المظفر يوسف المستنجد بالله ، ثم لمحيي دولته أبي المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين ، ثم لأخيه ولي عهده أبي بكر سيف اللدين ".

ذكرها في كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة إلى وقتنا هذا (الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٨ – ٤٩) .

⁽۱) يقول القريزى: وأما مصر، فلم يزل الأذان بها على مذهب القوم (أى الفاطميين) إلى أن استبد السلطان صلاح الدين .. سلطنة ديار مصر، وأزال الدولة الفاطمية في سنة ٦٧ هد، وكان ينتحل مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه ، وعقيدة الشيخ أبى الحسن الأشعرى رحمه الله ، فأبطل من الأذان قول حي على خير العمل، وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة .(الخطط، ج ٤ ، ص ٤٦، س ١٨-٢١) . (٢) يقول القريزى: ومن حينئذ (عصر أحمد بن طولون) اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن ، وصار يعرف ذلك بالتسبيح ، فلما ولى السلطان صلاح الدين .. سلطنة مصر ، وولى القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الهذباني الماراني الشافعي ، كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى في الأصول ، فحمل الناس إلى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه ، وتقدم الأمر إلى المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح على المأذن بالليل يذكر العقيدة التي تعرف بالمرشدة ، فواظب المؤذنون على

⁽٣) راجع تفاصيل هذا الوصف الشيق للرسوم السنية العباسية للخطبة الجامعة بمصر كما رآها ابن جبير ، في رحلته (ابن جبير ص ٢٤ – ٢٥) . وثمة ملحوظة هامة أمدنى بها الأستاذ عبد الرحن عبد التواب وهي أن المدارس والخوانق الأيوبية كانت مساجد لإقامة الصلوات الخمس ، وليست مساجد لإقامة الخطبة الجامعة يوم الجمعة ، ويؤيد هذا المقريزى عند ذكره لموكب صوفية خانقاه سعيد السعداء ، عند انتقالهم من الخانقاه إلى المسجد الحاكمي لإقامة صلاة الجمعة أنظر المقريزي : الخطط ٤: ٣٧٣ . كما أفادني الأستاذ عبد الرحمن عبد الدواب أيضا أن المدارس الأيوبية لم يكن بها منبر ، ولم تقام خطب الجمعة في هذه المدارس الأيوبية إلا منذ العصر المماليكي ، كما أفادني الأستاذ عبد التواب أن القلقشندي قد فرق في كتابه صبح الأعشى ، بين المسجد الخاص بالصلاوات الخمس ، والمساجد التي تقام بها شعائر الجمعة ، قلت : وهكذا فعل النابلسي أيضا عند حصره لمساجد إقليم الفيوم من واقع ديوان الأحباس ، أنظر النابلسي : إظهار صنعة الحي القيوم ،

ولدينا نص تقليد بخطابة المسجد الجامع بدمشق ، في العصر الأيوبي ، من إنشاء ضياء الدين بن الأثير ، يوصى فيه الخطيب ، أن تكون الصلاة طويلة والخطبة قصيرة ، وأن يدعو في الخطبة للإمام العباسي ، ثم للسلطان الأيوبي ، وإن أمر الصلاة هو أيضًا موكول إلى الخطيب مقرونًا بمهمته ، وبالتبكير يوم الجمعة لوعظ الناس وترتيل القرآن . كما أوصى التقليد متولى الخطابة بأن يحتفل بصلاة الرغائب ، وصلاة النصف من شعبان ، وصلاة التراويح المسنونة في شهر رمضان ، كذلك أوصى بالاحتفال لمصليات الأعياد ، لكون الناس في مواظبتها أشد حرصًا من الجمعة ، كما أوصى بأن يذكر الناس في هذه المصليات بأحسن الأذكار ، ويعرفهم ما يجب عليهم في ذبيحة الأضاحي وصدقة الإفطار ، ويشوقهم في العيد الأكبر إلى بيت الله الحرام (١٠) . ويستشف من مهام الخطبة اهتمام الأيوبيين بعلوا الحلاوات ، وخاصة صلاة التراويح ، وهو ما يخالف الشعائر الشيعية ، والجدير الأيوبيين جعلوا الخطابة تابعة لولاية القضاء وإشراف قاضي القضاه (٢٠) .

وحرص صلاح الدين ، على إزالة جميع النقوش والآثار التي تخلد أسماء خلفاء الفاطميين ، على الجوامع الكبرى بمصر ، ففي سنة ٢٧هه/ ١٩٧١م ، قلع المناطق الفضة التي كان قد عملها الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في صدر المحاريب بجوامع القاهرة ، وخاصة جامع عمرو بن العاص (٣٠) . ومن ناحية أخرى جدد جامع عمرو في السنة التالية ٣٥هه / ١٧٢م ، وأعاد صدر الجامع والمحراب الكبير ، ورسم عليه اسمه ، وعمر في الجامع أغلب أجزائه ، ولقد تتبع المقريزي بالتفصيل إصلاحات صلاح الدين المعمارية في هذا الجامع (٤٠) . وفي سنة ٢٥هه / ١٧٧٦م ، التي كان فيها انتهاء خلفاء الفاطمين ، خلع صلاح الدين المنطقة الفضة من محراب الجامع الأزهر ، وقلع أيضًا المناطق من بقية الجوامع (٥) .

وأغلب الظن أن الأيوبيين قد عنيوا ، - منذ قدوم نجم الدين أيوب والمد صلاح الدين إلى مصر سنة ٦٦هه / ١٧٠ م ، بهدف الإشراف بنفسه من قبل نور الدين على إعادة شعائر السنة إلى مصر ومحو المذهب الإسماعيلي منها - ، على إنشاء عدد كبير من المساجد بمصر ، وترتيب مجالس الوعظ

⁽۱) أنظر نص هذا التقليد بخطابة المسجد الجامع ، بإنشاء ضياء الدين بن الأثير ، في رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسي ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ١٢٤ – ١٢٧ . وعن وظيفة الخطابة كما استقرت في العصسر المماليكي ، أنظر السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١١٢ ، ١١٤ – ١١٥ .

⁽٢) ابن حجر : رفع الإصر ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، س ١٥ ، وأنظر قبله .

⁽٣) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٢ .

⁽٤) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٣ .

⁽٥) المقريزى : الخطط ، ج ۽ ، ص ٥٢ .

السنى بها . وهذا ما أفادنا به الوهرانى وهو معاصر لهذه الأعوام الحاسمة (۱) ، ولقد نسب المقريزى إلى نجم الدين أيوب مسجدًا عرف باسمه ، فى ظاهر باب النصر وهو من أبواب القاهرة ، وذكر أنه أنشأه فى سنة ٢٦هـ / ١١٧٠م ، وجعل إلى جانبه حوض ماء للسبيل ترده الدواب (٢) . كذلك أشاع الأيوبيون ظاهرة بناء المساجد فى المشاهد والقبور المنسوبة لآل البيت أو للصحابة والأولياء ، بغرض التبرك بها واجتذاب العامة إليها . ويخبرنا ابن جبير أنهم رتبوا على هذه المشاهد القومة ، وأجروا عليهم الأرزاق (٢) ، وذلك فى منطقة قبر الشافعى (٤) . وفى منطقة القرافة الكبرى (٥) .

ويبدو أن مدينة الإسكندرية ، لغلبة المذهب السنى عليها طوال العصر الفاطمى قد حظيت بمزيد اهتمام الأيوبيين عند بنائهم للمساجد ، فبنوا بها عددًا ضخمًا من المساجد رآها ابن جبير عند زيارته للإسكندرية ، وأبدى إعجابه الشديد بآثارها وعظمتها (٢) ؛ وربما يكونوا قد أقدموا على بناء المساجد بالإسكندرية ، قبل مصر ، خاصة وأن ظهور المدارس السنية بمصر ، قد ظهر بالإسكندرية منذ وقت مبكر ، كما أن قطع الخطبة الفاطمية والدعوة لبنى العباس قد تحت بالإسكندرية قبل إعلانها بمصر

⁽١) أنظر الوهراني : المنامات والمقامات ، ص ١٣ - ١٤ . وعن مجالس الوعظ السنى في العصر المماليكي ، أنظر السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١١٣ - ١١٤ .

⁽۲) المقریزی: الخطط، ج ٤ ، ص ۲٦٩ - ۲۷۰ .

⁽٣) ذكر ابن جبير مشاهد مصر بالقرافة الكبرى ، أنظر الرحلة ، ص ١٩ - ٢٤ : وقد وكل بها قومه ، يسكنون فيها ويحفظونها . والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر ، ابن جبير الرحلة ص ٢٠ ، س ٢٠ - ٢١ ، ص ٢٧ س ٢ - ٢٠ . ثم يقول : ومن العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة يأوى إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء ، والإجراء على كل موضع فيها متصل من قبل السلطان في كل شهر ، والمدارس بمصر والقاهرة كذلك وحقق عندنا أن الإجراء على ذلك كله نيف على الفي دينار مصرية في الشهر ، وهي أربعة آلاف دينار مؤمنية (ابن جبير : الرحلة ص ٢٤ س ٧ - ١٢) .

⁽۱) ابن جبير : نفس المدر ، ص ٢٢ - ٢٤ .

⁽٥) أنظر بالتفصيل عن هذه المساجد . المقريزي : الخطط ، ج ٤ : ٣٠٦ ، ص ٣٢١ .

⁽¹⁾ يقول ابن جبير عن الإسكندرية: وهو أكثر بلاد الله مساجد ، حتى أن تقدير الناس لها يطفف ، فمنهم المكثر والمقلل ، فالمكثر ينتهى فى تقديره إلى اثنى عشر ألف مسجد ، والمقلل ما دون ذلك لا ينضبط ، فمنهم من يقول ثمانية آلاف ، ومنهم من يقول غير ذلك . وبالجملة فهي كثيرة جدًا تكون منها الأربعة والخمسة فى موضع وربحا كانت مركبة (أى مسجد ومدرسة وغيرهما) ، وكلها بائمة مرتبين من قبل السلطان ، فمنهم من له الخمسة دنانير مصرية فى الشهر .. ومنهم من له فوق ذلك ومنهم من له دونه . وهذه منقبة كبيرة من مناقب السلطان (ابن جبير: الرحلة ، ص ١٧ ، س ١٠ – ١٨) .

بحوالى أسبوع (1). ولكن للأسف أن هذه المساجد التى شيدها الأيوبيون بمدينة الإسكندرية ، قد اندرست كلها ولم يبق منها اليوم مسجد واحد ، وأغلب الظن أنها أبيدت كلها إبان حملة القبارصة على مصر في القرن السابع الهجرى (٢) .

والواقع أن نص الوهرانى وابن جبير وكلاهما معاصر لصلاح الدين ، إلى جانب نصوص المقريزى عن مسجد نجم الدين أيوب ، وعن مساجد أيوبية أخرى أنشأها سلاطين بنى أيوب ووزرائهم^(٣) ، تشكك فيما ذكره الدكتور أحمد فكرى فى أنه لم يجد فى المصادر ذكراً الأى مسجد أنشأه الأيوبيون (١٠) .

ولا الاشك فيه أن قطع الخطبة الجامعة من الجامع الأزهر ، الذى ارتبط باسم السيدة فاطمة الزهراء ، بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، والأم الكبرى التى تفاخر أئمة وخلفاء الفاطمين بالانتماء إليها ، وما صاحب هذا من تعطيل دراسة مذاهب الشيعة بالأزهر ، الذى ظل طوال العصر الفاطمى أضخم مراكز الدعوة الإسماعيلية بحصر^(٥) ، ثم تحويل الأزهر إلى جامعة سنية لتدريس علوم السنة ، وهو ما استمر عليه الحال حتى السوم ، _ إذا أتاحت أهمية مصر بالنسبة للعالم الإسلامي للجامع الأزهر ، أن يصبح أكبر جامعة إسلامية ، بحيث عُد شيخ الجامع الأزهر ، شيخًا للإسلام ؛ والواقع أن هجرة علماء أهل السنة ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية ، من الفسطاط إلى القاهرة ، وجلوسهم لتدريس علوم السنة بالجامع الأزهر ، بالإضافة إلى توافد علماء السنة من العراق وباقي أرجاء العالم الإسلامي " وتصديهم للتدريس بالأزهر ، وكان منهم الرحالة العراقي الشهير عبد اللطيف البعدادي (٢) و تصديهم للتدريس بالوالم السنة عصر ، وفي أغلب أرجاء العالم الإسلامي ، واستمر غلبة المغدادي على العالم الإسلامي إلى اليوم .

⁽١) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤ ٠ ٥ ، وأنظر قبله وبعده .

 ⁽٢) راجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،
 ١١٥ هـ / ١٩٩٦م ، ص ١٧٨ - ١٨٥ .

⁽٣) انظر المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٣٦ ، ٨٦ ، ٨٧ . ٨٩ .

⁽٤) أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، الجنزء الثانى ، العصر الأيوبسى ، دار المعارف بمصر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م ، ص ٤٥ ، والمقدمة ص (و) .

 ⁽٥) أنظر القريزى: الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٤ - ٥٥ ، عمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٣ ٢٥ ، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطمين ج ١ ، ص ١٨٦ .

 ⁽٦) أنظر عبد المتعال الصعيدى: تـــاريخ الجـــامع الأزهــر ، عبـــد اللـــه عنـــان : تـــاريخ الجـــامع الأزهــر ، ص ١١٤ .
 د. عبد العزيز الشناوى: الأزهــر جامع وجامعة .

⁽٧) عبد اللطيف البغدادى : تذكرة الأسفار .

استخدام الحسبة لإعادة شعائر السنة :

وشأن الدولتين المرابطية والموحدية ، اللتين قامتا في أعقاب زوال السيطرة والنفوذ الفاطمي الشيعي من بلاد المغرب ، واستخدمتا وظيفة الحسبة السنية(١) ، للقضاء على الدعوة الإسماعيلية والتشيع ببلاد المغرب؛ استخدمت الدولة الأيوبية أيضًا عند قيامها بمصر، وظيفة الحسبة - وهي الوظيفة التي رتبتها النظم الإسلامية لمراقبة الأسواق والحياة اليومية العامة للتأكد من مطابقتها لأحكم الشريعة _ كوسيلة للقضاء على الدعوة الإسماعيلية بعصر ، والتأكد من إزالة الشعائر الشيعية في الآذان والصلاوات بالمساجد . وفي رأى كل من الدكتور العبادي والعريني أن عبد الرحمن الشيزري ، الذي عاصر صلاح الدين وأهدى إليه كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك(٢)، قد ألف كتابه « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » بطلب من صلاح الدين ولمساعدة الحكومة الأيوبية في مراقبة أرباب الحرف لميولهم للدولة الفاطمية (٣) ؛ لذلك حرصت الدولة الأيوبية على إضافة الحسبة في سنة ه و هم / ١٩٨ م ، إلى جملة ولاية قاضى القضاه بالديار المصرية ، القاضى الكردى ابن درباس(؛) . ولما كانت الدولة الأيوبية ، كما مر بنا قد جعلت التدريس والإشراف عليه شريكًا لمهمة فصل الأحكام ومباشرة القضاء بالنسبة لقاضى القضاه (٥) ، فإن إشراف القاضى على الحسبة أيضًا يعنى أن الأيوبيين قد جعلوا من منصب قاضي القضاه ، الذي كان له الإشراف الكامل على جميع شئون الدعوة الإسماعيلية في العصر الفاطمي ، له الإشراف الكامل على تتبع مراحل القضاء على بقايا الدعوة الإسماعيلية بمصر في العصر الأيوبي ، وفي نفس الوقت الإشراف الكامل على نشر مذهب أهل السنة وعلوم السنة في أرجاء الديار المصرية .

⁽١) أنظر إقبال موسى : الحسبة في المغرب ، مع بعض نصوص خاصة بها ، رسالة مقدمة إلى قسم التساريخ ، كليـة الأداب ، جامعة عين شمس ، للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي سنة ١٩٦٨ .

⁽٢) عن دراسة وافية لهذا الكتاب ، راجع الجزء الثانى من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى، تحت الطبع إن شاء الله ، وراجع الأن ، نقد مصادر رسالتنا للماجستير ، التى نوقشت بجامعة عين شمس سنة ١٩٨١م ، وكانت بعنوان نظم الحكم والإدارة فى العصر الأيوبى بمصر .

⁽٣) عبد الحميد العبادى : كتب الحسبة وفائدتها فى وضع المعجمين الوسيط والكبير ، مجلة مجمسع اللغة العربية ، الجزء الثمامن ، سنة ١٩٥٥ ، ص ٢٢٤ - ٤٢٧ - ٤٢٥ ، الباز العريسى : مقدمة لكتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى ، طبع مصر ١٩٦٥ ، ص ى - ص ك .

⁽٤) ابن حجر : رفع الأصر ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، س ١٥ .

⁽٥) أنظر قبله .

وثمة ملحوظة على قدر كبير من الأهمية ، لاحظها المؤرخ الكبير ابن خلدون ، خاصة بالتطور الذى طرأ على نظام الحسبة فى الإسلام ، مما اقتضى فصلها عن القضاء ، وإندراجها فى وظائف الملك السياسية ، وأفرادها بالولاية ، وذلك لما أنفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظر السلطان عامًا فى أمور السياسة ؛ إذ قال ابن خلدون عن الحسبة : وقد كانت فى كثير من الدول الإسلامية ، مشل العبيدين (أى الفاطمين) بمصر والمغرب ، والأمويين بالأندلس ، داخله فى عموم ولاية القاضى ، يولى فيها باختياره . ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة ، وصار نظره عامًا فى أمور السياسة ، اندرجت فى وظائف الملك وأفردت بالولاية (1) .

ويفسر عبد الحميد العبادى ، هذه الملحوظة الخلدونية ، على أساس أنه منذ ظهور منصب إمرة الأمراء » في بغداد سنة ٢٩ ٢ه م ٢٩ م و ما تلاه من أنظمة عسكرية استحوذت السلطات الفعلية العامة في شئون الحكم الفعلية وبقى للخلفاء الإسم والسلطة الروحية فقط ، صادف هذا الحدث السياسي قيام حالة خطيرة في الأمصار الإسلامية الكبرى ، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ، مثل غزة وبغداد و دمشق والقاهرة وفاس ومراكش ومدن الأندلس ، إذ غدت هذه المدن العظام مراكز صناعية وتجارية كبيرة وبيئات اجتماعية مختلطة تتزاحم فيها الميول السياسية المتعارضة ، والمذاهب الدينية المختلفة ، الأمر الذي اقتضى من ولاة الأمور ، في الدول الإسلامية المختلفة ، سهرًا ويقظة ، حتى لا يضطرب حبل الأمن وتعم الفوضى ، خاصة وقد كسان معظم أهل الحرف ويقظة ، حتى لا يضطرب حبل الأمن وتعم الفوضى ، خاصة وقد كسان معظم أهل الحرف والصناعات ، ذوى ميول سياسية ، ونزعات مذهبية ، وكان كثير من أهل المذاهب الدينية متعصبين الصراعات السياسية والمذهبية بين السنة والشيعة ببغداد وبلاد الشام في القرن الخامس الهجرى ، وعدينة القاهرة ، بعد أن قضى صلاح الدين على الدولة الفاطمية ، إذ كان هوى كثير من أهل الحرف والصناعة مع الدولة الفاطمية الذاهبة (٢) .

وأغلب الظن ، أن وظيفة الحسبة ، كوظيفة سياسة مستقلة عن القضاء ، قد اتخذت كوسيلة سياسة لمحاربة المذهب الفاطمى ، وتتبع أنصاره المندسين في النقابات الصناعية ، على يد سلاطين السلاجقة ، ونوابهم في حكم بلاد الشام ، الذين عرفوا بالاتابكة ، منذ القرن الخامس الهجرى ، وذلك لاستقواء دعوة الإسماعيلية النزارية في بلاد إيران والشام في هذا القرن (٢٠) ، لذلك فإن كتاب

⁽۱) ابن خلدون : المقدمة ، ص ۲۲۲ ، س ۲ – ۵ .

⁽۲) عبد الحميد العبادى : كتب الحسبة ، ص ۲۲٪ – ٤٢٣ . وأنظر برنارد لويس النقابات الإسسلامية ، ترجمها إلى العربية عبد العزيز الدورى ، مجلة الرسالة سنة ، ١٩٤٤م أعداد ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧ ، ٣٦٢ .

عبد الرحمن بن أبى بكر الدمشقى المعروف بالجويرى ، الذى يعد من أقدم كتب الحسبة المسرقية التى وصلت إلينا . كان مؤلفه من كتاب الدولة الأرتقية (١) ، وهم أتابكة السلاجقة ونوابهم فى حكم بسلاد الجزيرة الفراتية التى كانت معبر النزارية من بلاد إيران إلى بلاد الشام (٢) . وقد وضعه الجوبرى كما يقول فى مقدمته بطلب من السلطان مسعود ، وبناه على ثلاثين فصلا ، كلها فى التعريف بطرق الغش والتدليس فى الصناعات المختلفة وما يقع من طوائف معيشة من الناس والمقصود أغلب الظن النزارية من الشعوذة والاحتيال ؛ فلا غرابة أن جمع لأحد المحتسبين فى العصر الأتابكى البورى بدمشق بين نظر الحسبة ونظر الشرطة (٢) .

وإذا كان انفصال الحسبة عن القضاء وصيرورتها أداة رقابة وضبط وتنفيذ سريع ، قد أدى إلى اتضاح شخصية المحتسب⁽⁴⁾، فإن إحدى وثائق العصر الأيوبى ، الخاصة بسجل تقليد محتسب⁽⁶⁾، تؤكد لنا أن متولى الحسبة في هذا العصر وخاصة في بلاد الشام التي ظلت الفرق الشيعية والكلامية بها ، تظهر مقاومة مستميتة ، قد منحته الدولة الأيوبية سلطات ضخمة جدًّا ، تجاوزت السلطات التي عرفت للمحتسب من قبل ، وخاصة في العصر الفاطمي ، على نحو ما شهدت وثيقة خاصة بسجل تقليد محتسب فاطمي (5) .

ولقد اصطلح على تسمية سلطة المحتسب ، وعقوباته التي ينزلها بالمخالفين بـ « التعزير »(٧) ، بعني توقيع العقوبة على مرتكب إحدى المنكرات ، على أساس الاجتهاد الشخصي للمحتسب الـذي

⁽١) أنظر عبد الرحيم (أو الرحمن) بن عمر الدمشقى الجوبرى: المختار من كشف الأسرار، المطبعة المحموديـة، القاهرة، د. ت .

⁽٢) طه شرف : دولة النزارية ، ص ٢٠٤ .

 $^{(\}Upsilon)$ الشيزرى : نهاية الرتبة ، Υ ، Λ - Λ

⁽٤) عبد الحميد العبادى : كتب الحسبة ، ص ٤٢٣ .

⁽٥) انظر تقليد أنشأه ضياء الدين بن الأثير لمنصب الحسبة ، عند ضياء الديس بن الأثير : رسائله ، تحقيق أنيس المقدسي ، ص ١٣٩ - ١٤٨ .

⁽٦) أنظر سجل فاطمى بولاية الحسبة ، من إنشاء القاضى الفاضل ، القلقشندى : صبح الأعشنى ، ج ١٠ ، ص ٤٦٠ - ٤٦٢ .

⁽٧) عن التعذير ، أنظر الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٩ ، س ١٦ - س ١٨ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، ابسن تيمية : الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، طبع بمطبعة المؤيد ١١٥٨هـ ، ص ٣٨ - ٤٦ وهو يفرق بين " الحدود " ، و " التعذير "وهو يقرر في ص ٥٤ أن المحتسب ليس له القتل والقطع ، ثم يضيف أن من أنواع التعزير النفي والتعريب ، وأن التعزير بالعقوبات المالية مشروع أيضًا ، وأنظر أيضًا نفس المصدر ، ص ٤٨ - ٤٩ فصلاً بعنوان : " التواب والعقاب يكونان من جنس العمل " .

كان يشترط في اختياره تفقه في علوم الشريعة (١) ، وكانت القاعدة الأساسية في تحديد طريقة «التعذير» ، المبدأ القاتل بأن الجزاء على قدر جنس العمل ، وقد كانت سلطة المحتسب في تنفيذ عقوباته ، تسمح له بمعاقبة صاحب الجرم ، بأي عقاب يراه من تشهير أو زجر أو مصادرة للسلعة المعشوشة ، أو إخراج التاجر المتلاعب من السوق ، أو ضربه ضربًا يسيرًا بـ « المدرة » (١) ، وهي آلة الحسبة ، على ألا تتجاوز العقوبة التي يقررها المحتسب ، إطار «التعذير» ، إلى إطار إقامة الحدود الشرعية التي نص عليها الشرع ، بالنسبة للجرائم الكبرى ، مثل السرقة والقتل والزنا ... إلخ . وهي عقوبات ثابتة ، يحكم فيها القاضي ، وينفذها صاحب الشرطة (١) ، بحيث لم تكن عقوبة التعذير تتجاوز الضرب بأي حال من الأحوال .

إلا أننا نجد المحتسب الأيوبى ببلاد الشام ، يمنح حق إقامة الحدود في الأسواق ، وقتل معتنقى المذاهب الشيعية والكلامية والفلسفية بحد السيف (أ) ، وهذا أمر لم يسمع به من قبل بالنسبة لسلطة المحتسب ، وهو إذ دل على شيء ، فعلى مدى المقاومة القوية التي واجهها الأيوبيون من فرق الشيعة وأنصارهم في بلاد الشام ، لذلك فإننا نجد في سجل آخر ، خاص بتقليد محتسب أيوبي بمدينة حلب ،

⁽١) يقول الشيزرى : لما كانت الحسبة أمرًا بمعروف ، ونهيًا عن منكر ، وإصلاحًا بين الناس ، وجب أن يكون المحتسب فقيهًا عارفًا بأحكام الشريعة ، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه . فإن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (نهاية الرتبة ص ٦) .

 ⁽۲) يقول الشيزرى: ويتخذ المحتسب له سوطًا ، ودره ، وطرطورًا وغلمانًا وأعوانًا ، فـإن ذلـك أرعب لقلـوب
 العامة وأشد خوفًا : (الشيزرى : نهاية الترتبة ، ص ١٠٠٠ س ١ – ٣ ، و ص ١٠٨ – ١٠٩) .

⁽٣) أنظر ابن تيمية: الحسبة في الإسلام ص ٣٨ - ٤٠، وأنظر أيضًا ابن تيمية: السياسة الشرعية، تحقيق على سامي النشار، وأحمد زكى عطية، الطبعة الثانية ١٩٥١، القسم الثاني: "الحدود والحقوق" ص ٣٦ - ١٦٦.

⁽٤) جاء النص على منح المحتسب سلطة القتل وإقامة الحدود على المنتسبين للفرق المبتدعة المخالفين لعقائد السلف أول أمر في تقليد المحتسب الذي أورده ضياء الدين يقول: أعلم أن الناس قد أماتوا سنناً وأحيوا بدعًا، وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعًا، ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس في أمر دينهم فابدأ أولاً بالنظر في العقائد، وأهد فيها إلى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد، وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا موطن الحق .. ومن عداهم فتشعب دانوا أديانًا، واتبعوا ما لم ينزل به سلطانًا، فمن الصالح الذين لزموا موطن الحق .. ومن عداهم فتشعب دانوا أديانًا، واتبعوا ما للم ينزل به سلطانًا، فمن انتمى من هؤلاء إلى فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولاً، وليكن قتله على رؤس الأشهاد (ضياء: رسائله، ص ١٤٠) وكرر الأمر بعد ذلك بقوله (فإن أبت هذه الطوائف إلا الأضرار فخذهم عند ذلك بحد الجلد.

مناشدة للنواب وولاة الشرطة بتقوية يد المحتسب ومعاونته على إنفاذ أحكامه (١) ، في حين كانت هيبة المحتسب الشخصية في الأسواق ، واحترام التجارك ، واستجابه نقبائهم (١) لتوجيهاته ، إلى جانب «أعوان » (١) المحتسب المكلفين بتبع مظاهر المنكرات وإبلاغه بها ومساعدته في مهامه ، كفيلة بإذعان المدلسين من التجار لعقوباته و «تعذيره » ، طالما كان الأمر متعلقًا بالمخالفات التجارية العادية .

وقد نص سبجل تقليد المحتسب ، على البحث عن كتب أهل الملل والنحل ، والفلاسفة والمتكلمين ، والمنتمين إلى الفرق الإسلامية المخالفة في المذهب لأهل السنة والجماعة ، وأمر المحتسب بتمزيق وإحراق كتبهم التي ألفوها للدعوة إلى مذاهبهم ، بل ذهب إلى حد القبض على كل من يوجد في بيته مشل هذه الكتب ، والتنكيل والتشهير به (أ) ، ولقد خص السبجل بالذكر بعض الفرق الإسلامية ، يبدو أنه كان لها خطرها بالنسبة للنظام الأيوبي ، كنظام يقوم على أساس نصرة الدعوة السنية ، وحاربة الدعوة الإسماعيلية الشيعية ، وما يتعاطف معها من فرق إسلامية أخرى ، بسبب ميلها لقضية الشيعية السياسية ، أو للتقارب العقائدي بينها وبين العقائد الإسماعيلية ، خاصة وأن أغلب الفرق الإسلامية ، المغايرة لمذهب أهل السنة والجماعة ، القائم على ظاهر النصوص ، والاعتماد على العلوم الشرعية النقيلة ، تشابه مذهب الإسماعيلية في تؤيل متشابه القرآن ، وتفسير والاعتماد على العلوم الشرعية النقيلة ، تشابه مذهب الإسماعيلية في تؤيل متشابه القرآن ، وتفسير وخاصة الفلسفة اليونانية .

⁽۱) أورد العماد الأصفهاني منشور من إنشائه لمحتسب حلب ، متضمنًا شروط الاحتساب أنظر البرق الشامي - خ ج ٥ لوحة ١٠١ ب - ١٠٤ جاء فيه : وليدع المتلبسين بالتنجيم والشعبذة والكهانة .. وليصن المساجد .. من اتخاذها .. حلقًا لذوى الخرافات وليكف صوت المحدثين في العقائد بما يوتفها (كذا) ، ويقطع عما يطلقها في أغراض السلف الصالح ويولفها .. وسبيل الولاة والأمراء والشحن والنواب معاونية على ما وليساه .. وتنفيذ أحكامه .. وموافقته على حبس من يراه .. وإرهاق حد من نبا على الحق ..

⁽٢) عن وظيفة العريف ، أنظر الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٢ - س ٣ - ٧ .

⁽٣) عن أعوان المحتسب / أنظر نفس المصدر ص ١٠ ، س ٨ - ١٠ .

⁽٤) جاء في سجل تقليد المحتسب: وما يجده من كتبها التي هي سموم ناقعة لا علوم نافعة ، وأفاع ملففة لا أقوال مؤلفة ، فاستأصل شافتها بالتمزيق ، وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق ، ولا ينفعك ذلك حتى تجتهد في تبع آثارها ، والكشف عن مكامن أسرارها ، فمن وجدت في بيته ، فليؤخذ جهاراً ، ولينكسل به إشهارًا (ضياء الدين ابن الأثير: رسائله ، نشر المقدسي ، ص ١٤٠ س ١٢ - ٢١) . ومن كان ذا مكانة نابهة فلتهبط ، أو شهادة عادلة فلتسقط ، (نفن المصدر ، ص ١٤١ ، س ٣ - ٤) .

فلم يقتصر السجل بإلزام المحتسب بالقبض على الإسماعيلية الذين سماهم بالرافضة ، واتهمهم بالخروج عن الإسلام ، وقيام مذهبهم على العصبية ، والأهواء السياسية المخالفة لجوهر الشريعة والعقيدة الإسلامية ، وإساءتهم للإمام على بن أبي طالب بإدعائهم أنه أحق بالخلافة عمن سبقه من الخلفاء الراشدين ، كما اتهم الإسماعيلية أيضًا بوضع الأحاديث الخاصة بولاية على ، وأنهم قد أولوا هذه الأحاديث بالباطل لخدمة دعوتهم السياسية (١) ، بل نجد السجل يلزم المحتسب أيضًا بالقبض على القدرية (١) ، والمشبهة والمجسمة (١) ، والقائلين بخلق القرآن (١) ، ثم يأمر السجل المحتسب بعرض التوبة على أتباع هذه الفرق المخالفة لأهل السنة ، فإن أصروا على مذاهبهم فليأمر بعلهم ، فإن بقوا على إصرارهم ، فلأمر بقتلهم (٥) .

ولقد عقد الفقيه السنى ابن تيمية ، في كتابه عن الحسبة في الإسلام - الذي الفه في العصر المماليكي - فصولاً هامة ، ناقش فيها أهمية الاحتساب على من سماهم بأهل «التدليس في الديانات»،

⁽۱) جاء فى نفس هذا السجل: وأما الفرقة المدعوة بالرافضة ، التى هى لما رفعة الله خافضة ، فإنهم أناس ليس لهم من الدين إلا اسمه ، ولا من الإسلام إلا رسمه ، وإذا نقب عن مذهبهم ، وجد على العصبية موضوعًا ، ولغير ما شرعه الله ورسوله شروعًا ، ذبوا على عن على فأسلموه ، وأخروه إذ قدموه ، وهؤلاء وضعوا أحاديث فنقلوها وأولوها على ما أولوها ، فتبع الآخر منهم الأول على غمه ، وقالوا أنا وجدنا آبائنا على أمسه (نفس المصدر ، ص ١٤١ ، س ١٦ - ٢١) .

⁽٢) جاء فى نفس السجل: وأما من تحدث فى القضاء والقدر، وقال فيه بمخالفة نص الخبر، فليس فى شىء من ربعه الإسلام، وإن تنسك بمداومة الصلاة والصيام. قال النبى صلى الله عليه وسلم، القدرية بحوس هذه الأمة. والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله والعبد والضياء والظلمة، فعلاج هذه الطائفة أن تجزى بأن تجزى فليقابل حقها بالتكسير واسمها بالتصغير، ولتنقل إلى يقل الحدود عن خفة التعذير (نفس المصدر، ص ، ١٤ كل فليقابل حقها بالتكسير واسمها بالتصغير، ولتنقل إلى يقل الحدود عن خفة التعذير (نفس المصدر، ص ، ١٤ كل ص ، ١٤ كل). والقدرية هم القائلين بحرية اختيار الإنسان الأفعاله ورفضهم لقول الجبرية بأن الإنسان بحبر ومصير غير مخير فى اختيار أفعاله .

⁽٣) كذلك بجرى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم ، (نفس المصدر ، ص ١٤١ س ٤) . والقول بالتشبيه هو الاعتقاد بأن الصفات الإلهية والأسماء الإلهية التى وردت فى النرآن ، يجب أخذها وفهمها على نصها الحرفى وليس المجازى ، وفى هذا تشبيه الله عز وجل ببعض خلقه من الإنسان . أما التجسيم فهو الاعتقاد بأن الله عز وجل جسم ، يمكن أن تحده الأبصار وتراه ، والقول بالتجسيم فى الواقع ، قد ترتب على القول بالتشبيه . (٤) أو قال بحدوث القرآن القديم . ومن ملحدى القرآن ، فرقة فرقت بين المعنى والخط ، وفرقة قالت فيه بالشكل والنقط ، وكل هؤلاء قوم خبشت سرائرهم ، وعميت بصائرهم ، وعظمت عند الله جرائرهم ، (نفس المصدر ص ١٤١ س ٤ - ٢) وأول من قال بحدوث القرآن أو خلق القرآن هو المتكلم القدرى الشهير الجعد بن درهم ، الذى عاش فى نهاية العصر الأموى ، وعنه أخذ المعتزلة ، القول بخلق القرآن .

⁽٥) فخذهم بالتوبة .. فإن أبت هذه الطوائف إلا الأصرار .. فخذهم عند ذلك بحد الجلد ، فإن لم ينجع فنجد ذوات الحد (نفس المصدر ص ١٤١ م ٧ - ١٥) .

واصحاب البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الأقوال والأفعال ، والملاحظ أن الأراء الكلامية التي ذكرها ابن تيمية . واتهمها بتهمة التدليس في الديانات ، لا تنسحب إلا على فرق الشيعة ، وخاصة الشيعة الإسماعيلية ، وإن لم يصرح باسم الإسماعيلية صراحة ، وقد اتهم دعاتهم باللجوء إلى وسائل السحر والشعبذة (١) ، وهو أمر سبق وروده في سجل محتسب حلب(١) واعترف به كبير دعاة الفاطميين القاضي النعمان ، حين لم ينكر أن الداعي أبو عبد الله الشيعي ، عند أول قدومه إلى المغرب ، قبل قيام الخلافة الفاطمية بها ، قد استخدم وسائل السحر والشعبذة للتأثير في القبائل البربرية التي استجابت لدعوته (١) .

كذلك ، وجه ابن تيمية اهتمامًا خاصًا بالنسبة لفرقة كلامية أخرى ، هى فرقه المعتزلة ، على أساس أنها تأخذ من مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، المذى هو الأساس الشرعى لوظيفة الحسبة فى الإسلام ، زريعة للخروج على أئمة المسلمين وإعلان خلعهم والمطالبة بتولية غيرهم ممن تتوفر فيهم شروط الخلافة ؛ وفى رأى ابن تيمية أن الخروج على خلفاء الإسلام ، مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ، لأنه يوقع الأمة فى الفتن (أ) ، التى تبدد شمل وحدتها ؛ وغنى عن البيان ، أن اتخاذ مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ذريعة للخروج على الخلافة الإسلامية القائمة ، وهو المبدأ الذى عدته فرقة المعتزلة أحد أصول مبادئها الخمس الشهيرة ، على أساس أن الخروج على الأثمة الظالمين ، يعد من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كان يعطى لأنصار الدعوة الإسماعيلية ، بعد سقوط خلافتهم بمصر ، سندًا شرعيًا للعمل على إسقاط الخلافة العباسية .

وعلى هذا الأساس نفسر عداء الأيوبيين بالشام لفرقة القدرية ، وهى من أقدم فرق المعتزلة بالشام (٥٠) ، كما نفسر أيضًا قتل الأيوبيين بالشام للفيلسوف والمتصوف الشهير السهروردي (١٠) ، الذي كان في الغالب يظهر التصوف وعلوم الكلام والفلسفة ، ويبطن التشيع والمذهب الإسماعيلي .

⁽١) أنظر ابن تيمية . الحسبة في الإسلام ، ص ٣٧ - ٣٨ وهو نص هام فليراجع .

⁽٢) أنظر قبله .

⁽٣) أنظر القاضى النعمان بن حيون : كتاب افتتاح الدعوة ، طبع بيروت ، ومقدمة المحققة الدكتورة وداد القاضي .

⁽٤) أنظر ابن تيمة : الحسبة في الإسلام ، ص ٥٥ ، وهو نص هام فليراجع .

⁽٥) كان ظهور هذه الفرقة في بداية العصر الأموى ، أنظر زهدى محمد جابر الله : المعتزلة طبع مصر ١٣٦٦هـ. ص ٢ - ٩ .

 ⁽٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ۱۰ ، س ٣ - س ۷ .

وثمة إشارات عديدة أوردها الشيزرى ، توضح أهمية وظيفة الحسبة فى العصر الأيوبى ، فى محاربة المذهب الشيعى ، فقد كان المحتسب يشرف على تعليم الصبيان والصغار فى الكتاتيب ، ويمنع مؤدبيهم فى هذه الكتاتيب من تخفيظهم أشعار الشعراء الذين اشتهروا بتشيعهم ومدحهم للخلفاء الفاطميين بمصر مثل الشاعر صريع المدلا ، الذى مدخ الخليفة الفاطمى الظاهر ، ومثل الشاعر أبو عد الله بن الحجاج ، الذى اشتهر اسمه ببغداد فى عهد ملوك بنى بويه الشيعة ؛ كما أمر الشيزرى المحتسب أن ينهى مؤدبى الصبيان عن تحفيظهم الأشعار التى عملتها الروافض (أى الإسماعيلية) فى أهل البيت ، بل يعلمهم الأشعار التى مدح بها الصحابة ، ليرسخ ذلك فى قلوبهم (١).

كما أفاد الشيزرى أنه كان على المحتسب أن يتقدم إلى جيران كل مسجد ، بالمواظبة على صلاة الجماعة عند الأذان ، لإظهار معالم الدين وإشهار شعار الإسلام ، وأوضح الشيزرى أهمية هذه المأمورية بالنسبة لعصره ، لوجود بقايا للشيعة ، وإن في هذا العمل تقوية لعقائد عوام الناس ، الذين قد تنجح وسائل الشيعة في استمالتهم إلى دعوتهم (٢) . كما كان على المحتسب أن ينهى الشعاذين وأهل الكدية والعميان : عن إنشاد الشعر الذي عملته الروافض في أهل البيت ، ومن ذكر المصرع (أي ملحمة قتل الحسين في كربلاء) وإشباهه لأن هذا كله فتنة للعامة (٢) .

فمجمل القول أن وظيفة الحسبة في العصر الأيوب ، إلى جانب المهام التقليدية للحسبة الإسلامية ، قد خضعت للإشراف المباشر لقاضي القضاه ، واتصفت بصفة سياسة لخدمة الاتجاه السياسي للسلطنة الأيوبية السنية في محاربة بقايا الوجود الشيعي في مصر والشام ، سواء المتمثل في دغاة الإسماعيلية والقدرية (٤) بالشام ، الذين عمد المحتسب إلى القبض عليهم وتمزيق كتبهم

⁽۱) الشيزرى: نهاية الرتبة ص ۱۰۳ – ۱۰۰ . والجدير بالذكر أن الأيوبيين فى ببلاد الشام ، كانوا يعهدون بالحسبة إلى من تفقه على كبار علماء أهل السنة بالشام ، وعرف عنه التمسك بتعاليم المذهب السنى . وأنظر الصفدى : الوافى بالوفيات ، ج ٤ ، ص ٩٨ ، فى ترجمة جمال الدين ابن كروس المحتسب الدمشقى ، المذى وصف بأنه كان رئيسًا محتشمًا قيمًا بالحسبة ، وأنظر عن حسبة القاهرة ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ، ص ٥٠٠٣ .

⁽٢) الشيزرى: نهاية الرتبة ، ص ١١١ ، س ٢ - س ٦ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ١١٣ ، س ٥ – س ٨ .

⁽٤) هى فرقة جمعت بين القول بحرية الإرادة ، أى أن الإنسان له حرية الاختيار فى أفعاله وليس مجبرًا وليس مبصر ، وتعاطفوا مع الدعوة الشيعية وأظهروا العداء للحكومة الأموية التى روجت للقول بالجبر وبررت به انتقال الخلافة من البيت العلوى إلى البيت الأموى .

وإحراقها ثم استتابتهم وتوقيع حد الجلد ثم القتل على من أصر منهم على دعوته ومذهبه ؟ أو المتمشل في النقابات الحرفية والمهنية في أسواق القاهرة ، التي كان هوى أصحابها لا يزال مع الدولة الفاطمية الزائلة ؟ ولم تقتصر جهود الحسبة الأيوبية في مقاومة الدعوة الإسماعيلية على التصدى لفئة المثقفين الممثلة في دعاة المذاهب الكلامية ومعتنقها وفي أرباب الصناعات والحرف ، بل اهتمت اهتمامًا خاصًا بالعوام الذين قد تؤثر فيهم الملاحم الشيعية الخاصة بوصف مصرع الحسين ومصارع الطالبيين ، فعمدت إلى منع أهل الكذية من ترديدها في الأسواق ، كما منعت الصبيان في الكتاتيب من حفظ الأشعار التي نظمها الشعراء المتشيعين في حب آل البيت ، ومدح خلفاء وملوك الشيعة ، هذا الإضافة إلى التأكد من أن شعائر الآذان والصلاوات تقام وفق الشعائر السنية (١٠) ، حتى لا يستمر العامة على ما ألفوه من شعائر شيعية ، فرضها الفاطميون إبان دولتهم ؟ هذا بالإضافة إلى احتفاء المحتسب ، بالصلاوات الخاصة بالأعياد والمواسم السنية (١٠) .

تشجيع التصوف والفكر الصوفي:

وإذا كان إنشاء الأيوبيين للمدارس السنية بمصر سنة ٥٦٦ه / ١١٧٠م، قد هدف إلى نشر علوم السنة بين مثقفى الشعب المصرى، ثم جاء قطع الخطبة والدراسة فى سنة ٥٦٩هـ / ١٧٢م من الجامع الأزهر معقل الدعوة الشيعية بمصر، تأكيدًا لعدم منافسة علوم الدعوة الإسماعيلية الفلسفية، للعلوم الفقهية السنية التى عملت المدارس السنية على نشرها بين المصريين؛ وإذا كان تحويل المذهب الفقهى الرسمى للدولة المستخدم فى القضاء إلى الفقه الشافعى، قد أكد أن المذهب الفقهى الرسمى للدولة الأيوبية هو المذهب الشافعى السنى؛ وجاء إسناد مهمة الإشراف المباشر على المدارس السنية بمصر لقاضى القضاه، نوعًا من الإشراف الرسمى للدولة على التعليم - رغم ما جرى

⁽۱) الشيزرى: نهاية الرتبة ، ص ۱۱۱ ، س ٣ - ٦ .

⁽۲) ضياء الدين بن الأثير: مجموع رسائله ، تحقيق المقدسي ، ص ١٤٢ ، الذي يوصى المحتسب بالاهتمام بالإشراف على صلاة يوم الجمعة الذي هو في الأيسام بمنزلة الأعباد في الأعسوام .. ، والصلاوات الخاصة بالمواسم والأعيساد السنية ، فيقسول : وفي الأعسوام مواسم لصلوات مخصوصة ، كالتراويح في شهر رمضان والرغائب في أول جمعة من رجب ، وليلة النصف من شعبان . فلتملأ المساجد في هذه المواسم .

عليه العرف منذ صدر الإسلام ، واعتبار التعليم ملكًا للأمة (١) ، بحيث لم تتدخل الدولة في تنظيم شنون التعليم ، إلا في حالات خاصة أملتها الظروف السياسية ، كما حدث في العصرين الفاطمي والأيوبي ـ قد استهدف أيضًا نشر علوم السنة بين المثقفين .

وإذا كانت وظيفة الحسبة السنية قد قامت بدور مزدوج لمحاربة التشيع والتأكد من تطبيق الشريعة السنية على مسترى الفقهاء والمتكلمين ومثقفى الصناع والتجار من ناحية ، وفي نفس الوقت على مستوى طلبة الكتاتيب والعامة والجهال في الأسواق ؛ فإن الحكومة الأيوبية ، قد لجأت إلى وسيلة أخرى ، لمحاربة الدعوة الإسماعيلية بمصر ، ونشر المذهب السنى ، استهدفت أيضًا استمالة قلوب المصريين من المثقفين والعامة الأميين على حد سواء ، وإن كانت قد استهدفت بالدرجة الأولى ، طبقة العوام ، واعنى بهذه الوسيلة «التصوف» .

⁽۱) المقصود بأن التعليم في الإسلام كان ملكًا للأمة ، يعني أن المسلمين منذ صدر الإسلام قد شغفوا بدراسة العلوم الدينية النقلية مثل الحديث ، والفقه والتفسير وباقي علوم القرآن ، فكان طلبة العلم يرتحلون في تحصيله وجمعه من أفواه الشيوخ والأئمة ، من أطراف العالم الإسلامي ، الذي امتد في بعض الأوقات من حدود الصين شرقًا إلى بلاد الأخدلس غربًا . وكانت العلاقة بين الشيوخ وطلبة العلم ، أي بين العالم والمتعلم ، تقوم على أساس المعرفة الشخصية المباشرة بين العلماء وتلاهذتهم ، وإن عنيت كثيرًا كتب آداب التعلم بوضع قواعد وأصول تنظيم أداب التعامل والسلوك في مجالس الدرس والتعليم ، وقد استمدت هذه المؤلفات مادتها من كتب الفقه وتفريعاتها ؛ انظر مثلاً الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، طبع دمشق 1989 ، ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، طبع المطبعة النيرية بحصر ، طبعة قديمة ، د. ت ، أحمد فؤاد الأهواني : التعليم في رأى القابسي (من علماء القرن الرابع) ، طبع القاهرة ، د. ت ، أحمد فؤاد الأهواني : التعليم في رأى القابسي (من علماء القرن الرابع) ، طبع شلبي : التربية والتعليم في الإسلام ، طبع القاهرة سنة ، ١٩٩ ع مجموعة رسائل عن التعليم من تأليف إخوان شلبي : التربية والتعليم في الإسلام ، طبع القاهرة سنة ، ١٩٩ ع مجموعة رسائل عن التعليم من تأليف إخوان الصف ، وطبعت على نفقة السيد حسن الشربتلي ، بدار القتوح للطباعة بالقاهرة ، د. ت ، ابن جماعة : السمه ، وطبعت على نفقة السيد حسن الشربتلي ، بدار القتوح للطباعة بالقاهرة ، د. ت ، ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم في آدب العالم والمتعلم ، طبع الهند ١٣٥٣ هـ .

والجدير بالالتفات ، أن مفهوم كلمة مدرسة في الإسلام ، تختلف عن مفهوم المدرسة في المصطلح المعاصر لنا اليوم ، فكلمة مدرسة في الإسلام تعنى بناء خاصًا ، يخصص له من الأوقاف والموارد ، ما يكفى لإطعام وإسكان الطلبة والمدرسين ؛ وسواء إذا كانت هذه المدرسة قد تولت إنشاءها الدولة أو الأفراذ ، فقد كان للمدرس ، مطلق الحرية في اختيار المؤلفات والتصانيف التي يدرسها للطلبة ، إلا إذا كان من شرط وقفية المدرسة أن تكون مختصة بنوع من العلوم (الحديث مثلاً) ، أو بمذهب معين من المذاهب الفقهية (الشافعي مثلاً) – وهذا ما وجدناه في العصرين الزنكي والأيوبي – ؛ ولم يكن ثمة التزام بالنسبة للطلبة لحضور جميع العلوم التي تدرس ، كذلك لم تكن تمنح شهادات للتخرج ، كما لم يكن يشترط سن معين للالتحاق بالمدرسة .

ويخبرنا ابن شداد أن صلاح الدين بدأ في غرس التصوف في أهل مصر لمحاربة التشيع ، وهو لايز ال وزيرًا للفاطميين (١) ، ويفسر محمد كامل حسين ، اتخاذ الأيوبيين للتصوف ، كوسيلة لمزاحمة بقايا العقائد الإسماعيلية بمصر ، بأن الأراء الصوفية ، كانت منذ أواخس العصر الفاطمي ، هي التي شغلت الفراغ الذي تركه دعاة الإسماعيلية ، إذ كان المصريون قد تأثروا بمعتقدات وتعاليم الإسماعيلية ، ولما وجدوا أنفسهم بعد إنقراض الدولة الفاطمية قد حرموا ثما يغذي عاطفتهم الدينية ، اتجهوا إلى التصوف ، وأحلوه في نفوسهم وحياتهم محل ما كانوا يسمعونه من الدعاة الإسماعيلية ، ويعتقد كامل حسين أن القائمين على الدولة الأيوبية ، فهموا هذه الناحية النفسية في الشعب ، فحاربوا العقائد الفاطمية بمصر بتعاليم الصوفية^(٢) .

وذهب الباحثون مذاهب شتى في تفسير سبب انتشار التصوف بمصر في نهاية العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي ، فأرجع بعضهم هذه الظاهرة من ناحية إلى سوء الأحوال السياسية والاقتصادية التي عاشها الشعب المصري في مرحلة الانتقسال بين العهديين الفياطمي والأيوبي ، من فيتن داخلية ومجاعات ، وحروب صليبية ، ردت مصر إلى لون من الحياة فيه شعور حقيقي بالفقر مما خلق في الناس استعدادًا للخضوع لدينهم وأملاً في نعيم الآخرة(٢) ، وقسوى الاتجساه الصوفى عنىد المصريين دشول الفكر الأشعرى إلى مصر على يد صلاح الدين وأثر ذلك في ميل أهل مصر للعلوم الدينية النقيلة ، أكثر من ميلهم إلى العلوم الفلسفية العقلية(1) ، هذا بالإضافة إلى أن الشعب المصرى ، شعب متديس بطبيعته ، وأن للدين عليه سلطانًا عظيمًا (٥) ، وأن التصوف قد عرف بمصر الإسلامية منذ وقت مبكر يرجع إلى القرن الثالث الهجري ، واشتهر بمصر منذ القرن الثالث الهجري ، متصوف أحرزوا شهرة كبيرة ، وإن لم تنتشر مذاهبهم الصوفية الفلسفية بها مشل المتصوف ذو النون المصرى(١). هذا بالإضافة إلى طائفة عرفت بـ « الصوفية » ظهرت بعصر بالقرن الشالث الهجرى أيضًا ، وقامت بالاحتساب على الحكام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٧) ، كما تميز التصوف بمصر الإسلامية،

⁽١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٠ - ٤١ .

⁽٢) أنظر محمد كامل حسين : بين التشيع وأدب الصوفية بمصر ، بحيث نشر بمجلة كلية الأداب بجامعة القاهرة ، الجزء الثاني ، المجلد السادس عشر ، ٥ ديسمبر ١٩٥٤م ؛ محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ٦٣ .

⁽٣) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ٩٥ .

 ⁽٤) نفس المرجع ، ص ٨٧ - ٤٤ ، وأنظر بعده .

⁽٥) نفس المرجع ، ص ٩٦ . (٦) نفس المرجع ، ص ١٢٠ ، أنظر محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، ص ٥٣ .

⁽٧) نفس المرجع ، وأنظر محمد كامل حسين : المرجع السابق ، ص ٢ ٥ .

باعتناق عدد كبير من الفقهاء المصريين له ، كمنهج لحياة الزهد والورع ، وذلك رغم الخصومة التقليدية بين الصوفية والفقهاء(١)

فى حين يرى البعض الآخر تقاربًا بين آراء الصوفية وآراء الإسماعيلية ، ويلاحظ أن دعاة الإسماعيلية الذين أنبثوا فى جميع أقاليم الديار المصرية فى العصر الفاطمى ، كانوا يظهرون الزهد والورع والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويظهر بهذا المظهر الخارجى من التقوى لجذب من لم يعتنق الدعوة ، بحيث لم يختلفوا فى مظهرهم عن الصوفية ، وكانوا يأمرون العامة بالتمسك بالعبادة العملية ، التى تعرف عند الإسماعيلة «بالعلم الظاهر» ، وينشرون بين الخاصة العبادة العلمية التى سموها علم الباطن أو التأويل ، كما قارب بين آراء المتصوفة وآراء الإسماعيلية ،

⁽١) عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية ص ١٣٢، وأنظر محمد كامل حسين: دراسات في الشعر في عصر الأبوبيين ، ص ٥١ . ولكن مع تسليمنا بهذه الآراء التي علل بها عبد اللطيف حمزة انتشار التصوف بمصر في نهاية العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي إلا أننا نتشكك فيما ذكره مسايرًا لآراء آدم منز ونيكسلون والشيخ مصطفى عبد الرازق من أن التصوف الإسلامي قد ظهر بمصر ، قبل أي بلدة أخرى من بلاد العالم الإسلامي ، وذلك لكون مصر ، كانت هي المبتكرة لنظام الرهبنة المسيحية في العصر البيزنطي ، وعن مصر انتشر نظام الرهبنة والأديرة في كافة أنحاء العالم المسيحي ؛ ونحن نؤيد رأينا على أساس أن أول ظهبور للتصوف الإسلامي كان مرتبطًا بأهل الصفة وهم جماعة من فقراء الصحابة في أول عهد الدعوة الإسلامية ، هاجروا مع النبي إلى المدينة وأسكنهم صفة مسجده النبوى بالمدينة ، فعاشوا عيشة أشد ما تكون زهدًا وتقشـفًا واشتغلوا بدراسة القرآن والسنة ، وكان أغنياء المسلمين يتصدقون عليهم ويطعمونهم ، ومن هنا جاء فتوة الفقهاء المتأخرين كما لاحظ السخاوى بأن المنقطعين للعلم والدراسة يستحقون أن تجرى عليهم الأرزاق والجرايات وتوقف للصرف عليهم الأوقاف ؛ وأكد نشأة التصوف في الإسلام ونشأة الأوقاف التعليمية في الإسلام اعتمادًا على أحوال أهل الصفة المؤرخ شمس الدين السخاوي ت ٢ ، ٩ هـ في رسالة تخطوطة لـه سماها: رجحان الكفة في أحوال أهل الصفة ؛ ومن هذه الرسالة الهامة التي تعالج نشأة التصبوف في صدر الإسلام نسخة وحيدة بالجمعية الآسيوية بالهند برقم ١٣٢١ ومعهد المخطوطات برقم ٦٣٠١ت. هـذا وقـد أفاد المقريزي ميله لاعتبار أحوال أهل الصفة كالأصل الأول الذي بني عليه نظام خوانق الصوفية في الإسلام (الخطط: ٤: ٢٧٢) فهو يناقش إذا ما كان اسم الصوفية مشتقًا من أهل الصفه ثم يقول عن الرباطات والزوايا : والرباط هوبيت الصوفية ومنزلهم ، وشابهوا أهل الصفة في ذلك . قال مؤلفه ولاتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا يأوون إلى أهل ولا مال مكانًا من مسجده عرفوا بأهل الصفه (الخطط ٤: ٢٣٩) ويؤيد ما ذهبنا من رفض الرأى القائل أن التصوف الإسلامي ظهر بمصر متأثرًا بنظام الرهبنة المسيحي الذي ظهر في مصر أيضًا ، ملاحظة محمد كامل ، أن الفقهاء الذين عرفوا بالصوفية من المسلمين لم يتأثروا بالرهبنة المسيحية في مصر ، ولم يكن لهم تعاليم خاصة تمايزوا بها عن غيرهم من المسلمين إلا مغالاتهم في هذه الناحية فقط (الزهد) (محمد كامل حسين: دراسات س ٥١ - ٥٢).

وفى اعتقاد صاحب هذا الرأى ، أن بعض الصوفية بمصر كانوا من دعاة الفاطمين (١) ؛ هذا وقد دللت الأبحاث الحديثة التى تدارست ظهور التشيع وتطوره ، تأثر التشيع منذ نشأته بالفكر الصوفى ، وتقارب فرق الشيعية فى أغلب فترات التاريخ الإسلامى ، مع طوائف وفرق الصوفية (٢) ؛ ومما يؤكد هذا ما ردده الصوفية، من أن خرقة التصوف سندين، أولهما ينتهى إلى على بن أبى طالب، وثانيهما ينتهى إلى على الرضى (٢).

وإذا كان عبد اللطيف حزة ، قد لاحظ أن المدرسة السنية ، هي مؤسسة ابتكرتها الدعوة والدعاة للمذهب الأشعرى السني(٤) ؛ اعتمادًا على النقش التأسيسي لمدرسة قبة الإمام الشافعي ؛ فالذي

أما النقش الوارد على شاهد قبر الخبوشانى . ويؤكد اعتناقه للعقيدة الشعرية ، فهو على هذا النحوكما أورده الأستاذ جاستون فايت Gaston Wiet في مقاله، عن نقوش قبة الإمام الشافعى فى مجلة المعهد المصرى. " بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الإمام الزاهد نجم الدين ، ركن الإسلام قدوة الأنام ، مفتى الفرق ، أبو البركات بن الموفق الخبوشانى ، أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشافعى ، رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية الواحدة الأشعرية ، على الحشوية وغيرهم من البتدعه ، وذلك فى شهر رمضان سنة الموصوفين بالأصولية الواحدة الأشعرية ، على الحشوية وغيرهم من البتدعه ، وذلك فى شهر رمضان سنة الموصوفين بالأصولية وانظر .

Gaston wiet: Les Inscriptions du Mausoleé de Shafi, B. I. E., Tome Xv, Session 1932-1933. pp. 167-185; p 170.

 ⁽١) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في العصر الأيوبي ، ص ٥٧ – ٥٨ . والتأويل الباطن للقرآن معروف أيضًا عند الصوفية ، وإن لم يكن لهدف سياسي مثل الحال عند الشيعة الإسماعيلية .

⁽٢) أنظر على الشيبي : الصلة بين التشيع والتصوف ، طبع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .

⁽٣) قال سبط ابن الجوزى: وكان الشيخ عبد القادر الجيلى لبس خرقة المشايخ من أبى سعد المحزومي ، ولبس المخزومي من أبى الحسن على بسن محصد القرشى ، ولبس القرشى من أبى الفرح الطرسوسى ، ولبس الطرسوسى من أبى الفضل بن عبد الواحد التميميى من والده عبد العزيز ، ولبس عبد العزيز من أبى بكر الشبلى ، ولبسر الشبلى من أبى القاسم الجنيد ، ولبس الجنيد من خاله سرى السقطى ، ولبس سرى من معروف الكرخى ، ولبس معروف من داود الطائى ، ولبس داود من حبيب العجمى ، ولبس حبيب من الحسن البصرى ، ولبس البصرى من على بن أبى طالب عليه السلام ، وللخرقة طريق آخر إلى على بن موسى الرضا ولا يثبت سنده . (مرآة الزمان : ٨: ٢٦٣) وأنظر بعده سند " الفتوة وسراويل الفتوه "حبث ينهى أيضًا إلى على بن أبى طالب .

⁽٤) يلاحظ عبد اللطيف حمزة: أن أول من ولى التدريس في مدرسة قبة الإمام الشافعي ، التي كانت أول مدرسة أنشأها صلاح الدين بعصر ، كان الفقيه الجبوشاني . ثم يضيف أن الجبوشاني ، كان من أخطر الفقهاء السنين ، الذين وقعوا على الوثيقة التي خلعوا فيها آخر خلفاء الدولة الفاطمية (العاضد) ، كما كان أول من خطب في جامع عمرو للخلافة العباسية ؛ ثم يلاحظ أيضًا أن الجبوشاني هذا فارسي الأصل وأن نشأة المدارس نفسها فارسية أيضًا ، وأن النقش التأسيسي لمدرسة الجبوشاني بقبة الإمام الشافعي ، يشير إلى أنه كان في أصول الدين وقضايا العقائد أشعرى المذهب ، ثم ينهي د. عبد اللطيف حمزة ملاحظاته بتقرير قوله : إن المؤسسة الإسلامية التي تسمى المدرسة ، كانت أداة من أدوات الحركة الأشعرية ، (أنظر عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ١٦٦١) .

قلت : وفي هذا النقش ما يؤكد أيضًا ما منقرره بعد ذلك عند حديثنا عن نشر الأيوبيين للدُّعوة الأشعرية بمصر أن جميع فقهاء الشافعية منذ القرن الخامس الهجرى ، قد أخذوا في قضايا أصول الدين والعقساند بالعقيــــدة =

الأشعرية ، وأن الأيوبيين أيضا كانوا يأخذون في فروع الفقه بالفقه الشافعي ، ويأخذون في أصول الدين والعقائد بالعقيدة الأشعرية . وثمة نقش على قدر خطير من الأهمية ، لم يلتفت إليه الباحثون من قبل ، يؤكد حرص بني أيوب على نشر الفقه الشافعي بمصر ، واقتران ذلك بنشر الدعوة العباسية بمصر أيضًا، وفي نفس الوقت بنشر العقيدة الأشعرية ، كما أكد النقش السالف وهذا النقش الهام قد نشره أيضًا جاستون فايت في نفس المقال السابق ، جاء فيه : الشافعي أمام الناس كلهم .. في العلم والحلم والعلياء والبأس ، لمه الإهامة في الدنيا مسلمة .. كما الخلافة في أولاد عباس ، أصحابه خير أصحاب ومذهبه .. خير المذاهب عند الله والناس ، وذلك لسبع خلون من جمادي الأولى ، من سنة ثمان وستمائه (٨ - ٦ه) أنظر .

Gaston Wiet: Les Inscriptions du. Shafi, p. 179.

وعن دور الخبوشاني في عزل الخليفة العاضد ، والخطبة لبني العباس بمصر ، أنظر بعده ، الوضع الشرعي الصر .

(١) عن الخوانق ، أنظر القلقشندي : صبح ٣: ٣٤٣ ، وص ٣٦٤ ، المقريزي : الخطط ج ٤ : ص ٢٧٣ . (٢) أنظر عن الكرامية ومذهبهم في التجسيم ، وأراءهم السياسية والكلاميــة ، أنظر على سـامي النشـار : نشـأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١ ، ج ١ ص ٤٠٥ - ٤٢٤ ، ورغم أن محمد بن كرام مؤسس مذهب الكرامية ، عاش في بلاد خراسان في القرن الرابع الهجرى ، إلا أن فرقته قد انتشرت في بلاد الشام إبان الحكم الفاطمي لها ، فيقول المقدسي ، وهو رحالة قام برحلته في القرن الرابع الهجري عند حديشه عن الفرق الإسلامية في بلاد الشام: مذاهبهم مستقيمة ، أهل جماعة وسنة ، وأهل طبرية ونصف نابلس وقدس وأكثر عمان شيعة ، ولا ماء فيه لمعتزلي ، إنما هم في خفية ، وببيت المقــدس خلـق مــن الكراميــة ، لهــم خوانق ومجالس .. واليوم أكثر العمل على مذاهب الفاطمي ، (المقدس : أحسن التقاسيم، طبع بريل ٩٠١، ص ١٧٩ - ١٨٠) . والجدير بالملاحظة ، أن متكلمي الأشاعرة ، مثمل الفخر الرازي ، قمد حرصوا على مجاهرة الكرامية بخراسان بالعداء والخصومة العقائديـة العنيفـة ، أنظر المقريـزى : السـلوك ١: ١٤٤ – ١٤٥ وهامش (٤) ، حـواذث سنة ٥٩٥هـ / ١٩٨٨م . وأنظر المقريزي : الخطط ، ج ٤ ص ١٧٠ و ١٨٣ ، الذي يذكر أن أهم الأراء السياسية للكرامية هي أنه يجوز أن يكون إمامان في وقت واحد ، وأن عليا ومعاوية كانا إمامين في وقت واحد ، إلا أن عليا كان على السنة ، ومعاوية على خلافها . وواضح أن مذهبهم السياسي يفضل على بني أمية وأن أقروا خلافة بني أمية ، مع التحفظ بالقول أن الخلافة الأصلية الشرعية ، هي خلافة على ، ولما كانت الكرامية ، من فرق المرجئة (أنظر عن الكرامية ومذهبهم الشهرستاني : الملل والنحل ص ٧٩ - ٨٥ ، المسمعاني : كتاب الأنساب لوحة ٤٧٧ ، المقريزي : الخطيط ج٤ ، ص ١٧٠ و ١٨٣) فواضح أن مذهبهم السياسي ، كان يهدف إلى الوقوف موقفًا وسـطًا بين خلافة بني أمية وقضية الشيعة ، وإن تعاطُّفوا مع قضية الشيعة ، وأقروا بأن خلافة على كانت هي الشرعية ، ولعل هـذا ما يفسر انتشار مذهب الكرامية وخوانقهم في بلاد الشام إبان الحكم الفاطمي ، وأيضًا في مصر ، ممثلاً في الفرقة الصوفية التي عرفت بالكيزانية . أنظر بعده . ولقد أفاد العلامة الشيخ زاهد الكوثرى أن بعد احتلال الصليبين لبيت المقدس ، هاجر هؤلاء الكرامية ، إلى شمال بلاد الشام ، وأنهم كانوا على الفقه الحنبلي ، وحملوا بدعة التشبيه والتجسيم إلى الشام . وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يرعى خاطرهم لكونهم مهاجرين زهادًا ويتغاضى عن معتقدهم . أنظر محمد زاهد الكولرى : مقدمة لكتاب تبين كذب المفترى ، فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر ، ص ١٦ . في حين أدى عداء الخبوشاني مدرس الشافعية بمصر للحنابلة ونصرته للمذهب الأشعرى: إلى محاولته إبادة الفرقة الكيزانية في مصر، كما أقدم على نبش قبر ابن كيزان المنسوبين إليه . (أنظر محمد كامل حسين : دراسات في الشعر الأيوبـي ، ص ٦٦ – ٦٣) وربمـا كـان إبـادة الصوفية من الكيزانية الكرامية بمصر ، كان بسبب بقاءهم على الولاء للدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية .

الخوانق، كوسيلة تعليمية لنشر علوم السنة واجتذاب مريدى المذهب الإسماعيلى إلى المذهب الاستى ، إغا قد تم على أيدى دعاة المذهب الأشعرى . في القرنين الرابع والخامس الهجرى ، بحيث نسب ابن عساكر ، مؤرخ الدعوة الأشعرية للإمامين ابن فورك والغزالي وهما من ائمة الأشاعرة ، بناء الخوانق في بلاد العراق وفارس وجلوسهما بها لتدريس علوم السنة ، وإلقاء دروس الوعظ الصوفي (١) . وفي هذا تأكيدًا لما اعتقده د. حزة إن حركة انتشار الخوانق بمصر ، تشبه من قريب أو بعيد حركة إنشاء المدارس بمصر في العصر الأيوبي ، وتقترن بها(٢) . أما محمد كامل حسين فيعتقد أن الخانقاه أو التكايا أو مصاطب الصوفية ، وجدت منذ عصر الفاطمين ، اعتمادًا على نص

⁽١) يقول ابن عساكر: موضحًا جهود الإمام أبي بكر بين فورك، في نشر الدعوة الأشعرية وإنشاء المدارس والخوانق في العراق وبلاد فارس ، قال ابن عساكر بعد أن وصف ابن فورك ، بالمتكلم الأصولي الواعظ " أقام أولاً بالعراق، إلى أن درس بها على مذهب الأشعرى .. وورد نيسابور ، فبني له المدار والمدرسة من خانكاه أبي الحسن البوشنجي ، وأحيا لله تعالى .. أنواعًا من العلوم لما استوطنها ، وظهرت بركته على جماعة من المتفقهة ، وتخرجوا به " .. (ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ٢٣٢) . ويذكر ابن عساكر موضحًا جهود الإمام الغزالي في نشر الدعوة الأشعرية ، قول الغزالي نفسه على لسانه : " ما كنت أجوز في ديسي أن أقف على الدعوة ، ومنفعة الطالبين بالإفادة ، وقد حق على أن أبوح بالحق ، وأنطق بـ ، وأدعو إليه ، ثم علق ابن عساكر على قول الغزالي بقوله: وكان صادقًا في ذلك ثم ترك ذلك قبل أن يترك (القصود قبل وفاته) ، وعاد إلى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم و " خانقاه للصوفيــة " ، وكمان قــد وزع أوقاتــه على وظائف الحاضرين ، من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب (المقود الصوفية) ، والقعود للتدريس ، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ، ولحظات من معه ، عن فائدة ، إلى أن أصابه عين الزمان .. فنقله الله إلى كريم جواره " ، (ابن عساكر : تبين كذب المفترى : ص ٢٩٥ – ١٩٦) ، وأنظر نصين هــامين يتفــاخر فيهــا كــل من عبد القاهره البغدادي ، وأبو المظفر الإسفرايني ، وهما من كبار دعاة الدعوة الأشعرية ، في القرن الخامس الهجري ، بأن منشآت أهل السنة وأثمتهم وملوكهم لنشر العلوم تفوق منشآت الفاطميين العبيدين وخلفائهم (أنظر قبله ، فلقد سبق إيراد هذين النصين بعمامهما عن حديثنا عن المدارس ، وأنظر عبد القماهر البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، أبو المظفر الأسفرايني : التبصير في الدين ص ٢٧٦ ، وقد أكد الراوندي مؤرخ الدولة السلجوقية في نصوص وافية صريحة مقدار عناية سلاطين بني سلجوق ، بنشر المشآت السنية الأشعرية في جميع أرجاء دولتهم ، أنظر قبله ، وأنظر الروائدي : راحة الصدور ، ص ١٦٠ ، س ٧ -١٦) ص ١١٣) ص ١٠٤).

⁽٢) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ١٠٦ .

للمقريزى (١) ، ذكر فيه مصاطب للصوفية بقصر الأندلس بالقرافة ، وأفاد أن الخليفة الفاطمى الآمر ، كان يجرى على فقراء مصاطب القرافة الأموال ، ثم يقرر كامل حسين ، مخالفته لرأى عبد اللطيف حزة ، الذى ذهب إلى أن أماكن الصوفية إنما وجدت في عصر الأيوبيين (٢) .

ونحن غيل إلى ترجيح رأى عبد اللطيف حزة ، على رأى كامل حسين ، استنادًا على دليلين ، أولهما مالاحظه حزة ، وأكده الحافظ ابن عساكر ، من أن الخانقاه ، كوسيلة تعليمية لنشر علوم السنة ، وفي نفس الوقت منشأة اجتماعية لرعاية فقراء الصوفية ، وخاصة من الأغراب ، أبناء السبيل ، هي منشئة سنية ، استخدمتها الدعوة الأشعرية السنية ، شانها شأن المدارس ، لنشر علوم السنة ، ومحاربة المذهب الإسماعيلي ، ومن ثم فلا يستقيم عقالاً ، أن ينشر خلفاء الفاطميون بمصر هذه المنشآة السنية ، التي تهدف إلى محاربة المذهب الإسماعيلي الفاطمي ؛ أما مصاطب الصوفية التي وصفها المقريزي ، فواضح أنها لم تكن منشآة تعليمية شأنها شأن الخوانق ؛ وثاني الدليلين على ظهور الخوانق بعصر في العصر الأيوبي ، نصًا صريحًا للقلقشندي ، لم يقف عليه كل من عبد اللطيف حمزة وكامل حسين ، فيقول القلقشندي : إن الخوانق والربط ، لم تعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ،

⁽۱) يقول المقريزى في حديثه عن قصر القرافة ، أنظر الخطيط ، طبع مطبة النيل ، ج ۲ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٩ . ولم ١٧١ في ولم كان في سنة ٢٠ ٤ هـ ١٠ ١٩ م ، جدده الخليفة الآمر ، وعمل تحته مصطبة للصوفية ، وكان يجلس في الطابق بأعلى القصر ، ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والمجامر بالألوية موضوعة بين أيديهم ، والشموع الكثيرة تزهر ، وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ، ومدت لهم الأسمطة ، .. فاستحسن الآمر ذلك .. فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفيه ، ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ، ونثر عليهم متولى بيت المال من الطابق ألف دينار ، فتخاطفها الحاضرون .. وما برح قصر الأندلس بالقرافة ، حتى زالت الدولة (الفاطمية) في شهر ربيع الآخر ، سنة ٣٥ هـ ١٩٧١ م . والمدى نلاحظه من نص المقريزى ، أن هؤلاء الصوفية لم يكونوا من المنقطفين لدراسة العلوم ، وإنهم كانوا من جهال الصوفية اللدرويش وأن الدولة كانت تقدم لهم الأموال والكسوات والأسمطة كهبات ، وليس كمرتبات محددة في كل شهر ؛ كما أن المصاطب تختلف في تخطيطها وبنائها عن الخوانق والتكايا ؛ ولازالت كثير من الخوانق الأبوبين لهذه المصاطب في أول قيام دولتهم الأبوبية والتكايا العثمانية موجودة إلى اليوم ؛ وأخيرًا ، فإن هدم الأبوبيين لهذه المصاطب في أول قيام دولتهم الأبوبية والتكايا العثمانية موجودة إلى اليوم ؛ وأخيرًا ، فإن هدم الأبوبيين لهذه المصاطب في أول قيام دولتهم سنة ٣٥ هـ ١٩٧٨ م ، تفيد بأن هؤلاء الصوفية ، كانوا من أنصار الخلافة الفاطمية والعقائد الإسماعيلية خاصة في نهاية العصر الفاطمي ، الذي شهد تدهور الفكر الإسماعيلي ، وضعف الدعوة الإسماعيلية بمصر .

⁽٢) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ، ص ٥٦ .

وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، فإبتنى الخانقاه الصلاحية المعروفة بسعيد السعداء (١) ، ولقد أعاد القلقشندى نفس النص تقريبًا في موضع آخر (٢) . كما نص المقريزى أيضًا على أن خانقاه سعيد السعداء « أول خانقاه عملت بديار مصر »(٢) .

ولعل ما يؤكد ، أن نشر الخوانق بحصر ، كمنشأة تعليمية اجتماعية ، تضم الصوفية المنقطعين للعلم والعبادة ، قد تم على يد الأيوبيين ، ما ذكره البدليسي ، مؤرخ الدول الكردية الإسلامية ، من أن نجم الدين أيوب ، والد الملوك الأيوبية ، قد أنشأ خانقاه ، حينما كان دزدارا (أي أمير القلعة) لقلعة تكريت ، نيابة عن سلاجقة العراق(أ) ، كذلك نسب النعيمي ، المؤرخ الشامي المتأخر ، لكل من نجم الدين أيوب ، وأخيه أسد الدين شيركوه ، أنشاء بعض الخوانق والربط والمدارس بدمشق ، إبان خدمتهما لنور الدين زنكيي(٥) .

ولقد أفاد ابن جبير تطابق وظيفتي كل من الخوانق والربط ، كدور للعبادة والتعليم ، تخصيص للصوفية ، وتتولى الدولة الإشراف عليها (٦٠) ، كما أكد الوهراني أن بداية نشر هذه المنشآت الصوفيسة عصر ، ومنها « الزوايا » ، قد تم منذ قدوم نجم الدين أيوب إلى مصر سنة ٢٦ه هـ / ١٧٠م ، واقترن

⁽١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٤٣، س ١٥.

⁽٢) القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٤، س ١٥.

⁽٣) المقريزى: الخطط، ج ٤ ، ص ٢٧٣ ، س ٢٣ . والواقع أن تخطيط الخانقاه من الناحية المعمارية يختلف عَامًا عن وصف المقريزى لمصاطب الصوفية التى ذهب محمد كامل حسين إلى القول بأنها كانت أول ظهور للخوانق لمصر . فالخانقاه تتكون من صحن مكشوف تطل عليه غرف صغيرة متعددة يعيش فيها المتصوفون ، ثم أيوانات أربعة ، أكبرها أيوان المحواب حيث يقيمون فيه الصلاة (انظر محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ص ٣٩) . وللأسف أن خانقاه سعيد السعداء لم يتبق منها سوى بعض الجدران لم يستطع علماء الآثار قيزها عن البناء المماليكي الحديث الذي احتواها ، وهو المعروف اليوم بحسجد الشيخ مطهر بشارع المعز لدين الله بالقرب من حي الصاغة ؛ ومع ذلك فقد وصلت إلينا خانقاه من العصر الأيوبي وعن خانقاه الفرافرة بمدينة حلب هي خانقاه الفرافرة تعطينا تصورًا دقيقًا لتخطيط الحائقاه في العصر الأيوبي وعن خانقاه الفرافرة (محمد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٨٨ – ٥٠ ، وأنظر فريد شافعي: العمارة العريبة في مصر الإسلامية ج ١: ٥٠ ٢ ، وأنظر دولة عبد الله عبد الكريم: الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآثار ١٩٧٣ ؛ والجدير بالذكر أن الخوانق صارت تعرف في العصر العثماني " بالتكايا " .

⁽٤) البدليسي : الشرفنامه الكردية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

⁽٥) أنظر الحديث عن المدرسة الأسدية ، النعيمى : السدارس ، ج ١ ، ص ١٥٢-١٥٧ وعن الخانقاه الأسدية ، النعيمى : الدارس ٢ : ١٧٤ - النعيمى : الدارس ٢ : ١٧٤ - ١٧٧ ، وعن رباط أسد الدين شيركوه ، أنظر النعيمى : الدارس ٢ : ١٩٤ ، رقم ٢٠١ .

⁽٦) ابن جبير: الرحلة، ص ٢٥٦، وأنظر يعده.

بحركة إنشاء المدارس والمساجد (١) . كذلك أوضح كل من المقريزى والقلقشندى ، ارتباط ظهور المنشآت التعليمية والخيرية السنية بمصر ، مثل المدارس والخوانق والربط والزوايا والأسبله (٢) ، بقيام الدولة الأيوبية بمصر .

والخوانك جمع خانكاه ، وهى كلمة فارسية ، معناها بيت ، وقيل أصلها خونقاه ، أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ، وقد حدثت في الإسلام ، في حدود الأربعمائة من سنى الهجرة ، وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى (٢) ، ولما استبد صلاح الدين بملك مصر بعد موت الخليفة العاضد ، حول دار سعيد السعداء ، وهو أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر الفاطمي ، إلى خانقاه ، عرفت بالخانقاه الصلاحية ، وبدار سعيد السعداء ، وبدويرة الصوفية . وجعلها برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ، ووقف عليها في سنة ٢٥هـ / ١٧٣ م ، وولى عليهم شيخًا ، وقف عليها بعض البساتين والقيساريات وبعض الأراضي الزراعية بإقليم الديار المصرية (١٤) ، وشرط أن من مات من الصوفية ، وترك عشرين دينارًا فما دونها ، كانت للفقراء ، ولا يتعرض لها الديوان مات من الصوفية ، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره ، ورتب للصوفية في كل يوم طعامًا ولحمًا وحبرًا ، وبني لهم حمامًا بجوارهم ، فكانت أول خانكاه عملت بديار مصر ، وعرفت بدويرة الصوفية ، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ (٥) ، وجعل شرط الوقف على الخانقاه ، أن الخانقاه تكون وقفًا على الطائفة شيخها بشيخ الشيوخ (٥) ، وجعل شرط الوقف على الخانقاه ، أن الخانقاه تكون وقفًا على الطائفة

⁽١) الوهراني : المنامات والمقامات ، ص ١٣ – ١٤ ، وأنظر قبله .

⁽۲) أنظر المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ۲۷۳ ، ۲۹۳ ، ۲۹۷ ، القلقشندی : ج ۳ ، ص ۳٤۲ ، ص ۳۹۴ . (۳) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ۲۷۱ – ۲۷۳ .

⁽٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٧٣ .

⁽٥) المقريزى: الخطط ، ج ٤ ، ص ٣٧٣ ، الذى يقول: لقب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ ، وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وتُرجى بركتهم ، وولى مشيختها الأكابر والأعيان كأولاد الشيوخ بن حمويه مع ما كان لهم من الوزاره والإمارة وتدبير الدولة ، وقيادة الجيوش وتقدمه العساكر . والجدير بللاحظة أن أسرة أولاد شيخ الشيوخ بن حمويه الجوينى ، هى أسرة فارسية الأصل ، وشافعية المذهب ، سفر مؤسسها بين الخلافة العباسية وصلاح الدين فى أول قيام دولته ، وكان أكبر سفراء الخلافة العباسية مسموع الكلمة لدى جميع ملوك وسلاطين الإسلام ، أنظر بعده ؛ والطريف أن هذه الأسرة كانت تجمع بين الوظائف الإدارية والدينية والعسكرية وتولى أكثر من واحد منهم الوزارة وقيادة الجيش ، وكانت تلبس زيًا يجمع بين الوظائف زى العسكر وأرباب الأقلام ، وإزداد نفوذ هذه الأسرة بصفة خاصة منذ عهد السلطان الملك الكامل عمد ، لأنه كان أخوهم من الرضاع ، ولقد صبا أحدهم وهو فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى منصب السلطنة ذاتك بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، أنظر بعده فصلى السلطنة والوزارة ؛ عن وظيفة شيخ الخانقاه ، أنظر بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أبوب ، أنظر بعده فصلى السلطنة والوزارة ؛ عن وظيفة شيخ الخانقاه ، أنظر تقى الدين السبكى ، معبد النعم ومبيد النقم ، ص ١٢٤ ؛ والجدير بالاهتمام أن تولى أسرة اولاد شيخ لشروخ لكبرى الوظائف الدينية ، الخاصة بالإشراف على المشآت والمؤسسات الصوفية قد بدأ إبان خدمتهم لنور الدين زنكى بالشام . فنى سنة ٣٥ه م / ١٩٠٥ م ، فوض نور الدين أمر الربط والزوايا والأوقاف بدمشق وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، إلى شيخ الشيوخ ، أبى القتح عمر بن على بن عمد بن حمويه ، وكتب بدمشق وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، إلى شيخ الشيوخ ، أبى القتح عمر بن على بن عمد بن حمويه ، وكتب بدمشق وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، إلى شيخ الشيوخ ، أبى القتح عمر بن على بن عمد بن حمويه ، وكتب بدمشق وحماة وحمص وبعلبك وغيرها ، إلى شيخ الشيوخ ، أبى القتح عمر بن على بن عمد بن حمويه ، وكتب بدمشق وحماة وحمد أبرك ؟) .

الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ، والقاطنين بالقاهرة ومصر ، فإن لم يوجدوا، كانت على الفقراء من الفقهاء والشافعية والمالكية ، الأشعرية الاعتقاد^(١) ، وثمة نقش أثرى هام ، من عهد السلطان العزيز عثمان ابن صلاح الدين ، يوضح أوقاف صوفية سعيد السعداء ، ويؤكد مكانتهم المرموقة (٢) .

ويخبرنا المقريزى ، عن بعض شيوخه ، أنه كان لصوفية خانقاه سعيد السعداء ، رسومًا طريفة ، وموكب حافل ، فى كل يوم جمعة ، بحيث يخرجون من خانقتهم ومكانها اليوم جامع الشيخ المطهر بشارع المعز لدين الله من ناحية حى الصاغة يتقدمهم شيخهم ، حتى يصلون إلى جامع الحاكم بأمر الله ، وهو الذى كانت تقام به الخطبة الجامعة فى العصر الأيوبى ، فيقومون بأداء شعائر الصلاة الجامعة ، ثم يختمون القرآن ، ويقوم أحد القراء منهم بالدعاء للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، واقف الخانقاة عليهم ، ثم يعودون بنفس موكبهم الرائع الذى كان جميع أهل مصر والقاهرة ، حتى قبيل عصر المقريزى ، يحرصون على الإصطفاف على جانبى الطريق للتفرج عليه حتى يصلون مرة أخرى إلى الخانقاه (٢).

ولقد حالف بعض الباحثين الصواب ، حين لاحظ اعتمادًا على نصوص المقريزى أن الحياة داخل هذه الخوانق ، جديرة بأن توصف بالترف والسعه ، على أن توصف بالفقر والخشونة ، ولذلك لأن أو لئك الفقراء ، كانوا يحصلون على أموال تزيد عن حاجتهم ، مع أنهم قدموا إلى الديار المصرية بغير مال ولا متاع ؛ كذلك لاحظ بدقة أن هؤلاء الصوفية لم يكونوا يعيشون لبطونهم ، بل كانوا يشتغلون دائمًا بالعلم ، وإن كان مقدار العلم الذى كان يدرس فى الخوانق ، أقل درجة من مقدار العلم الذى كان العلم الذى كان حالة قدة عن الحياة داخل الخانقاه ، بأن

⁽۱) المقريزى: الخطط، ج ٤ ، ص ٢٧٥ ، س ٧ - ٩ .

⁽۲) توجد لوحة من الخشب بمتحف الفن الإسلامي ، تتضمن النص التأسيسي بوقف قيسارية على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، مؤرخ سنة ٤٩ هم ١٩٩/ ١٩ م في عهد الملك العزينز عثمان (١٩٨هم ١٩٩ م - ١٩٩٥ م ٥ ه ١٩٩٨م ١٩٥ م) . ونص هذا النقش : العزة لله وحده ، اللهم ارحم الملك الناصر صلاح الدين ، ورضى الله عنه ، الذي أنعم على الصوفية بهذه القيصرية ، وأوقفها على بقعتهم التي تعرف بدار سعيد السعداء بمحروسة القاهرة ، وأمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد ، سيد الملوك والعبيد ، عماد الدنيا والدين ، وسلطان الإسلام والمسلمين ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة نظام العالم ، ملك المعالى ، الملك العزين عثمان بن يوسف ابن أيوب ، ظهير أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه ، في تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخسمائة (٤٩ ه ه / ١٩٨٨م) وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمعين (عبد العزيز مرزوق : القن الإسلامي في العصر الأيوبي ، ص ٣٦ – ٣٧) .

⁽٣) راجع هذا النص الهام عند المقريزى : الخطط ج ٤ ، ص ٢٧٤ .

إستدل من كون الشيوخ المقيمين بها ، كانوا من الغرباء الناذحين من البلاد الأخرى بـأولادهم ، فإن هذا يعنى أن النساء ، كن يقمن في هذه الخوانق مع أزواجهن (١) .

أما الربط، فهى جمع رباط، وهو دار يسكنها أهل طريق الله، واصل كلمة رباط فى اللغة، ما تربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، ثم استقرت كلمة رباط، للدلالة على بيت الصوفية ومنزلهم، وفى رأى المقريزى، أن اتخاذ الربط والزوايا أصل من السنة، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم، اتخذ لفقراء الصحابة الذين لا ياوون إلى أهل ولا مال، مكاتبا من مسجد كانوا يقيمون به، عرفوا بأهل الصفة، ويلاحظ المقريزى أيضًا أن القوم فى الرباط، سواء من المجاهدين والصوفية، مرابطون متفقون على قصد واحد، ومن هنا جاءت تسمية الرباط(٢)، ولقد شهد الرحالة ابن جبير، الربط ببلاد الشام، وأوضح أنها تكاد تتطابق فى غرضها ونظمها بالخوانق، كما أوضح ابن جبير مدى رفاهية العيش التى يحظى بها الصوفية داخل هذه الرباطات، والمكانة الاجتماعية المرموقة التى يتمتع بها أهل المتصوفة بحيث وصفهم بأنم «هم الملوك بهذه والملاد» (٢).

أما الزوايا ، فلم يقدم لها المقريزى تعريفًا دقيقًا وافيًا ، شأن بقية المنشآت التعليمية الخيرية ، التى أدخلها الأيوبيون مصر ، ولكن من الممكن جمع تعريف لها مما أورده المقريزى من تاريخ الزوايا الكثيرة ، التى ذكرها في كتابه الخطط ، ويرجع أغلبها إلى العصر المماليكي ، فالزاوية مبنى صغير ، يسكنه شيخ من شيوخ الصوفية ، سواء أكان هو بانيه ، أو أن أحد السلاطين قد اعتقد فيه بعض الكرامات ، أو لمس فيه العلم والفقه ، وتبرك به ، فبنى له زاوية ، وأسكنه فيها ، وأوقف عليها بعض

⁽١) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ١١٠ - ١١١ وأنظر بحث عن حياة الصوفية بالهند داخل الخوالـ ق في العصور الوسطى :

K.L.A. Nizami: Some Aspects of Khanqah life in Medival india, Studia Islamica, VIII, 8, 1957, p. 51-70.

⁽۲) أنظر المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

⁽٣) يقول ابن جبير: وأما الرباطات، التي يسمونها الحوائق فكثيرة، وهي برسم الصوفية، وهي قصور مزخرفة، يطرد في جميعها الماء على أحسن منظر يبصر، وهذه الطائفة الصوفية، هم الملوك بهذه البلاد، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها، وفرغ خواطرهم لعبادتهم من الفكرة في أسباب المعايش، وأسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنان، فالسعداء الموفقون منهم، قد حصل لهم يفضل الله تعالى نعيم الدنيا والآخرة. وهم على طريقة شريقة وسنة في المعاشرة عجيبة وسيرتهم في التزام رتب الجدمة غريبة، وعوائدهم من الاجتماع للسماع المشوق جيلة، وربما فارق منهم الدنيا في تلك الحالات النفعل الشابر رقة وتشوقًا. وبالجملة فاحوالهم كلها بديعة وهم يرجون عيشًا طيًا هنينًا (ابن جبير: الرحلة، ص ٢٥٦).

الأوقاف للصرف عليها وعلى شيخها ، وكان المتصوف يداوم فى هذه الزاوية على تدريس علوم الفقه والحديث ، وأحيانًا كان يتردد عليه أعيان الدولة ، لتلقى العلوم الشرعية عنه ، وعادة ما كان المتصوف ، يسكن هذه الزاوية ويلازمها حتى وفاته ، وعادة أيضًا ما كان يدفن بها ، ويتبرك الناس به ويتوسلون إليه فى قضاء الحاجات ، ولكن فى العصر المماليكى ، أصبحت هذه الزاوية ، مسكنًا لطوائف معينة من الصوفية ، انتموا إلى طرق صوفية محددة ، وسكنوا بأعداد كبيرة ، وتميزوا بلبس زى صوفى عميز ، قريب بزى الأعاجم ، وما لبست هذه الطرق الصوفية ، التى تركت أسماءها على زوايا أن ابتدعت بدعًا مخالفة للشريعة ، فتهاونوا فى شئون العبادات والفرائض ، على أساس أن تشددهم فى صفاء العقيدة وجوهر الإعان ، يسقط عنهم الفروض والعبادات الشرعية ، وتميزوا فى هيئاتهم بحلق لحاهم ، وخالفوا سلوك مسلك التقشف ، والزهد ، الذى عرف عن الصوفية ، على ادى التى تحامل أهل السنة ، وخاصة الحنابلة عليهم ، وإنكار مذاهبهم وطرقهم وبدعهم وبلاعهم ولقد نبهنا تقى الدين السبكى ، أن أغلب الزوايا ، كانت فى البرارى (٢٠٠٠) .

واخلاصة أن الزوايا ظهرت في العصر الأيوبي ، كمنشأة تعليمية أيضًا ، ثم ما لبثت في العصر المسلكي ، أن تحولت إلى مراكز للطرق الصوفية ، التي أهملت التعليم ، بل أهملت الفرائيض الشرعية ، وهم الذين عرفوا بعد ذلك «بالدراويش »(٢) .

ولقد حدثنا تقى الدين السبكى ، عن نظم الصوفية ومجتمعاتهم داخل الخوانق والربط والزوايسا، فأظهر إعجابه بالصوفية ، ودفاعه عنهم ، وقد آراء الأئمة المنكرين لمجتمعاتهم ، ولقد أوضح السبكى أن أحق الناس باسم الصوفية ، هم الذين يلتزمون بالعلم والزهد والتقشف بواعز من أنفسهم ، دون طمع فيما تجريه الدولة على الصوفية في الخوانق من أطعمة ومرتبات ، فهو يقول: أعلم أن الصوفية أكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ، ولا التعلق بشيء من أسباب الدنيا(أ) ، ولقد حدد السبكى ، مهام شيخ الخانقاه ، الذي كان يسمى بـ «شيخ الشيوخ» أو «شيخ شيوخ العارفين» ، ووصف له طرق تربية المريدين ، أو التدرج بهم في شرح مراتب التصوف ، وعدم مصارحتهم لأول وهلة بأحوال الصوفية التي يصلون إليها بالمداومة على الصلاة والتلاوة والذكر ، بحيث يقتربون

⁽١) أنظر المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ - ٣٠٦ .

⁽٢) السبكي : معيد النعم ، ص ١٢٦ .

⁽٣) أنظر بعده ..

⁽٤) السبكي : معيد النعم ومبيد النقم ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

من الله ، ويصلون إلى أحوال السكر ثم الكشف ، وهمى أحوال قد تنتهى بالمتصوف إلى رؤية الله سبحانه(١) .

كذلك تحدث السبكى ، عن فقراء الخوانق ونهى الساس القادرين على التكسب من منافسة الفقراء فى سكنى الخوانق ، وجعل التصوف وظيفة يتمتع منها بإدرارات أوقاف الخوانق ، كما نبه السبكى على فقراء الصوفية ، عدم الاستكانة إلى البطالة ، واستمراء العيش الرغد السهل داخل الخوانق ، ونصحهم بضرورة ترك الخوانق والضرب فى الأرض للبحث عن الرزق ، فدخول الخانقاه للفقير فى رأيه ، لمجرد سد الرمق ، وليس للبقاء فيها إلى الأبدر؟).

وأيضًا حدد السبكى مهام خادم الخانقاه ، فألزمه بالحرص على توفير أوقاتهم للعبادة ، كما أمره بالاحتفاظ بفاضل أقواتهم ، ووضعه في مستحق من مسكين أوهره ونحو ذلك ، ونبه عليه بألا يرميسه ، فليس من شيمة الصوفية طرح زاد ، كما ناشده بتميز وقفهم ، ومطالعة مباشرى الأوقاف بذلك (٣) .

أما شيخ الزاوية ، فعليه تهيئة الطعام للواردين والمجتازين ، ومؤانستهم إذا قدموا ، بحيث تــزول خجلة الغربة عنهم . وينصح بإفراد مكان للوارد إذا أمكن هذا ، لئلا يستحى وقت أكله وراحته (١٠٠٠) .

وعلى هذا النحو، أصبح للصوفية بمصر، نظام اعترفت به الدولة، واحاطته بعنايتها كما كانت الدعوة الإسماعيلية في العصر الفاطمي، فكان الصوفية يعيشون في الخوانق مما تدره عليهم الدولة، الأمر الذي حدا بكثير من المصريين إلى اتخاذ طريق التصوف كوسيلة للحياة الدنيا، بل منهم من اتخذ التصوف مذهبًا دينيًا له (٥). فمنذ العصر الأيوبي، أمسى التصوف من الظواهر اللافتة في الحياة المصرية (٦).

وَوَشَتَ الأَلقابِ الفخرية لسلاطين بني أيوب ، بميلهم للتصوف ، وبغلبة السروح الصوفية على عصرهم ، فجاء نقش مؤرخ سنة ٨ • ٦ هـ / ٢ ١ ١ م ، بقبة الإمام الشافعي ، خاص بقسبر والدة الملك

⁽١) نفس المصدر ، ص ١٧٤ .

⁽٢) نفس المصدر ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ١٢٦ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ١٢٦ .

⁽٥) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر الأيوبي ، ص ٦٥ – ٦٦ .

⁽٦) نفس الرجع ، ص ٥٠ .

الكامل محمد: «هذا قبر .. المرحومة الفقيرة إلى رحمة ربها ، والدة الفقير إلى رحمة به ، محمد ولل مولانا السلطان الملك العادل العالم العابد ، المجاهد المرابط .. إبى بكر بن أيوب» (١) ، وجاءت ألقاب الملك الصالح نجم الدين أيوب ، في قبته بتاريخ 750 هـ 750 هـ 750 هـ (هذه التربة المباركة بها ضريح مولانا السلطان الملك الصالح ، السيد العالم ، العادل ، المجاهد المرابط ، المشاغر .. » (٢) ، ولا يخفى أن حرص ملاطين بني أيوب المتأخرين ، على أن يدفنوا في قباب ، ويقام لهم أضرحة ، هو في حد ذاته أثرًا من أثر سمو مكانة الصوفية في أيامهم .

كذلك أفصحت النقوش الأيوبية ، عن مكانة الصوفية في هذا العصر ، وما قاموا به من جهود في سبيل محاربة المذهب الإسماعيلي ، ونشر علوم السنة . فلقد جاء على شاهد قبر الشيخ محمد الفارسي الصوفي بتاريخ ٢٢٢ه / ٢٢٥م ، «هذا قبر الصدر الإمام ، الحبر الهمام ، شيخ مشايخ الإسلام ، سيد فضلاء الأنام ، إمام الموحدين ، سيد المحبين ، قدوة المحقيين والعارفين ، قطب الوقت ، سر الله في أرضه ، فخر الحق والدين ، حجة الإسلام والمسلمين ، قامع المبتدعين ، شيخ الورى ، حجة الخس على الخلق ، الغريب ، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن أبي الفوارس .. الفارسي »(٣).

وليس أدل على احتفاء سلاطين وملوك بنى أيوب ، بشيوخ وعلماء الصوفية ، من وصول أجازتان علميتان ، أجاز بهما الصوفى الأشهر ، محى الدين بن عربى (١٠) لملوك بنى أيوب ببلاد الشام حين زارهم ونزل فى ضيافتهم بدمشق ، الأولى أجازة إلى السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازى ،

⁽۱) العماد: الفتح، ص ١٤٥، والأدلة متعددة على ميل ملوك البيت الأيوبي إلى التصوف، فقد حكى عن أحد أولاد الملك الكامل، وهو الملك الأشرف موسى، أنه أوصى أن يكفن بعد موته في ثوب أحد الفقراء. (الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب – خ، ورقة ٢٥)، كما حكى عن الملك المعظم سليمان بن الملك المظفر تقى الدين عمر، وكان ملكًا على اليمن بين عامى ١١٦هـ – ٢١٦هـ، أنه كان ففيرًا يحمل الركوه على كنفه، ويتنقل معه الفقراء من مكان إلى مكان (الحنبلي: شفاء القلوب، ق ١١١).

⁽²⁾ Wiet: Les Inscriptions du Mausolée de shafiei, B. I. E., Tome XV. 1932-1933, p. 175.

⁽³⁾ Van Berchem: Materiau... p. 96-97, 105.

(2) أنظر ترجمته عند ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، الحميدى ، جذوة المقبس ، ص ١٧٥ ، ابن حجر: لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٣١١ ، المقرّى: نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، ابن الأبار: الكملة ، ١٠ ٣٥٦ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٧٠ ، الصفدى : الوافى ، ج ٤ ، ص ١٧٣ – ١٧٨ ، التكملة ، ١٠ ٢٥٦ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٧٠ ، اللهبسى : ميزان الاعتدال ، ٣٠ ١ - ١٠٨ ؛ اللهبسى : ميزان الاعتدال ، ٣٠ ١ - ١٠٨ ، ابن العماد : شدرات الذهب ، ٥ : ١٩٠ - ٢٠٢ ؛ وهو محمد بن على بن العربى ، أبو بكر الخاتى الطائفى الأندلسي ، المعروف بمحى الدين بن عربى ، الملقب بالشيخ الأكبر ، ولد بمرسية بالأندلس سنة ، ٥ مد وانتقل إلى أشبيليه وقام برحلة ، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز . وأنكر عليه أهل الديار المصرية " شطحات " صدرت عنه ، فعمل بعضهم على إراقة دمه ، وحبس فسعى فى خلاصة بعض مريديه فنجا ، واستقر في دمشق فوفي فيها سنة ١٣٨ه / ١٢٤٠ .

ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وأولاده ، ومؤرخه سنة $778 = 1774 = 10^{(1)}$ ، والثانية إلى الملك العادل أبى بكر ابن أيوب وأولاده ، ولمن أدرك حياته ، بأن يرووا عنه جميع ما رواه عن أشياخه وما ألفه وصنفه $^{(7)}$. ويبدو أن الأيوبيين ، وهم من جنس كردى $^{(7)}$ ، قد شابهوا الأتراك في ميلهم نحو التصوف $^{(4)}$ ، إذ أشتهر بعض مشاهير فقهاء الأكراد ، بالميل إلى الزهد والتصوف على مذهب أهل السنة والجماعة $^{(9)}$.

ولعل في هذه الحفاوة ، التي قوبل بها كبار الصوفية الوافدين على مصر ، من بلاد الأندلس ، مثل ابن عربي ، وبلاد فارس مثل ابن أبي الفوارس ، وما أغدقته الدولة الأيوبية على المنشآت الصوفية من رواتب وخدمات ، ما يفسر نشاط الصوفية في مصر الأيوبية ، نشاطًا منقطع النظير ، لم تشهده البلاد من قبل ولن يتكرر مثيله بعد ذلك ، خاصة وأن كثيرًا من هؤلاء المتصوفة ، تفرد بأراء ، خلقت

⁽۱) جاء في أول هذه الإجازة: والحمد لله رب العالمين .. أقول وأنا محمد بن على العربي الخاتمي ، وهذا لفظي ، استخرت الله تعالى ، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازى ابسن الملك العادل أبيي بكر وأولاده ، ولمن أدرك حياتي ، الرواية عنى في جميع ما رويته عن أشياخي ، من قراءة وسماع ، ومناولة وكتابة وإجازة ، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم .. وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر ، وتلفظت بالإجازة تقيدى هذا الحط ، وذلك في غرة المحرم سنة ٣٦٦هـ/١٢٣٤م ، بمحروسة دمشق .. ومن هذه الإجازة تلاث نسخ خطية بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٦٥ مصطلح ، ١٥٨ طلعت ، ١٩٩٥ ب ، وانظر فؤاد سيد : فهرست المخطوطات ، المجلد الأول ، مصطلح الحديث ، طبع دار الكتب المصرية ، ١٣٧٥هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٢٣ ، ولقد أورد نص هذه الإجازة العياشي في رحلته ، أنظر الرحلة العياشية ، ج ١ ، ص ١٩٥٩ ورقد إجازة ثالثة لابن عربي للملك المعظم ، ضمن مجموعة خطية بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، برقم ٢٤٥ عام ورقة ١٥٠ - ٢٠ .

 ⁽٢) ونص الإجازة الثانية يكاد ينطابق مع نص هذه الإجازة ومنها نسخة ضمن مجموعة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٦٣٣ مجاميع طلعت ، أنظر فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المجلد الأول ، مصطلح ، ص ١٢٣ .

⁽٣) البدليسي: الشرقنامة الكردية ، ص ٥٦ .

⁽٤) أنظر حسين عجيب المصرى ، الأدب التركى ، مجموعة كتابك رقم ٨٢ ، طبع دار المعارف ، ١٩٧٨ ، ص ١٥ - ١٩ .

⁽٥) ذكر ابن تغرى بردى فى سنة ١٠٩٣هـ/١٠٩ م، وفاة على بن أحمد بن يوسف بـن جعفر بن عرفة الحافظ الفقيه الهكارى وقال: كان ينعت بشيخ الإسلام ...، كان إمامًا عالمًا ، سمع الحديث ورواه ، وبنى أربطة ، وقدم بغداد ، وكان صاححًا متعبدًا ، شيخ بلاده فى التصوف ، وكان من أهل السنة والجماعة ؛ ولقد أفاد ابن تغرى بردى أن الهكارية جبال فوق الموصل ، فيها قرى يسكتها الأكراد ، أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٨ ، ومع ذلك فإننا نرى فى رأى د. محمد كامل حسين فى أن اهتمام الأيوبيين والمماليك بحركة التصوف مصدره أن الجنس الآرى يميل إلى التصوف بعض المغالاة .

تيارات فلسفية شديدة ، لم يكن للتصوف عصر الإسلامية عهدًا بها من قبل ($^{(1)}$) ، مشل رأى ابن عربى في وحدة الوجود $^{(7)}$ ، وهو الرأى الذى قال به أغلب متصوفه مصر $^{(7)}$.

كذلك شهد عصر بني أيوب ، اشتهار بعض الصوفية المصريين المولد ، مشل ابن الفارض (1) ، الذي خلف شعرًا ، يفيض بالرقة والعدوبة ، ويجنح في تصوفه ، إلى القول بمذهب

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع تخلق ما ينهي كرونه فيك فأنت الضيق الواسع

أى أن ابن عربى لم يفرق بين الواحد والكثير ، وبين الخالق والمخلوق ، وأنه أدرك ذلك بذوقه لعجز حواسه عن إدراكه أنظر تعليق د. أبو العلا عفيفي على الترجمة العربية .

Encyclopedie de l'Islam II: 383-384.

لدائرة المعارف الإسلامية: عبد اللطيف حزة: المرجع السابق ص ١٠١، لطفى جمعة، تاريخ فلسفة الإسلام، ص ٢٧٥ – ٣٠٢ .

(٣) محمد كاهل حسين: المرجع السابق، ص ٦٦.

(٤) هو عمر بن على بن مرشد بن على الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاه ، أبو حفص وأبو القاسم شرف الدين ، ابن القارضى ، عرف بأشعر المتصوفين ، وكان يلقب بسلطان العاشقين ، لقوله بمذهب الحب الإلهى ، قدم أبوه من هماه إلى مصر فسكنها ، ولما شب عمر اشتغل بفقه الشافعية ، وأخذ الحديث عن ابن عساكر ، وأخذ عنه الحافظ المنذرى وغيره . ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية ، فتزهد وجعل يأوى إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم . وذهب إلى مكة فى غير أشهر الحج ، فكان يصلى بالحرم ويكثر العُزلة في واد بعيد عن مكة ، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره . وعاد إلى مصر بعد شمة عشر عامًا ، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر ، وقصده الناس بالزيارة ، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته . وتوفى سنة ٢٩٣١ه / ٢٣١٩ م . أنظر ترجمت عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ كان ينزل لزيارته . وتوفى سنة ٢٩٣١ه / ٢٣١٩ م . أنظر ترجمت عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ مر ٢٨١ – ٢٩٩ ، الذهبى : ميزان الاعتمال ، ٢ : ٢٩٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٢ ، ٨٨٨ – ٢٩٠ ، ابن العماد : شذرات ميزان الاعتمال ، ٢ : ٢٩٦ ، الخوانسارى : روضات الجنات ٥ ، ٥ – ٢ ، ٥ . وفي وجود ترجمت الذهب ، وفي هذا ما يؤيد تشعر ابن الفارض عند الخوالسارى ها يفيد أن الشيعة كانت تعد ابن الفارض من المشيعين لعلى ، وفي هذا ما يؤيد تشعمة وهو يلاحظ أن ابن الفارض اعترف في شعره في صراحة تامة بالأنمة من نسل على بن أبي طالب تشعمة وهو يلاحظ أن ابن الفارض اعترف في شعره في صراحة تامة بالأنمة من نسل على بن أبي طالب وبالتأويل الباطن الذي خص به على .

⁽١) محمد كامل حسين: دراسات في الشعر، ص ٩٦.

⁽٢) يرى أصحاب هذا المذهب ، أن الوجود كلمة حقيقة واحدة ، وينظرون إلى الكثرة والتعدد على أنهما أمران ناجمان عن حواس الإنسان الظاهرة ، والعقل الإنساني قاصر بطبيعته عن إدراك الوحدة الذاتية ، وقد عبر ابن عربي عن هذا المعنى بقوله :

« الحب الإلهى »(۱) ، ولاشك انه لولا تشبحيع سلاطين بنى أيوب للتصوف ، لما قدرت الأيام لابن فارض ، أن يحقق هذه الشهرة والمكانة بين متصوفي عصره .

وفى رأى كل من محمد كامل حسين وأبو العلاء عفيفى ، أن ابن عربى قد انتفع فى صياغة مذهبه بمصطلحات الإسماعيلية الباطنية والقرامطة وإخوان الصفا^(۲) ، كما اتفقت بعض أراء محى الدين بن عربى مع أراء الإسماعيلية ، لكون مذهبه ، شأن مذهب الإسماعيلية ، يقوم على مزج الآراء والفلسفات القديمة (۲) ، ولعل هذا التشابه بين مذهب ابن عربى والمذهب الإسماعيلي من ناحية المصطلحات ، كان السبب فى أن ابن عربى ، كان أشد المتصوفة أثرًا فى صوفية مصر ، فقال أكثرهم برأية فى وحدة الوجود ، وبين رأى برأية فى وحدة الوجود ، وبين رأى الإسماعيلية فى التوحيد (٥) ، الذى يقوم على نفى الصفات والتشبيه عن الله ويؤكد مغايرة ذاته لذوات مخلوقاته .

ويتفرد عبد اللطيف حمزة ، برأى وصفه بأنه لا يستند إلى نصوص علمية صريحة ، وإنما يستمده من المذاهب الصوفية التي انتشرت في مصر في العصر الأيوبي ، وهو أن التصوف كان يمشل في هذا العصر ، نوعًا من السُمُو الروحي والعقلي ، فوق جميع العصبيات الدينية المختلفة التي ولدتها الحروب الصليبية ، وتجل هذا الاتجاه ، في مذهب المعرفة . أي معرفة الله عن طريق القلب لا الحواس . ومذهب وحدة الوجود ، وكلها مذاهب تصرح بأنه لا فرق بين دين ودين ، لأن الله تعالى عام للجميع .

وفی موقفی لابل اِلَ توجهــی ولکن صلاتی لی ومنی کعبتی

وعن مذهب الحب الإلهى ، أنظر محمد مصطفى حلمى : ابن القارض والحب الإلهى ، (ابن حجر : لسان الميزان ، ج ٤ ، ص ٣١٨) طبع القاهرة د.ت. ، عبد الرحمن بدوى : شهيدة العشق الإلهى ، رابعة العدوية ، طبع القاهرة مكتبة النهضة المصرية د.ت. وعن آراء ابن الفارض الفلسفية الأخرى ، أنظر احمد فمؤاد الإهوانى : عبلة الكتاب ، ج ٨ ، ص ١٠٥ – ١٠٥ .

⁽١) الحب الإلهى: يعنى الفناء والاتحاد فى الذات الإلهية عن طريق المبالغة فى تهذيب النفس ومفارقة اللذات والتدرج فى مصافاة النفس ، حتى يصفوا الطبع عن البشرية ؛ ولقد تأثر ابن الفارض فى رأيه فى "الحب الإلهى" برأى ابن عربى فى وحدة الوجود ، ولقد أورد ابن حجر لابن الفارض أبيات صَرَّح فيها بمذهب الاتحاد وهى :

⁽٢) محمد كامل حسين : المرجع السابق ص ٦٦ ، أبو العلا عفيفي : فصوص الحكم ، ١: ٧ .

⁽٣) نفس المرجع ، ص ٦٦ .

⁽٤) نف*س* المرجع ، ص ٩٧ .

⁽٥) عبد اللطيف حمزة : نفس المرجع ، ص ٩٥ ، وص ٩٩ .

والطريف أنه قد واكب انتشار هذه المذاهب الصوفية الفلسفية في مصر ، انتشار مذاهب صوفية أخرى ، لا تقوم على فكر فلسفى ، ولا يتمتع شيوخها بقدر من العلم الشرعى ، بل لعل بضاعتهم العلمية كانت أقرب إلى فكر العوام ومعارفهم منها إلى فكر العلماء وثقافتهم ، وأعنى بهؤلاء مشايخ الطرق الصوفية مثل الأحدية المنسوبة للسيد أحمد البدوى (١) والشاذلية المنسوبة إلى أبى الحسن الشاذلي (٢).

كما اشتهر بالتصوف أيضًا في هذا العصر بعض الفقهاء ، مثل عبد الرحيم القسنائي(٣) ،

⁽۱) هو أحمد بن على بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوى ، المتصوف صاحب الشهرة في الديار المصرية ، أصله من المغرب ، ولد بفاس سنة ١٩٥٩ هم ، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة ، وزار سورية والعراق سنة ١٩٣٤ مر ١٣٣٩ م ، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس ، فخرج لاستقباله هو وعسكره وأنزله في دار ضيافته ، وعظم شأنه في ديار مصر ، فانتسب إلى طريقته جمهور كبير ، بينهم الملك الظاهر ، وتوفى في طنطا سنة ١٩٧٥ مر ١٩٧٨ م . حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع ألحاء القطر المصرى احتفاءًا بمولده ، أنظر ترجمته عند ابن العماد : شذرات الذهب ، ٥: ١٩٤٥ الشعراني : طبقات الصوفية ، ١: ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ١ ٢٥٢ ، وهو فيه أبو الفتيان ، ويعرف بأبي اللئامين السطوحي ، لأنه مكث على السطوح مدة ١٢ سنة ، وأنظر K. Vollers ، دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، ج ١ ص ٢٥٥ – ٢٧٢ ، وأنظر إبراهيم أحمد نور الدين : حياة السيد البدوى ، طبع مصر العربية ، ح ١ ص ٢٥٥ – ٢٧٢ ، وأنظر إبراهيم أحمد نور الدين : حياة السيد البدوى ، طبع مصر

⁽۲) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز الشاذلى العربى ، أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية ، ولد في غمازة ، من قرى الحريقية سنة ٩١ ه ه (١٩٤ م و تفقه و تصوف بتونس ، وسكن شاذلة ، فنسب إليها ، وطلب الكيمياء في ابتداء أمره ، ثم تركها ورحل إلى بلاد المشرق ، فحج و دخل العراق ، ثم سكن الإسكندرية . و توفى بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج . وكان ضريرًا ينتسب إلى الا دارسه أصحاب المغرب أخبره بذلك أحد شيوخه عن طريق المكاشفة ، وقد أنكر ذلك الحافظ الذهبي قائلاً : لسب مجهول لا يصح ولا يثبت ، كان أولى به تركه . أنظر ترجمته عند الصفدى : نكت الهميان في نكت العميان ، وسلام على سالم ص ٢١٣ ، الشعراني : طبقات الصوفية ، ٢: ٤ ، الزبيدى : تاج العسروس ، ٧ : ٣٨٨ ، وأنظر على سالم عمار : أبو الحسن الشاذلي ، والواقع أن كل من الطائفة الأحمدية والشاذلية قد تأثرتا بالطائفة الرفاعية النهرت بالعراق والسيد أحمد البدوى نفسه زار العراق واحتك بالرفاعية ، أنظر عن ترجمة القطب الرفاعي ، سبط : مرآة ، ج ٨ ، ص ، ٣٧٠ .

⁽٣) هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن محمد القنائى ، مغربى الأصل ، ينتهى نسبه إلى الإمام جعفر الصادق ، مولده فى إحدى قرى سبته سنة ٩٢ ٥هـ/ ١٩٥ م ، أقام بمكة سبع سنين ، واستقر فى قنا بصعيد مصر الأعلى ، وقبره فيها . أنظر ترجمته عند الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٥٦ - ١٦٦ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٤٢ : ١٢٢ . والملاحظ أن كل من السيد البدوى وأبو الحسن الشاذلى وعبد الرحيم القنائى ينتسبون إلى الأشراف العلويين . وأن ثلاثتهم قد وفدوا إلى مصر من بلاد المغرب .

وأبى الحسن ابن الصباغ (١٠) ، فبلا ريب أن خلفت هذه الاتجاهبات الصوفية المختلفة المشارب والاتجاهات ، أثرا ملحوظًا في الحياة الأدبية والعقلية في العصر الأيوبي (٢٠) .

ولكن مع كل هذا الاهتمام الذى أبداه الأيوبيون فى تشجيع التصوف، ورعاية الصوفية ، وإنشاء المؤسسات الخاصة بهم التى تشرف عليها الدولة . وتخصص لها من الأوقاف ، ما يكفل لها الاستمرار والبقاء ، ويحقق للصوفية الحياة الرغدة الكريمة ، ومع ما قوبل به مشاهير الصوفية الوافدين على مصر والشام فى ذلك العصر بالحفاوة والترحاب ، ومع ما حظى به الصوفية من مكانه مرموقة لدى ملوك وسلاطين بنى أيوب ، فإننا على العكس نجد السلطات الأيوبية ، تُبادل بعض فرق الصوفية العداء السافر ، وتسعى فى إبادة اتباعها والتمثيل برؤسائها .

وينسحب هذا الموقسف العدائي للإيوبيين ، تجاه بعض الصوفية ، على الفرقة الكيز انية (٣) ،

⁽۱) هو على بن حميد بن إسماعيل بن يوسف، أبو الحسن بن الصياغ القوصى ، توفى بعد سنة ٢، ٦هـ / ٢٠٩م، وصفه الأدفوى بشيخ الدهر بلا منازع ، صاحب المعارف والعوارف والكرامات المشهورة . أنظر ترجمته عند الأدفوى : الطالع السعيد ، طبع الهند ١٩٦٦ ص ٣٨٣ – ٣٨٧ ، الذهبى : دول الإسلام ، ٢: ٨٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤: ٢٤٤ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٥: ٥٢ ، وأنظر على صافى حسين : الأدب الصوفى فى مصر ، ابن الصباغ القوصى ، شيخ التصوف المصرى فى القرن السابع الهجرى ، القاهرة ، دار المعارف فى مصر ، ابن الصباغ القوصى ، شيخ التصوف المصرى فى القرن السابع الهجرى ، القاهرة ، دار المعارف

⁽٢) محمد كامل حسين : دراسات في الشعر ، ص ٦٨ - ٨٥ ، عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ١٢٠ - ١٤٦ .

⁽٣) هي تنسب إلى محمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج الكناني المقرىء الأديب الشافعي المصرى ، المعروف بيابن الكيزاني ، واعظ وشاعر مصرى ، كان معتزليًا ومع ذلك فقد كان يقول بمذهب التشبيه على عكس المعتزلة ، كما كان يقول أن أقوال العباد قليمة . توفى بالقاهرة سنة ٥٦٢هـ/١٦٦ه . قال ابن خلكان : دفن بــالقرب من قبة الإمام الشافعي ، بالقرافة الصغرى، ثم نقل إلى سفح المقطم ، وقبرة مشهور هناك يزار ، وزرته مـرارًا . وقال العماد الأصفهاني : فقيه واعظ .. عالم بالأصول والفروع ، عالم بالمعقول والمشروع .. وكان ذا روايــة ودراية بعلم الحديث ، إلا أنه مبتدع مقالة ضل بها اعتقاده .. وادعى أن أفعال العباد قديمة ، والطائفة الكيزانية بمصر على هذه البدعة إلى اليوم مقيمة ، .. توفي بمصر سنة ٥٦٥هـ/١٦٤م ، والكيزانية بمصر فرقة منسوبة إليه ويدعون قدم الأفعال وهم أشباه الكرامية بخراسان . وقال ابن سعيد المفربي : كان من عباد الفسطاط الملازمين للقرافة وجبل المقطم ، وكان مذهبه الاعتزال . وقال القفطي : رأيت في بعض المجاميع أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، لقى ابن الكيزاني بمصر لما طلع في نصرتها ، وقبل أن يلبي على مملكتها ، واستكتبه جزءًا من شعره ، وفي نص القفطي ، الذي أورده أيضًا العماد الأصفهاني ، ما يفيد محاولــة صلاح الدين ، قبل توليه الوزارة استمالة ابن الكيزاني ، الذي كان شيخًا لأكبر طريقة صوفية في مصر ، تحظى بعطف الخلفاء الفاطمين ، أنظر عن ترجمة ابن الكيزاني : العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، قسم شعراء مصر ، ج ٢ ، ص ١٨ - ٠ ٤ ، وهي ترجمة مطولة فيها مختارات كثيرة من شعره ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، طبع بيروت ، ج ٤ ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، ابن سعيد المغربي : المغسرب في حلى المغسرب ، السفر الرابع ، نشر تلكوست ص ٩٣ ، القفطي : المجمودون من الشعراء ، تحقيق همد الجاسر ، ص ، سبط ابن الجيوزى : مرآة الزمان ج ٨: ٢٥٤ - ٢٥٥ ، الصفيدى : الوافى ، ٢: ٢٤٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٢: ٩٥ ، الذهبي : العبر ٤: ٢٣٨ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ٤: ٧٥ ، ابن العماد : الشذرات، ٤: ٢٦٦ ، وأنظر على صافى حسين : ابن الكيزاني ، طبع دار المعارف .

إذ عملت السلطات الأيوبية بتحريض من الفقيه السنى الشافعى المتعصب الخبوشانى على قسل اتباع هذه الطائفة ، وإخراج رفات ابن كيزان ، رئيس طريقتهم والتمثيل بها^(۱) ، وأغلب الظن أن تفسير هذا المسلك العنيف مرده إلى ميل هذه الفرقة للمذهب الإسماعيلى ، والدعوة الإسماعيلية ، خاصة وأنها نعمت بعطف خلفاء الفاطميين المساخرين (٢) ، شأنهم شأن الكرامية ، وهم أيضًا من صوفية الشام ، قالوا بمقالة قريبة الشبه من مقالة الكيزانية ، بخصوص القول بالتجسيم بالنسبة للذات الإلهية وحظوا بعطف الفاطميين ثم الأيوبين (٢) .

وأغلب الظن أن مقتل السهرودي⁽¹⁾ ، الفيلسوف المتصوف على أيدى الأيوبيين⁽⁰⁾ ، أيضًا ، وهو صاحب الفلسفية الإشراقية⁽¹⁾ ، كان بسبب تشيعه أيضًا وتعاطفه مع الدعوة الإسماعيلية^(٧) .

(٢) أنظر محمد كامل حسين: دراسات في الشعر، ص ٥٩ - ٣٣ وهو يفيد أن ابن الكيزاني كان أول من أظهر من الشعراء والصوفية المصرية مذهب الحب الإلهي، ولحن لا نستبعد أن يكون ابن الفارض من تلامذة ابن الكيزاني أو من أتباع فرقته، لأنه كان - كما أسلفنا اعتمادًا على ترجمته عند الخوانسارى في روضات الجنات - شيعيًا، كما أنه قال بمذهب ابن الكيزاني في الحب الإلهي.

(٣) صرح العماد الأصفهاني بأن الكيزانية هم أشباه الكرامية بخراسان (الخريدة ٢: ١٩) وقد أفاد المقدسي أن الكرامية قد حظوا بعطف الفاطمين بالشام ، أنظر أحسن التقاسم ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، وعن تسامح صلاح الدين مع الكرامية بالشام ، أنظر محمد زاهد الكرثرى : مقدمة كتاب تبين كذب المفترى ، فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعرى ، لابن عساكر ، ص ١٦ . وأنظر قبله .

(٤) هو يحى بن حبش بن أميرك ، أبو الفتوح ، شهاب الدين السهرورى . ولمد بسهرورد بعراق العجم ، سنة 9 ٥٥ هـ/ ١٥٥ م ، وسافر إلى حلب ، فنسب إلى فساد العقيدة ، فأفتى العلماء ياباحة دمه ، فسجنه الملك الظاهر غازى ، وخنقه في سجنه بقلعة حلب ؛ أنظر ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢: ٣٤٥ - ٣٤٥ الظاهر غازى ، وخيات الأعيان ، ٢: ١١٥ - ٣٤٥ الميزان ، ٣٤ / ٣٤٠ - ٣٢٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ، ٣: ١٥٥ - ١١٥ ، الصفدى : الوافى ، ٢: ١١٥ - ٣١٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، ٦: ١١٤ - ١١٥ ، ابن العماد : شدرات ، ٤: ٢٩٠ - ٢٩٠ .

⁽۱) قال سبط ابن الجوزى في ترجمة الخبوشاني : كان يلقب بالنجم بالديار المصرية ، وأظهر الناموس ، ونفق على السلطان (صلاح الدين) وأهله ، وأعطاه السلطان مالاً فبنى به المدرسة التي إلى جانب الشافعي ، وكان كثير الفتن منذ دخل مصر إلى أن مات ، ومازالت الفتن قائمة بينه وبين الخنابلة وابن الصابوني وزين الدين بن نجيه، ويكفروه ويكفروه ويكفرهم ، وكان طائمًا مهمومًا ، نبش ابن الكيزاني ، وأخرج عظامه من عند الشافعي .. وكانت وقاته في صفر (۱۹۹۷ م) وسكنت واصطلح الناس .. وولى بعده تدريس مدرسة الشافعية ، شيخ الشيوخ صدر الدين ابن حويه . (سبط ابن الجوزى : مرآة ج ۱ ٤ ١ ٤ - 2 ١) . وواضح من ترجمة سبط إبن الجوزى للخبوشاني ، أنه متحامل عليه لعداوته للحنابلة لأنه من مشاهير الحنابلة بل كان جده أبو الفرج ابن الجوزى للخبوشاني ، أنه متحامل عليه لعداوته الخبوشاني للحنابلة بحصر وللكيزانية ، مرجعه إنه أبو الفرج ابن الجوزى من كبار مشايخهم ؛ وواضح أن عداء الخبوشاني للحنابلة بمصر وللكيزانية ، مرجعه إنه الحنابلة والكيزانية ؛ والجدير بالالتفات أن سبط إبن الجوزى قد أنسى على زهد ابن الكيزاني ومدح شعره عندما ترجم له أنظر ، مرأة ، ج ١ ٤ ٢٥٠ – ٢٥٥ .

 ⁽٥) ابن شداد : النوادر ، ص ۱۰ ، س ۳ – ٧ وأنظر قبله .

⁽٣) مصطفى حلمي : من أين استقى السهروري فلسفته الإشراقية ، حولية كلية الأداب ، جامعة القاهرة .

⁽V) أنظر قبله ؛ والذي نلاحظه هنا أن الشهروردي ، قد نشأ في عراق العجم وهو موطن قديم للشيعة ، كما استقر عند مجينه إلى الشام في حلب ، وهي أقوى معاقل الشيعة بالشام ، أنظر قبله .

ولقد أدرك بعض المتخصصين في التصوف (١) ، أن دعاة الإسماعيلية ، قد استغلوا بعض مشايخ الطرق الصوفية الذين عرفوا بالدراويش ، لمحاولة نشر التشيع في مصر مرة أخرى ، وإعادة الدولة الفاطمية ، وكان أشهر هؤلاء الدعاة ، الصوفي الشهير السيد أحمد البدوى ، الذي يظن أنه صاحب المقام الشهير بمدينة طنطا ؛ ولا شك أن السلطات الأيوبية ، لم تكن غافلة عن هذه المحاولات الخفية ، التي عمد الإسماعيلية عن طريقها ، إلى استغلال حركة التصوف لإعادة نشر الدعوة الإسماعيلية بمصر .

وهذا أمر غير مستبعد في الواقع ، لأن المصريين في العصر الفاطمى ، كانوا يهرعون إلى دعاة الإسماعيلية ، ويستغيثون بالأئمة عندما تحل بهم نوائب الدهر ، اعتقادًا منهم بأن الأئمة ملاذ كل مستغيث ، كما تأمرهم العقيدة الإسماعيلية ، ولكن في العصر الأيوبي والمماليكي ، لم يجد المصريون هذا الملاذ ، فاتجهوا إلى شيوخ الطرق الصوفية (٢) .

ومن هنا يتضح ، كيف حاول الأيوبيون ، استغلال التصوف ، في نشر علوم السنة ومحاربة المذهب الإسماعيلية بث الدعاة في مسوح المذهب الإسماعيلية ، في نفس الوقت ، الذي حاول فيه دعاة الإسماعيلية بث النصر جاء في صالح العقيدة الصوفية والدراويش ، لإعادة نشر الدعوة الإسماعيلية بمصر ، وإن كان النصر جاء في صالح العقيدة السنية ، بحيث أنزوت العقيدة الإسماعيلية وتلاشت تدريجيًا من مصر .

أيًا كان الأمر. فلقد كان لحركة التصوف التي عاشتها مصر في العصر الأيوبي والمماليكي ، وجهان ، وجه إيجابي تمثل في نشر علوم السنة ، والنهوض بالطبقات الفقيرة ، ونشر الحماس الديني للجهاد بين الناس ، وإثراء الحركة الفكرية والأدبية في هذين العصرين ، إلى جانب بث المثل الأخلاقية الإسلامية بين الناس ، ووجه سلبي تمخض عن استقواء النفوذ السياسي والاجتماعي للطرق الصوفية والدراويش ، الأمر الذي أدى إلى تدهور المجتمع المصرى في نهاية العصر المماليكي (٤٠) ، وإبان العصر العثماني (٥٠) . والواقع أن سلبيات التصوف ، وتردى الصوفية في مذاهب العوام ، وجهل

⁽١) راجع محمد فهمي عبد اللطيف: السيد أحمد البدوي أو دولة الدراويش، القاهرة ١٩٥٨م.

 ⁽۲) محمد كامل حسين: دراسات في الشعر، ص ٦٥. وفي رأينا أن ظهور علم المعاملات والحقائق عند الصوفية،
 كان رد فعل للمذاهب الباطنية في الفكر الإسماعيلي ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٢٦٤ – ٢٦٥ .

⁽٣) عن دور التصوف في الأدب والأخلاق ، في التراث الإسلامي ، وإثر ذلك في المجتمع الإسلامي ، راجع زكى مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، ج ١ - ٢ طبع المكتبة العصرية ببيروت ، د.ت. والواقع أن كثيرًا من الصوفية في العصر الأيوبي والمماليكي الأول كانوا يصاحبون الجيوش الإسلامية ويشتركون في الجهاد ، أنظر قبله وليس أدل على ارتباط التصوف بالجهاد في ذلك العصر ، مما ذكره سبط في ترجمة الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن ، الذي تصدى لحركة الاسترداد المسيحي بالمغرب والأندلس إذ وصفه بأنه كان لابسًا للصوف ، مجاهدًا في سبيل الله ، سبط : مر آة ج ٨ ، ص ٢٧٤ .

⁽٤) أنظر سعيد عاشور : المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك .

 ⁽٥) توفيق الطويل: التصوف في العصر العثماني.

بعضهم بعلوم الدين ، وركونهم إلى البطالة والتواكل ، ظاهرة اجتماعية ظهرت على استحياء في العصر الأيوبي ، وإن قابلها الفقهاء والأدباء بالنقد اللاذع(١) .

رصد الأحباس والأوقاف للمنشآت الخيرية والتعليمية :

واقترن بنشر الأيوبيين للمنشآت التعليمية والخيرية السنية بمصر ، كثرة وقف الأوقاف والأحباس على هذه المنشآت التعليمية والخيرية السنية بمصر ، سواء من قبل الحكومة (٢) ، أو من قبل الأفراد ، مثل كبار الأمراء والموظفين ، أو من التجار وغيرهم من أغنياء الشعب المصرى (٢) ، بحيث أصبح الوقف ظاهرة تسترعى النظر في العصر الأيوبي (٤) .

⁽١) شايع سبط : وهو فقيه حنبلي ، جده أبو الفرج ابن الجوزي ، في حملته الشعواء على الصوفية ، كما أظهرها في تاريخه المسمى المنتظم . إذ عمد سبط على وصفه الصوفية بأنهم أصحاب طريقة ، وأنهم " يدعون المعرفة " و " المكاشفة " و " علوم الباطن " وأنهم عارون من علوم الشريعة ، أنظر : مرآة الزمان ، ٨: ٧ ، ٤٩، ٩٥، ١٣٨ ، وإن عمد أحيانًا إلى تفنيد اتهامات جدة التي اشتط في توجيهها للصوفية ، أنظر مرآة ، ٨ : ١٣٩ ، أما الأديب الساخر ركن الدين الوهراني ، فهو في الواقع من أول النقاد الاجتماعيين الذين أدركوا خطورة ظاهرة " الدروشة والدراويش " في تدهور المجتمعات وتواكلها واستسلامها للبطالة والأوهمام فكتسب في مقاماته يسخر من عوام الصوفية متخيلاً رؤية رآها في منامه ، جمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهم ، فيقول الوهراني : فلما انتهى " النبي صلى الله عليه وسلم " إلى شاطىء المشرعة ، وقف عندها فتقدمت إليه الصوفية من كل مكان وعلى أيديهم الأمشاط وأخله الأسنان ، وقدموها بين يديه ، فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء فقيل له : هؤلاء قوم من أمتك غلب العجز والكسل على طباعهم فتركوا المعايش وانقطعوا إلى المساجد ، يأكلون وينامون فقال : فبماذا ينفعون الناس أو يعينون بني أدم ، فقيل له : والله ولا بشيء البته فساق ولم يلتفت إليه (المقامات والمنامات ص ٤٨ - ٩٤) وفي مقامة أخرى يوجه الوهراني حديثه الـلاذع، لشيخ من شيوخ الصوفية لقيه في القرافة . البس مرقعتك الملونة وعبائتك الصوف ، واركب حمارك القصير ، وشق أسواق مصر والقاهرة واخدع الناس بلطف سلامك وكلامك وغرهم بسالوسك (السالوس ثوب من الكتاب يلبسه الصوفية) وناموسك وعلمهم بلطف اختيالك كيف يكون النصب والمحال (الوهراني: المتامات ص ۸۸) .

⁽٢) أنظر المقريزى: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩، وأنظر نسخة توقيع من العصر الأيوبى بتدريس مدرسة والنظر عليها، والتحدث على أوقافها وسائر متعلقاتها عند القلقشندى: صبح ج ٢١: ٣٤ – ٣٧، ولقد نص المقريزى على أنه وقف بنفسه على حجة وقف المدرسة السيوفية التى أوقفها صلاح المدين ونقل شروط الوقفية ؛ الخطط، ٤: ١٩٦. كما أورد أيضًا شروط حجة وقف الخانقاه الصلاحية، الخطط ج ٤ ، ص ٧٧ وفى سنة ٩٢ ٥هـ/١٩٥ م حبس الملك العزيز ناحية الخربة من الموفية على زاوية الإمام الشافعي بالجامع العتيق بحصر، وفوض تدريسها إلى البهاء ابن الحميرى، (المقريزى: السلوك، ١٦١). وشي المصدر: ج ٤، ص ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٥، المحمد: أخبار الأيوبيين، ص ١٣٥،

ص ٥ – ٧ .

⁽٤) محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ، ص ٦٣ .

والجدير بالالتفات ، أنه منذ العصر الفاطمى ، أفردت الأوقاف بديوان مستقل ، لأول مرة فى تاريخ مصر الإسلامية كما لاحظ المقريزى ، واسندت مهمة الإشراف على هذا الديوان إلى قاضى القضاه الفاطمى (1) ، فى حين ظلت الأوقاف بمصر ، منذ الفتح الإسلامى ، وحتى عهد الفاطميين ، فى أيدى المستحقين أو نظار الوقف ، حسب شروط الواقف (٢) ، دون أى تدخل أو إشراف من الدولة ، رغم كثرة هذه الأوقاف ، ولما زالت الدولة الفاطمية ، واستقرت دولة بنى أيوب ، أضيفت الإحباس أيضًا إلى القاضى (٦) ، وذلك حين أضافها صلاح الدين إلى قاضية ابن درباس سنة أضيفت الإحباس أيضًا إلى القاضى (٦) ، وذلك حين أضافها صلاح الدين إلى قاضية ابن درباس سنة محدم (١١٥ ما ١١٥ ما ١١٥ ما الأحباس ضمن ولايته بالإضافة إلى الخطابة والحسبة ودار المضرب (٥) كذلك أسند الأيوبيون بالشام نظر الأحباس إلى قاضى قضاة الشام (١) .

وفى رأينا أن إفراد الأوقاف بديوان ، وجعلها تحت إشراف الدولة ، وإدخالها فى جملة ولاية قاضى القضاة فى العصرين الفاطمى والأيوبى ، يشير إلى أن كلتا هاتين الدولتين ، اللتين قامتا على أساس مذهبى ، قد استخدمتا الأوقاف كوسيلة لاجتذاب المصريين إلى مذهب الدولة ، وذلك لأن قاضى القضاة ، كان فى العصر الفاطمى المشرف الأعلى على الدعوة الإسماعيلية بمصر (٧) ، ثم أصبح فى العصر الأيوبى ، المشرف الأعلى على المدارس السنية بمصر ، التى حلت محل الدعوة الإسماعيلية (٨) ، بمعنى أن الدولة الفاطمية ، قد استخدمت الأوقاف لاجتذاب المصريين للدعوة الإسماعيلية ، فى حين استخدمة الدولة الأيوبية الأوقاف لاجتذابهم للدعوة السنية .

⁽۱) المقریزی : الخطط : ج ٤ ، ص ٨٣ .

⁽٢) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، ص ٤٨ .

⁽٣) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ٨٤ ، س ٢٢ - ٢٣ .

⁽٤) ابن حجر: رفع الأصر، ج ٢، ص ٣٦٨، س ٩.

⁽٥) نفس المعدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ ، س ١٥ .

⁽٦) أنظر ابن شداد: ملجأ الحكام عند التباس الأحكام مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦ فقه شافعي م، البابين قبل الأخيرين من الكتاب، المتعلقين بـ " الأوقاف " و " أموال الأيتام " المحفوظة وثائقها في مجلس القاضي. وقد ذكر المقريزي في حوادث سنة ٥٠ هم / ١٩٣٣م أنه وصل إلى (الملك العزيز عثمان) القاضي محى الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبي عصرون ، فاحترمه ، وولاه قضاء الديار المصرية ، وضم إليه نظر الأوقاف ، المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ١١٨٠) .

⁽٧) ماجد: نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها.

⁽٨) أنظر السيوطى : حسن المحاضرة ، خ ٢ ، ص ١٥٤ – ١٥٩ ، سجل تقليد القاضى ابن بندار .

ويؤيد ما ذهبنا إليه ، ما ذكره المقريزى ، أنه منذ العصر الفاطمى ، أصبح من مهمة قاضى القضاة تفقد أحوال المساجد والجوامع قبيل شهر رمضان ، للتأكد من سلامة مرافقها ، وحسن رعاية القائمين عليها لها ، وقيامهم بواجباتهم في خدمة المساجد ووعظ المترددين عليها ، وإقامة شعائر الصلاوات خير قيام (1) ، ولا شك أن هذا الأمر ينسحب أيضًا على العصر الأيوبى ، إذ كانت المساجد في جيع أرجاء القطر المصرى ، تابعة لديوان الإحباس ، مسجلة في سجلاته ، حيث قام النابلسي عصر أسماء جميع مساجد وجوامع بلاد الفيوم ، اعتمادًا على سجلات ديوان الأحباس ، وذلك لأنه أراد التمييز بين المساجد التي تقام بها صلاة الجمع ، من المساجد القاصرة على الصلاوات الخمس ، وأيضًا لتميز المساجد العامرة مقامة الشعائر ، من المساجد التي تسرب إليها الإهمال ، فهدمت وتعطلت منها الشعائر (٢) ، وهذا ما تقوم به وزارة الأوقاف بحصر ، في يومنا هذا .

كذلك فإن في إفراد الأحباس بديوان مستقل ، وجعله تحت إشراف قاضى القضاه ، تفسيرًا لا لاحظه الباحثون ، من أن الأوقاف أصبحت تمثل موردًا من موارد الدولة في العصرين الفاطمي والأيوبي (٢) ، خاصة وأن هذه الملاحظة ، قد استوقفت من قبل الرحالة الأندلسي ابن جبير (٤) ، وقدم لنا أبي عاتي (٥) والنابلسي (٦) ، تفاصيلاً وافية بصددها .

وترجع الأصول الأولى لارتباط الأوقاف بالمنشآت التعليمية والخيرية ، التى أقيمت لنشر علوم السنة ، إلى علماء ودعاة المذهب الأشعرى ، الذى أنشأوا الكثير من هذه المنشآت السنية ، وخاصة فى بلاد العراق ، وبلاد أفغانستان (غزنة) وإيران (نيسابور وخراسان) إبان العصرين الغزنوى والسلجوقى ، وأوقفوا عليها أوقاقًا من أموالهم الخاصة ، وكانت هذه المنشآت الأهلية ، بجوار منازلهم ، بحيث كان هؤلاء العلماء مثل أبو بكر بن فورك ، وأبى حامد الغزالى ، يجلسون فيها

⁽۱) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ٨٤ .

⁽٢) النابلسي : إظهار صنعة الحي القيوم : ص ٢٠ – ٢٢ .

 ⁽٣) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ، محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٥٢ .

⁽٤) يقول ابن جبير عن ثغر الإسكندرية: وأما أهل بلدة ، فقى نهايسة من الترفيه واتساع الأحوال ، لا يلزمهم وظيفة البتة ، ولا فائدة للسلطان بهذا البلد سوى الأوقىاف المحبسة المعينة من قبل لهذه الوجوه ، وجزية اليهود والنصارى ، وما يطرأ من زكاة العين خاصة ، وليس له منها سوى ثلاثة المانها والخمسة أثمان مضافة للوجوه المذكورة (ابن جبير : الرحلة ، ص ١٦) .

⁽٥) أنظر أبن مماتى : قوانين الدواويسن ، ص ٣٥٦ – ٣٥٧ ، ص ٣٥٦ هامش "٢" ففيه زيادة قيمة جدًا عن إحدى النسخ المخطوطة في تعريف نظام الإحباس في العصر الأيوبي .

⁽٢) النابلسي : إظهار صنعة الحي القيوم ، ص ٢٥ ، النابلسي : لمع ، ص ٢٥ ، حيث يقول أن ديوان الإحباس يدخل في ديوان المال وأحد فروعه .

بأنفسهم لتدريس علوم السنة ، والوغظ الصوفى على المذهب الأشعرى(١) . وكان الوزير السلجوقى نظام الملك ـ وهو أيضًا أشعرى المذهب(٢) ، هو أول من جعل من نظام الوقف(٦) ، نظامًا حكوميًا ، تصرف منه الحكومات السنية ، على المنشآت التعليمية والخيرية ، التي تدرس علوم السنة .

ولقد تبلور نظام الوقف ، كنظام حكومى ، تشرف عليه الحكومات السنية ، وتصرف من ريعه على رعاية المنشآت التعليمية والخيرية ، وإصلاح ما تطرق إليه الخلل من مبانيها ، إلى جانب ترتيب المرتبات والجرايات على الأساتذة والطلبة بالمدارس ، وعلى الخطباء والمقرئين والمؤذنين والقومة ، بالمساجد والمشاهد ، في العصرين السلجوقي (أ) والزنكي (أ) وأغلب الظن أن الأوقاف الحكومية ، كانت غيل موردًا هامًا من موارد الدولة ، في هاتين الدولتين ، وخاصة وأن ثمة نصوص من العصر الزنكي ، تؤيد هذا الترجيح (١)

وهنا يستوقفنا أن الأيوبيين ، كانوا هم أول من أنشأوا ديوان للزكاة في تاريخ مصر الإسلامية (٢) ، على أساس أن تتولى الدولة جباية الزكاة ثمن تجب عليهم أداءها ، لتوفر الشروط

⁽١) أنظر ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٨٠ .

⁽۲) ابن عساكر: تبين كذب المفترى، ص ١٠٠، ١٠٩ حيث يقول ص ١٠٩ - ١٠٩ سب حزب الشيخ أبي الحسن الأشعرى في دولة السلطان طغرلبك ووزارة أبي نصر منصور بن محمد الكندرى، وكان السلطان حنفيًا سنيًا، وكان وزيره معتزليًا رافضيًا، فلما أمر السلطان بلعن المتدعة على المنابر في الجمع، قرن الكندرى للتسلى والتشفى اسم الأشعرية بأسماء أرباب البدع وامتحن الأئمة الأماثل ..، فلم يكن إلايسير حتى تقشعت تلك السحابة، وتبدد بهلك الوزير شمل تلك العصابة، ومات ذلك السلطان، وولى ابنه ألبارسلان، وأستوزر الوزير الكامل، والصدر العالم العادل، أبا على الحسن بن على بن إسحاق (نظام الملك)، فأعز أهل السنة وقمع أهل النفاق، وأمر ياسقاط ذكرهم من السب ..، واسترجع من حرج منهم إلى وطنه، وبني لهم المساجد والمدارس، وعقد لهم الحلق والمجالس، وبني لهم الحامع الميعى في أيام ولد إلى وطنه، وبني لهم المساجد والمدارس، وعقد لهم الحلق والمجالس، وبني لهم الحامع الميعى في أيام ولد ذلك السلطان .. فاستقام في وزارته الدين وصفا عيش أهمل السنة. وعن سياسات نظام الملك أنظر يحى الخشاب، الوزير نظام الملك ووحدة المسلمين، عجلة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الثالث ١٣٦٩ه / ١٠ المناب ، الوزير نظام الملك وحدة المسلمين، عجلة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الثالث ١٣٦٩ه / ٢٠ مـ ٣١٣ مـ ٣١٧ .

⁽٣) قال البندارى عن نظام الملك: ومن وجد فى بلدة قد تميز وتبحر فى العلم ، بنى له مدرسة ووقف عليها وقفًا وجعل فيها دار كتب .. وكان ينظر فى الأوقاف والمصالح ويرتب عليها الأمناء ويشدد فى أمرها ويخوف من وزرها . ويرغب فى أجرها ، ويكلها إلى الأمنة ، ولا يدعها مأكله للخونة . (البندارى : تاريخ آل الملجوقى ، ص ٥٤ - ٥٥) .

⁽٤) أنظر الراوندي : راحة الصدر ، ص ١٦٠ ، ١١٩ ، ١١٢ ، ١٠٤ ، وأنظر قبله .

⁽٥) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ١: ق ٢ ، ص ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٠ ، سـبط مـرآة ، ٨: ١٠٨ ، (٥) أنظر أبو شامة : ٢١٢ ، ١٠٨ . ٢٨٤ .

⁽٦) سبط: مرآة ، ج ٨ ، ص ٣٠٨ .

⁽٧) المقريزي : الخطط ، ص ١٧٤ ، المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤ – ٤٥ ، ٤٨ .

الشرعية فيهم ، وانطباق الظروف الشرعية التى نصت عليها الشريعة ، بخصوص الأموال التى تجب عليها الزكاة ، ثم تتولى الدولة صرف أموال الزكاة فى وجوهها الشرعية (١) ، وأهم أوجه صرف الزكاة . كما هو معروف هو للأيتام والمساكين وأبناء السبيل ، وهو ما ينسحب على مكاتب الأيتام التى أنشأها الزنكيون والأيوبيون (٢) ، وعلى ما أنشأوه من خوانق ، ومدارس للغرباء الوافدين (٢) على البلاد ، الذين ينطبق عليهم تعريف « أبناء السبيل » .

ولا يخفى أن كلاً من « فريضة الزكاة » ، و « نظام الوقف » ، قصد بهما فى النظم الإسلامية ، تحقيق التكافل الاجتماعى ، بين الأغنياء والفقراء ، وضمان توفير ضروريات أسباب المعايش مثل التعليم والرعاية الصحية والطعام والملبس والكساء ، للفقراء والمحتاجين والعاجزين عن العمل ، مثل المرضى والأيتام والأيامى ، فليس من قبيل المصادفة وحدها أن يتجه الأيوبيون ، وهم مؤسسو دولة جديدة ، راغبين فى نشر عقيدة جديدة أيضًا ، وهى العقيدة السنية ، إلى الاهتمام بالزكاة والوقف ، وجعل هذين الموردين الهامين ، فى خدمة المنشآت التعليمية والخيرية التى أنشأتها الحكومة الأيوبية بمصر ، بغرض نشر علوم السنة .

ولعلنا لا نعدو الصواب ، إذا قلنا أن إفراد الزكاة بديوان خاص ، قد تم على يد نجم الدين أيوب ، والد صلاح الدين ، إذ تذكر المصادر ، أن صلاح الدين قد حكمه في جميع الخزائين ، كما أفاد الوهراني ، وهو معاصر لقدوم نجم الدين أيوب بالشام ، أنه عمد في نشر المذهب السنى بمصر ، ومحو بدعة التشيع وعقيدة الفاطميين ، إلى كثرة إخراج الصدقات وتعميم النفقات في الناس (٥٠) . كما تحدث الوهراني أيضًا عن ديوان الزكاة كظاهرة أصبح لها صداها في الحياة الاجتماعية ، في ذلك الوقت (١٠) ، والراجح أن ديوان الزكاة في العصر الأيوبي بمصر ، قد نظم على نحو ما كانت عليه « دار الزكاة » (١٠) في العصر الزنكي ؛ ومن هنا يتضح أن أغلب وسائل نشر العقيدة السنية ، ومحو العقيدة الإسماعيلية من مصر . قد تمت على يد والد صلاح الدين ; بعد قدومه من الشام سنة ٦٦هه / ١ الم ، ولا ريب أن قدومه كان بتكليف من نور الدين زنكي ، كما رجحنا من قبل .

⁽١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٨ – ٣١٧ .

⁽٢) أنظر قبله .

⁽٣) أنظر ابن جبير: الرحلة، ص ١٥ الذى يفيد أن السلطان بنى مدارس ومستشفيات للغرباء المغاربة وأوقف عليها أوقاف، المقريزى: الخطط، ج ٤: ٧٧٥، الذى يفيد أن صلاح الدين أوقف خانقاه سعيد السعداء على الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر.

⁽٤) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

⁽٥) الوهراني: المنامات والمقامات ، ص ١٤ ، يقول : وتفجرت يمينة بالنفقات ، حتى عم أهل الأرض بالصدقات.

⁽٦) الوهراني : المنامات ، ص ۸۳ .

⁽٧) ابن واصل : مفرج ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، س ٧ .

ولا يؤكد اعتماد الأيوبيين على ديوان الأحباس ، كوسيلة من وسائل نشر الدعوة السنية أن ناظر هذا الديوان ، كان هو الذى يتولى تقدير رواتب أساتذة المدارس ، ويقوم بدفعها لهم من أموال الأوقاف ، وكان صاحب ديوان الأحباس هو الموظف الوحيد فى الدولة ، الذى كان له حق صرف المرتبات والأموال اعتمادًا على توقيعه الشخصى ، دون رفع الأمر إلى السلطان لأخذ توقيعه « العلامة السلطانية » ، شأن الحال بالنسبة للموظفين الماليين بالدولة ، بل كان من حق صاحب ديوان الأحباس ، زيادة ونقصان مرتبات الأساتذة المدارس والطلبة المترددين عليها ، والقومة القائمين على العناية بها ، بقدر ما يرى فيه الصالح العام (١).

فلا غروا أن اشترط فى ناظر ديوان الأحباس ، أن يكون من العلماء المتفقه من فى الدين ، ليستطيع الفصل فى المسائل الفقهية التى قد تطرأ على أحوال الأوقاف ، أو على أحوال المستحقين فى ريعها(٢) ، ولا غرو أن تمتع ناظر ديوان الأوقاف فى العصر الفاطمى برتبة ، كانت تزاحم قاضى القضاه نفسه ، بل كثيرًا ما كانت تحدث المنافسة فيما بين الإثنين ، لنوال الحظوة والمكانة المرموقة ، فى المجلس العام للخليفة الفاطمى ، عند الاحتفال بالمواسم والأعياد (٣) ؛ ولا غرو أن وجدنا متولى ديوان الأحباس فى بداية العصر الأيوبى ، يركب وبين يديه « الغاشية » ، وهى إحدى الآلات السلطانية الخاصة بسلاطين بنى أيوب ، ويفسر مسلكه هذا بأنه ملك على العلماء ، كما أن السلطان ملك على الرعايا (٤) ، وفى هذا أيضًا تلميح على إشراف ديوان الأحباس فى العصر الأيوبى ، على المدارس والمؤسسات التعليمية .

وفى رأى محمد محمد أمين أن صلاح الدين اتخند من نظام الأوقاف سبيلاً لتدعيم حكمه السياسى ، إذ يلاحظ أننا لو خاولنا تتبع أسبابا كل وقف أمر به ، لوجدنا أن غالبية أوقافه تهدف إلى تدعيم حكمه السياسى من ناحية ، وحدمة المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى من ناحية أخرى (٥) ، ونلمس ذلك مثلاً فى وقفة دار العيار على سور القاهرة ، مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الأسوار (١) ، وفى وقفة بعض الأوقاف على ديوان الأسطول (١) ، وفى رقفة على على على على ديوان الأسطول (١٠) ، وفى وقفة على على المؤلف على ديوان الأسطول (١٠) ، وفى وقفة على على على على المؤلف المؤلف على ديوان الأسطول (١٠) ، وفى وقفة على ديوان الأسطول (١٠) ، وفى وقفة بعض الأوقاف على ديوان الأسطول (١٠) ، وفى وقفة دار الفرنسج وأى الفرائس المرائب المرائب

⁽۱) أنظر ابن مماتي : قوانين ، ص ٣٥٦ ، هامش " ٢ " ، النابلسي : لمع ص ٢٥ - ٣٦ .

⁽٢) أنظر النابلسي : لمع القوانين ، ص ٢٦ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

⁽٤) كان اسم متولى الأحباس هذا ، شهاب الدين الطوسى ، أنظر نفس المصدر ، ص ٢٦ - ٢٧ .

⁽٥) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص ٣٦ .

⁽٦) المقریزی : الخطط ، ج ۲ ، ص ٣٤٣ .

⁽۷) المقریزی: السلوك، ج ۱، ص ۷۳، المقریزی: الخطط (بسولاق) ج ۱، ص ۲۸۲-۲۸۳، ج ۲، ص ۱۸۹ می ۲۸۳-۲۸۳، ج ۲، ص ۱۸۹ - ۱۶۹۳ .

الفقهاء بالإسكندرية (١) ، ثما يوحى بأن أغلب هـذه الأوقـاف كان في الحقيقة أرصادًا وليسـت أوقـاقًا (٢) .

والواقع أن صلاح الدين قد استخدم نظام الأوقاف أيضًا كوسيلة سياسية لاكتساب سمعة سياسية على المستوى الإسلامي العام ، بحماية فريضة الحج ، واستمالة شرفاء مكة بمنحهم الأوقاف والإقطاعات بصعيد مصر (٢) ، ليتنازلوا عن رسوم الغفارة التي أرهقت حجاج بيت الله (٤) ، كما وقف الأوقاف للصرف على القومة والسدنة والمتكلفين بخدمة الكعبة من قبل الدولة الأيوبية (٥) ، بالإضافة إلى إيقافه الأوقاف على فكاك أسرى المسلمين الذين أسرهم الصليبيون (١) ، واهتمامه الخاص بوقف الأوقاف التعليمية والخيرية على الغوباء الواقدين على مصر من مغرب العالم الإسلامي ومشرقه (٧) ، الأمر الذي حقق لصلاح الدين ، سمعة ومكانة مرموقة في العالم الإسلامي .

ولا شك أنه كان لنظام الوقف ، الذى انتشر انتشارًا منقطع النظير في العصر الأيوبي ، والعصر المماليكي التالى له ، أثارًا إيجابية كشيرة في المجتمع المصرى ، إذ حقق هذا النظام قدرًا كبيرًا من الماليكي التالى له ، أثارًا إيجابية للطبقات الفقيرة من المجتمع المصرى في هذين العصرين (^^) ، كما

⁽١) المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٣ .

⁽٢) محمد محمد أمين: المرجع السابق ، ص ٢٠ ، ص ٢٤ ، هامش "٣" .

⁽٣) أنظر سجل محكمة الباب العالى بمصلحة الشهر العقارى ، سجل رقم ٢٧٤ ، الوثيقة رقم ٦٦٨ ، صفحة ٣٧٣ ، وفحة ٣٧٣ ، وأنظر المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٦٤ .

⁽٤) أنظر ابسن جبير : الرحلة ص ١٣ - ١٤ ، ص ٣٠ - ٣١ ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ص ٨٠ وخاصة ص ٧٤ ، س ١ - ٧ ، وانظر قبله .

^(°) يقول المقريزى: وفى سنة ٥٩هـ/ ١٩٣٨م، وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقاده من عمل قوص بناحية المفريخ الصعيد الأعلى، وثلث ناحية سندبيس من القليوبية، على أربعة وعشرين خادمًا خدمة الضريح الشريف النبوى، وضمن ذلك كتابًا ثابتًا تاريخه ثامن عشرى شهر ربيع الآخر منها، فاستمر ذلك إلى اليموم، (المقريزى ج ١، ص ٥٧) وأنظر عن أوقاف الأيوبين على مكة والمدينة في عهد الملك العادل الأول، المقريزى: السلوك ١: ١٥١.

⁽٦) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، نشر د. الشماع ، المجلد الرابع ص ٢٣ ، محمد أمين المرجع السابق ، ص ٦٢ .

⁽٧) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ١٥ ، المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .

⁽٨) محمد محمد أمين: المرجع السابق، ص ٤، ص ١.

أدى إلى استمرار العناية بالعمائر الدينية والخيرية بمصر الإسلامية ، فإليه يعود الفضل في بقاء أغلب آثار مصر الإسلامية سليمة إلى اليوم ، فاعتمادًا على إيرادات الوقف ، استمر الصرف على تعمير وإصلاح هذه المنشآت الدينية على مر العصور (١) ، بحيث ظلت المساجد معمورة مقامة الشعائر ، وظلت الحوانق والتكايا تستقبل المعوزين ، والبيمارستانات تعنى بالمرض ، حتى نهايسة العصر العثماني ، حين حل محمد على باشا أغلب الأوقاف الحكومية (٢) ؛ كذلك ساهم هذا النظام ، وما وفره من عناية بالعمائر الإسلامية ، في النهوض بالفنون الإسلامية الزخرفية والتطبيقية (١) ، بما كفله للصناع والفنانين ، من استمرارية لفنونهم ، كما كفل لهم الشهرة والخلود ، فاحتفظت كثير من حُبجَج

والخلاصة أن الأيوبيين قد استخدموا نظام الوقف ، للصرف على منشآت الدعوة السنية بمصر ، ونشر المذهب السنى بها ، واستمالة قلوب المصريين ، وتحقيق المكانة المرموقة للسلطنة الأيوبية على مستوى العالم الإسلامي ، توطيدًا لدولتهم السنية التي قامت على أنقاض الخلافة الفاطمية الشيعية ؛ وقد احتفظ العصر المماليكي بأغلب خصائص نظام الوقف ، كما استقر في العصر الأيوبي .

ولا ريب أن نجاح الأيوبيين في حشد كل هذه الوسائل التعليمية والخيرية ، لنشر علوم السنة عصر ، واجتداب قلوب المصريين إلى المذهب السنى ، بالإضافة إلى توجيههم للنظم الدينية عصر وجهة تخدم هذا الغرض ، كان من شأنه ولا ريب إضعاف الوجود المذهبي والعقائدي والسياسي للفكر الإسماعيلي الشيعي ، وتمهيد التربة في مصر ، لبث دعوة عقائدية جديدة ، تهدف إلى نشر

النفوذ السياسي للخلافة العباسية السنية على مصر ، وللسلطنة الأيوبية التي استمدت منها الشرعية .

الوقف بأسمائهم().

⁽۱) أنظر عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار ، العصر المملوكي ، المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية ، بغداد ۱۸ – ۲۸ نوفمبر ۱۹۵۸ ، ص ۲۰۵ – ۲۸۷ ، فريد شافعي . العمارة العربية ، ج ۱ ، ص ۲۰۵ .

⁽٢) محمد محمد شاكر : أباطيل وأثمار .

⁽٣) محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ، ص ٦٤ .

⁽٤) عبد اللطيف إبراهيم: المقال السابق.

نشر العقيدة الأشعرية والفقه الشافعي بمصر:

والجدير بالتنويه أن ثمة حقيقة هامة لم يلتفت إليها(١) ، خاصة بالتطور الفكرى والعقائدى لمصر الإسلامية ، تلك الحقيقة هي أن الدولة الأيوبية ، كانت دولة متمذهبة ، تسعى إلى نشر دعوتها المذهبية في مصر وفي كافة أرجاء دولتها ، شأنها في ذلك شأن الدولة الفاطمية السابقة لها ، وإذا كانت عقيدة الفاطميين هي العقيدة الإسماعيلية التي ترمى في جانبها السياسي إلى نشر ولاية الخلفاء الفاطميين وسلطتهم الروحية والسياسية على العالم الإسلامي ، فإن عقيدة الأيوبيين ، كانت العقيدة الأشعرية ، التي ترمى في جانبها العقائدي والكلامي إلى تقريب أوجه الخلافات الفكرية بين الفرق الإسلامية ، وفي جانبها السياسي إلى نشر الدعوة السياسية لخلفاء بني العباس السنين ، ولسلاطين أهل السنة القائمين على هاية خلافتهم والناهضين بفريضة الجهاد(٢) .

ولقد صرح المقريسزى بهذه الحقيقة الهامة فى أكثر من موضع من كتابه الخطط ، فيقول فى الفصل الذى عنونه به حقيقة مذهب الأشعرى (7) وهو الفصل السابق مباشرة لحديثه عن « المدارس عصر (7) « انتشر مذهب أبى الحسن الأشعرى فى العراق من نحو سنة (7) « (7) » وانتقل منه

⁽١) لعل الدكتور عبد اللطيف حمزة ، هو أول من النفت لهذه الحقيقة الهامة عن أثر العقيدة الأشعرية في الحركة الفكرية والروحية بمصر الإسلامية ، طوال العصرين الأيوبي والمملوكي ، فأفرد فصلاً مستقلاً من كتابه : الجركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول بعنوان عقيدة الأشعري ، قال في أوله : ليس بد لمن أراد وصف الحركة الروحية في مصر وما وليها من الأقطار الإسلامية ، من العناية بالعقائد الدينية التي كان لها أبلغ الأثر في توجيه هذه الحركة ، وعقيدة الأشعري فيما نعتقد ، هي التي صدر عنها الناس في مصر والشام منذ القرن الرابع الهجري (عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص ٨٧) ثم قال في نهاية هذا الفصل : والخلاصة أنه لم يكن بد لمذهب الأشعري ، من أن يكون له أوضح الأثر في نوع الحياتين الفكرية والاجتماعية اللتين سادتا مصر وغيرها من أجزاء الدولة الأيوبية والدولة المملوكية أما من حيث الحياة الفكرية فسنري أن العلوم في عصر كهذا كانت علومًا نقلية لا عقلية في أكثرها .. من أجل هذا سيطر التصوف على الحياة الاجتماعية في مصر ، سيطرة شملت جميع المخالها (نفس المرجع ، ص ٩٤) .

⁽٢) أنظر الجوينى: غياث الأمم فى النياث الظلم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ومصطى حلمسى ، ١٩٧٩ ، ص ١٥ -ص ١٣١ ، وخاصة ص ١٢٥ ، حين ينص على منسع نصب إمامين ، و ص ١٣٣ - ٢٨٢ ، حيث يوضع مهام السلطان ، المستولى على السلطة الزمنية بالقوة .

⁽٣) المقريزى : الخطط ، طبع مطبعة النيل ، ج ٤ ، ص ١٨٤ – ١٩١ .

 ⁽٤) أنظر المقريزى: الخطط، ج٤، ص١٩١ – ٢٥٨.

إلى الشام »، فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر ، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب، قد نشأ عليه منيذ كانا في حدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، وحفظ صلاح الديين في صباه عقيدة الفها له قطب الدين أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى ، وصار يحفظها صغار أولاده ، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعرى ، وهملوا في أيام دولتهم كافة الناس على النزامه ، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك ، واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق ، وأخذ عن أبي حامد الغزائي مذهب الأشعرى ، فلما عاد إلى بلاد المغرب ، . . وضع لهم عقيدة . . ، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب ، تستبيح دم من خالف عقيدة ابن تومرت . . . فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعرى ، وانتشاره في إمصار الإسلام ، يحيث نسى غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه ، إلا أن يكون مذهب الحنابلة (١٠) ؛ أي أن المقريزى يفيد أن المعقيدة الأشعرية قد غلبت على العالم الإسلامي في القرن الخامس والسادس الهجرى بعد أن أصبحت العقيدة الرسمية للدولة الأيوبية بمصر والشام والجزيرة الفراتية والحجاز واليمن ، والدولة أصبحت العقيدة الرسمية للدولة الأيوبية بمصر والشام والجزيرة الفراتية والحجاز واليمن ، والدولة المحمدية بالمغرب والأندلس ، وذلك بعد غلبته على بلاد العراق منذ الربع الأخير من القرن الرابع

ويقول المقريزى في الفصل الذي خصصه لم « مذاهب أهل مصر » (٢) ، « وأما العقائد ، فإن السلطان صلاح الدين حل الكافة على عقيدة الشيخ أبي الحسن على بمن إسماعيل الأشعرى تلميذ أبي على الجبائي ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديار مصر ، كالمدرسة الناصرية بجوار قبر الإمام الشافعي من القرافة ، والمدرسة الناصرية التي عرفت بالشريفة بجوار جامع عمرو بمن العاص بمصر ، والمدرسة المعروفة بالقمحية بمصر ، وخانكاه سعيد السعداء بالقاهرة ، فاستمر الحال على عقيدة الأشعرى بديار مصر ، وبلاد الشام ، وأرض الحجاز واليمن ، وبلاد المغرب أيضًا ، لإدخال محمد بن تومرت رأى الأشعرى إليها ، حتى أنه صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد ، بحيث أن من خالفه

الهجري.

⁽۱) المقریزی : الخطط ، طبعة مطبعة النیل ، ج ٤ ، ص ۱۸۵ ، س ٣ – س ۲۰ .

⁽۲) المقریزی : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٤٣ – ١٦٢ .

ضرب عنقه ، والأمر على ذلك إلى اليوم (١٠) . وهذا النص بالإضافة إلى تأكيده للحقيقة السابقة ، فهو يؤكد حقيقة جديدة ، أن الأوقاف التى أوقفها صلاح الدين على المدارس والخوانق التى أنشأها عصر ، كانت قاصرة على معتنقى العقيدة الأشعرية فقط .

ولقد أكد المقريزى في نص ثالث ، أن خانقاه سعيد السعداء ، التي أوقفها صلاح الدين على غرباء الصوفية الوافدين من مشرق العالم الإسلامي ومغربه كانت قاصرة فقط على الصوفية المعتنقين للعقيدة الأشعرية فهو يقول عن الخانقاه الصلاحية المعروفة بخانقاة سعيد السعداء : «.. شرط الواقف، هو أن الخانقاه ، تكون وققًا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ، والقانطين بالقاهرة ومصر ، فإن لم يوجدوا ، كانت على الفقواء من الفقهاء الشافعية والمالكية والأشعرية الاعتقاد »(٢).

وفى نص رابع يفيدنا المقريزى أن الأيوبين قد حرصوا على قراءة ملخص للعقيدة الأشعرية على مآذن مصر طوال الليل ، وعرف هذا الملخص بالعقيدة المرشدة ، فيقول المقريزى : « لما ولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر ، وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهذبانى المارانى الشافعى ، كان من رأيه ورأى السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبسى الحسن الأشعرى في الأصول ، فحمل الناس إلى اليوم على اعتقاده حتى يكفر من خالفه ، وتقدم الأمر إلى المؤذنين ، أن يعلنوا وقت التسبيح على المآذن بالليل ، بذكر العقيدة التي تعرف بالمرشدة ، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة إلى وقتنا هذا »(٢).

⁽۱) المقريزى: الخطط، ج ٤ ، ص ١٦١ ، ص ١٣ – ص ١٩ ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن تسامح الفاطمين إبان الحديث عن عائلة ابن شيث القفطى مؤلف كتاب السياسة الملوكية لصلاح الدين ، عن مدى تسامح الفاطمين تجاه فقهاء أهل السنة في عصرهم مثل عائلة ابن شيث القفطى وتجاهرهم بجلهبهم طوال العصر الفاطمي كما أفاد القفطى في أنباه الرواه في ترجمة ابن شيث ، كذلك استدللنا من إقدام كل من ابن الحبال ، وابن الطحان، وهما من علماء الحديث السنيين المصريين في العصر الفاطمي على جمع تراجم المحدثين المصريين في تاريخين رتبا على التراجم على تسامح الفاطميين تجاه أهل السنة المصريين الذين كانوا يمثلون عددًا ضخمًا جدًا من علماء الأقاليم المصرية (أنظر الجزء الثاني من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي تحت الطبع إن شاء الله – إبان الحديث على كتابي تراجم المصريين لابن الحبال وابن الطحان) . وقد أكد القلقشندى تسامح الفاطميين تجاه رعاياهم من أهل السنة في نص صريح قال فيه : وأما سيرهم (الفاطميين في رعتهم ، واستمالة قلوب مخالفيهم ، فكان لهم الإقبال على من يفد عليهم من أهل الأقليم جل أو دق .. في رعتهم ، واستمالة قلوب مخالفيهم ومكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبم ، ولا يمنعون من إقامة وكانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبم ، ولا يمنعون من إقامة عليهم ، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في علكتهم بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ويراعون الله عذهب مالك ، ومن سألهم الحكم به اجابوه (القلقشندى : صبح ، ج ٣ ، ص ، ٢٥) .

⁽٣) أنظر المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ٤٨ - ٤٩ . ويبدو أن العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، قد قصد الرد على المقريزى حين قال : إن مذهب الأشعرى ، نشر بسلطان العلم ، لا شوكة السلاطين ، مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٦ .

وقد أشار القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر صلاح الدين الأيوبى ومؤرخ سيرته المعنونة به (النوادر السلطانية والحاسن اليسوفية) إلى حسن عقيدة صلاح الدين وأخذه لعقيته عن شيخه قطب الدين النيسابورى أحد كبراء متكلمى الأشاعرة ؛ فيقول ابن شداد في الفصل الذي عنونه به (ذكر ما شاهدناه من مواظبته على القواعد الدينية وملاحظته للأمور الشرعية رحمه الله) : ورد في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزّكاة ، وصورة رمّضان ، والحجّ إلى بيت الله الحرام) .

وكان (أى صلاح الدين) رحمه الله حَسَن العقيدة ، كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء، وتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهمه، بحيث كان إذا جرى الكلام بين يد يقول فيه قولاً حسنًا ، وإن لم يكن بعبارة الفقهاء ، فتحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه ، غير مارق سهم النظر فيها إلى التعطيل والتمويه ، جارية على غط الاستقامة ، موافقة لقانون النظر الصحيح ، مرضية عند أكابر العلماء .

« وكان ـ رحمه الله ـ قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النيسابورى ـ رحمه الله ـ عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب ، وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم في الصغر ، ورأيته وهو يأخذها عليهم ، وهم يقرؤونها من حفظهم بين يديه ، رحمه الله (١) . . ، وأما الصلاة . . وأما الزكاة . . وأما صوم رمضان . . وأما الحج . . إلخ »(١) وهكذا أخذ ابن شداد يتبع من سيرة صلاح الدين ما شاهده من مواظبته على القواعد الدينية ، وملاحظته للأمور الشرعية

ومما يجزم بصحة ما أورده المقريزى ، بصدد اعتقاد الأيوبيين وقاضى قضاتهم العقيدة الأشعوية ، وعملهم على نشرها بمصر ، أنه قد وصلت إلينا رسالة ألفها قاضى قضاتهم عبد الملك بن درباس : في الذب عن عقيدة الأشعرى ، أغلب الظن أنها كانت خطبة منبرية ، يقرأها خطباء المساجد ، وفيها تقرير أن عقيدة الأشعرى ، هي مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث ، وأنها شرح لعقيدة

⁽١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٧ .

⁽٢) نفس المدر ص ٧ - ١٣ .

الصحابة والتابعين ، وموافقة لاعتقادات أئمة الفقه الإسلامي بما فيهم الإمام أحمد بن حنبل^(۱) ، كذلك نظم محمد بن هبة الله المكي^(۲) ، قصيدة للسلطان صلاح الدن الأيوبي ، سماها حدائق الفصول وجواهر العقول ، وضمنها علم الكلام على أصول الأشعري^(۳) . وفي هذا كله ما يعلل نشر الأيوبيين لكتب الدعوة الأشعرية في بلاد اليمن بعد فتحهم لها لمحاربة الدعوة الإسماعيلية هناك⁽¹⁾ .

ولقد أكد الفقيه تاج الدين السبكى (ت ٧٧١هـ) الذى عاش بمصر فى العصر الماليكى ، ما ذكره المقريزى ؛ إذ أفاد أن جميع فقهاء المذاهب الأربعة ، عدا بعض الحنابلة ، قد أخذوا فى أصول الدين بالعقيدة الأشعرية . فيقول السبكى : هؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد . فى العقائد يد واحدة كلهم على رأى أهل السنة والجماعة ، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبى الحسن الأشعرى رحمه الله (٥) . ويقول السبكى فى موضع آخر : وهذه المذاهب الأربعة

⁽١) أنظر رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعرى ، الطبعة الثانية ، بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حبدر أبان الركن ، ١٩٤٨هه ١٩٤٨ ١٩ أولها : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال أبو القاسم عبد الملك بن عسى بن درباس ، الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى .. أما بعد فاعلموا معشر الإخوان ، وفقنا الله وإياكم للدين القويم ، وهدانا أجمعين للصراط المستقيم ، بأن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده وبما كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه عن الاعتزال بمن الله ولطفه ، وكل مقالة تنسب إليه الآن ، نما يخالف ما فيه فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله سبحانه وتعالى منها ، كيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله بسبحانه بها ، وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وائمة الحديث الماضيين ، وقول أحمد بن حنبل رضى الله عنها أجمعين ، وأنه ما دل عليه كتاب الله وستنه ورموله ، (ابن درباس : رصالة في الذب عن أبي الحسن الأشعرى، ص ١ ، محموعة رسائل طبعت بالهند ١٣٦٧هم المعلنا نرجح أنها خطبة منبرية) وقد نشرت رسالة ابن درباس ضمن ابن درباس رقم ٧ كما نشر في هذه الرسائل السبع كتاب الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعرى الذي أشار إليه ابن درباس في رسالته على أنه تلخيص لعقدية الأشعرى . وجاء ترتيب كتاب الإبانة رقسم (٤) الذي أشار إليه ابن درباس في رسالته على أنه تلخيص لعقدية الأشعرى . وجاء ترتيب كتاب الإبانة رقسم (٤)

⁽٢) أنظر ترجمته عند السبكي : طبقات الشالعية ، ج ٤ ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

⁽٣) طبعت قصيدة حدائق الفصول وجواهر العقول ، لمحمد بن هبة المكى ، التى نظمها لصلاح الدين ، بالقاهرة ١٣٢٧ هـ/٩ ١٩ م .

⁽٤) أنظر يحيى بن الحسين : أنباء الزمن ، في تاريخ اليمن ، مخطوط بدار الكتب المصوية ، رقم ١٣٤٧ تاريخ ، ورقة ٢٣٤ - ٢٢٤ .

⁽٥) السبكى : معيد النعم ومبيد النعم ، تحقيق محمد على النجار ، أبو زيد شلبى ، طبع بدار الكتاب العربى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ (٤٨ م ، ص ٧٤ - ٧٥ ؛ وراجع النص بأكمله فهو فى منتهى الأهمية ويوضح أوجه الخلاف بين الأشاعرة والحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية ، ويوضح تطابق عقيدة الأشعرى ، مع عقيدة أبو جعفر الطحاوى وعقيدة أبو القاسم القشيرى والعقيدة المعروف بالمرشدة .

ولله الحمد في العقائد واحدة ، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم ... ويدينون الله برأى الشيخ أبي الحسن الأشعرى الذي لم يعارضه إلا مبتدع (1) ؛ وينصح تاج الدين السبكى ، المسلمين بعدم النظر في الكتب الكلامية التي ألفها المتكلمون المتأخرون ، والاقتصار على كتب ائمة متكلمى المذهب الأشعرى ، فيقول : لم أجد أضر على أهل عصرنا وأفسد لعقائدهم من نظرهم في الكتب الكلامية التي أنشأها المتأخرون .. ، ولو اقتصروا على مصنفات القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي إسحق الأسفرايني ، وإمام الحرمين أبي المعالى الجويني وهذه الطبقة لما جرى إلا الخير (٢) ؛ ثم أوضح السبكي أسباب طعن الجنابلة في عصره على عقيدة الأشعرى لكون الأشعرى ينفي التشبيه عن الله فلا يقول أن صفات الله هي هو ، وهو في ذلك يخالف الجنابلة الذين يثبتون صفات الله ، ومن ثم يعتقدون بالتشبيه والتجسيم (٣) .

وتؤكد أحداث التاريخ ، أن أشهر متكلمى المذهب الأشعرى فى القرن السادس الهجرى قد أهدوا مؤلفاتهم إلى سلاطين بنى أيوب ، سواء ألفوها وهم فى إحدى عواصم ملك الأيوبيين مشل دمشق ، أو ألفوها وهم فى بلاط سلطنة أخرى لا تقل قوة ونفوذًا سياسيًا عن سلطنة بنى أيوب ، أعنى الدولة الخوارزمشاهية ـ التى امتلكت بلاد خوارزم وحدود بلاد الترك وبعض إقليم الجزيرة وبعض إقليم عراق العجم ـ فنجد الإمام فخر الدين الوازى ، ت ٢ • ٢هـ (١) ، إمام مذهب الأشعرى دون

⁽١) السبكي : معيد النعم ، ص ٢٢ - ٣٣ . وراجع النص بأكمله أيضًا لأهميته .

⁽٢) السبكي : معيد النعم ، ص ٧٩ - ٨٠ .

⁽٣) السبكي : معيد النعم ، ص ٨٧ - ٨٨ .

⁽٤) هو محمد بن عمر بن الحسين التيمى البكرى ، أبو عبد الله ، فخر الدين الرازى ولد بالرى بعض أعمال فارس سنة ٤٤ ٥هـ/١٤٩ م ، ونسبته إليها ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وأخذ عنه خلق كثير، وسار إلى شهاب الدين الغورى سلطان غزنة ، فبالغ فى إكرامة وبنى له مدرسة بقرب جامع هراه ومعظم أهلها كرامية وحصلت له منه أموال طائلة واتصل بالسلطان علاء الدين خوارزمشاه فحظى لديه وكان ينال من الكرامية وينالون منه سبًا وتكفيرًا حتى قبل أنهم سموه وتوفى بهراه سنة ٢٠ ٣هـ/١٠٩ م . أنظر ترجمته وأخباره عند ابن خلكان : وفيات الأعيان ، الطبعة القديمة ، ج ١ ، ص ٥٠ ٣ - ٢ ، ١ ، السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٥ ، ص ٥٣ وما بعدها ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٨ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، ص ٤٤ - ٥ ١ الذي يذكر أن ملك الغوريه فارق مذهب الكرامية وتقلد مذهب الشافعي بعد مناظرة فخر الدين الرازى للكرامية بهراه ؛ وأهم مؤلفات فخر الدين الرازى ، تفسيره المسمى " مفاتيح الفيب " ، وهو مطبوع فى ثمان مجلدات ضخام ، وله كتاب " مناقب الشافعي " ، مطبوع وكتاب " اعتقادات فرق المؤمن والمشركين " ، مطبوع ومؤلفاته كثيرة .

منازع في عصره، يهدى كتابه أساس التقديس إلى الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، ويصفه بأنه أعظم سلاطين الإسلام القائمين لنصره مذهب الحق والسنة ، رغم أنه ألفه في بلاط الدولة الخوارز مشاهية (1) ، ونجد المتكلم الأشعرى الشهير الآمدى (٢) ، يستقر في بلاد الشام في العصر الأيوبي ، ويقوم بالتدريس في مدارسها ، ويهدى أهم مؤلفاته الكلامية في شرح العقيدة الأشعرية إلى سلاطين بني أيوب بالشام (٣).

⁽١) قال الإمام الفخر الرازى في ديباجة كتابه "أساس التقديس": أما بعد فإني وإن كنت ساكنًا في أقاصى بلاد المشرق، إلا أني سمعت أهل المشرق والمغرب، مطبقين متفقين على أن السلطان المعظم العالم العادل المجاهد سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، أفضل سلاطين الحق والبقين أبا بكر بن أبوب، لازالت آيات راياته في تقوية الدين الحق، والمذهب الصدق، متصاعدة إلى عنان السماء ...، أفضل الملوك وأكمل السلاطين في أيات الفضل، وبينات الصدق، وتقوية الدين القويم، ونصرة السراط المستقيم، فاردت أن اتحفه بتحفة سنية، وهدية مرضية، فاتحفته بهذا الكتاب الذي سميته " بأساس التقديس "، على بعد الدار، وتباين الأقطار، وسألت الله الكريم أن ينفعه به في الدارين بفضله وكرمه " . (الفخر الرازى: أساس التقديس في علم الكلام، طبع مصطفى البابي الخلبي، القاهرة ١٣٥٤هـ/١٥٩م، ص ٢ – ٣).

⁽۲) هو على بن محمد بن سألم التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدين الآمدى ، أصولى باحث ، أصله من آمد بديار بكر ، ولد بها سنة ٥١٥هـ/١٥٦م ، وتعلم في بغداد والشام ، وانتقبل إلى القاهرة ، فدرس فيها واشتهر وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل (أى في الصفات الإلهية) ومذهب الفلاسفة ، فخرج مستخفيًا إلى حماه ومنها إلى دمشق فتوفي بها سنة ١٣٣هـ ١٣٣هـ ١ م وله نحو عشرين مصنفا في علم الكلام وأصول الدين طبع عدد منها . أنظر ترجمة عند ابن خلكان : وفيات (الطبعة القديمة) ج ١ ، في علم الكلام وأصول الدين طبع عدد منها . أنظر ترجمة عند ابن خلكان : وفيات (الطبعة القديمة) ج ١ ، ص ١١٥ – ١٦١ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ١٦١ ، ابن أبي أصبيعه : عيون الأنباء ، ج ١ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ، القفطي : أخبار الحكماء ص ١٤٥ – ١٤١ ، السبكي : طبقات الشافعية ، ٥ : ١٢٩ ، الخوانساري : روضات الجنات ، ص ١٨٩ – ١٩٩ .

⁽٣) أفاد الأستاذ حسن محمود عبد اللطيف أن الآمدى المفكر الأشعرى ، عاش أكثر أيامه في ظلال دولة صلاح الدين وخلفائه من أمراء الأيوبيين ، وتنقل بين مصر والشام حيث درس في مدارسهما ؛ وفي حوالي سنة ١٩٥هـ/ ١٩٥ م ، انتقل الآمدى إلى مصر ، في عهد العزيز عثمان بن صلاح الدين ، الذي ألف له الآمدى رسالة موجزة في العقائد لم نعثر عليها بعد سماها : اللواء العزيز تذكرة الملك العزيز ، حيث داوم على التدريس بمدارس مصر مثل مدرسة منازل العز بالفسطاط ، والمدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعي حوالي عشرين عامًا ، ثم طعن الفقهاء في عقيدته واتهموه بعقائد الفلاسفة ، فظهر الآمدى بعد ذلك في حماه ، حيث استضافه أميرها الملك المنصور بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، وولاه التدريس في المدرس المنصورية ، ثم انتقل الآمدى يعد وفاة المنصور إلى دمشق بدعوة من الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر النوب صاحبها الذي ولاه شئون المدرسة العزيزية ، فقام بها عشر سنين ؛ وكان الأمدى يعقد مجالس النظر في المسجد الأموى بدمشق ، في يومي الثلاثاء والجمعة (أنظر حسن محمود عبد اللطيف : مقدمة كتاب غابة المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الأمدى ، يتحقيقه ، طبع القاهرة ، ١٣٩١ – ١٩٧١ ، وانظر بالإضافة إلى ذلك النعيمى : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .

وقصة ظهور المذهب الأشعرى وانتشاره ، والوسائل التي اتخذها دعاته لنشره في أرجاء العالم الإسلامي ، هي في الواقع الأصل الأول للوسائل التعليمية والروحية والاجتماعية ، التي استخدمها الأيوبيون في مصر لنشر العقيدة الأشعرية ، والفقه الشافعي ، وعلوم السنة والفكر الصوفي بمصر بحيث أننا نجد أن النظم الدينية ، التي استخدمها الأيوبيون في مصر ، تتطابق في خصائصها الجديدة ، التي استجدها الأيوبيون ، مع وسائل الدعوة الأشعرية ، التي استخدمها دعاة المذهب الأشعرى من قبل لنشر مذهبهم في أرجاء العالم الإسلامي ، ومحاربة المذهب الشيعي الإسماعيلي ، في مصر والشام والمغرب ، وخاصة بلاد الشام التي شهدت مقاومة عنيفة من فقهاء ومتكلمي الأشاعرة للحكم الفاطمي بالشام وخاصة دمشق ، إذ اتخذ دعاة الأشاعرة من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لمناوءة الحكم الفاطمي بالشام (1) ، ويبدو أنهم نجحوا في إضعاف الدعوة الإسماعيلية هناك ، بحيث استطاع السلطان شيث بن أرسلان السلجوقي القضاء على الوجود السياسي للفاطمين بالشام ، ثم اعتنق العقيدة الأشعرية وقرب دعاتها (1)

أما في مصر ، فلقد أدى النشاط المتزايد لدعاة الأشاعرة في عصر الخليفة الآمر باحكام الله الفاطمي ووزيره المأمون البطائحي ، إلى استمالة الكثيرين من أتباع الدعوة الإسماعيلية المترددين على «دار الحكمة » وهي ثاني مركز لنشر الدعوة الإسماعيلية بحصر بعد الجامع الأزهر ، بل استطاع هؤلاء الدعاة استمالة بعض حاشية القصر الفاطمي من الأساتذة المحنكين ، الأمر الذي هدد بانقلاب مذهبي سنى على الخلافة الفاطمية ، لولا نجاح الوزير البطائحي في قتل هؤلاء الأستاذين ، والقضاء على فتنة دعاة الأشاعرة بمصر التي عرف تبفتنة القصار ، نسبة إلى أشهر هؤلاء الدعاة الأشاعرة بمصر ؛ وقد اضطرت هذه الفتنة الخطيرة إلى إغلاق «دار العلم »(٢) ، بعد أن تحولت على يد دعاة الأشاعرة إلى أداة لمحاربة الدعوة الإسماعيلية بمصر .

 ⁽۱) انظر ابن عساكر الدمشقى ت ۷۱هـ: تبين كذب المقترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى ، طبع مطبعة التوفيق بدمشق ، ۲۱۳هـ ، بتحقيق محمد زاهد الكوثرى ، ص ۲۱۵ – ۲۱۲ ، ص ۲۱۲ – ۲۱۷، ص ۲۰۲ – ۲۱۷، ص ۲۰۲ – ۲۱۷، ص ۲۰۲ – ۲۱۷، ص ۲۰۲ – ۲۰۷، و نظر بعده .

⁽٢) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ٢٨٦ .

⁽٣) أنظر ما كتبه المقريزى عن " نوبة القصار " خلال كلامه عن دار العلم التى أنشأها الفاطميون بمصر ، ونسب هذه النوبة إلى داعى أشعرى اسمه حميد بن مكى الأطفيحى القصار وحددها بسنة ١٦ه ، وقال أنها طويلة أولها من أيام الوزير الأفضل بن شاهنشاه ، واستمرت حتى حكم الآمر بأحكام الله الفاطمى ووزيره المأمون البطائحى ، وأنظر المقريزى : الخطط ، مطبعة النيل ، ج ٢: ٣٣٥ – ٣٣٥ ، عن فتنة . القصارة أنظر أيضًا محمد كامل حسين : درسات في الشعر الأيوبي ص ٥٩ ، وأنظر بعده .

تبدأ قصة ظهور المذهب الأشعرى بتحول الإمام أبى الحسن الأشعرى (١) ، وكان من كبراء متكلمى المعتزلة والمناظرين لنصره مذهبهم عن مذهب الاعتزال ، وإنكاره لمذاهب المعتزلة الكلامية ، ورجوعه إلى مقالات أهل السنة والجماعة ، وأهل الحديث ، وعاولته لصياغة العقيدة الإسلامية في مسائل الإيمان ، على أساس الصورة الأولى لهذه العقيدة في عهد الصحابة والتابعين ؛ ردًّا على تأويل المعتزله للآيات الواردة في القرآن في المسائل التوحيدية ، بمذهب المعتزله دون مذهب أهل السنة .

ويصور لنا ابن عساكر، مؤرخ الدعوة الأشعرية، ما قام به الأشعرى في الانقلاب على المعتزلة، وكأنه انقلاب ضد مذهب المعتزلة ، بعد أن أصبح المذهب الرسمى للدولة العباسية طوال عهد المأمون والمعتصم والواثق (٢) ، فذكر أن الأشعرى رد على المعتزلة الذين تغلبوا على ملوك المسلمين في الخافقين (٣) ؛ ويروى المؤرخون عدة حوادث لتعليل هذا التحول ، منها مناظرة الأشعرى لأستاذه وزوج أمه وكبير المعتزلة في عصره أبى على الجبائي في رأى شهير من أراء المعتزلة هو « القول بالأصلح » أى أن الله يبسر لعباده من الأعمال ما فيه صالح لهم ، وذلك ترتببا على قول المعتزلة بفكرة « العدل الإلهي » بحيث قطع الأشعرى الجبائي في هذه المناظرة والزمة الحجة (١) . ثم تبع ذلك حادثة أخرى وهي رؤية الأشعرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمره بالرجوغ إلى سنته ،

⁽۱) هو على بن اسماعيل بن إسحاف ، أبو الحسن ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعرى مؤسس مذهب الأشاعرة . كان من الأثمة المتكلمين المجتهدين . ولد في البصرة سنة ، ۲ هم ، وتلقي مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم . وتوفي يبغداد سنة ۲ هم . قيل بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب . أنظر ترجمته عند ابن عساكر : تبين كذب المفترى فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعرى ، ص ۳۵ – ۵۰ ، وأنظر حصر لمصنفات الأشعرى عند ابن عساكر ، نفس المصدر ، ص ۱۲۸ – ۱۱۰ ، وأنظر أيضًا ترجمته عند المقريسزى : الخطط ، ٤: ١٨٦ ، ابن النديم : الفهرست ، ۱ : ۱۸۱ ، الخطيب البغدادى تباريخ بغيداد ، ۱۱ : ۳۶۳ – ۲۶۵ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ۱: ۲۱۱ – ۲۱۳ ، السبكي طبقات الشيافية ، ۲: ۲٤٥ – ۳۰۱ ، وعمود غراب كتاب " الأشعرى " مطبوع .

⁽٢) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١١٦ .

⁽٣) نفس المعدر ، ص ٢٥ .

⁽٤) أنظر ابن خلكان : وفيات ، ج ١ ، ص ٤١٢ – ٤١٢ ، المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

⁽٥) ابن عساكر : المصدر السابق ، ص ٤٣ - ٤٥ .

فى الرد عليهم (١) ، ثم ما لبث أن أعلن على المنبر فى مدينة البصرة ، وكانت مقر سكناه ، أنه قد تبرأ من مذاهب المعتزلة ، وكرس حياته للرد عليهم (٢) بحيث يقول المؤرخون : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم ، حتى أظهر الله تعالى الأشعرى ، فحجزهم فى أقماع السمسم (٣) ؛ ورغم أن حزب المعتزلة كان قويًّا بمدينة البصرة آنذاك ، فكان منهم القاضى وأصحاب الرياسة (٤) ، إلا أنه كان بالبصرة أيضًا جماعة من البيت الأشعرى الهم مكانة ورياسة ، كما ساعد على ظهور أمر الأشعرى ، كما يحدد ابن عساكر - بعد الثلاثمائة واستمر إلى سنة ع ٣٧ه - ٩٣٥ وهى سنة وفاة الأشعرى (١) .

ولاشك أن ثمة عامل سياسى قد ساعد على استقواء الدعوة الأشعرية ، وهو انتصار الخليفة المتوكل على الله لأهل السنة ، وعدم اعترافه بعقيدة المعتزلة كعقيدة رسمية للخلافة العباسية ، عما أدى إلى انزواء المعتزلة ، وعودة الغلبة الفكرية لأهل السنة والمحدثين ، وكان الحنابلة _ أتابع أحمد بن حنبل - أقوى الممثلين لأهل السنة ، فقربهم الخليفة العباسى بعد محنتهم ومحنة إمامهم ابن حنبل على يد المعتزلة في مسألة خلق القرآن ، التي تعد من أهم عقائد المعتزلة (٢).

والجدير بالاهتمام أن المقريزى ، قد ألمح عند حديثه عن عقيدة المسلمين منذ صدر الإسلام ، حتى ظهور الدعوة الأشعرية ، أن ظهور المذهب الأشعرى جاء رد فعل لانتشار مذاهب المتكلمين من الفلاسفة والقدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ، إبان حكم الدولة الشيعية البويهية في العراق وإيران ، وإبان حكم الخلافة الشيعية الفاطمية في مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ، كما ألمح إلى غلبة عقيدة المعتزلة على العالم الإسلامي كله إبان حكم البويهيين والفاطميين (^) .

⁽۱) ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ع ۹ - ۹۹ - ، ص ۱۱۰ - ۱۱۱ ، ص ۱۲۸ - ۱٤٠ .

⁽٢) قال ابن عساكر: قام الأشعرى على مذاهب المعتزلة أربعين سنة ، وكان لهم إمامًا ، ثم غاب عن الناس فى بيته خسة عشر يومًا ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع ، فصعد المنبر وقال إنى .. أشهدت الله .. فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده ، .. ودفع الكتب إلى الناس ، فمنها .. كتاب أظهر فيه عوار المعتزلة ، سماه بكتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) ، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة ، أخذوا بما فيها ، وانتحلوه ، واعتقدوه تقدمه ، واتخذوه إمامًا حتى نسب مذهبهم إليه . (ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ٣٩ – ٤٠) .

⁽٣) ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ٩٤ ، المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٦ .

⁽٤) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ١١٦.

⁽۵) ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ۱۲۷ .

⁽٦) ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ١٤٧ .

⁽۷) أنظر زهدى جار الله : المعتزلة ، ص ١٦٢ - ١٩٣ .

⁽٨) المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ١٨٤.

ويفسر المقريزى هذه الملحوظة بأن الأراء الكلامية والفلسفية في الإسلام ، قد ابتدعت في الإسلام ، على يد حركة الشعوبية الفارسية ، التي خلطت أراء الديانات الفارسية القديمة بعقائد الإسلام ، ثم أن الشعوبية استمالة أهل التشيع ، بإظهارها حب آل البيت (١) .

ولقد أرجع المقريزى أصول الأراء الفلسفية للإسماعيلية والقرامطة ، إلا الآراء اليهودية التى نشرها عبد الله ابن سبأ اليهودى إبان الفتنة الأولى فى الإسلام، وإلى الأراء الفارسية الشعوبية (٢)، ثم أعلن المقريزى صراحة ، انتقاده لأهم أسس الفكر السياسي والعقائد الإسماعيلي وهما فكرتي « النص » و « العلم اللادني » ، على أساس أنه لا أسرار في الدين الإسلامي ، وأن عقيدة الإسلام واضحة كما جاء بها القرآن ، وأن النبي لم يكتم عن المسلمين شيئًا من أمر دينهم ، ولم يختص آل بيته ببعض الأسرار (٣) .

لذلك فقد عمد الأشعرى ، إلى الانتصار لعقيدة اكبر متكلمي أهيل السنة والحديث ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، فسلك الأشعرى طريق الكلابي ، وبنى على قواعده (٤) .

ثم نهج الشعرى في القضايا العقائد الإيمانية المبعلقة بالأسماء والصفات الإلهية ، وبرؤية الله بالأبصار ، وهي المسألة التي عرفت اصطلاحًا « بالرؤية السعيدة » منهجًا وسطًا (٥٠) ، بين المعطلة ، أي الذين ينفون عن الأسماء والصفات الإلهية كونها ذات الله ، وهم الجهيمة والمعتزلة والشيعة ، وبين المشبه والمجسمة ، الذين يثبتون الأسماء والصفات الإلهية الواردة في القرآن ، ويعتقدون أنها

⁽۱) أنظر المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

⁽٢) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٩١ ، ص ١٨٢ . والواقع أن هذه الحقيقة التي ذكرها المقريزي ، قد انتهى إليها أيضًا الدكتور محمد كامل حسين، بعد دراسته لعقائد الإسماعيلية، كما جاءت في كتب الدعوة الإسماعيلية، فيقول د. كامل حسين : والذي الاحظه على عقائد الفاطميين ، انها مزيج من مجموعة المذاهب والديانات القديمة ، التي عرفت وانتشرت في الأقطار الإسلامية ، منذ زمن بعيد ، بتأثير امتزاج المسلمين بغيرهم من الشعوب المختلفة ، واستطاع الفاطميون أن يخضعوا هذه المذاهب والأراء القديمة ، للأراء الإسلامية ، ويصبغوها بالصبخة الإسلامية ، فالباحث يستطيع أن يتعقب أكثر عقائد الفاطميين ، ويردها إلى أصولها القديمة . (عمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، ص ١٧) .

⁽٣) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩١ .

⁽٤) المقريزى: الخطط، ج٤، ص١٨٤، ص١٨٨، ابن عساكر: تبين كذب المفترى ص١١٦ - ١١٨، وعن مدرسة ابن كلاب أنظر على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ١٩٧١، ج١، ص٥٠ - ٣٥٤ - ٣٨٤.

⁽٥) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، محمد زاهد الكوثرى : مقدمته لكتاب تين كذب المفترى ، ص ١٥٠ .

ذات الله ، ومن ثم فقد شابهوا بين صفات الله وصفات مخلوقاته ، ولقد قال بهذا الرأى كل من الكرامية والحنابلة (۱) ، فأوضح للمعطة ، من الجهيمية والمعتزلة ، أن نفى المحاذاة والصورة عن الله سبحانه صواب ، على أنه يجب الاعتراف بتجلى الله سبحانه ، من غير كيف ، أى دون معرفة للعباد بكيفية هذا التجلى ، وفى نفس الوقت نها المشبه من الحنابلة والمجسمة من الكرامية ، عن إثبات الصورة والمحاذاة لله سبحانه . ثم مال إلى رأى الحنابلة فى إثبات رؤية المؤمنين لربهم بالأبصار يوم القيامة ، وهو ما قال المعتزلة باستحالته وإن تحفظ الأشعرى ، فقال أن الله يرى للمؤمنين يوم القيامة ، ولكن بغير كيف ، أى أن كيفية هذه الرؤية مجهولة (٢) .

كذلك نهج الأشعرى ، منهجًا وسطًا في مسألة خلق القرآن ، التي اعتبرها المعتزلة جزءًا أساسيًا من عقيدتهم ، وامتحنوا العالم الإسلامي كله إبان سيطرتهم على الخلافة العباسية في عصر الخليفة المأمون العباسي ، بضرورة الإيمان بخلق القرآن (٢) ، فسلم للمعتزلة أنهم على الحق ، إذا كانوا يريدون بخلق القرآن ، اللفظ والتلاوة والرسم ، وسلم للحنابلة بأنهم مصيبون في قولهم بقدم القرآن وأنه ليس مخلوقًا ، إذا كان مقهصودهم بالقديم ، الصفة القائمة بذات الله البارىء ، غير البائنة منه ، يعنى الكلام النفسي ، وأن تحفظ الأشعرى أيضًا في هذه المسألة ، فنبه الجنابلة إلى أنه لا يصح إنكارهم لحدوث لفظ لافظ القرآن وتلاوة من يتلو القرآن ، كما أنه نبه المعتزلة ، بأنهم ليس لهم نفي الصفة القائمة بالله تعالى من غير لفظ ولا صوت ، أي الكلام النفسي (١٠).

وأيضًا وقف الأشعرى، موققًا وسطًا ، بين رأى المعتزلة ، ورأى أهل السنة في مسألتى التكليف، وحرية الإرادة الإنسانية ، فخالف المعتزلة القائلين بحرية إرادة الإنسان في اختيار أفعاله ، بأن قرر بأن جميع أفعال العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى ، وهو مذهب أهل الحديث والحنابلة والجبرية ، الذين يعتقدون أن الإنسان مُصيّر غير مُخيّر في أفعاله ، بل مجبر عليها ، وفي نفس الوقت خالف الأشعرى مذهب الجبر الذين يقول به الجبرية وقال بنظرية « الكسب » وفسرها ، بأنه إذا كانت أفعال الله

⁽۱) أنظر المقريزى: الخطط، ج ٤ ، ص ١٩٤، و ج ٤ ، ص ١٨٤، ابن عساكر: المصدر السابق، ص ١٤٩٠.

 ⁽۲) أنظر ابن عساكر : المصدر السابق ، ص ۱٤٩ – ١٥٠ ، المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .
 محمد زاهد الكوثرى ، مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٥٥ .

⁽٣) أنظر زهدى جار الله : المعتزلة ، ص ١٦٧ – ١٧٩ .

⁽٤) محمد زاهد الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٥ ، ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٥٠ ، المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

مخلوقة مبدعة من الله تعالى ، فهى أيضًا مكتسبة للعبد ، حين يهم العبد بفعلها ، فالكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد (١) .

وعلى هذا النحو سلك الإمام أبى الحسن الأشعرى فى مسائل أصول الدين ، طريقًا وسطًا بين المتكلمين فى مشكلة الأسماء والصفات ، ومشكلة الرؤية السعيدة ، ومشكلة الجبر والاختيار ، ومشكلة خلق القرآن ، وبقية المشكلات الكلامية والاعتقادية الأخرى ، مشل مشكلة مرتكب الكبيرة ، ومشكلة الإيمان هل يزيد وينقص ، ومشكلة شفاعة النبى يوم القيامة « ودلل الأشعرى على عقيدته ببراهين عقلية ، وأدلة شرعية » ثم خص عقيدته فى كتابه : الإبانة عن أصول الديانة (٢).

وواضح أن الأشعرى في منهجه في الاستدلال على صحة عقيدته ، قد جمع بين منهج المعتزلة ، في الاستدلال العقلى ، وبين منهج أهل السنة والمحدثين والجنابلة في الاعتماد على النصوص والأدلة الشرعية ، كما جاءت في القرآن والسنة ، وهو ما عرف بتغليب النقل على العقل ، بعد أن دلل الحنابلة ، بأنه ليس ثمة أي تعارض بين النقل والعقل ، فمنهج الأشعرى إذًا ، في التدليل على صحة معتقده ببراهين عقلية وأدلة شرعية ، منهج شمولي جمع بين منهجي المعتزلة وأهل السنة ، ولا شك أن الأشعرى قد حاول أن يجعل من مذهبه مذهبًا لجمع الشمل ، بعد أن تفرق المسلمون حول هذه العقائد فرقًا وأشياعًا(").

ولعل سعى الأشعرى ، إلى تقريب وجهات النظر الكلامية والاعتقادية بين فرق المسلمين هو الذى دفعه في رأينا إلى الاقتراب من فكر المرجئة المتسامح ، في مسألة الإيمان ، وعدم تكفير مرتكب الكبيرة ، وإرجاء الحكم في أمرة إلى الله يوم القيامة (4) .

⁽١) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٧ ، ابن عساكر : تبين ، ص ١٤٩ .

⁽٢) راجع ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٤٨ – ١٦٣ .

⁽٣) يقول الدكتور على سامى النشار فى مقدمته لكتابه " نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام " إنى كمفكر أشعرى ، يرى أن عمله الأساسى فى الحياة ، هو المحافظة على كيان المذهب الأشعرى ، مذهب الجمهور العظيم من المسلمين ورباط حياتهم ، أرى أن الأشعرية هى آخر من وصل إليه العقبل الإسلامى الناطق باسم القرآن والسنة ، وأن ما بقى للمسلمين بعد فى الحياة حتى نهاية الدنيا ، هو الأخذ بهذا المذهب كاملا ، وتطويره خلال العصور ، وعلى حسب مقتضيات الأجيال المقبلة ، وأنظر على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ، الطبعة الخامسة (١٩٧١ م ، مقدمة الكتاب ، ص ج) وفى رأى الدكتور النشار أيضًا أن الأزهر أصبح معقل الدعوة الأشعرية ، وعمل على بعثها وتوضيح حقائقها والوقوف بالمرصاد لأوروبا وعلمائها جيعًا (نفس المرجع ، مقدمة الكتاب ، ص ى) .

⁽٤) أنظر المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٧ .

كما أننا نلاحظ مع المقريزى ، ملحوظة على قدر كبير من الأهمية ، هى أن آراء الأشعرى السياسية استهدفت بالدرجة الأولى ، الرد على آراء الشيعة الخاصة بفكرة النص ، هذا رغم اعترافه بتعاطفه مع مواقف الإمام على بن أبى طالب ، فى حروبه فى صفين ضد حزب معاوية ، وفى النهروان ضد حزب الخوارج(١) .

كذلك نلاحظ ملاحظة أخرى لا تقل أهمية ، وهى ميل الإمام الأشعرى إلى آراء الصوفية ، فذهب إلى القول بأن «كرامات الأولياء حق »(٢) ، كما سلم بكل ما جاء به القرآن من أمور الغيب ، مثل اللوح والقلم والعرش والكرسى والجنة والنار ، وعذاب القبر ويوم القيامة والميزان والصراط .. إلخ (٢) .

وفى هذا كله ما يؤيد ما ذهبنا إليه ، من أن مذهب الأشعرى ، قام لمقاومة المذاهب الكلامية الفلسفية التى راجت تحت حكم الخلافة الفاطمية بمصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ، وأمراء بنى بويه ، فى العراق وخراسان والمشرق الإسلامى ، فأقام الأشعرى فكره السياسى على أساس تفنيد مذاهب الشيعة فى النص بخصوص الإمامة ، وفى اعتقادنا أيضًا ، أنه كما كان المذهب الأشعرى مذهبًا لجمع شمل المسلمين فى عقيدة إيمانية واحدة ، فإنه فى رفضه لأراء البويهيين والفاطميين السياسية بخصوص « النص » وبخصوص « الإمام المعصوم » (أ) ، وباعترافه بخلافة واحدة تجمع خطة الإسلام كلها(ه) ، كان يهدف أيضًا لجمع شمل المسلمين تجت خلافة سنية واحدة ، وإن اضطر الأشاعرى

⁽١) أنظر المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ١٨٨ ، س ٨ – ١٤ ، ابن عساكر : تبين كذب المفترى ص ١٣٩ .

⁽٢) نفس المصدر ، ص ١٨٨ ، س ٤ .

⁽٣) لفس الصدر ، ص ١٨٨ ، س ٥ - ٨ .

⁽٤) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٢٩ .

⁽٩) الجوينى : غيات الإمام ، ص ١٢٥ ، وأنظر قبله .

ولقد أشار ابن عساكر لعدة أراء سياسية أخرى للإمام أبى الحسن الأشعرى ، فمفهوم الفتنة عنده ، هى التباس الحق على الخلق (ابن عساكر : تبين ، ص ٩٩) ، والأشاعرة وعلماء السنة متفقون فى مسائل أصول الدين ، أن الله جعل استقامة أمور الدنيا والدين ، بصلاح الولاة والسلاطين (ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ٧١) ، وأولى الأمر ، المستحقين الطاعة فى رأى الأشعرى ، هم أهل الفقه والدين يعلمون الناس معانى دينهم ، ويأمرونهم بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر ، فأوجب الله عز وجل طاعتهم (ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ٢١) ، والجدير بالملاحظة أن فكرة جعل . الولاية، للعلماء، المعصوم) ، (ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ٢١) ، والجدير بالملاحظة أن فكرة جعل . الولاية، للعلماء، لا للأمراء والسلاطين ، نجدها مشروحة عند مفكرة الأشاعرة ، أنظر الجوينى : غياث الأمم ، ص ٢٦ – ص ٧٥ ، وهم الذين يطلقون عليهم مصطلح " أهل الحل والعقد " .

إلى التسليم بالظروف السياسية القائمة ، فسلم بجواز وجود سلطنة عسكرية سنية تساند الخلافة ، إذا ما أقرت الأمن في بلاد الإسلام ، وأمضت شرائع الإسلام والتزم المسلمون بطاعتها ، وتولت فريضة الجهاد (١) .

فلا غرو أن عمد المفكرون والفقهاء السياسيون للدعوة الأشعرية ، إلى تفنيد فكرة النص التى قال بها الإسماعيلية وبنوا عليها مذهبهم فى الإمامة ، وأوضحوا تهافتها اعتمادًا على ما تم من اختيار أبو بكر ومبايعة المسلمين له فى يوم السقيفة (٢) . وفى نفس الوقت ، راح دعاة الأشاعرة يؤكدون أحقية خلفاء بنى العباس السنين فى الخلافة ، وحكم جميع بلاد المسلمين (٣) ، ويظهرون مشالب الفكر الباطنى الإسماعيلى ، وما انطوى عليه من مغالطات وتدليس (٤) . بل ويطعنون حتى فى صحة النسب الفاطمى ، وانتسابهم لعلى بن أبى طالب (٥) ؛ وضمأنًا لحماية الخلافة العباسية السنية ، واستقرار أمور

⁽١) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٩١ - ٢٥٨ .

⁽٢) نفص المصدر ، الباب الثاني ، فصل في القول في النص ، وفسى حكم ثبوته وانتفائه ، ص ١٩ – ص ٤٢ ، ثم يسوق الجويني من الأدلة التاريخية والفقهية ، ما يؤكد صحة القول بإثبات الاختيار والانتخساب ، مما يبطل مذهب النص ، كما يوضح الجويني أن مبايعة المسلمين للخلفاء الراشدين الأربعة ، يؤكد مبدأ الاختيار وينفسي مبدأ النص ، أنظر الجويني : نفس المصدر ، ص ٤٢ – ٤٥ .

⁽٣) يقول الغزائي في أول كتابه فضائح الباطنية: أما بعد ، فإني لم أزل مدة المقام بمدينة السلام ، متشوقًا إلى أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الإمامية المستظهرية بتصنيف في علم الديس ، حتى خرجت الأوامر الشريفة ، المقدسة النبوية المستظهرية ، بالإشارة إلى الخادم ، في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية ، فيشتمل على الكشف عن بدعتهم وضلالتهم ، وفنون مكرهم واحتيالهم ، ووجه استدرجاهم عوام الخلق وجهالهم ، وإيضاح غوائلهم في تلبيسهم وخداعهم ، وانسلالهم عن ربقة الإسلام .. ، وإبراز فضائحهم وقبائحهم ، عا يقضى إلى هنك أستارهم ، (الغزائي : فضائح الباطنية ، ص ١ - ٢) ثم يخصص الغزائي الباب التاسع من كتابه للحديث عن إقامة البراهين الشرعية ، على ان الإمام القائم بالحق ، الواجب على الخلق طاعته في عصرنا ، هو الإمام المستظهر ، (الغزائي فضائح الباطنية ، ص ٥ ٥ ، وما بعدها) .

⁽٤) أنظر حديث الغزائى عن مراتب الدعوة الباطنية ، على أساس أنها حيل ، يحتال بها على الناس ، فيتحدث عن حيلة التانيس (فضائح الباطنية ، ص ٤) وحيلة التعليق ، (نفس المصدر ، ص ٥) وحيلة التدليس ، (نفس المصدر ، ص ٦) ؛ ثم يقرر الغزائى أن الذى هداهم إلى اختراع دعوى النص المواتر ، طائفة من الملحدين (نفس المصدر ، ص ٣٩) ؛ ثم يفند الغزائى قولهم إن الإمام لابد أن يكون معصومًا (نفس المصدر ، ص ٣٩) .

⁽٥) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٥١١ - ٥١٤ ، الذي يعتمد على كتاب كشف أسرار الباطنية لأبى بكر الباقلاني ، وعلى كتاب الرد على الباطنية ، لأبى القاسم الشاشي ، وكلاهما من أكابر دعاة الأشاعرة ، أنظر بعده .

العالم الإسلامي ، أقر دعاة الأشاعرة الأمر الواقع ، واعترفوا بشرعية السلطنة السنية القائمة ، سواء الغزنوية أو السلجوقية أو الزنكية أو الأيوبية أو المماليكية على التوالي(١٠) .

ولا غرو أن أعتنق السلاطين السنيين للمذهب الأشعرى ، فاعتنقه على التوالى ، كل من السلاجقة بإيران وأسيا الصغرى (٢٠) . والسلاجقة في بلاد الشام منذ عهد تُسَشَّ^{٣)} ، كما اعتنقه نور الدين زنكى (٤) ، ثم اعتنقه الأيوبيون والمماليك (٩) .

ولقد كان سلاطين السلاجقة ، ووزيرهم الأكبر ، نظام الملك ، بعد اعتناقهم للعقيدة الأشعرية وعملهم على نشرها ، يطلبون من دعاة الأشاعرة المعاصرين لهم تأليف مؤلفات يلخصون فيها العقيدة الأشعرية ، فألف إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجويني (٢) ، رسالة لخص فيها العقيدة

⁽۱) أنظر الجوينى: غياب الأمم، ص ۱۹۱ – ۲۰۸، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص ۱۱۳ – ۱۱۸، خضر بن أبى بكر: المناقب المعزية – خ، الفصل الثانى من الباب الأول عن وظيفة السلطنة، ق ۱۱ – ۱۳، والفصل الثالث من الباب الأول، عن الإمامة والحلافة، ق ۱۳ – ۲۰، ابن جماعة: تحرير الأحكمام – خ، الباب الأول والثانى. عن الإمامة، والباب الرابع عن الأمراء، وأنظر قبله، وبعده.

⁽٢) أنظر الراوندى: راحة الصدور ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ص ١٥٩ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، ويقرر الراوندى أن سلاطين السلاجقة كانوا يجلون فقهاء المذاهب الأربعة ، ويعملون على الخصوص الشافعي ، ويتحمسون حاسة عظمى لنشر المذهب الخنفي ، الراوندى: راحة الصدور ، ص ٥٠ - ٥٠ . والجدير بالاهتمسام أن الراوندى ، وهو يكتب في أواخر العصر السلجوقي ، يجعل الصراع بسين الشيعة والأشاعرة ، في الدولة السلجوقية من أهم أسباب ضعفها ، أنظر راحة الصدور ، ص ٧٤ - ٧٥ ، وعن اعتناق السلاجقة أيضًا للدعوة الأشعرية ، أنظر أبن الجوزى: المنتظم ، ج ٥ ، ص ٣٣٣ إلى ٣٣٣

⁽٣) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١ من المقدمة ، و ص ٦ ، و ص ١٦ ، وأنظر بعده .

⁽٤) ابن عساكر : نفس المرجع ، ص ٢٨٦ وأنظر قبله .

⁽۵) المقریزی: الخطط، ج ٤ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، ص ١٦١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٨ ، ص ٢٧٥ ، السبكی: معید النعم ومبید النقم ، ص ٢٢ - ٢٣ ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ص ٧٩ - ٨٠ ، ص ٨٧ - ٨٨ ، وانظر قبله .

⁽٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني النيسابورى الشافعي ، الأشعرى المعروف يامام الحرمين ولد سنة ١٩٤هـ ، وجاور بمكة ، وتوفى بنيسابور سنة ٤٧٨هـ أنظر ترجمته عند ابن خلكان : وفيات (الطبعة القديمة) ج ١: ٣٦١ – ٣٦١ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٩ : ١٨ – ٢٠ ، السبكي : طبقات ، ج ٣ : ٢٤٩ – ٢٨٣ ، ابن عساكر : تبين ، ص ٢٧٨ – ٢٨٥ ، وأنظر فوقيه حسين محمود : الجويني إمام الحرين ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ ، أعلام العرب ٤٠ .

الأشعرية ، وأهداها إلى الوزير نظام الملك السلجوقى ، وسماها العقيدة النظامية (١) . كذلك ألف الإمام أبى حامد الغزائى (٢) ، تلميذ إمام الحرمين الجوينى ، رسالة العقائد والوعظ إلى السلطان ملك شاه السلجوقى (٦) ، كما ألف الجوينى لنظام الملك ، كتابًا فى الأحكام السلطانية ، سماه بلقب نظام الملك ، وهو كتاب غياث الأمم (٤) ، كذلك دعا نور الدين زنكى ، الإمام قطب الدين

(٢) هو محمد بن محمد الطوسى الشافعي ، المعروف بالغزالي ، ولد بطوس سنة ، ٤٥هـ ، ثم ارتحل إلى نيسابور ودرس على إمام الحرمين الجويني ، وحضر مجلس الوزير نظام الملك السلجوقي ، فأقبل عليه نظام الملك ، وعظمت منزلة الغزالي ، وأسند إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ، وتوفى الغزالي سنة ٥٠٥هـ

أنظر ترجمته الغزائي عند ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ٢٩١ – ٢٩٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان (الطبعة القديمة) ج ١ ، ص ٥٨٦ – ٥٨٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ٩: ١٦٩ – ١٧٠ ، السمبكى : طبقات الشافعية ، ٤: ١٠١ – ١٨٢ .

- (٣) جاء في أول رسائل العقائد والوعظ إلى ملكشاه : .. قال .. أبو حامد .. الغزالى ، رحمة الله عليه ، يخاطب السلطان محمد بن ملكشاه ، رحمة الله عليه : أعلم يا سلطان العالم ، وملك الشرق والغرب ، أن لله تعالى عليك نعمًا ظاهرة ، وآلاء متكاثرة ، يجب عليك شكرها .. ؛ ثم يلخص الأشعرى للسلطان ملكشاه العقيدة الأشعرية في ست قواعد ثم يقدم له مواعظ خاص بالعدل في الرعية وكيفية سياسة الملك . (أنظر الغزالى : رسائل العقائد والوعظ إلى ملك شاه ، الطبعة الأولى ، نشر مكتبة الخانجي يحصر ، بتحقيق بدر الدين الحلبي ، ضمن جموعة رسائل للغزالى ، طبع سنة ١٣٧٥ هـ/٧ ، ١٩٩٩ م ، ص ٢١ ٧٩ من المجموعة) .
- (٤) صرح الجوينى فى أوله بإهدائه إلى نظام الملك بقوله: قد تقدم الكتاب النظامى ، محتويًا على العجب العجاب .. ووافى الجناب الأسمى .. ، والآن ، كما يقضى مساق هذا الترتيب ، إلى تسمية الكتاب والتلقيب ، وقد تحقق للعالمين أن صدر الأنام .. يدعى بأسماء تبر عليها معانية .. ، فهو غياث الدولة ، وهذا إذا تم (غياث الأمم فى التياث الظلم) ، فليشتهر بالغيائى ، كما شهر الأول بالنظامى ، (أنظر الجوينى : غياث الأمم ، ص ٣ ١٣) .

⁽١) قال الجويني في ديباجة العقيدة النظامية: .. قد مَلَكَك الله مولانا الصاحب الأجل نظام الملك ، سيد الوزراء، غياث الدولة ، معتمد أمير المؤمنين – أدام الله علاه – مقاليد أعمالك .. وأراد خادم الدعاء ، أن يطبر .. إلى غيم العلاء .. ، ثم قدم تذكرة إلى المجلس الأسنى .. ، ومهرها أن تقع من السدة السامية موقع القبول ، ومتضمنها عقائل العقول ، ونخب الشرع المنقول ، وقد صدرتها بقواعد عن العقائد على أساليب لم أسبق إليها ، ثم اتبعتها بما لا يسوغ الذهول عنه من أركان الإسلام ، وسميتها : النظامية في الأركان الإسلامية ، أنظر الجويني : العقيدة النظامية ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، مطبعة الأنوار ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ص ٧

النيسابورى (١) ، إلى دمشق ، نزولا على طلب العلماء (٢) ، الذى ألف عقيدة ، أهداها إلى صلاح الدين ، فحفظها صلاح الدين إبان خدمته لنور الدين بالشام ، وحفظها لأولاده ، ثما أدى إلى شدة عسكهم بالعقيدة الأشعرية (٢) . وأيضًا ظلب صلاح الدين من قاضيه ابن درباس تأليف رسالة في الذب عن العقيدة الأشعرية (١) ، كما طلب من هبة الله المكى أن يؤلف له قصيدة يلخص فيها العقيدة الأشعرية ، حتى يسهل على الناس حفظها (٥) .

والواقع أن دعاة الشاعرة ، في سبيل نصرتهم لدعوتهم ، ومحاربة دعوة الاعتزال والدعوة الفاطمية ، واحتواء سلاطين ووزراء السلاجقة - الأمر الذي أدى في النهاية على غلبة المذهب الفاطمية ، واحتواء سلاطين ووزراء السلاجقة - الأمر الذي أدى في النهاية على غلبة المذهب الأشعرى على العالم الإسلامي كله - قد لاقوا من الصعوبات وبذلوا من الجهد ، ما قد لا يقل عن جهود دعاة الإسماعيلية من قبل في نشر دعوتهم ؛ كما أن دعاة الأشاعرة ، قد ابتكروا من الوسائل والمعالمة والطرق ، لاجتذاب المستجيبين إلى دعوتهم ، وتحويل معتنقي المذاهب الاعتزالية والشيعية إلى الدعوة الأشعرية ، ما قد لا يقل أيضًا عن الوسائل التي اتخذتها الدعوة الإسماعيلية من قبل لنشر التشيع .

لقد بدأ الإمام أبو الحسن الأشعرى ، مؤسس المذهب ، ينشر مذهبه بنفسه بحدينة البصرة بعد الثلاثمائة واستمر في ذلك حتى وفاته سنة ٢ ٣ هـ/٤ ٥ ه (٢٠) . ثم استمر تلامذته العراقيون في نشر اللحوة بالعراق ، بحيث انتشر مذهبه في العراق بأكمله نحو سنة • ٣ ٨ هـ/ • ٩ ٩ م ومن العراق انتشر إلى الشام (٧٠) ، وإن لوحظ أنه بعد وفاة الأشعرى بيسير ، استعاد المعتزلة بعض قوتهم في عهد بني بويه ، ولكن تلميذ الأشعرى الشهير ، أبو بكر الباقلاني (٨) ، الذي عرف بناصر السنة ، قمعهم

⁽۱) هو أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى ، ولد بنيسابور سنة ٥ ، ٥هـ ، وقدم بغداد ، ثم دمشق، ودرس بالمدرسة المجاهدية والغزالية بدمشق ، وتوفى سنة ٧٨هـ . ودفن بمقابر الصوفية ، وألف عقيدة أهداها لصلاح الدين ، أنظر ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان (الطبعة القديمة) ، ج ٢ ، ص ، ١٢ - أهداها لصلاح الدين ، أنظر ترجمته عند ابن خلكان : وفيات الأعيان (الطبعة القديمة) ، ج ٢ ، ص ، ١٢ ، العبمى : المدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ، ١٢ ، النعيمى : المدارس فى تاريخ المدارس ، ج ١ ، ص ، ١٨ مسكل مس ١٨٣ - ١٨٤ .

⁽٢) محمد زاهد الكوثرى: مقدمة تبين كذب المفترى لابن عساكر، ص ١٦٠.

⁽٣) المقريزي : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، وأنظر قبله .

⁽٤) طبقت هذه الرسالة بالهند ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، وأنظر قبله.

⁽٥) عنوان هذه القصيدة .. حدائق الفصول .. طبعت بمصر ١٣٢٧هـ/٩ ، ٩ ١م ، وأنظر قبله .

⁽٦) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، أنظر قبله .

⁽٧) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، وأنظر قبله .

⁽۸) هو محمد بن الطيب البصرى ، ثم البغدادى المعروف بالباقلانى ، أبو بكر ، متكلم على مذهب الأشعرى . ولد بالبصرة سنة ٣٣٨ . وسكن ببغداد ، رد على المعتزلة والشيعة والخوارج والجهيمة وغيرهم ، وتصانيفه "أسرار الباطنية " أنظر توجمته عند ابن عساكر ، تبين ، ص ٢١٧ – ٢٢٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٥ ، ص ٣٧٩ - ٣٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان (الطبعة القديمة) ج ١ ص ٣٠٩ .

بحجته (۱)؛ فيذكر ابن عساكر مناظرة الباقلاني للمعتزلة في مجلس فناخسروا البويهي، وقطعة لهم وتأليفه كتابه الشهير التمهيد في الدين ، بحيث كان بداية انتشار مذهب الأشعرى في إيران على يد الباقلاني من مدينة شيراز عاصمة ملك فناخسرو (۲)، ثم تابع تلامذة الباقلاني ، نشر الدعوة في العراق وخراسان (۳)، بحيث دانت للسنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد أفريقية ، وغلبت الدعوة الأشعرية على بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب (١).

وهنا يستوقفنا أن الدعوة الأشعرية ، بعد احتوائها للدعوة البويهة الشيعية بالعراق وإيران ، راحت تركز جهودها لنشر عقيدتها السنية في البلاد التي كانت خاضعة في القرنين الرابع والخامس الهجري للخلافة الفاطمية الشيعية وهي بلاد الشام ومصر والمغرب والحجاز .

وأول من نشر الدعوة بالشام ، صاحب الأشعرى ، أبى الحسن عبد العزيز الطبرى ، راوية تفسير ابن جرير الطبرى عن مؤلفه (٥) ، ثم تأكد انتشارها بالشام ، حين بعث أبو بكر الباقلانى ، فى جملة من بعث من اصحابه إلى البلاد لنشر الدعوة ، داعيه أبا عبد الله بن حاتم الأزدى إلى الشام ثم إلى القيروان وبلاد المغرب ، فدان له أهل العلم من ائمة الشوام والمغاربة (٢) ؛ وتعود أهل الشام ، على اجتلاب كبار الأئمة من المذهب الأشعرى حينًا بعد حين ، كلامام قطب الدين النيسابورى ، الذى اجتلبه نور الدين زنكى ، على طلب العلماء (٧) ، ولقد ألف القطب النيسابورى عقيدة لصلاح الدين حفظها هو وأولاده حين كان لايزال فى خدمة نور الدين ، فاعتنقوا المذهب الأشعرى وتحمسوا له (٨) ؛

⁽١) محمد زاهد الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ، لابن عساكر ، ص ١٥ .

⁽۲) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ۱۱۸ – ۱۲۰ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ، ٢ ، انتشرت الدعوة الأشعرية بنيسابور على يد أبى الطب الصعلوكي، (ابن عساكر : تبين كذب تبين كذب المفترى ، ص ٥٥) ، وفي خرجان على يد عبد الملك الجرجاني (ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ٥٤ - ٥٥) ، ولقد نجح أبو بكر القفال الشاشي في نشر مذهب الأشعرى وفقه الشافعي في بلاد ما وراء النهر (ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٨٢) .

⁽٤) المقريزى : الخطط ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ، محمد زاهد الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٥ .

⁽٥) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ١٩٥ ، محمد الكوثرى : مقدمة تبين ، ص ١٥.

⁽٦) ابن عساكر: تبين ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، محمد الكوثرى: مقدمة تبين ، ص ١٥.

⁽٧) محمد زاهد الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٦ .

⁽٨) المقريزي : الخطط ، ج ؛ ، ص ١٨٤ وأنظر قبله .

وحين توفى الإمام ابن عساكر ، مؤرخ الدعوة الأشعرية ، وناصرها في بلاد الشام بدمشق سنة الاهدار مدارع الدين الأيوبي بنفسه (١).

والغريب أن الفاطمين بالشام ، لم يدركوا منذ الوهلة الأولى خطورة دعاة الأشاعرة على وجودهم المذهبي والسياسي في بلاد الشام ، فنسمع أن إمام المستجد الأموى ، إبان قوة الفاطميين بالشام ، كان أشعرى المذهب (٢) ، وإن كان يبدو أن أبا عبد الله الأزدى ، الذي بعثه الباقلاني لنشر الدعوة بالشام ، لم يهنأ له الاستقرار هناك ، واضطر إلى مغادرة الشام إلى المغرب حيث استقر بالقيروان (٢) .

ولكن ما لبث دعاة الأشاعرة ، أن أظهروا حقيقة نواياهم العدائية ضد الحكم الفاطمي بالشام فاتخذوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسيلة لمناوءة الحكم الفاطمي بدمشق (4) . وأغلب الظن أنهم حققوا لدعوتهم قدرًا كبيرًا من النجاح ، تأييد بسقوط الحكم الفاطمي بالشام ، واستقرار الفرع السلجوقي الشامي هناك ، واتخاذه من دمشق عاصمة له (٥) . بحيث أننا نجد السلطان تتش بن الب أرسلان السلجوقي ، يتردد بنفسه على الفقيم والمتكلم الأشعري أبو الفتوح نصر المقدسي ، ويستشيره في أموره ، وكان أبو الفتح المقدسي ، قد اشتهر بعداوته للشيعة (١) .

أما فى مصر عاصمة الخلافة الفاطمية ، فلقد حاول الأشاعرة نشر عقيدتهم بمصر ، فى آخر العصر الأخشيدى بعفر العصر الأخشيدى بعفر الأخشيدى بعفر بن الفرات (٧) . ولكن يبدو أن هذه المحاولة باءت بالفشل ربحا نتيجة للنشاط المتزايد لدعاة الفاطميين فى نشر مذهبهم بمصر فى نهاية العصر الأخشيدى (٨) ، وأغلب الظن أن دعاة الأشاعرة بمصر ظلوا

⁽۱) أنظر ترجمة ابن عساكر عند العماد : الخريده ، ج ۱ ، ص ۲۷٤ ، ابن خلكان : وفيات ج ۱ ، ص ۲٤٢ - ٢٤٣ ، السبكى : طبقمات الشافعية ، ٤ : ٢٧٣ – ٣٤٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ج ، ١ ، ص ٢٦١ ، النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ، ١ : • • ١ - ١ • ١ ، والجدير بالذكر أن نور الديس زنكى ، قمد بنى دار الحديث النورية بدمشق ، وأوكل إلى ابن عساكر التدريس بها .

⁽۲) ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ۲۱۵ – ۲۱۳ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

⁽٥) أنظر قبله .

⁽٦) ابن عساكر: مصدر سابق ، ص ٢٨٦ .

⁽٧) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ١٩٣.

⁽٨) ماجد : ظهور الخلافة ، ص ١٠٦ .

فى خفية وتستر ، طالما ظلت الخلافة الفاطمية قوية متماسكة ، ولكن مع ضعف الخلفاء المتأخرين وتغلب وزراء السيوف على السلطة الحقيقية واستهانتهم بالسلطة الروحية للخلفاء ، مما أدى بالتالى وتغلب وزراء السيوف على السلطة الحقيقية واستهانتهم بالسلطة الروحية للخلفاء ، مما أدى بالتالى إلى ضعف العقيدة الإسماعيلية فى قلوب المصريين (1) ، استقوى نشاط دعاة الأشاعرة بمصر ، فى أيام الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ، فحدثت فتنة ضخمة عرفت بفتنة القصار ، أشعلها داعيان أشعريان منذ سنة ٦ ١ ٥هـ/ ١ ٢ ٢ م . مما أدى إلى إغلاق الفاطميين لدار العلم ، إذا استطاع هذان الداعيان واسم أولهما بركات واسم الثانى حميد بن مكى الأطفيحى ، استمالة عدد من الأساتذة المحنكين من حاشية القصر الفاطمى ، وانتهى الأمر ، بقتل هؤلاء الأساتذة المحنكين ، وقتل الداعى بركات ، ونجاح القصار فى الهرب ، ثم عاد مرة أخرى يبث دعوته ويستميل المصرين إليها فى عصر المامون البطائحى ويستهوى عقول الناس ، حتى تم قتله فى سنة ١ ٧ ٥هـ / ١ ٢ ٢ م ١ م ١ ٢ م ١٠٠٠ .

اما بلاد الحجاز ، فكان أول من قام بنشر المذهب الأشعرى بها الحافظ أبو ذر الهروى راوية كتاب الجامع الصحيح ، وعنه أخذ من ارتحل إليه من علماء الأفاق^(٢) ، ثم قام إمام الحرضين الجوينى بجهود أخرى في سبيل هذه الغاية ، وذلك بعد هروبه من نيسابور سنة ٤٤٥هـم / ٥٣ / ١م ، عقب محنة الأشاعرة بها ، واستقراره لعدة أعوام مجاورا بحكة (٤) .

ويبدو أن انتشار الدعوة الأشعرية بالمغرب والأندلس ، إبان الحكم الفاطمى ، كانت أكثر سهولة ويسرًا ، وذلك لضعف السيطرة السياسية للفاطمين على هذه البلاد . فبعد استقرار أبو عبد الله الأزدى بالقيروان واستجابة أهلها لدعوته (٥٠) . رحل إلى بلاد الشام عالم مغربى ، هو أبو عمرو عثمان بن أبى بكر بن حود بن أحمد السفاقسى ، وأخذ المذهب بالشام ثم عاد ونشره بالقيروان ، بعد أن قص على أهلها قصة خروج أبى الحسن الأشعرى عن مذهب المعتزلة (٢٠) . ثم تناوب نشر مذهب الأشعرى بالمغرب كبار فقهاء القيروان مثل محمد بن سحنون ، وابن الحداد ، وإبى محمد بن أبى زيد ، وأبى الحسن القابسى (٧) ، وفى نفس الوقت بذل كل من ابن أبى زيد

⁽¹⁾ أنظر قبله .

⁽٢) راجع خير طويل عن فتنة القصار ، عند المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

⁽٣) محمد زاهد الكوثرى : مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٥ - ١٦ .

⁽٤) أنظر ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ص ٢٧٨ - ٢٨٥ .

⁽٥) ابن عساكر : نفس المصدر ، ص ١٩٥ ، وأنظر قبله .

⁽٦) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ١٠؛ كما يفيد ابن عساكر أن المذهب الأشعرى انتشر بالمغرب على يد تلميذ آخر للباقلاني غير ابن عبد الله الأزدى، وهو أبو طاهر البغدادى الناسك الواعظ؛ والملاحظ أن كلاهما استقر بالقيروان (أنظر ابن عساكر ص ١٢٠ - ١٢١).

⁽٧) ابن عساكر: المصدر السابق، ١٢٢.

وأبى عمران الفاسى ، وأبى الحسن القابسى ، وأبو الوليد ابن الباجى ، وابن بكر بن العربى ، جهودًا كبيرة ، فى نشر المذهب فى صقلية والأندلس على يد علماء المالكية (١) ، بل حاول محمد بن أبسى زيد المالكى ، أن ينشر المذهب الأشعرى بمصر فى نهاية العصر الفاطمى ، بأن ألف رسالة عن العقيدة الأشعرية ، وأرسلها إلى مصر ، فعمد محدثو مصر من أهل السنة ، مثل على بن بقاء المصرى الوراق على استنساخها بخطوطهم (٢) ؛ أى أن المذهب الأشعرى ، أحرز من النجاح والرواج بالمغرب ، ما جعل من مدينة القيروان قاعدة لنشره بالأندلس وصقلية ومصر .

ولاشك أن الغلبة الحقيقية للمذهب الأشعرى على أغلب أرجاء العالم الإسلامى ، لم تتحقق إلا بعد اعتناق سلاطين السلاجقة بإيران والعراق ثم الشام له ؛ وهذا لم يتأت إلا بعد اضطهاد وأهوال ذاقها الأشاعرة ، على يد السلطان طغرلبك السلجوقي ووزيره عميد الملك الكندرى ، الذي كان معتزلي المذهب ، فأمر في سنة ٥٤ ٤هـ / ٥٣ ه ، الم ، بلعن الأشعرى على المنابر ، وبطرد الأشاعرة من نيسابور (٦) ، وكانت أهم مراكز دعوتهم . ومن نيسابور انتشرت محنة الأشاعرة في الآفاق (١) ؛ وذلك بعد عزل شيخهم أبى عثمان الصابوني من خطابه نيسابور ، ونفي أبو المعالي الجوينسي من البلدة (٥) ، وأرغم بعضهم على التبرأ من مذهبه لتلافي النفي (٦) ، واضطر الأشاعرة إلى رفع عريضة ، على لسان شيخهم أبى بكر البيهقي ، إلى السلطان طغرل السلجوقي ووزيره عميد الملك عريضة ، على لسان شيخهم أبى بكر البيهقي ، إلى السلطان طغرل السلجوقي ووزيره عميد الملك من المكتدرى ، يؤكدون أنهم من أهل السنة والجماعة ، ويشرحون كيف أن الأشعرى ، ليسس من المتال السنة والجماعة ، ويشرحون كيف أن الأشعرى ، ليسس من المتال السنة المجتهدين ، وشرح منهج السلف ؛ وإن اعتقادهم السياسي ، هو أن استقامة أمور الدنيا والدين بصلاح الولاة وشرح منهج السلف ؛ وإن اعتقادهم السياسي ، هو أن استقامة أمور الدنيا والدين بصلاح الولاة والسلاطين ، وأنهم يقررون أن بقاء الملك يكون بالعدل ، وأن صلاح الملك بصلاح الدين .

⁽١) ابن عساكر : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ؛ وأنظر ابن حجر : لسان الميزان ؛ ابن فرحون : الديباج .

⁽٢) محمد زاهد الكوثرى: تبين كذب المفترى ، ص ١٥ . وقد رأيت هذه الرسالة مطبوعة بتونس عند زيارتي لها.

⁽٣) ابن عسماكر : تبين كمذب المقسترى ، ص ١١٠ - ١١١ ، الراونسدى : راحمة الصدور ، ص ١٥٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٥٧ .

⁽٤) ابن عساكر: المصدر السابق، ص ١١٢.

⁽٥) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ١٠٨.

⁽۱) ابن عساكر: نفس المصدر ، ص ۲۶۶ . ولقد وصلنا نص محضر كتب شيوخ الأشاعرة بتبسابور بخصوص عقيدتهم مؤرخ سنة ۳۱ هس ، أى قبل المحنة ، وعليه إمضاءات القشيرى والجنازى والجوينى والشاشى والهروى والأيوبى والصابونى والأسفرانى وغيرهم (أنظر ابن عساكر: نفس المصدر، ص ۱۱۲ – ۱۱۵) .

(۷) أنظر نص هذه العريضة عند ابن عساكر: نفس المصدر، ص ۱۰۰ – ۱۰۸ .

ثم ابتسمت الأقدار للأشاعره ، باعتناق الوزير نظام الملك لدعوتهم ، واعتناق سلطانه ألب أرسلان أيضًا لمذهبهم ، وبناء نظام الملك المدرسة النظامية لنشر دعوتهم بالعراق^(۱) ، ومن يومها أصبحت المدارس السنية ، أهم وسائل نشر الدعوة الأشعرية ، وعن طريقها تحولت مصر والشام معقل الإسماعيلية إلى المذهب السنى على يد الزنكيين ثم الأيوبيين^(۲) .

ولقد شبه الأشاعرة لعنهم على المنابر في عهد السلطان طغرلبك ووزيره الكندرى بلعس الإمام على بن أبى طالب على المنابر في الدولة الأموية نحوا من ثمانين سنة (٢) وسجل أبسى القاسم القشيرى محنته ومحنة زملائه بنيسابور في رسائة سماها . شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة ، رفعها إلى العلماء الأعلام بجميع بلاد الإسلام (٤) .

وفى سنة ٥٨٤هـ/١٠٩م، أزال الوزير نظام الملك فى عصر ملكشاه، لعن الأشاعرة على المنابر (٥) ، وكان الب أرسلان قد قتل الوزير المعتزلى عميد الملك الكندرى الذى امتحنهم بإيحاء من وزيره الجديد نظام الملك (٦) ، ومن يومها اعتنق جمع سلاطين السلاجقة العقيدة الأشعرية (٧) .

وكانت وسائل نشر الدعوة الأشعرية ، سواء قبل اعتناق نظام الملك وسلاطين السلاجقة لها أو بعدها هي نفسها لم تتغير ، وهي تطابق في الواقع الوسائل التي اتخذها الأيوبيون في مصر لنشر الدعوة السنية والقضاء على الدعوة الإسماعيلية ، مثل إنشاء المدارس (^) والخوانق (¹) ، والمنشآت الاجتماعية ، مثل دور المرضى ودورها الغرباء ('¹) ، ووقف عليها الأوقاف (¹۱) ؛ بحيث فاخر دعاة

⁽۱) ابن عساكر: تبين كذب المفترى، ص ١٠٨ - ١٠٩، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩: ٦٤ - ٦٨، ابن الجوزى: المنتظم، ج ٩: ٦٤ - ٦٨، ابن الأثير: الكامل، ١٠: ٢٠٤ - ٢١٠.

⁽٢) أنظر المقريزى : الخطط : ص ١٩٢ – ١٩٣ ، وأنظر قبله .

⁽٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ص ١٥٩.

⁽٤) نفس الصدر، ص ١٠٩ - ١١٢ .

⁽٥) ابن الأثير : الكامل ، ١٠: ٢٠٩ ، أبو القدا : المختصر ، ٣: ١٩٣ ، الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٦ -

⁽٦) الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

⁽٧) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ ، وأنظر قبله .

⁽۸) ابن عسماکر : تبین کذب المفتری ، ص ۱۹۹ ، ص ۲۰۸ ، ص ۲۱۱ ، ص ۲۲۱ ، ص ۲۷۹ ، ص ۲۸۰ ، ص ۲۸۰ ، ص ۲۸۰ و أنظر قبله .

⁽٩) ابن عساكر : نفس الصدر ، ص ٢٩٥ وأنظر قبله .

⁽١٠) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ٢٣٤، ص ٢٣٦.

⁽١١) ابن عساكر: نفس المصدر، ص ١٩٩، ص ٢٩٥.

الأشاعرة المتأخرون مثل عبد القاهر البغدادى (١) ، ومظفر الدين الأسفرايني (٢) ، بأن منشآت أهل السنة وملوكهم ، لم يستطع الفاطميون إنشاء مثلها ؛ كما تولى الكثيرون من فقهائهم والمتهم منصب القضاء في العصر السلجوقي (٦) ، الذي كان أغلب الظن شأن الحال في الدولتين الزنكية والأيوبية ، له الإشراف الأعلى على المدارس السنية (٤) .

وإذا كان الإمام أبى الحسن الأشعرى ، قد عمد إلى اجتذاب جههور الصوفية إلى دعوته باعتراف بكرامات الأولياء (٥) ، وجعله الإيمان ، منوط بالقلب ، شأن الصوفية والمرجئة (٦) ، على عكس المعتزلة الذين جعلوه مقترتًا بالعقل (٧) ؛ فلقد لاحظ الباحثون المحدثون أنه بتأثير الأشاعرة وتأثير الغزالى بنوع خاص ، اكتسب المتصوفة مركزًا ممتازًا في العالم الإسلامي (٨) .

ولا يغب عنا أن جميع ائمة التصوف السنى ، كانوا من معتنقى العقيدة الأشعرية (١) ، الداعين إليها ، ولقد ترجم لهم جميعًا ابن عساكر بين أئمة الأشاعرة ، ومن هؤلاء الصوفية الذين اعتنقوا العقيدة الأشعرية وعملوا على نشرها أبو الحسن الباهلي (١٠) ، وبندار الشيرازي (١١) ، وأبو سهل الصعلوكي النيسابوري (١٠) ، وأبو عبد الله بن خفيف المشيرازي (١٠) ، وابن سمعون البغدادي (١١) ، وابن الدقاق شيخ أبي القاسم القشيري (١٥) ، وأو نعيم الأصفهاني (١٦) ، صاحب أشهر كتساب

 ⁽١) أنظر عبد القاهر البغدادى ، ت ٣٢٥ هـ : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد زاهـد الكوثـرى ، طبع القاهرة ،
 ٢٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

⁽٢) أنظر أبو المظفر الأشعراني ، ت ٧١ هـ ، البصير في الدين ، تحقيق عمد زاهد الكوثرى ، طبع القاهرة ، ٢٧٤ هـ / ١٣٧٤ .

⁽٣) أنظر ابن عساكر : تبين ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

⁽٤) أنظر قبله . (٥) أنظر قبله . (٦) أنظر قبله .

⁽٧) عبد اللطيف حزة: الحركة الفكرية ، ٩١ . (٨) نفس المرجع ، ص ٩٣ .

⁽٩) يأتى على رأس هؤلاء الإمام الصوفى الشهير عى الدين بن عربى ، كما حقق الإمام شمس الدين السخاوى فى رسالته المسماة (الكفاية فى طريق الهداية) ، وهى فى بيان عقيدة ابن عربى ، وإن جعل ابن عربى عقيدة الأشعرى هى عقيدة العامة ، وجعل عقيدة الصوفية هى عقيدة الخاصة ، وجعل قوله هو فى وحدة الوجود ، هو عقيدة خاصته الخاصة . ومن هده الرسالة نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ٢٦٦٧ ، قمت بنسخها إبان وجودى هناك ، وهى تحت التحقيق والطبع إن شاء الله .

⁽۱۰) ابن عساكر : تبين ، ص ۱۷۸ .

⁽١١) نفس المصدر ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

⁽١٢) تفس المصدر ، ص ١٨٣ - ١٨٨ .

⁽۱۳) نفس المصدر ، ص ۱۹۰ – ۱۹۲ .

⁽۱۶) نفس المصدر ، ص ۲۰۰ . (۱۶) نفس المصدر ، ص ۲۰۰ .

⁽١٥) نفس المصدر ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .

⁽١٦) نفس المصدر ، ص ٢٤٧ – ٢٤٧ .

فى تراجم الصوفية ، وهو كتاب حلية الأولياء (١) ، وأبو القاسم القشيرى (٢) ، صاحب أشهر كتاب فى الفكر الصوفى « الرسالة القشيرية (7) ، وأبو عبد الله الفراوى (١) ، وإسام الحرمين الجوينى (٥) ، وأبو حامد الغزالى (١) ، الذى ألف كتابًا شهيرًا فى التصوف فى نهاية حياته هو المنقذ من الضلال (١) ، فلا غرو أن أصبح التصوف من أقوى وسائل نشر الدعوة الأشعرية ومحاربة مذاهب التشيع ، وهذا ما أدركناه بوضوح فى العصر الأيوبى بمصر (٨) .

كما عمد دعاة الأشاعرة إلى عقد مجالس التذكير والوعظ الصوفى (١) ، وعقد المناظرات الكلامية بينهم وبين مخالفيهم من متكلمي الشيعة وغيرهم ؛ كذلك كانت الخطابة أيضًا على المنابر ، إحدى وسائل نشر العقيدة الأشعرية (١٠) .

ولقد وجه هؤلاء الدعاة اهتمامًا كبيرًا نحو تأليف مؤلفات في شرح العقيدة الأشعرية وتفنيد عقائد المخالفين لها ، ونشرها في الآفاق ، فكانت كتب أبو الحسن الأشعرى في الأفاق مبثوثة (١١) ، وكان للأشعرى خمسة وخمسون تصنيفًا(١٢) ، كذلك اشتهرت مؤلفات الباقلاني (١٣) ، والجويسي (١٤) ، والغزالي (١٥) .

⁽١) طبع هذا الكتاب في عشر أجزاء ضخمة بمصر على نفقة مكتبة الخالجي ومطبعة السعادة ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ م .

⁽٢) طبع هذا الكتاب لأول مرة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ بمطبعة بولاق ثم طبع بعد ذلك مرارًا .

⁽٣) ابن عساكر : تبين ، ص ٣٢٢ – ٣٢٥ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٤ .

⁽٥) أنظر قبله .

⁽١) نفس المصدر ، ص ٢٩١ – ٢٩٨ .

⁽٧) طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٨٥ هـ ، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .

⁽٨) أنظر قبله .

⁽٩) أنظر ابن عساكر : تبين ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، و ٢٨٣ .

⁽١٠) أنظر نفس المصدر، ص ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٣ و ٢٨٢.

⁽١١) نفس المصدر ، ص ١١٢ - ١٤١ .

⁽۱۲) نفس المصدر ، ص ۱۲۸ - ۱٤٠ .

⁽١٣) أنظر مثلا الباقلاني : التمهيد في الدين ، في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، تحقيق محمود محمد الخضيرى ، محمد عبد الهادى أبو ريدة، دار الفكر العربي ، القاهرة ٣٦٦ هـ / ١٩٤٧م، ومنه طبعة أخرى بتحقيق يوسف مكارثي اليسوعي ، المكتبة الشرقية بسيروت ، ١٩٥٧ ، وأنظر أيضًا كتاب الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق الكوثرى القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ م .

⁽٤) أنظر قبله كتابيه " غياث الأمم ، والعقيدة النظامية "، ولقد نشرت الدكتورة فرقية حسين أخيرًا بعض مؤلفات الجويني في علم الكلام ، كذلك نشر له من قبل كتابه الإرشاد ، في علم الكلام .

⁽٥٥) أنظر قبله ، وأنظر عبد الرحمن بدوى : مؤلفات الغزائى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، واشهر مؤلفات الغزائى " إحياء علوم الدين ، وهو موسوعة فى العلوم الإسلامية ، وكتابه تهافت الفلاسفة ، الذى أظهر فيه فساد مذاهب الفلاسفة ، وكتاب المنقذ من الضلال ، الذى دلل فيه على صدق طريقة الصوفية فى تحقيق الإيمان .

وفى نفس الوقت عمد فريق آخر ، من دعاة الأشاعرة التى تأليف المؤلفات فى تاريخ الفرق الإسلامية ، وعرض مذاهبها ، وتفنيدها من وجهة نظر المذهب الأشعرى ؛ فكان من هؤلاء ، الأشعرى نفسه فى كتابه مقالات الإسلاميين (١) والشهرستانى فى كتابه الملل والنحل (٢) ، وكتابه نهاية الإقدام فى علم الكلام (٦) ، وعبد القاهر البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق أ ، وكتابه أصول الدين (٥) ،

وغنى عن البيان أن كل هذه الوسائل التى اتخذها دعاة الأشاعرة لنشر دعوتهم قد طبقها الأيوبيون بمصر ولم يقصروا فى واحدة منها^(٧) ؛ ومع ذلك فلم يكن نشر العقيدة الأشعرية بمصر فى العصر الأيوبى ، هينًا سهلاً ، وذلك لوجود عدد من الخنابلة ، أعداء الأشاعرة ، وعنالفيهم فى مسألة الصفات الإلهية ؛ فنسمع عن عداء شديد بين شهاب الدين الطوسى الأشعرى ، وزين الدين بن نجية الواعظ الحنبلى بمصر (١) ؛ كما نسمع عن عداء سافر أيضًا بين شهاب الدين الطوسى ، وطائفة الحنابلة بمصر (١) .

ونحن نفسر عناية الأيوبين ، بنشر الفقه الشافعي بمصر عن طريق تفويض القضاء لقاضي قضاة شافعي أشعرى هو ابن درباس الكردى، ثم عزل جميع القضاه الإسماعيلية وتعيين بدلهم قضاة شوافع، فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعي (١٠٠) ؛ بأن العقيدة الأشعرية ، أصبحت هي العقيدة المفضلة في مسائل أصول الدين عند جميع فقهاء الشافعية ، بحيث أصبح ثلاثة أرباع الفقهاء الشافعين على العقيدة الأشعرية (١١) ، في حين بالغ الفقيه الحنبلي أبو الفرج ابن الجوزى ، فذكر أن جميع فقهاء

⁽١) طبع هذا الكتاب بتحقيق المستشرق الألماني ، هلموت ريتر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣م .

⁽٢) طبع بمطبعة بولاق على هامش كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزام الأندلسي ، ثم طبع منفردًا مرارًا .

⁽٣) طبع بتحقيق المستشرق الفريد جيوم .

⁽٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد زاهد الكوثرى ، بالقاهرة ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٩م .

⁽٥) طبع هذا الكتاب باستانبول سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م .

⁽٦) طبع هذا الكتاب بتحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م وأنظر أيضًا كتاب الفخر الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، طبع بالقاهرة .

⁽٧) أنظر قبله .

⁽٨) أنظر أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٣٤ – ٣٥ .

 ⁽٩) أبو شامة : نفس المصدر ، ص ١٨ – ١٩ .

⁽۱۰) المقریزی : الخطط ، ج ؛ ، ص ۱۹۱ وأنظر قبله .

⁽۱۱) محمد زاهد الكولري ، مقدمة تبين كذب المفترى ، ص ١٦ .

الشافعية ، قد أخذوا بمذهب الأشعرى^(۱) في العقائد والقضايا الإيمانية ؛ والواقع أنسا كثيرًا ما نسمع في تراجم الفقهاء بأنه كان يناظر على مذهب الشافعي في الفقه وعلى مذهب الأشعرى في الكلام^(۲)، كما أن الداعي الأشعرى أبو بكر الققال الشاسي ، قد نشر الفقه الشافعي والعقيدة الأشعرية في بلاد ما وراء النهر^(۲) ، وفي كل هذا ما يشير إلى تحسك فقهاء الشافعية بالعقيدة الأشعرية ، واعتزار متكلمي الأشاعرة بالفقه الشافعي .

اما الإمام الأشعرى نفسه ، فقد نشأ على مذهب أبى حنيفة ، شأن أغلب المعتزلة ، وهو نفسه معتزلى فى بادىء الأمر ، ثم نظر فى جميع مذاهب الفقه ، مما ساعده على جميع شمل أهل السنة ، وإن كان قد صرح فى حياته بإعجابه الشديد بفقه أحمد بن حنبل _ ربحا لاجتذاب الحنابلة إلى عقيدته (٤) _ أما فى القرنين الخامس والسادس والسابع الهجرى ، فقد أصبح المذهب الشافعى ، هو المذهب الفقهى المفضل لعلماء الأشاعرة ، فنجد الإمام الجوينى ، يؤلف كتأبا بعنوان «عقيدة أصحاب الإمام المطلبى الشافعى » ، ذكر فيه أن مخالفات الأشعرى للشافعى فى فروع الفقه ، تقل و تعز (٥) ، كما ألف الإمام الفخر الرازى كتاب « مناقب الإمام الشافعى » (٦)

ويذكر المقريزى أنه لم يكن في الدولة الأيوبية بعصر ، كثير ذكر لذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل ثم اشتهر مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل في أخرها (٧) ، وذلك على يد الفقيه الحنبلي ابن تيمية الحراني ، الذي أظهر الدعوة السلفية ، وهاجم المعتزلة والأشاعرة على حد سواء ، على أساس أن كلاهما من المتكلمين وليسوا من أهل الحديث ، شأن الحنابلة (٨).

ولا شك أنه من العوامل التي ساعدت الأيوبيين على نشر الفقه الشافعي بحصر ، أنه كان قد انتشر بها من قبل انتشارًا كبيرًا منذ سكن الإمام الشافعي الفسطاط ، ودفن بها^(١) .

⁽١) ابن الجوزى : المنتظم ، ٥ : ٣٣٣ – ٣٣٣ ، إبان ترجمة أبي الحسن الأشعرى .

⁽٢) ابن عساكر: تبين، ص ١٨٢.

⁽٣) نفس المعدر ، الصفحة .

⁽٤) ابن عساكر : تبين ، ص ١١٤ ، ص ١١٧ ، هامش (١) إلى ص ١١٨ .

⁽٥) نفس الصدر ، ص ١١٥ .

⁽٦) طبع هذا الكتاب بالقاهرة .

⁽٧) القريزى: الخطط، ج ٤، ص ١٦١.

⁽٨) المقريزى: الخطط، ج ٤ ، ص ١٨٥ .

⁽٩) راجع محمد كامل حسين : أدب مصر الإسلامية زعصر الولاة) دار الفكر العربي ، د. ت ، ص ٥١ - ٢٠ .

ويرى المستشرق أير لابيدوس أن الهدف الأساسى للسياسة الدينية في العصر الأيوبي ، كان إعادة النشاط للمذاهب الشرعية في القاهرة ومصر ، وكانت هذه المذاهب الفقهية قد تطورت بعضى الزمن إلى أجهزة ذات اهتمامات إدارية واجتماعية (مثل النظم المالية والقضائية ووسائل الدعوة) وما حل القرن الخامس الهجرى ، حتى اتخذت كل هذه المذاهب شكل الجماعات التي يغلب عليها الطابع الاجتماعي والديني معًا(١) .

والخلاصة أن كل من العقيدة الأشعرية ووسائل نشرها من ناحية والفقه الشافعي من ناحية أخرى ، كانت غثل في العصر الأيوبي ، إحدى شقى الدعوة السنية التي نشرها الأيوبيون بعد قضائهم على الدعوة الإسماعيلية .

⁽۱) إيرا لابيدوس: السياسة الدينية في عهد الأيوبيين، وتطور المذاهب الشرعية في القاهرة، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، مارس - إبريل ١٩٦٩م، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م، الجزء الأول، ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

الفصل الرابع

الوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية

- _ فقدان الخلافة لسلطتها الزمنية وظهور السلاطين .
- ـ مصر الأيوبية « إمارة استيلاء » ودارًا للـ « سلطنة الأيوبية » .
 - _ إحياء الأيوبيين لدولة الخلافة العباسية .
 - ـ نهوض الأيوبيين بفريضة الجهاد .
- ـ استجابة سلاطين بنى أيوب لدعوة الفتوة الناصرية الخليفتية .

الوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية

فقدان الخلافة لسلطتها الزمنية وظهور السلاطين:

الفراتية .

تذكرنا أسرة بنى أيوب الكردية ، بالأسر الطموحة ، التى سيطرت من قبل على السلطة الزمنية فى ديار الإسلام ، بعد ضعف النفوذ السياسى لوظيفة الخلافة ، واستبداد الأمراء العسكريين من أرباب السيوف بالسلطة التنفيذية الفعلية فى البلاد ؛ فمقارنة ملابسات نشأة الأسرة الأيوبية (١) ، وظهورها فى ساحة التاريخ الإسلامى ، بتاريخ ظهور أسرتى بنى بويه وبنى سلجوق ، يوضح لنا مدى تشابه تاريخ هذه الأسر العسكرية الثلاث ، التى استطاعت السيطرة على الخلافة العباسية ، وتولى التوجيه السياسى والعسكرى للعالم الإسلامى .

ولقد عرفت دولة الخلافة العباسية بالعراق لأول مرة ، هذا النصط من الحكم العسكرى ، المتغلب على وظيفة الخلافة ، صاحبة السلطات الشرعية في ديار الإسلام ، منذ ظهور وظيفة امرة الأمراء في بغداد ، منذ عصر الخليفة العباسي الراضي بالله ، في القرن الرابع الهجرى ٣٧٤هـ / ٣٥ م ٩٣٥ .

⁽٢) أنظر الصولى : أخبار الراضى والمتقى من كتاب الأوراق ، مطبعة الصاوى بالقاهرة ، ص ٨٥ ، حسن أحمد عمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٣٦٧ – ٣٨٤ .

وما لبث هذا النمط من الحكم العسكرى ، أن تحول إلى ملك وراثى فى القرن الرابع والخامس الهجرى ، بعد سيطرة أسرة بنى بويه الفارسية ، على الخليفة العباسى فى بغداد وحجرهم عليه ، وإرغامهم له على تفويض جميع سلطاته الشرعية لهم^(۱) .

أما دولة الخلافة الفاطمية بمصر ، فكان ظهور هذا النمط من الحكم العسكرى بها ، فى وقت لاحق لظهوره فى دولة الخلافة العباسية بالعراق ، إذ أن هذا الحكم العسكرى المستبد بالسلطة دون الخلافة ، لم يظهر فى مصر ، إلا منذ الربع الأخير من القرن الخامس الهجرى ، حين نجح بدر الجمالى فى إنقاذ دولة الخلافة الفاطمية فى عهد الخليفة المستنصر بالله ، من التصدع والانهيار ، أثر الأزمات الاقتصادية والفتن السياسية ، التى مرت بها الخلافة فى نهاية حكم المستنصر ، وأضطر هذا الخليفة إن القاد الدولته وخلافته ، إلى تفويض جميع سلطاته الشرعية إلى الأمير بدر الجمالى ، الذى أصبح بموجب هذا التفويض أول وزراء السيوف المفوضين فى تاريخ الخلافة الفاطمية (٢)

وكما سبق القول^(T)، فقد لاحظ مؤرخو دساتير الإنشاء بعصر ، أن وظيفة «وزارة التفويض »، التي عرفتها مصر منذ عصر الخليفة الفاطمي المستنصر الله ، واقتصر توليها على الأمراء من أرباب السيوف ، تكاد تطابق الوضع السياسي والشرعي ، لوظيفتي أمرة الأمراء والسلطنة ، اللتين سيطرتا من قبل على التوالى ، على السلطة التنفيذية الفعلية بالعراق ، بعد زوال النفوذ السياسي لخلفاء بني العباس .

⁽۱) أفاد المسعودى ، أن هذا حدث في عصر الخليفة المطبع ، وكان ذلك في السنة التي ألف فيها كتابه التنبيه والإشراف سنة ٥٤ هـ / ١٩٥٩م، أنظر التنبيه والإشراف ، طبعة الصاوى ١٩٥٧هـ / ١٩٣٨م، ص ٢٤٦، وأنظر ايضًا نفس المصدر ، ص ١٠١٦ و ؛ ٢٧٧ويرى ابن الأثير أنه في سنة ٢٥ هـ / ١٩٥٨م أمر الخلافة والسلطنة ببغداد ، أنظر الكامل ، ١٠٤٥ ويذكر المؤرخون أنه في سنة ٢٥ هـ ١٩٤٠م ، محدثت الوحشة بين الخليفة العباسي القائم وجلال الدولة ابن بويه ، أنظر أبو الفدا : المختصر ، ٢ : ١٧٤ ح ١٧٥ ولقد أوجز المقريزى تاريخ سلطنة بني بويه ، أنظر السلوك ١ : ٢٣ – ٣٠ ، وهو يتنبع إسلام الديلم على يد الداعي الشيعي الزيدى الناصر الأطروش ؛ ويقول ابن الألير : أن المماليك كانوا قديمًا يخلعون الخلفاء، ويحكمون عليهم ولم يزالوا كذلك إلى ملك الديلم واستيلائهم على العراق ، قزالت هيئة الخلافة بالمرة ، إلى إنقراض دولة الديلم ، أنظر الباهر ، ص ٥١ ، وأنظر ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الشامن والعشرون ، في انقلاب الخلافة إلى ملك ، ص ٢٠٠ – ٢٠٠ .

⁽۲) أنظر الحالدى : المقصد العالى المنشأ ، – خ ، لوحة ١٩٢ ب – ١٩٥ ب ، القلقشندى صبح ، ٩: ٣٩٩ – (٢) أنظر الحالدى : ٨٤ – ٨٢ .

 ⁽٣) أنظر قبله ، القصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

ورغم تسليم فقهاء الإسلام ، بأن هذه الأغاط من الحكم العسكرى ، الذى احتكره الأمراء العسكريين ، وفرض نفسه على ديار الإسلام ، إثر ضعف السلطة السياسية والعسكرية للخفاء العباسيين بالعراق ، والفاطميين بمصر ، نظام عسكرى ، أساسه الاستعداد واستحواذ الملك والسلطة ، اعتمادًا على القوة العسكرية ، واستمالة الأنصار والأتباع بالوسائل السياسية ؛ ورغم تصريح هؤلاء الفقهاء ، بأن هذه الأغاط من الحكم العسكرى ، لاتستند إلى نص شرعى ، وقل أن يتوفر فى القائمين بها الشروط الشرعية اللازم توافرها فى متولى وظيفة الإمامة الكبرى أى الخلافة ، أو ما يقوم مقامها ؛ إلا أن فقهاء الإسلام ، أضطروا إلى قبول هذه الأغاط من الحكم العسكرى ، الذى تبلور فى صورته النهائية فى وظيفة السلطنة ، على أساس أن ما قام به هؤلاء الأمراء المتغلبين على الخلافة ، فى فترات ضعفها السياسي والعسكرى ، من إقرار الأمن فى ديار الإسلام ، ورعاية إقامة شعائر الفرائض الدينية ، وتطبيق أحكام الشريعة ، وتتويج كل هذه الجهود ، بالنهوض بأعباء فريضة الجهاد ، قد ضمن استمرار رفعة كلمة الإسلام ، وتوحيد كلمته ، كما أوجب لهؤلاء الأمراء والسلاطين ، الثناء والتقدير (1) .

وإذا كان احتكار أمراء السيوف ، منذ النصف الثانى من عصر الخلافة الفاطمية ، لوزارة التفويض ، قد أدى إلى ابتذال هؤلاء الوزراء المفوضين لهيبة الخليفة الفاطمى ، والتلاعب بنص الخلفاء على من يتولى الخلافة من أبنائهم ، الأمر الذى شكك المصريين فى العقيدة الفاطمية ، التى ترتكز فى جوهرها على تقديس شخص الخليفة الفاطمى ، وفى نفس الوقت جرّاً بعض هؤلاء الوزراء المفوضين على إعلان استهانتهم بالعقيدة والمذهب الفاطمى ، وإظهار تعاطفهم وميولهم مع المذهب السنى ، بحيث استطاع آخر وزيران سنيان للفواطم ، وهما شيركوه وابن أخيه صلاح الدين ، القضاء نهائيًا على دولة الخلافة الفاطمية ، وإعلان عودة مصر للتبعية للخلافة العباسية بالعزاق ، تمهيدًا لإعلان قيام السلطنة الأيوبية السنية بمصر (٢) ؛ فإن احتكار أمراء السويف لوزارة التفويض ببغداد ، في ظل الخلافة العباسية ، قد شاءت الظروف أن يؤدى هذا الأمر في النهاية على عكس الحال بالنسبة في ظل الخلافة العباسية ، قد شاءت الظروف أن يؤدى ، واستقواء النفوذ السياسي لدولتها .

⁽۱) أنظر الجوينى: غياب الأمم ، ص ٢٣١ - ٢٨٣ ، وهو فصل موسع عَنْوَنَه بـ " القول فى ظهور مستعد بالشوكه مستولى " ، الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ١١٣ - ١١٨ ، خضر بن أبى يكر : المناقب المغرية - خ ، الفصل الشانى من الباب الأول ، عن وظيفة السلطنة ، ق ١١ - ١٣ ، والفصل الشالث من الباب الأول ، عن الإمامة والخلافة ، ق ١٣ - ٢٠ ، ابن جماعة : تحرير الأحكام - خ ، الباب الأول والثانى عن الإمامة ، والباب الرابع عن الأمراء ، وأنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

⁽²⁾ أنظر قبله .

لقد كان العصر البويهى ولا ريب شديد الوطأة على خلفاء بنى العباس ؛ وبنى بويه عائلة فارسية شيعية (۱) ، تخالف المذهب السنى للخليفة العباسى ، ولا تقر بأحقية بيت بنى العباس فى الخلافة ، دون بقية بنى هاشم ، وخاصة البيت العلوى (۲) ، لذلك تعاطف أمراء بنى بويه ، مع الدعوة الفاطمية والخلافة الفاطمية المصرية (۳) ، إلا أن التنافس السياسى بين هاتين القوتين العظمتين فى ديار الإسلام (۱) قد حال و رغم تقاربهما المذهبي و دون توحيد العالم الإسلامي تحت كيان سياسى وروجى موحد ، طوال فترة تعاصر الدولتين الفاطمية والبويهية (۵) .

ومن ناحية أخرى ، استهان أمراء بنى بويه ، بخلفاء بنى العباس ، وبرسوم الخلافة العباسية ، وحجروا على الخلفاء العباسيين ، واستحوذوا على السلطة الزمنية الفعلية من دونهم ، وسرعان ما حولوا دولة الخلافة ببغداد ، إلى ملك وراثى متوارث فى أسرتهم الأعجمية وذلك بملاحظة ابن خلدون ، واتخذوا لقب السلطنة ، دون اعتراف خلفاء بنى العباس بشرعية هذا اللقب لأن بنو بويه اتخذوه من قبل أنفسهم (٢) ، ومع ذلك فقد عد المؤرخون الحكم البويهى فى العراق النموذج الأول لنظام السلطنة (٧) ، من ناحية الألقاب الملوكية لبنى بويه والوضع السياسى والشرعى لدولتهم (٨).

⁽١) عنها أنظر المقريزي : السلوك ، ١ : ٢٣ – ٣٠ .

⁽٢) أنظر الحاكم الجشمى: شرح عيون المسائل، طبع بتونس بذيل كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعزلة للقاضى عبد الجبار الهمدانى، بتحقيق فؤاد سيد، ص ٣٧١ - ٣٧٤ ، المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٤٣٩ ، أبو إسحاق الصابى: ت ٣٨٤ه: المنتزع من الجزء الأول من الكتاب المروف بالناجى فى أخبار الدولة الديلمية، حققه محمد صابر خان بطهران سنة ١٩٧٦م، وتفيد هذه المصادر أن بنى بويه، كانوا من الشيعة الزيدية المعزلة، وهذا ما يفسر تعاطفهم مع الدعوة والخلافة الفاطمية، وعن هذا الموضوع، راجع مقدمة يحى الخشاب لكتاب سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة الشيرازى.

⁽٣) أنظر المؤيد في الدين الشيرازى : سيرة المؤيد في الدين ، داعي الدعاة ، ترجمة حياته بقلصة ، ص ٤ - ٣٠ ، ص ٦٤ - ٣٠ ، ص ٦٤ - ٢٠ ، ص ٦٤ - ٢٠ ، ص ٢٤ من مقدمة محمد كامل حسين لهذا الكتاب .

⁽٤) كان التنافس بين البويهيين والفاطميين على الدعوة الإسلامية على منبر المسجد الجامع بمدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى الشرقى ، أنظر المقريزى : الخطط ٢: ١٣٧ ، ابن الجوزى : المتظم ، ٧: ٢٠٥ ، ابن الألبير : الكامل ، ٩: ١٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، ٥: ٣٧٩ – ٣٨٠ ، ابن الألبير : المحامل ، ٩: ١٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ، ٥: ٣٧٩ – ٣٨٠ ، ابن المختصر ، ابن عساكر : تبين ، ص ٢١٨ ؛ المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ١٤٧ – ١٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ، ٢٠ ١٠٨٠ .

⁽٥) أنظر أبو المحاسن : النجوم ، ٤: ١٢٤ – ١٢٥ ، ماجد : ظهور الخلافة ، ص ١٥٧ – ١٥٩ .

⁽٦) ابن خلدون : المقدمة : ٢٠٨ – ٢٠٨

 ⁽٧) كما عدوه أيضًا السلف الأول للسلطنة السلجوقية والزنكية والأيوبية على التوالى ، أنظر أبو المحاسن :
 النجوم ، ٥: ٢٧٩ .

⁽٨) أنظر السيوطي : الوسائل ، ص ٧٨ ، القلقشندي : صبح ، ٥: ٤٤٧ – ٤٤٨ ، ٩: ٣٠٤ – ٤٠٤ .

ولكن منذ استقواء العنصر التركى السنى بالمشرق الإسلامى ، شهدت الخلافة العباسية بالعراق صحوة سياسية جديدة رفع لواءها السلطان التركى محمود الغزنوى ، الذى مد نفوذه على أغلب أقاليم المشرق الإسلامى ، وكان أول من حمل لقب السلطان فى ديار الإسلام بصفة شرعية وباعتراف وتفويض من الخليفة العباسي (1) ؛ وذلك بعد أن رفض فى سنة ٣٠٤هـ/١٠١م الاستجابة لدعوة الخليفة الفاطمى بالانضمام إليه (1) ، ونهض منذ سنة ١٤هـ (٢١٠م م باسم الخليفة العباسى ، وتفويض منه ، بحماية ألويه الحج القادمة بالحجيج من أطراف ديار الإسلام إلى بلاد الحجاز ، وتأكيد زعامة لواء الحج العراقي الممثل للخليفة العباسي ، على جميع الوية الحجيج الممثلة لملوك الأطراف زعامة لواء الحج العراقي الممثل للخليفة العباسي ، على جميع الوية الحجيج الممثلة لملوك الأطراف المسلمين (٢) ؛ ثم أعلنها حربًا لأهواده فيها على الفرق الشيعية والكيانات السياسية والدعوة في بلادها باسم المشرق الإسلامي ، فعمل على الإطاحة بهذه الكيانات السياسية الشيعية والدعوة في بلادها باسم الخليفة العباسي (٤) ، ثم اصطهاد الفرق الشيعية واستنابتها عن مذهب الشيعة ، وقد تم له ذلك في سنة ٢٠ عهر ٢٩ (٥) . فكان السلطان محمود الغزنوى أول سلطان سنى ينتصر للخلافة العباسية ، وصارت أعماله نموذجًا يحتذى لجميع السلاطين السنين بالمشرق الإسلامي (١) ، السلاجقة ثم الزنكين ثم الأيوبين على التوالى .

وحين ورث سلاطين السلاجقة ، السلطنة الغزنوية و ممتلكاتها في بلاد المشرق الإسلامي ، وكان السلاجقة أيضًا أتراكًا متحمسين للمذهب السنى ؛ فقد أعلنوا بعد اتخساذهم من بغداد دارًا لسلطنتهم ، وإعلان أنفسهم في سنة ٤٤ عه/١٥٠ مم و عهر مهم المنطنتهم ، وإعلان أنفسهم هو « إحياء السنة والمناضلة عن الملة »(٨) ؛ وبعد أن حافظوا على رسوم الحلافة العباسية ، وعملوا على إحياء دولة الخلافة ونشر الدعوة السنية في جميع ديار الإسلام ، وإظهار طاعتهم للخليفة العباسي ؛ عمدوا إلى ربط بيتهم ببيت الخلافة العباسية ، بروابط المصاهرة وإظهار طاعتهم للخليفة العباسي ؛ عمدوا إلى ربط بيتهم ببيت الخلافة العباسية ، بروابط المصاهرة

⁽١) أنظر السيوطى : الوسائل ، ص ٧٨ ، المنيني : الفتح الوهبي ، ص ٢٠ – ٢٩ .

 ⁽۳) أنظر ابن الجوزى: المنتظم ٧: ٢٦٢ ، س ١٩ – ٢١ .

⁽٣) أنظر نفس المصدر ، ج ٨ : ص ٢ .

⁽٤) أنظر المنيني : الفتح الوهبي ، ص ٣٠ – ٣١ .

⁽٥) أنظر ابن الجوزى : المنتظم ، ٨: ٣٨ – ٤٤ .

⁽٦) أنظر سيرة وترجمة السلطان محمود الغزنوى عنــد ابـن خلكــان : وفيــات ، ٥: ١٧٥ – ١٨٧ ، ابـن الألـير : الكامل ، ٩: ١٣٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ، ٨: ٥٢ ، القرشى : الجواهر المضية ، ٢: ١٥٧ ، وأنظــر ســيرته موسعة بقلـم العتبى مؤرخ دولته ، في كتاب الفتح الوهبى .

⁽٧) أنظر ابن الأثير: الكامل، ٩: ٤٥٨ - ٢٥٩ - ٢٠١٩، أبو القدا، ٢: ١٨٧ - ١٨٥.

⁽٨) ابن عساكر: تبين، ص ١١، س ٢، ص ١٠٧، س ٧.

والنسب ، بحيث « امتزجت » الدولتين العباسية والسلجوقية ، على حد قول المؤرخين (١) ، وذلك إثر المصاهرات المتلاحقة بين البيتين السلجوقي والعباسي (٢) .

وقد سعى السلاجقة إلى استرداد ممتلكات الخلافة العباسية ، التى كان قد ضمها الفاطميون إلى دولتهم (٢) ، بادئين ببلاد الشام والجزيرة الفراتية ، التى كانت أكثر الأقاليم التى خضعت للخلافة الفاطمية قربًا من بلاد العراق (٤) ، كما نجح السلاجقة في إعادة الخطبة باسم الخليفة العباسى على منابر الحرمين الشريفين (٥) ، وكذلك نجحوا في بعض الفترات ، في مد سيطرتهم السياسية على بلاد اليمن ، التى ظلت دائمًا من أقوى معاقل الدعوة الفاطمية ، وأكثر أقاليم الخلافة الفاطمية ، ولايًا للخليفة الفاطمي (٢) .

وصاحب هذا المد السلجوقي السني ، باسم الخلافة العباسية ، على بـلاد المشرق الإسلامي ، خروج أهم ممتلكات الخلافة الفاطمية وأشدها ارتباطًا بها عن دعوتها ، وعن تبعيتها لدولة خلافتها الشيعية ، وأعنى بهذا بلاد المغرب ، حـين أعلن بنـو زيـرى في سنة ٢٥٥هـ / ٢٠٤٣م في تقدير

⁽١) أنظر البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١١ ، الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٦ - ١٧٩ .

⁽٢) كانت هذه المصاهرات كثيرة الحدوث ، أنظر ابن الأثير : الكامل ، ٩: ٦١٧ ، ١٠: ٢٥ سبط ابن الجوزى: مرآة ، ٨: ٨ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٧٣ (مصاهرة مزدوجة) .

⁽٣) خطب امراء العرب بالشام ، وأهمهم بنى مرداس فى حلب للخليفة العباسى سنة ٣٣ ٤هـ/ ١ ١ ١ ١ و وخلعوا طاعة الخليفة الفاطمى ، وذلك بعد أن " رأوا إقبال دولة السلطان (السلجوقى) وقوتها ، وإقبال دعوتها " ، على حد قول ابن الألير ، أنظر الكامل ١٠ : ٣٣ ، وأنظر أيضًا أبو الفدا : المحتصر ، ٢ : ١٩٦ ، وما لبث السلاجقة بالشام أن نجحوا فى استرداد أغلب ممتلكات الفاطميين الشامية مثل دمشق وحمص وبلاد الساحل ، حتى تم لهم ، " ملك الشام وما بأيدى خليفة مصر العلوى من بلاد " ، أنظر أبو الفدا : المحتصر ، ٢ : ٢١٢ م س ٨ - ٩ ، ابن القلائس : ذيل ٢١٢ - ١٢٥ .

⁽٤) يبدو أن ولاة الشام والجزيرة الفراتية ، قد تقلبوا في ولائهم بين الحلافتين العباسية والفاطمية ، حتى قبل أن يُحْكِم السلاجقة سيطرتهم على بلاد الشام ، فيذكر ابن الأثير أنه في سنة ، ٤٣هــ/٣٥ ، ام ، قطع صاحب حران والرقة الخطبة العلوية وأقام الخطبة العباسية ، ثم أعاد الخطبة العلوية في نفس السنة ، أنظر ابس الألير : الكامل ٩: ٢١ ٥ - ٢٧٢ .

⁽٥) أنظر ابن الأثير : الكامل ، ١٠ : ٢١٤ ، ماجد : ظهور الخلافة ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٨ – ٢٢٩ .

 ⁽۲) أنظر الراوندى: راحمة الصدور ، ص ۳۰۹ – ۳۷۰ ، مقدمة إقبال ، ص ۷ ، أبو الفرج ابن الجوزى:
 المنتظم ، ۹: ۷۰ ، أبسو الفدا : المختصر ، ص ۲۱۳ ، ابسن الألسير : الكسامل ، ۱۰ : ۲۰۳ – ۲۰۴ ،
 المقريزى: السلوك ، ۱ : ۳۳ .

المؤرخين المشارقة (١) ، أو في سنة • ٤٤هـ / ٤٥ • ١٥ ، كما يرجع الدارسون المحدثون (١) ، الخطبة ببلاد أفريقية والمغرب الأوسط باسم الخليفة العباسي ، مجاهرين بخروجهم عن طاعة الخليفة الفاطمي المصرى ، ودخولهم في طاعة الخليفة العباسي السنى العراقي ؛ وما لبثت السيادة العباسية ، أن عمت بلاد المغرب الإسلامي كله ، بما فيها بلاد الأندلس ، على يسد دولة المرابطين ، التي وحدت المغرب الإسلامي ، وأغلب بلاد الأندلس تحت سيطرتها ، فحين قامت هذه الدولة ، أرسل أميرها يوسف ابس تاشفين ، إلى الخليفة المستظهر بالله العباسي سنة ٩٩ ٤هـ /٤ • ١ ١ م ، يخبره أنه قد خطب له بالمغرب ويطلب لنفسه التقليد والخلع من بغداد (١) ، وقد ظلت الخطبة للخلافة العباسية على منابر المغرب والأندلس طوال عصر المرابطين (١) ، الذين لم يتلقبوا بالسلاطين ، ولكن بـ «أمراء المسلمين » (٩) .

وعلى هذا الأساس ، فقد أصبح الاتجاه السياسي والشرعي السائد في العالم الإسلامي ، في القرنين الخامس والسادس الهجري ، هو التبعية للخلافة العباسية السنية ، على أساس أنها أقدم وأعرق خلافة إسلامية قائمة ، وذلك بعد أن نجحت حركة الإحياء السلجوقي ، في الاستيلاء على ممتلكات الخلافة الفاطمية الشيعية (٢) .

⁽١) أنظر ابن الأثير : الكامل ، ٩: ٢١٥ – ٢٢٥ ، أبو الفدا : المختصر ، ٢: ١٩٩ .

 ⁽٢) أنظر ماجد : ظهور الخلافة ، ٢٥٣ – ٢٦١ ، الـذى يقارن بين المؤرخين المشارقة والمغاربة وبين ما كتبه
 الرحالة .

⁽٣) أنظر سبط : مرآة ، ٨ : ١٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ٢ : ٢٣٢ .

⁽٤) عبد الواحد المراكشى ، ت ٧٤٧ هـ : المعجب فى تلخيص أخبار المفرب ، تحقيق عمد سعيد العريان ، القاهرة ٣٩٦٣ م ، ص ٧٤٧ ، الذى يقول : وأول دعاء دعى للخلافة العباسية – أبقاها الله – على منابر الأندلس فى أيامهما (أى أبى يعقوب يوسف بن تاشفين وابنه على) ، ولم تزل الدعوة العباسية وذكر خلفائها على منابر الأندلس والمغرب ، إلى أن انقطعت بقيام ابن تومرت على المصامدة ؛ والطريف أن مؤرخى الأندلس ، كانوا يقرون فى تواريخهم ، بتعية بلاد الأندلس للخليفة العباسى بالعراق فكانوا يقسمون تواريخهم ، على أساس تعاقب خلفاء بنى العباس ، أنظر أبو الفدا : المختصر ، ٢ : ٢١٨ ، س ٧ ، ترجمة ابن حيد الأندلس .

⁽٥) المراكشي : المعجب ، ص ٢٣٥ ، س ٢ - ٣ ، ص ٢٤١ ، س ٥ .

⁽٦) أنظر المؤيد الشيرازى: السيرة المؤيدية، ص ٩٤ - ٩٥ ، الدى يذكر أن السلاجقة، في سبيل تحقيق حلمهم في الاستيلاء على ممتلكات الخلافة الفاطمية وإسقاط دولتهم، قد تحالفوا ضدها مع الدولة البيزنطية ؛ ويرى كامل حسين، أن كتب التاريخ لم تذكر شيئًا عن هذا التحالف، الذى تم بين السلاجقة والبيزنطين لاقتسام ممتلكات الفاطميين، كما زعم المؤيد الشيرازى، أنظر محمد كامل حسين: مقدمة السيرة المؤيدية، ص ٢٣، ص ٩٥ هامش " ١ " ؛ وأغلب الظن أن السلاجقة المجاهدين، الذين اكتسحوا البيزنطين في موقعة ملا زكرت، واستولوا على أغلب ممتلكاتهم في آسيا الصغرى، لايقدمون على هذا العمل الشائن إطلاقًا، وإنما هي العداوات السياسية والمذهبية والحيل والمهاترات الإعلامية بين الدول، والمؤيد في السدين " داعيه " سياسي ومذهبي أولاً وأخيرًا ؛ وفي نفس الوقت نؤيد ما ذهب إليه بعض الدارسين، من استبعاد إقدام الفاطمين على عقد معاهدة مع الدول البيزنطية ضد السلاجقة، رغم التعارض المذهبي ينهما، أنظر ماجد : ظهور الخلافة، ص ١٥٣، الإمام المستبصر، ص ٦٧، ٩٠ .

وفى عهد السلطنة السلجوقية ، خطب باسم الخليفة العباسى ، فى بعيض أقاليم ديار الحرب ، التى فتحها سلاطين السلاجقة بسيوفهم ، مثل أطراف بلاد آسيا الصغرى ، حتى أن السلاجقة قد خطبوا لبنى العباس فى المسجد الجامع بالقسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى آنذاك(1) .

ولما آلت زعامة المشرق الإسلامي، للسلطان السنى نور الدين زنكى، الذى نجح فى ضم أغلب ممتلكات دولة سلاطين السلاجقة إلى دولته، أظهر ولاءًا متزايدًا للخلافة العباسية، بحيث وصف بأنه «كان يتدين بطاعة الخليفة العباسي »(٢)، وأنه «لم يكن يعمل شيئًا، حتى يستأذن الخليفة »(٢)، اتخذ هذا السلطان التركى السنى، من ولائه للخليفة العباسى، وجهوده فى نشر دعوته، وسيلة لتوحيد الجبهة الإسلامية فى أقاليم المشرق الإسلامي لمحاربة الصليبيين بالساحل الشامى.

وفى عهد نور الدين زنكى ، وعلى يد أمرائه من بنى أيوب ، تم للخلافة العباسية أوج سعدها وتمام اتساع نفوذها ، حين قطع صلاح الدين الخطبة باسم الخلافة الفاطمية فى سنة ٦٧٥هـ/١٧١م وأعلن الخطبة على منابر مصر ، باسم الخليفة المستضىء بالله العباسى (٤) .

⁽۱) كان هذا في بداية الأمر ، امتيازًا وديًا قدمه البيزنطيون للخلافة الإسلامية ، وتنافس في النفرد به كل من الخلافة العباسية والفاطمية ، أنظر قبله ، ولكن أغلب الظن أنه أصبح حمًّا مكتسبًا للخلافة العباسية بحد السيف ، بعد الانتصار الحاسم الذي حققه السلاجقة على الجيوش البيزنطية في موقعة ملازكرت الشيهرة ٣٦٤هـ / ٧٠ م ، أنظر الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ، الجويني : غياث الأمسم ، ص ٢٥٢ - ٢٥٠ ، ابن الجويني : المنظم ، ٨ : ٢٦٠ - ٢٦٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ١٠ : ٢٥ - ٧٧ ، أبو الفدا : المختصر ، ٢ : ١٩٠ ، وقد ورث الأيوبيون عن السلاجقة ، حق الدعوة باسم السلطان الأيوبي والخليفة العباسي على منبر جامع القنطنطينية في سنة ٥٨٥هـ ، أنظر بعده .

⁽۲) أبو الفرج بن الجوزى : المنتظم ، ۱۰ : ۲٤٩ ، سبط ابن الجوزى : مرآة ، ٨: ٣١٣ ، س ٢ .

⁽٣) سبط ابن الجوزى : مرآة ، ٨: ٢٨٢ ، س ١٢ - ١٣ .

⁽٤) أنظر سبط: مرآة ٨: ٢٥٨ ، ابن واصل: مفرج ، ١: • ٢٠ - ٢٠ ، المقريزى : السلوك ، ١: ٧٤ ، وطخطورة هذا الحدث الجلل ، اختلف المؤرخون حوله ، إذ ذكروا أن صلاح الدين قد تهيب انتفاض المصريين عليه ، ولم يقدم على هذا الأمر ، إلا رجل أعجمي يعرب بـ " الأمير العالم " ، ولقد أفاد ابن الأثير ، أنه رأى هذا الرجل بنفسه بعد ذلك بالموصل ، أنظر الكامل ، ١١: ٣٦٨ – ٣٧٣ ، وأيضًا الروضتين ١: ١٩٤ ؛ أما ابن خلكان ، فهو يذكر أن من أقدم على قطع الخطبة صوفي فارسي اسمه الجبوشاني ، كان قد تحدى الخليفة الفاطمي العاضد قبيل زوال دولته بإظهار مثالبها ، أنظر وقيات ، ٣: ١١١ ، ٤: ٣٣٩ – ٢٤٠ ، سبط : مرآة، ٨: ٤١٤ – ٤٠٥، وأنظر كذلك ابن القرات – خ ، رقم ، ٢١١ تاريخ تيمور ، ٧: ٨٢ – ٨٢ ،

وهكذا تمخصت ظاهرة ظهور السلاطين والوزراء المفوضين ، من أرباب السيوف ، واستبدادهم بالسلطة الزمنية ، دون الخلفاء أصحاب السلطة الشرعية في ديار الإسلام ، عن نتيجتين مختلفتين تمامًا: ففي العراق ، أدى ضعف العنصر الفارسي الشيعي ببلاد المشرق الإسلامي ، بعد زوال الدولة البويهية الشيعية التي تغلبت على الخلافة العباسية في القرن الخامس الهجرى ، واستقواء العنصر التركي السنى بظهور الغزنويين والسلاجقة والزنكيين ، إلى يقظة الخلافة العباسية ، وإحياء دولتها ، ونشر دعوتها في أغلب ديار الإسلام شرقاً وغرباً ، وبعث الهيبة الروحية للخليفة العباسي ؛ أما في مصر ، فإن نجاح أمراء السيوف السنيين في استحواذ وزارة التفويض الفاطمية ، قد أدى إلى استهانة هؤلاء الوزراء السنيون بالخليفة الفاطمي والدعوة الفاطمية ، الأمر الذي مهد في النهاية للقضاء النهائي على الخلافة الفاطمية ، والخطبة على منابرها للخليفة العباسي ، وإعلان قيام السلطنة الأيوبية السنية بمصر ، بحيث أصبحت أغلب ديار الإسلام ، تدين بالولاء السياسي والروحي خلافة إسلامية واحدة ، هي الخلافة العباسية بالعراق .

مصر الأيوبية إمارة استيلاء ودارًا للسلطنة السنية :

و ثما لا شك فيه ، أن سقوط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٢٥ه / ١٧١م ، وقيام سلطنة سنية بها ، تدين بالولاء والتبعية الروحية للخلافة العباسية بالعراق ، ليعد حدثًا تاريخيًا بالغ الأهمية ، سواء بالنسبة لتاريخ الإسلام بصفة عامة ، أو لتاريخ مصر الإسلامية بصفة خاصة ، فبقيام الدولة الأيوبية بمصر سنة ٢٥ه / ١٧١م ، تغيّر الوضع السياسي والشرعي لها ، تبعًا للدستور الإسلامي

٨: ٢٥؛ أما الرسائل الفاضلية ، فقد أسندت هذا العمل لرسول الخليفة العباسي إلى صلاح الدين بمصر واسمه ابن أبي المضاء البعلبكي ، أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٩٣ – ١٩٥ ، وأنظر ترجمة ابن أبي المضاء ، عند ابن الدبيثي : المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، ١ : ٢٤٢ ، الصفدى : الوافي ، ٤: أبي المضاء ، عند ابن الدبيثي : المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد ، ١ : ٢٤٢ ، الصفدى : الوافي ، ٤: و ٣٨٩ – ٣٨٩ ، في حين لدينا رواية غريبة أوردها المؤرخ الأندلسي ابن الأبار ، الذي أسند هذا الأمر إلى عالم يدعى اليسع بن عيسي الغافقي الجياني الأندلسي ، أنظر ابن الأبار : تكملة الصلة ، ٢ : ٧٤٤ ، أيا كان الأمر ، فقد حدثنا المؤرخ أبو الفرج ابن الجوزى ، المعاصر لهذه الأحداث ، عن رد الفعل العظيم لهذا النبأ في بغداد عاصمة الخلافة ، حتى أقدم هذا المؤرخ نفسه على تأليف كتاب سماه " النصر على مصر " ، أنظر ابن الجوزى : المنظم ، ١ : ٧٣٧ ، وراجع بحث هام حول إعادة الخطبة العباسية إلى مصر ، عند أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ، ص ١٥٦ – ١٥٩ .

العام (۱) ، فبعد أن كانت مصر منذ الفتح العربى ، ولاية استكفاء إقليمية ، تابعة تبعية مباشرة للخلافة المركزية في المدينة أو دمشق أو بغداد ، ثم ولاية استيلاء مستقلة ، منذ قيام الدولتين الطولونية والأخشيدية ، ثم خلافة شيعية تطالب بأحقيتها في الطاعة و «الولاية» على جميع ديار الإسلام ، أصبحت مصر لأول مرة في تاريخها الإسلامي سلطنة (۲) .

لقد ناقش فقهاء ومؤرخو دساتير الإنشاء في العصر المماليكي ، الأطوار المختلفة التي شهدها الوضع السياسي والشرعي لمصر ، منذ الفتح الإسلامي لها ، ولاحظوا أن قيام السلطنة الأيوبية بمصر ، واعتراف الخليفة العباسي بها وإرساله التفويض الخليفي لسلاطين بني أيوب بمصر ، مع الخليع الخليفتية ، قد جعل من مصر في عصر بني أيوب ، مقرًا ودارًا للسلطنة الأيوبية ، التي فوضها الخليفة العباسي سلطاته الشرعية ، في جميع البلاد والممتلكات التي أمت إليها النفوذ السياسي والعسكري لسلاطين بني أيوب ؛ كما لاحظوا أيضًا أن السلطنة الأيوبية ، قد اختلفت عن كل من السلطنتين البويهية والسلجوقية ، بأن سلاطين بني بويه وبني سلجوق ، قد تم تفويضهم السلطنة ومنحهم خلعها

⁽١) عن التفرقة بين " ولاية الاستكفاء " و " ولاية الاستيلاء " أنظر الماوردى : الأحكام السلطانية ٣٤ – ٣٨، ابن أبي يعلى : الأحكام السلطانية ٣٤ – ٣٨ ، الجويني : غياث ، ١١٦ – ١١٩ .

⁽۲) لاحظ هذا مؤرخوا الإدارة المصرية في العصر المماليكي ، حين درسوا في دساتير دواوين الإنشاء ، تطور الوضع السياسي والشرعي لمصر ، من القتح العربي حتى العصر المماليكي ، حين ناقشوا صحة تفويض السلطات الشرعية في الديار المصرية ، أو حين ناقشوا اختلاف الوضع السياسي والشرعي لوظيفتي وزارة التنفيذ ووزارة التفويض ، وتطابق وظيفة وزارة التفويض التي ظهرت في العصر الفاطمي المتأخر من النصف الثاني من حكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، مع وظيفة السلطنة التي عرفت بالعراق في العصرين البويهي والسلجوقي على التوالي ، ثم عرفت بمصر في العصرين الأيوبي والمماليكي على التوالي أنظر القلقشندي : والسلجوقي على التوالي أنظر القلقشندي : صبح ، ج ۲ ، ص ۱۹ ۳ – ۳۹ ، ج ۵ ، مو ۱۹ – ۳۹ ، به وصلور بدار الأتب المصرية برقم ۱۹۳۱ ، ج ۱ ، لوحة بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ۱۹۷۳ عربي ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ۱۹۳۱ ، ۲۱ ، ۲۱ ، وحق الذين درسوا نقوش الألقاب الرسمية لسلاطين بني أيوب ، كما وردت على آثارهم وعمائرهم . أنظر :

Ahmed Zaki: Coupe Magique Dediee a Salah Ad-Din. (Titre Royaux, Tolerance et portait, B.J.E., Cinqieme serie, Tome X, Anee 1916, P. 241-288. p. 260 - 261

بحضرة الخلافة ، أى فى بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، فى حين أن تفويض سلاطين بنى أيوب تم ببعض أطراف الخلافة العباسية وهى الديار المصرية ، وإن تطابقت الخلع الخليفتية لكل من سلاطين بنى بويه وبنى سلجوق وبنى أيوب على التوالى (١) .

ولقد أوضح مؤرخون ديوان الإنشاء في العصر المماليكي ، إن تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى من يدبرها ويقوم بأعباءها على ثلاثة أقسام: القسم الأول ، وهو أعلاها « وزارة التفويض » ، والقسم الثاني ، « إمارة الاستيلاء » ، وإن التفويض » ، والقسم الثاني ، « إمارة الاستيلاء » ، وإن ملكة الديار المصرية ، من حين الفتح الإسلامي ، وهلم جرا إلى العصر المماليكي ، دائرة بين هذه الأقسام ؛ وفي رأى هؤلاء المؤرخين أن الدولة الأيوبية كانت في حكم « إمارة الاستيلاء » وأن ملوك مصر الأيوبين صار لقب السلطان سمة لهم ، وذلك لبقاء الخليفة العباسي بالعراق في بغداد دار

⁽١) يقول القلقشندي : وإما كيفية تولية الملوك والخلفاء وترتيبهم في ذلك فله حالتان : الحالة الأولى ما كان الأمر عليه في الزمن الأول والخلافة بالعراق والحال فيه مختلف ، فتارة تكون السلطنة التي تو لي بحضرة الخلافة ، كسلطنة بني بويه وآل سلجوق وغيرهم ، وتارة تكون كبعض الأطراف ، كالديار المصرية حينئذ ونحوها . فإن كانت السلطنة بحضرة الخلافة ، فقد جرت عادتها في ذلك أن يجلس الخليفة بمجلسه العام على كرسي عال ، ويحضر السلطان الذي تولى فيجلس على كرسي لطيف أمام كرسي الخلافة ، ويحضر أعيان المملكة ورؤساؤها، ويخاطب الخليفة السلطان بالولاية على لسان الوزير ، ثم يخلع على السلطان خلعة الخلافة .. سبع جبات مسود بزيق واحد ، وعمامة سوداء ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور بسوارين من ذهب ، وأعطى سيفًا بغلاف من ذهب .. وفرس من اصطبلات الخليفة ، بمركب من ذهب مقندس ، فهذا كان شأنهم في تولية السلطنة بحضرة الخلافة . وإن كان الذي يوليه الخليفة السلطنة من ملوك الأطراف ، جهز له التشريف من بغداد ، صحبة رسول من جهة الخليفة ، وبموجبه أطلس أسود بطراز مذهب ، وطوق من ذهب يجعل في عنقه ، وسواران من ذهب يجعلان في يديه ، وسيف قرابة ملبس بالذهب ، وفرس بمركب من ذهب ، وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ، ينشر على رأسه ، وصحبة ذلك تقليده بالسلطنة ، وربما جهز مع خلعه السلطان ، خلع أخرى لولده أو وزيره أو أحد أقاربه ، بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ ؛ كما كان يُبعث مثل ذلك إلى المسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية ، ثم إلى أخيه العادل فمن بعده من ملوك بني أيوب، إلى أن كان آخر من وصل إليه ذلك منهم من بغداد الملك الناصر يوسف بن السلطان العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم بالله في سنة ٢٥٦هـ ، وكان من عادتهم (أي ملوك بني أيوب) في ذلك ، أنه إذا وصل التشريف والتقليد إلى سلطان تلك الناحية ، أن يلبس السلطان الخلعة والعمامة ، ويتقلد السيف ، ويركب الفرس ويسير في موكبه حتى يصل إلى مقر مُلكه (أنظر مآثر الإنافة ، ٢: ٢٣٩ – ٢٤٠) .

خلافته ؛ أما بعد انتقال الخليفة العباسى إلى القاهرة فى العصر المماليكى ، واتخاذه منها دارًا لخلافته ، أصبحت \times سلطنة الديار المصرية مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء \times .

كذلك لاحظ هؤلاء المؤرخون أيضًا ، ملاحظة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لبقاء مصر طوال العصر الأيوبي في إطار التبعية السياسية والروحية لدولة الخلافة العباسية ببغداد ؛ إذ وصفوا ملوك بني أيوب بقولهم : وهم «أى بني أيوب» ، وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بني العباس ، فهم ملوك مستقلون ، وفي دولتهم زاد ارتفاع قدر مصر وملكها(٢).

⁽١) يقول القلقشندى : إن تفويض الخليفة الأمور في البلاد والأقاليم إلى مسن يدبرهما ويقوم بأعباءهما على ثلاثة أقسام: القسم الأول، وهو أعلاها " وزارة التفويض أنظر عنها صبح، ج ٩ ص ٣٩٩ - ٤٠٠، والقسم الثاني: إمارة الاستكفاء، أنظر عنها نفس المصدر، ٩: ٥٠٠ - ١٠١ والقسم الثالث: إمارة الاستيلاء (أنظر عنها نفس المصدر ، ٩: ١ . ٤ - ٣ - ٤ ، ومملكة الديار المصرية ، من حين الفتح الإسلامي وهلم جرا إلى زماننا دائرة بين هذه الأقسام الثلاثة ، فكانت في بداية الأمر إمارة استكفاء ، فلما استولى عليها الفاطميون واستوزروا أرباب السيوف في أواخر دولتهم وعظمت كلمتهم عندهم صارت سلطنتها وزارة تفويض، وكان الخليفة يحتجب والوزير هو المتصرف في المملكة كالملوك الآن ، أو قريب منهم ، وكانوا يلقبون بألقــاب الملوك الآن ، كالملك الأفضل رضوان ، والملك الصالح طلائع ، .. والملك المنصور .. شيركوه ، وابن أخيـه صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير العاضد .. قبل أن يستقل بالملك ، ويخطب بالديار المصرية لبني العباس ببغداد ولما انتزعت من الفاطميين وصارت إلى بني أيوب ، وكانوا يلونها عن خلفاء بني العباس ، صارت إمارة استيلاء ، لاستيلائهم عليها بالقوة ، واستبدادهم بالأمر والتدبير ، مع أصل إذن الخليفة وتقليده .. ، فلما تغلب الملوك بالشرق على الخلفاء واستبدوا عليهم صار لقب السلطان سمة لهم مع ما يختصهم به الخليفة من ألقاب التشريف .. وهي على ذلك إلى زماننا ؛ إلا ما كان في زمن تعطيل جيد الخلافة من حين قتـل التتار المستعصم آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، إلى حين إقامة الخليفة بمصر في الدولة الظاهرية ببيرس ؛ على أن السلطنة الآن شبهًا من وزارة التفويض ، فإن الخليفة يفوض إليه في تقليده تدبير جميع المماليك الإسلامية بالتفويض العام ، لا يستثني منها شيئًا .. ؛ وحينه فتكون سلطنة الديار المصرية الآن مركبة من وزارة التفويض وإمارة الاستيلاء (أنظر القلقشندى : صبح ، ج ٩ ، ص ٢٠٣ - ٤٠٤) .

⁽٢) قسم القلقشندى ، ولاة وملوك مصر فى الإسلام على هذا النحو : الضرب الأول ، فيمن ولى نيابة ، وهو الصدر الأول ، وهم على ثلاث طبقات : الطبقة الأولى ، عمال الخلفاء من الصحابة ، الطبقة الثانية : عمال خلفاء بنى أمية بالشام ، الطبقة الثائثة عمال خلفاء بنى العباس بالعراق ، أنظر صبح ، ج ٣ ص ٤١٩ - ٤٢٤ ، الضرب الثانى : من وليها ملكًا ، وهم على أربع طبقات : الطبقة الأولى ، من وليها عن بنى العباس قبل دولة الفاطميين (أنظر صبح : ٣ : ٤٢٤ – ٢٢٤) ، الطبقة الثانية من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعبيدين (أنظر نفسه ٣ : ٢٢٤ – ٢٢٤) ، الطبقة الثائثة : ملوك بنى أيوب وهم إن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بنى العباس فهم ملوك مستقلون وفى دولتهم زاد ارتفاع قدر مصر وملكها (انظر نفسه ٣ - ٣ ص ٢٨٥) . الطبقة عالى دولتهم (أنظر نفس ، ج ٣ ص ٢٠٠٠) .

وربما كانت هذه الأبحاث الفقهية والدستورية ، لمؤرخى دساتير الإنشاء فى العصر المماليكى ، وعلى رأسهم (القلقشندى والخالدى) متمثلة فى ذهن بعض المؤرخين المحدثين ، حين قارن بين استقلال كل من الدولة الأيوبية ، والدولة المماليكية الأولى بعصر المعروفة بدولة المماليك البحرية ، فقال : هناك فارق هام بين الدولتين ، وذلك إن الدولة الأيوبية رغم استقلالها ، كانت تدين بالولاء الروحى للخلافة العباسية .. ، فهناك إذا نقص كان يشوب استقلالها .. ، أما الدولة المماليكية فقد عاصرت عند قيامها سقوط الخلافة العباسية ، وسغى سلاطينها حتى نجحوا فى نقل هذه الخلافة إلى مصر ، فتم لهم بهذا كل مظاهر الاستقلال (١٠) .

والواقع ، أن هدف مؤرخى دساتير الإنشاء فى العصر المماليكى ، من هذه الأبحاث الفقهية الدستورية ، الخاصة بحقيقة الوضع السياسى والشرعى للسلطنة المصرية ، وتطور هذا الوضع فى العصرين الأيوبى والمماليكى ، هو فى الواقع تأكيد شرعية حكم المماليك بمصر ، على أساس أن السلطات التى خُوِّلت لسلاطين بنى أيوب ، ثم لسلاطين المماليك من بعدهم من قبل خلفاء بنى العباس قد أكدت « رجوع الولايات فى الديار المصرية إلى الطريق الشرعى »(٢) ، وذلك لأن الخليفة هو صاحب السلطات الشرعية فى جميع ديار الإسلام ، لكون الخلافة هى وارثة النبوة (٦) ، ورتب مؤرخو العصر المماليكى على بحثهم الفقهى فى مسألة « رجوع الولايات فى الديار المصرية إلى الطريق الشرعى » ، تخريجًا فقهيًا هامًّا وهو أنه حينئذ تكون جميع الولايات ـ أى الوظائف الحكومية الرسمية ـ الصادرة عن السلطان صحيحة شرعًا (٤) .

نستخلص من هذه الأبحاث الفقهية الدستورية إذًا ، أن الوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية كان وضعًا فريدًا بالنسبة لجميع ملوك الأطراف في ديار الإسلام ، إذ أصبح الملك الأيوبي بمصر ، سلطانًا لجميع ديار الإسلام لكونه مفوضًا بالسلطنة من قبل الخليفة العباسي ؛ ومن ثم فلقد أصبحت مصر ، لأول مرة في تاريخها الإسلامي ، دارًا للسلطنة السنية ، بعد أن كانت في العصر الفاطمي دارًا لخلافة شبعية .

⁽١) الشيال: مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ١٤٤ .

⁽٢) راجع فصلاً هامًا ناقش فيه القلقشندي هذا الأمر في صبح الأعشى ج ١١ ص ٧٧ - ٧٣ .

 ⁽٣) أنظر كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، الفصل الحاص بكتب الأحكام السلطانية
 والسياسية الشرعية ، تحت الطبع إن شاء الله تعالى ، وأنظر قبله هوامش الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة
 الفاطمية ، وأنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

⁽٤) أنظر القلقشندى: صبح، ج ١١ ،. ص ٧٧ - ٧٣ .

وهنا نلاحظ أن أغلب الأجناس غير العربية ، التي اعتنقت الإسلام مثل الفرس والترك والكرد ، قد تولت أمداد الأمة الإسلامية ، بدماء فتية جديدة ، قامت بحماية نظام الخلافة الإسلامية ، الذي هو النواه الأولى والأساسية لمفهوم الدولة في الإسلام ، والمستند أولاً على اشتراط العروبة والنسب القرشي للخليفة (١) .

فحين ضعف نظام الخلافة الإسلامية ظهر نظام السلطنة ، وهو نظام عسكرى (٢) ، ظل مستمرًا في ديار الإسلام منذ القرن الخامس الهجرى أيام البويهييين ١٩ م ، إلى القرن الشالث عشر الهجرى 1٩ م أيام العثمانين ، وكان من نصيب الأجناس غير العربية حديثى العهد بالإسلام ، فكان بنو بويه من الفرس ، والغزنويين والسلاجقة والزنكييون من الترك ، والأيوبيون من الأكراد ؛ ثم ظلت السلطنة مستمرة في الأجناس الأعجمية فكان سلاطين الدولة المملوكية الأولى بمصر أغلبهم من عنصر القفجاق المغولى ، وكان سلاطين الدولة المماليكية الثانية أغلبهم من العنصر الجركسي التركى (٢) ، وكان سلاطين العثمانيين ، الذين تلقبوا بالخلفاء بعد نقل مقر الخلافة إلى عاصمتهم استابول أيضًا من الترك أن الترك أن الترك أن الدولة الماليكية الثانية أغلبهم من الترك أن عاصمتهم استانبول أيضًا من الترك أن .

⁽٢) أنظر قبله وبعده .

 ⁽٣) أنظر محمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة ، في تاريخ دولة المساليك ، مجلة كلية الأداب ، جامعة فؤاد الأول ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، مايو ١٩٣٦ ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٣م ، ٧١ – ٨٨ .

⁽٤) الواقع أن الخلافة العثمانية التى وحدت العالم الإسلامي طوال أربعة قرون (من ق ٩هـ/ ١٩ م هـ) لـم تكن خلافة في حقيقة الأمر ، لأن بني عشمان لم توفر فيهم شروط الخلافة ، التى اشترطها جميع فقهاء الإسلام - عدا الخوارج - وأهمها النسب القرشي ، ومع ذلك فقد قام الأتراك العثمانيون السنيون بعد ميرالهم لسلطنة المماليك بحصر التى وصفها ابن أياس بقوله : كان سلطان مصر ، أعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة لأنه خادم الحرمين الشريفين وحاوى ملك مصر ، أنظر بدائع الزهور ج ٥ ، ص ٢٠٦ ، تحقيق عمد مصطفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٠ه - ١٩٦١م ، وميرالهم أيضًا للألقاب السلطانية لسلاطين المماليك بحصر (أنظر ابن إياس ، نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٥١ ، وقيامهم بأعباء الخلافة الإسلامية ، من توحيد كلمة المسلمين ونشر الإسلام في الأرضين وتطبيق نظم وشريعة الإسلام ، وحماية الحرمين الشريفين خير قيام (أنظر التفصيل عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م ، (ج ١ - ٥) . ولا ريب فهم من غرس سلاجقة الروم (أنظر فؤاد كبرنى : قيام الدولة العثمانية ترجمة د . أحمد السعيد سليمان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر كبرنى : قيام الدولة العثمانية ترجمة د . أحمد السعيد سليمان ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر كبرنى : قيام الدولة العثمانية ، كانت آخر فرع من البيت السلجوقي نهض بأعباء السلطنة . وفي رأينا أن الخلافة العثمانية ، كانت آخر سلطنة عامة شهدها العالم الإسلامي ، إذ مسزج العثمانيون بذكاء سياسي جدير بالإعجاب ، بين وظيفتي = سلطنة عامة شهدها العالم الإسلامي ، إذ مسزج العثمانيون بذكاء سياسي جدير بالإعجاب ، بين وظيفتي =

ولقد أدرك المؤرخ الكردى البدليسي ، الذى أرخ لتاريخ أبناء عشيرته الأكراد ، الأهمية العظمى في تاريخ الإسلام ، وفي تاريخ العنصر الكردى ، بتوليهم السلطنة في ديار الإسلام تفويضًا من الخليفة العباسي ، فتبع البدليسي أنساب العشائر الكردية ، وأشاد بدورها في تاريخ الإسلام ، وأوضح حماسة الأكراد للمذهب السنى ، كما أرخ للدويلات الكردية التي قامت عبر التاريخ الإسلامي ، عميزًا منها من طمح ملوكها إلى رتبة السلطنة ، خاصة من مؤسسي هذه الدويلات الكردية التي كان أقواها الدولة المراونية والشدادية ، ثم اختتم كتابه بذكر « سلاطين بني عثمان العظام » سلاطين عصره (١) ؛ وهذا ما يفسر إطلاق مؤرخي مصر الإسلامية ، اسم « الدولة الكردية »(١) ، على الدولة الأيوبية .

ولا ريب أن قيام خلافة بمصر ، دامت قرنين من الزمان (ق ٤ - ١ه - ١ - ١ م) وعرفت عند مؤرخى العراق والشام بـ « الخلافة المصرية » $^{(7)}$ ، قد مهد لمصر ولبنى أيوب ، فى القرنين الـ ٦ و الـ ٧ الهجرى ١ ٢ - ١ ٢ م ، الأضطلاع بمسئولية السلطنة العامة واعتراف أغلب ملوك الأطراف بهذه السلطنة ، بحيث صار السلطان الأيوبي يلقب بـ « سلطان الإسلام و المسلمين » $^{(4)}$.

⁼ الخلافة والسلطنة ، وذلك بعد أن حرصوا كل الحرص بعد فتحهم لمصر ، على بعث هيبة الخليفة العباسي بها ،

هيداً لإعدادة السلطات الروحية ، والزمنية لخليفة المسلمين ، فأصطحبوا معهم الخليفة العباسي
إلى القسطنطينية ، ثم ادعوا أنه تنازل عن الخلافة لآل عثمان (أنظر ابن أياس : بدائم الزهور ، ٥: ٢٧٩ - ٢٣٢) وإن ظل زعيم آل عثمان يعرف في العالم الإسلامي
ولأوربا به السلطان " طوال العصر العثماني (أنظر الجبرتي : عجائب الآثار ، تحقيق عمر الدسوقي ، القاهرة
ولأوربا به السلطان " طوال العصر العثماني (أنظر الجبرتي : عجائب الآثار ، تحقيق عمر الدسوقي ، القاهرة
المرين بعد دخول الحملة الفرنسية مصر) ؛ والجدير بالذكر أنه على يد سلاطين العثمانين تم حلم الإسلام
الحربي الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ٩ هـ /
الحربي الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ٩ هـ /
المرين الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ٩ هـ /
المرين الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ٩ هـ /
المرين الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ٩ هـ /
المهربين الكبير بسقوط القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية رعيمة العالم المسيحي وذلك في ق ١٩ هـ / و١٩ م . و١٩

⁽۱) أنظر البدليسى: شرفنامه ، ألفه بالفارسية ، ترجمة إلى العربية محمد على عونى ، راجعه وقدم له يحسى الخشاب الجزء الأول دار إحياء الكتب العربية ص ١٣ – ١٤ ، وأنظر على الخصوص ص ٥٦ – ٧٩ الفصل الخامس الذى عنونه بـ « ذكر سلاطين مصر والشام »

⁽٢) يسمى المقريزى بنى أيوب الملوك الأكراد الأيوبية ويسمى المماليك السلاطين المماليك التركية والجركسية أنظر السلوك ١ : ٨ س ٥ ، وأنظر ابن أبى القوارس : تاريخ دولة الأكراد والأتراك ، مصور بمعهد المخطوطات برقم ٨٩٤ تاريخ .

 ⁽٣) أنظر سبط: مرآة ٨ : ٢٩١ ، ابن شداد : السوادر ص ٣٦ المنذرى : التكملة ٥ : ٤ س ٢ ، أبو الفدا : المختصر ، ٢ : ١٧٥ آخر سطر ، ٢ : ١٨٥ س ٨ ، ٢ : ٢١٩ – ٢٢٠ .

⁽٤) أنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

ولعل تفرد بنى العباس بالخلافة فى العالم الإسلامى ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية ، هو الذى أوحى إلى مؤرخى العراق ومصر ، فى القرنين السادس والسابع الهجرى ، بتأليف مؤلفات مفردة لتايخ الخلافة الإسلامية منذ قيامها ، وأخبار خلفاء بنى العباس بصفة خاصة ؛ وكأن هؤلاء المؤخون قد اطعلوا على لوح الغيوب ، فراح العراقيون يرثون قرب زوالها من بغداد ، وراح المصريون يحدون انتقالها إلى مصر(1) .

إحياء الأيوبيين لدولة الخلافة العباسية :

ولا ريب ، أن السلطنة الأيوبية بمصر ، قد استطاعت في نهاية القرن السادس الهجرى ومطلع القرن السابع الهجرى إحياء النفوذ السياسي لدولة الخلافة العباسية ، في أغلب أرجاء بلاد المشرق الإسلامي ؛ فبعد قضاء الأيوبيين على الخلافة الفاطمية بمصر ، سنة ٢٧٥هـ / ١١٧١ نجحوا في سنة ٢٥هـ / ١١٧٦ م، في فتح بلاد اليمن ، وكانت تعد من أقدم وأقوى معاقل الدعوة الفاطمية ، واستطاعوا القضاء على الداعي الفاطمي بها عبد النبي بن مهدى ، وخطبوا لبني العباس على منابر اليمن (٢) ؛ ومن اليمن مدوا نفوذهم إلى الحرمين الشريفين ، وخطبوا على

⁽۱) أنظر ابن دحية الكلبى ت ٣٣٣هـ / ١٣٥٥م: النبراس فى خلفاء بنى العباس ، طبع بغداد ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ، وكان مؤلفه وهو أندلسى قدمه صنة ٣١٣هـ / ١٣٥٥م ، إلى ولى العهد فى الدولة الأيوبية بمصر وهو الكامل بن العادل ، ابن أبى السرور السروجى ت ٣٤٨هـ / ١٢٥٠م: بلغه الظرفاء فى ذكر تواريخ الخلفاء ، طبع بمطبعة النجاح بمصر ١٣٧٧هـ / ١٩٠٩ ، ابن الساعى ت ١٧٤هـ / ١٧٥م : منتصر أخبار الخلفاء ، طبع بولاق بمصر ٩ ، ١٣٨هـ . وعن انتقال الخلاقة من العراق إلى مصر أنظر المقريزى : السلوك ١: ٢١ ، وعن سيطرة المماليك بمصر على الخلافة واتخاذ الظاهر بيبرس للقب " قسيم أمير المؤمنين " أنظر ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٤٩ ، المقريزى : السلوك ١: ٤٤٧٤ ولقد ألف مؤر حو العصر المماليكى فى أخبار الخلافة العباسية ، أنظر السخاوى : عمدة الناس فى مناقب سيدنا العباس ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٥٥ اتاريخ ، السيوطى تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين ، القاهرة ١٣٥١هـ ، وأنظر أيضًا تنبعًا لتاريخ الخلافة الإسلامية من وجهة النظر الفقهية الشرعية والسياسية ، حتى العصر المماليكى ، القلقشندى : مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، الكويت ، ١٩٩٤م ، (ج ١ - ٣) .

⁽۲) أنظر سبط: مرآة ، ۸: ۲۹۹ و ۳۰۰ – ۳۰۱ ، المقریزی: السلوك ۱: ۵۳ ، عمارة البمنی: المفید فی أخبار صنعاء وزبید ، تحقیق حسن سلیمان محمود ، القاهرة ۱۹۵۷ ، عمارة البمنی: النكت العصریة ، ص ۳۵۲ – ۳۵۵ ، ابن أبی حاتم: السمط الفائی الثمن فی أخبار الملوك الغز بالیمن ، تحقیق ركس سمیس، جامعة كمبردج ، ۱۹۷۳ ، ابن سمرة الجعدی : طبقات فقهاء الیمن ، تحقیق فؤاد سید ، الطبعة الثانیة ، بیروت ۱۰۱۱هـ/ ۱۹۷۱ ، من ۱۸۱۱ ، ۲۰۲ ، ۲۱۲ ، ۲۱۲ ، ۲۱۲ – ۲۱۲ ، ۱۲۸ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ۱: ۳۹۷ – ۳۹۷ ، ابو شامة : الوضتین ۱: ۲۲۱ – ۲۲۷ ، ۲۲۰ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ۱: ۲۳۷ – ۲۲۲ .

منابرهما لخليفة بغداد^(۱) ، الذى اكتمل له بهذا الأمر مظاهر نفوذه الروحى فى العالم الإسلامى ، لكونه أصبح حامى حمى الحرمين الشريفين ، بعد تفرد الخلافة الفاطميسة بهذا الأمر دون بنى العباس لفترة طويلة (۲) .

وثمة عدة إشارات ذكرها المؤرخون المصريون واليمنيون والشوام المعاصرون للفتح الأيوبى لليمن (٢)، توضح أن هذا الفتح كان خطوة أيديولوجية للإجهاز على الدعوة الفاطمية هدف إليها السلاجقة (٤) ثم الزنكين (٥) ونفذها بنو أيوب، ولم يكن بحال من الأحوال تأييدًا لاستقلال الأيوبين عن نور الدين زنكى (٦)، أو لهدف استراتيجي عسكرى ضد أطماع الصليبين في البحر الأحمر كما ذهب بعض المؤرخين المحدثين (٧)، خاصة وقد حرص الأيوبيون عند فتحهم لليمن على إدخال كتب الدعوة الأشعرية مع جيوشهم، والعمل على نشرها في بالاد اليمن (٨)، وذلك للقضاء على كتب المعوة الشيعية هناك، مشل كتب المعتزلة والزيدية والفاطميين التي كات قد اجتلبت إلى بالاد اليمن من بلاد الجيل والديلم في عهد ائمة اليمن الزيدية، وإبان سيطرة النفوذ الفاطمي على بالاد اليمن (١).

واستكمالاً للقضاء على آخر معاقل المقاومة الفاطمية ، وأعنى الدعوة السنانية النزارية ببلاد الشام ، حاصر صلاح الدين قعلة السنانية بمصياب سنة ٧٧٥هـ / ١١٧٦م (١٠٠) ، حصارًا قويًا أرغمهم بعده على التقوقع في جبالهم الوعرة ، وتوقيع صلحًا مع صلاح الدين ، يقضى بتعاون الطرفين على قتال الفرنج (١١٠) .

⁽١) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٧٣ ، ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ، ص ٤٢ .

⁽٢) أنظر جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ٩٥٩ م .

⁽٣) أنظر على الخصوص سبط : مرآة ، ٨: ٢٩٩ و ٣٠٠ – ٣٠١ ، باعزمة : تــاريخ ثغر عــدن ، ص ١٢٧ –

⁽٤) أنظر قبله نفس هذا الفصل.

⁽٥) أنظر سبط: مرآة ٨ : ٢٩٩ و ٣٠٠ - ٣٠١ .

⁽٦) أنظر ابن الأثير : الكامل ، ١ : ٣٩٧ – ٣٩٧ .

⁽٧) أنظر الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، ١: ٣٦ – ٣٩ .

 ⁽٨) أنظر يحيى بن الحسين : أنباء الزمن في تاريخ اليمن - خ ، نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ ،
 ورقة ٢٢٣ - ٢٢٤ ، وأنظر قبله الفصل الحاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر ونشر الدعوة الأشعرية بها .

⁽٩) أنظر فؤاد سيد : مقدمة كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، للقاضى عبد الجبار الهمداني ، طبع تونس .

⁽١٠) أنظر ابن العديم: زيد الحلب ، ٣: ٣٢ - ٣٤ ، سبط: مرآة ٨: ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، المقريرَى: السلوك ١ - ١٤ ، وأنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

⁽١١) أنظر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٦٦٩ – ٦٧٠ .

ومن ناحية أخرى استطاع الأيوبيون ، بعد جهود دامت حوالى خسة عشر عامًا (80 - 80 - 80 الماله ومن ناحية أخرى استطاع الأيوبيون ، بعد جهود دامت حوالى خسة عشر عامًا (80 - 80 الماله و 80 الماله المولة الموحدية ، كان أمراؤها من بنى من يد الخليفة ابن عبد المؤمن الموحدين الموحدين به «سيدنا ، ومولانا الخليفة ، أمير عبد المؤمنين 80 ، وعرفت دولتهم في وثائقها الرسمية به « الدولة السعيدة والخلافة الحميدة 80 المؤمنين 80 ، ومن هنا جاء موقف سلاطين رغم عدم توفر شروط الخلافة في أمراء الموحدين لكونهم من البربر 80 ، ومن هنا جاء موقف سلاطين بنى أيوب العدائي من الخلافة الموحدية ، إذ كان الأيوبيون يسعون لإحياء دولة الخلافة العباسية ، في حين كان الموحدون يسعون لقيام خلافة إسلامية جديدة مستقلة ببلاد المغرب والأندلس .

والجدير بالذكر أن بعض فقهاء الأشاعرة ، الذين أخذ الموحدون بدعوتهم السياسية ، قد أجازوا تعدد الخلافة في حالة بعد الشقة ما بين الخلافتين القائمتين في ديار الإسلام (٢) ، واتساع خطة

⁽۱) تم هذا بعد ضم الأيوبيين لإقليم برقة أثر حملات قراقوش التقوى على المغرب الأوسط ، أنظر ابس شاهنشاه : مضمار الحقائق ، ص ٣٤ - ٣٠ ، ٣٥ - ٧٥ ، ٧٧ - ٧٧ ، ٤ - ٢٠٢ ، ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ - ٢٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ١ : ٣٨٩ ، ٧٢٤ - ٤٨٤ ، ١٩٥ - ٢٢٠ ، ٢٢٠ - ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ - ٢٠٢ ، ٢٢٠ وهامش " ٤ " ، ٢ : ١٨٠ - ١٨٠ ، المراكشي : المعجب ص ٢٤٩ - ٢٥٠ وأنظر بعده .

⁽٢) أنظر كتاب مؤرخهم عبد الملك الباجى الشهير بابن صاحب الصلاة ، ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢ م : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله اتمة ، وجعلهم الوارثين ، وظهور المهدى بالموحدين ، نشر عبد المهادى النازى ، يبروت ١٩٦٤م .

⁽٣) أنظر كتاب مؤرخهم ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود مكى، المطبعة المهدية بتطوان، د. ت. ص ١٣٠، في حين يطلق المؤرخ العواقى الشامى، سبط ابن الجوزى، على ابن عبد المؤمن لقب "أمير المؤمنين"، ولا يلقبه بالخليفة، أنظر مرآة ٨: ٣٨٤ س ٢، ٣٤٦ – ٤٤٩، ٤٤٩ – ٤٦٤، وعلى العكس، أنظر إشارة ابن جبير الأندلسي بدعوة الموحدين وتمنيه سيطرتها على مكة نفسها، ابن جبير: الرحلة ص ٥٥ – ٥٦، وأنظر سخريته من "احتجاب" خلفاء بني العباس، الرحلة، ص ٢٠٢.

⁽٤) أنظر ابن القطان : نظم الجمان ، ص١٧٨ ، س ٤ .

⁽٥) هذا ما يؤكده عنوان كتاب مؤرخهم ابن صاحب الصلاة : تاريخ ألمن بالإمامة على المستضعفين .. إلخ .

⁽٦) أنظر أبو بكر الصنهاجى ، ت ق ٦ هـ : أخبار المهدى ابن تومرت ، وابتداء دولة الموحدين ، نشر ليفى بروفسال ، باريس ١٩٢٨م ، وأنظر ابن القطان : المصدر السابق ، ص ١٦ وهامش " ٥ " ، وأنظر المراكشي : المعجب ص ٢٤٥ - ٢٥١ .

الإسلام ، ووجود ديار للإسلام متفرقة في جزائر البحر ، أو خلف دار الكفر ، بحيث تحجب دار الحرب ، نظر الإمام عن هؤلاء المسلمين (() ، وكان هذا ينطبق على دولة الموحدين الذين تولت جهاد حركة الاسترداد المسيحي Reconquesta بالمغرب والأندلس ، وهذا ما دعى أمراء الموحدين على تلقيب أنفسهم بالخلفاء ، رغم أنهم في الواقع سلاطين لا تتوفر فيهم شروط الخلافة ، أما سلاطين بني أيوب ، فرغم أنهم من أنصار الدعوة الأشعرية أيضًا (() . إلا أنهم في عدائهم للدولة الموحدية نظروا أولاً إلى مصلحة دولتهم التي استمدت سطوتها السياسية من الخلافة العباسية ، ونظروا ثانيًا إلى مصلحة العالم الإسلامي في الوحدة حول خلافة واحدة ، هي أقدم خلافة إسلامية قائمة في ديار الإسلام ، وهي المتمثلة في الخلافة العباسية بالعراق ؛ وهذا ما أجمع عليه أغلب الفقهاء الدستوريون (()) وإن كان هذا لم يمنع فيما بعد ، من تقارب كل من الدولين الأيوبية والموحدية ، ومحاولة عقد تحالف بحرى فيما بينهم لقتال القوى الصليبية في البحر المتوسط (أ)

وما لبثت جهود الأيوبيين ، في إحياء دولة الخلافة العباسية ، أن تمخصت عن حدث ذو أهمية سياسية ومذهبية كبرى ، وهو وصول سفير من قبل جلال الدين حسن صاحب حصن الموت ، أقوى معاقل الشيعة النزارية بإيران إلى بغداد في سنة ٨٠ ٦هـ/ ٢١١ م ، يخبر الخليفة العباسي ، بأنهم تبرءوا من الدعوة الباطنية الشيعية وأعادوا الشعائر السنية إلى مساجدهم وجوامعهم ، فسر الخليفة والناس بذلك أن هذا الحدث كان يعنى اجتماع السنة والشيعة في العالم الإسلامي ، تحت راية خلافة إسلامية واحدة ، هي خلافة بني العباس ، ولا ريب أن هذا قد تم بعد أن سدت أمام دعاة الشيعة الإسماعيلية المسالك وصم المسلمون آذانهم عن دعوتهم ، بعد أن ترددت في أرجاء ديار الإسلام ، أصداء نداءات صلاح الدين والخلافة العباسية ، داعية إلى وحدة المسلمين ، للجهاد في سبيل الله ضد الصليبين .

⁽١) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٢٦ – ١٣٢ .

⁽٢) أنظر قبله الفصل الخاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر.

⁽٢) قال أغلب الفقهاء ، بضرورة تنازل الحليفة الجديد للخليفة القائم لجمع شمل المسلمين أنظر الماوردى : الأحكام ، ص ٧ - Λ ، ابن أبي يعلى : الأحكام ، ص ٢ - Λ .

⁽٤) أنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

⁽٥) أنظر أبو المحاسن : النجوم ، ٣ : ٣٠٣ .

وظل الاتجاه السائد، طوال القرن السابع الهجرى، هو وحدة العالم الإسلامي حول الخلافة العباسية (١)، بحيث أصبحت فكرة قيام خسلافة أخرى، أمرًا مستهجنًا من مؤرخي المشرق الإسلامي (٢).

نهوض الأيوبيين بفريضة الجهاد:

آلت القيادة السياسية والعسكرية في بلاد الشرق الإسلامي إذا إلى بني أيوب ، منذ الربع الأخير من القرن السادس الهجرى ، بعد أن ورثوا ممتلكات الفاطميين بجنوب الشام والحجاز واليمن وبرقه ، وممتلكات الزنكيين في الموصل والجزيرة الفراتية وشمال الشام ؛ كما أمتد نفوذهم السياسي والعسكرى ، إلى أقاليم مشرقية لم يمتد إليها من قبل نفوذ أى دولة حكمت مصر الإسلامية ، بما فيها الخلافة الفاطمية ذاتها ، أعنى إقليم أرمنية الإسلامية ، أى أرمينية الصغرى ، وهي بلاد خلاط

⁽١) أنظر خبر سفارة سلطان غزنـة والهنـد إلى الخليفـة العباسـي ببغـداد سنة ٥٠٠هـ / ٢٠٣ م يعلـن خصوعـه وولاءه للخلافة العباسية (أبو المحاسن: النجوم، ٢٠٣: ٢٠٣)

وراجع كتاب ابن النساخ الى أرسله إلى صاحب بغداد أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد . وابن النساخ هو الفقيه حسن بن محمد أحد علماء المطرفية الزيدية باليمن ، من رجال أوائل القرن السابع . وقد كتب هذه الرسالة ، بسبب ما تعرضت له هذه الفرقة من حسرب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة إمام الزيدية باليمن المتوفى سنة ١٤ هد لهم ، وما تعرضوا له من اضطهاد وتشريد ، وحكمه عليهم بالكفر والخسروج عن الملة . وأول الكتاب . السلام عليك أيتها المنازل المقدسة بالأكياس المطهرة من الأدناس . إلى يطلب فيه من الخليفة إطفاء فتنة تأجمت في اليمن ، وقد أذكى وقردها القائم (في اليمن) من بني الحسن (وهو الإمام المنصور المذكور) . ومن هذا الكتاب نسخة عكتبة الأمبروزيانا ، في ثلاث ورقات ، برقم ٤٦٦ ؛ ونسخة أخرى بدار الكتب الوطنية ببيروت . والنسختان مصورتان بمعهد المخطوطات برقم ١٩٧٨ تاريخ ، راجع فؤاذ سيد : فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٣ ، ق ٣ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ، وأنظر يمي بن الحسين : أنباء الزمن ، ورقة ٨٨ ب ، من نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ ؛ وأنظر السيد محمد زبادة في كتابه : انمة اليمن ، ص ٢٤٣ ، من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٣ تاريخ ؛ وأنظر السيد محمد زبادة في كتابه : انمة اليمن ، ص ٢٤٣ ، من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٣ تاريخ ؛ وأنظر السيد محمد زبادة في كتابه : انمة اليمن ، ص ٢٤٣ ، من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٣ تاريخ ؛ وأنظر السيد محمد زبادة في كتابه : انمة اليمن ، ص ٢٤٣ ، من نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٤٣٠ تاريخ ؛ وأنظر السيد عمد زبادة

⁽۲) يذكر ابن الفوطى أنه فى سنة ۲۷هه/۲۷۹م، وصل رسول من محمد بن يوسف ابن همود إلى بغداد يخبر باستيلائه على معظم بلاد المغرب واستعادتها من أيدى غصابها بنى عبد المؤمن وإقامة الدعوة بها للدولة العباسية ، أنظر الحوادث الجامعة ص ۱۹ – ۱۷ ، فى حين يذكر سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ۲۰۲هـ/ ٤ ۲۰ معند حديثه عن قيام الدولة الحقيقة التى ورثت الدولة الموحدية بشمال افريقية أنه : فيها وصلت الأخبار باستيلاء إنسان على إفريقية وادعى الخلافة وتلقب بالمستصر وخطب له فى تلك الضواحى وأظهر العدل والإنصاف ، أنظر سبط : مرآة ۸ : ۷۹۱ ، والطريف أن مؤرخى الدولة الحقصية قد ذكروا أنه فى سنة ۲۰۵هـ/ ۱۲۰۸م ، التى انقرضت فيها الخلافة العباسية ببغداد ، وصلت من مكة بيعة بالخلافة للخليفة المستصر الحفصى ، أنظر الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحقصية ، تحقيق محمد ماضور ، الكتبة العتيقة بتونس ۲۹۲ ۱۸ ، ص ۳۲ – ۳۷ .

وميافارقين ونواحيهما ، وتاخمت ممتلكاتهم بشمال الشام والجزيرة الفراتية ممتلكات دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، والدولة الخوارزمية بإيران(١) .

ومنذ وطد الأيوبيون أقدامهم في حكم مصر ، وبتوجيه من نور الدين زنكى ، سلطان الشام والجزيرة الفراتية ، والزعيم السياسي للشرق الإسلامي في ذلك الوقت ، قام الأيوبيون بإرسال حملة من مصر في سنة ٢٥هه / ١٧٢ م لغزو مملكة النوبة المسيحية ، أغلب الظن لفتح بلاد النوبة وضم هذه المملكة المسيحية إلى مصر ، وتأمين الحدود الجنوبية للديار المصرية ، ونشر الإسلام في هذه المملكة المسيحية ، إذ كان أهل النوبة نصاري يعقوبية ؛ وإذا كانت هذه الحملة الأيوبية على بلاد النوبة ، لم تكلل كليًا بالنجاح ، إلا أنها قد حققت بعض الانتصارات العسكرية ، فعادت بأعداد كبيرة من الأسرى والعبيد ، وساعدت على تقوية النفوذ السياسي والعسكري لمصر على حدودها الجنوبية ، كما تخضت أيضًا عن بناء بعض التحصينات والقلاع على هذه الجبهة ، التي ظلت منذ الفتح الإسلامي في حكم المهادنين من أهل العهد ، بواقع معاهدة البقط التي وقعها المسلمون مع أهل النوبة بعد فتح مصر . ولقد أرسل نور الدين زنكي ، يهنيء الخليفة العباسي بأن نوابة بمصر وقواده بني أيوب قد وصلوا في غزوهم للنوبة إلى أراضي لم تطأها من قبل سنابك الجيل الإسلامية ، كما راح نور الدين يبشر الخليفة العباسي ، بأن فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحي ، سيكون قريبًا (٢٠) .

⁽۱) أنظر زانباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكى محمد حسن وآخريس ، القاهرة ١٩٥١م ، ١: ١٥٥ - ١٥٥ ، لين بول : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف بمصر ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩، ١: ١٣٩ - ١٥٨ ، كارل هنريش بيكر : دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية مادة " أيوبيون " المجلد الثالث ، ص ٢٢١ و ٢٢٢ . وأنظر قبله ، وأنظر بعده الفصل الحاص بالسلطنة .

⁽۲) أنظر ابن واصل: مفرج الكروب ج ۲: ۹۸ - ۱۰۰ ، ابو شامة: الروضتين ، وعن ذكر بلاد النوبة والبجة وأحوالهم والحديث عن ثغر النوبة ومذهب أهلها وتوقيعهم معاهدة البقط مع والى مصر منذ أول الفتح العربي بحصر ، والتي تقضى بدفعهم ضريبة عينية سنوية من القمح والعبيد على أن يكونوا في حكم المعاهدين ، أنظر قدامة بن جعفر ، كتاب الحراج ، الباب الثامن ، وهو لايزال مخطوط ولم ينشر ضمن النبذ التي نشرها دي غويه من هذا الكتاب ، ومنه نسخة مخطوطة كاملة بدار الكتب المصرية برقسم ۱۹۷۱ فقد حنفي ، وعن معاهدة البقط أنظر أيضًا المقريزي : الخطط ، طبع النيل ج ۱ : ۳۲۷ – ۳۲۷ ، ابن الفقيه : مختصر البلدان ، ص ۲۷ – ۷۷ ، وقد عاب خضر بن أبي بكر ، في كتابه المناقب المعزية – خ ، بدار الكتب المصرية ، الذي الفه للسلطان عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك بمصر على الدولة الأيوبية التي سماها " الغزية " إنها لم تهتم بجبهة النوبة الجنوبية ولم تكمل فتحها ونشر الإسلام بها ؛ والمعروف أن فتح النوبة ونشر الإسلام بها قد تم في عصر المماليك ۱۸۹ه في عهد السلطان قلاوون الذي أبقي أيضًا على شروط معاهدة البقيط حتى بعد ضم النوبة إلى مصر ، أنظر المقريزي : السلوك ، ٢ ؛ ٧٥٧ .

كذلك نهض الأيوبيون بفريضة الجهاد في جبهة أخرى ، لم ينتشر فيها الإسلام من قبل ، وهي مملكة أرمنية المسيحية ، وكان نور الدين زنكي ، سلطان بلاد الشام ، وزعيم بسلاد المشرق الإسلامي قبل بزوغ نجم صلاح الدين ، قد حاول غزوها مرارًا ، فقام صلاح الدين بمحاولة تحقيق حلم سلفه العظيم ، وذلك بغزوة في سنة ٧١هه / ١٧٥ه م ١١٧٥ م لبلاد أرمينية المسيحية ، التي كانت تتعاطف مع الحملات الصليبية القاطعة لبلاد آسيا الصغرى ، كما كانت تقف موقف العداء الحربي المسلح مع دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى التي كانت تتولى صد الموجات الأولى للحملات الصليبية القادمة من آسيا الصغرى ، بحيث جاء غزو صلاح الدين لملكة أرمينيا المسيحية استجابة لاستنفار سلطان سلاجقة الروم له وتحقيقًا لحلم نور الدين زنكي (١٠) . وقد أحرز هذا الغزو العسكرى الأيوبي لملكة أرمينية نصرًا سياسيًا هامًا ، وهو اضطرار ملك أرمينية المسيحية إلى إعلان دخوله في طاعة ملاح الدين ، وتبادل السفارات الدبلوماسية معه ، وإعلانه الالتزام بنقل أخبار تحركات الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى إلى صلاح الدين (١٠) .

ولا يخفى أن حملات صلاح الدين على مملكتى النوبة المسيحية وأرمنية المسيحية ، كانت بمثابة موجمة جديدة من موجمات الفتوحمات الإسسلامية ، إذ جعل صلاح الدين الجهما ديدنية وصسيرة هجيراه (٢)

وما لبث صلاح الدين ، أن كلل جهوده في الجهاد ، باسترداد بيت المقدس من أيدى الصليبيين في سنة ٣٨٥هـ / ١٩٨٧ م (٤) ، باسم الخليفة العباسي بحيث أعلن الأيوبيون الخطبة للعباسيين على منابر بيت المقدس وغيره من بلاد الشام التي تم استردادها من الصليبين ، وذلك بعد إعادة الشعائر الإسلامية إلى هذه البلاد ، التي كان الصليبيون قد حولوا مساجدها إلى كنائس ، فكان سلاطين بني

⁽١) أنظر ابن واصل : مفرج ، ج ٢ ، ص ٩٨ – ١٠٠ ، أبو شامة : الروضتين .

⁽٢) أنظر ابن شداد: النوادر السلطانية ، ١٢٤ - ١٢٦ .

⁽٣) أنظر ابن شداد : كتاب فضائل الجهاد ، ألفه لصلاح الدين ، مخطوط بمكتبة كوبسرلى باستانبول برقم ٢٦٤ ، ويقول ابن شداد في كتابه النوادر السلطانية ص ٢١ : "ولقد كان الجهاد وحبه ، والشغف به ، قد استولى على قلبه (أى صلاح الدين) وسائر جوانحه استيلاءًا عظيمًا ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا في آلته ، ولا كان له اهتمام إلا برجاله .. ، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه بحثه على الجهاد ، أو يذكر شيئًا من أخبار الجهاد ، وأنا عمن جمع له فيه كتابًا ، جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه ، وكل حديث روى في فضله ، وشرحت غريبها ، وكان - رحمه الله - كثيرًا ما يطالعه ، حتى أخذه منه ولده الملك الأفضل عز نصرة " .

⁽٤) أنظر العماد : الفتح ، ص ٤٨ – ٥٨ ، و ص ١١٦ – ١٤٧ ، ابن واصل : مفرج ، ٢ : ٢١١ – ٢٤١ ، ابن شاهنشاه : مضمار ، ص ٤ .

أيوب يغسلون هذه المقدسات الإسلامية لإزالة شعائر الكفرة عنها ، ويرفعون الرايات السود - شعار العباسيين - على منابرها ، ثم يرتبون القومة لحفظها ، والمؤذنين والقراء لمداومة أداء الشعائر بها ، مع رصد الأوقاف عليها للعناية بإصلاحها وترميمها (١) .

وهنا نلاحظ أن جميع غزوات صلاح الدين ضد الصليبين ، وفتوحاته لبلاد الساحل الشامى ، التي كانت خاضعة لسيطرتهم العسكرية ، قد تحت باسم الخلافة العباسية ، فكان صلاح الدين يستشير الخليفة ثم يرسل له مكاتبات رسمية فيها خبر البشارة بالنصر ، وتفاصيل هذه الانتصارات(٢).

وليس أدل على اعتبار الخليفة هو الموجه الأعلى لرسالة الجهاد ، التى هملها الأيوبيون على أكتافهم فخورين ، من إطلاع صلاح الدين للخليفة ، على أسرار سياسته الخارجية الحربية الخاصة بعزل الجمهوريات الإيطالية التجارية ، جنوا والبندقية وبيزا ، عن الحركة الصليبية ، عن طريق عقد المعاهدات التجارية والعسكرية معهم ، ومنحهم بعض التسهيلات الجمركية في ثغور مصر الشمالية ، نظير عدم تقديم أي مساعدة بحرية للقوى الصليبية بالشام ، وفي نفس الوقت إقرارهم بتخليهم التام عن مبادىء الدعوة الصليبية بالتزامهم بإمداد صلاح الدين بالأخشاب اللازمة لبناء الأساطيل وإمداده أيضًا بالأسلحة والعبيد المسيحيين، كذلك اطلع صلاح الدين ، أيضًا الخليفة العباسي ، على خبايا علاقاته الخارجية وسياسته الحربية تجاه الإمبراطورية البيزنطية ، وتجاه ملك صقلية النورماندي ، وكان كلاهما في عداد أكبر ملكين من ملوك النصرانية (٣).

وكما استطاع صلاح الدين عزل الجمهوريات الإيطالية عن الحركة الصليبية بواقع المعاهدات التجارية الحربية التى وقعها مع هذه الجمهوريات (أ) ، استطاع أيضًا في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ، أي بعد سنتين من استرداده لبيت المقدس ، توقيع معاهدة مع إمبراطور الدولة البيزنطية ، تقضى بعزل

⁽۱) أنظر العماد: الفتح ، ص ٩٥ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٨ – ١٢١ ، ص ١٣٧ – ١٤٠ ، ص ١٤١ – ١٤٤. ص ١٤٥ – ١٤٦ ، ابن واصل : مفرج ، ٢ : ٢٢٩ – ٢٤١ .

⁽٢) أنظر نص خطاب عمادى بالبشرى بفتح القدس عند القلقشندى: صبح ج ٦: ٥١٥ – ٥٧٠ ، وأنظر أيضًا ثلاث مكاتبات فاضلية بالبشرى بفتح القدس عند القلقشندى أيضًا: صبح ج ٢ ، ص ٤٩٦ – ٤٠٥ ، ٢ . ٤٠٥ – ٢٠١ ، ٥ ، ١ . ٢٠٩ – ٢٨٩ ، وأنظر أيضًا خطاب فاضلى إلى الخلافة بالبشرى بفتح بلد من بملاد النوبة ، القلقشندى: صبح ٢: ٣٠٥ – ٢١٥ ، ج ٢ ، ص ١١٥ – ٥١٥ وأنظر أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ص ٢ – ٥٤ . حديثنا عن الوبائق التي فقدت أصولها الأثرية .

⁽۳) أنظر القلقشندى : صبح ج ٦: ٥١٥ - ١٦٥ ، ج ١٣ : ٨١ - ٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٣ .

⁽٤) راجع تراجم تنشر لأول مرة لهذه المعاهدات ، مترجمة عن اللاتينية والإيطالية الدارجة ، عن أصولها المحفوظة بالأرشيفات الإيطالية ، أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، (ملامح الكتاب) .

الدولة البيزنطية كذلك عن الحركة الصليبية ، ومنح السلطان الأيوبي الامتياز الذي منح من قبل لسلاطين السلاجقة ، وهو الخطبة باسم السلطان الأيوبي والخليفة العباسي على منبر المسجد الجامع عدينة القسطنطينية . وهو الأمر الذي تم رسميًا في سنة ٥٨٦هـ / ١٩٩٠م (١) .

والجدير بالملاحظة ، أن المراسلات بين بنى أيوب والخلافة العباسية ، كانت تتعرض لدقائق المسائل الإدارية الخاصة بإدارات الأقاليم التابعة للدولة الأيوبية ، كما أنها أبدت اهتمامًا خاصًا بطمأنة الخليفة العباسى على مداومة بنى أيوب ، تبسع بقايا الدعوة الإسماعيلية ودعاتها فى كل مكان ، واستمرار الدعوة للخلافة العباسية فى جميع البلدان التى يفتحها الأيوبيون (١) . كذلك فإن تردد الرسل والسفارات بين سلاطين الأيوبيين والخلافة العباسية لم يتقطع إبدًا (١) ، وهذا ما يفسر الخبر الذى أورده المؤرخون مقتضبًا ، ويفيد أنه حين استقر الملك العادل فى السلطنة الأيوبية بعد أخيه صلاح الدين فى سنة ٤ ، ٣ه / ٧ ، ٢ ١ م «تراسل العادل مع الخليفة العباسي فى أمور مخفية »(٤) .

استجابة سلاطين بني أيوب لدعوة الفتوة الناصرية الخليفتية:

وفى سبيل اكتمال الوحدة السياسية والمذهبية لبلاد المشرق الإسلامي ، حول الخلافة العباسية ، عمد خلفاء بنى العباس ، منذ عصر الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، الذي عاصر صلاح الدين ، وبلغت الخلافة في عهده الطويل أقوى مراحيل يقظتها ، إلى جمع ملوك الأطراف والسلاطين حول

⁽۱) العماد : الفتح ، ص ٤١٤ ، ابن شداد : النوادر ، ١٣٢ - ١٣٣ ، سبط : مرآة ، ٨: ٤٠٤ ، ابن واصل : مفرج ، ٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩ ، ابن عبد الظاهر : السدر النظيم ، ص ٣٧ - ٤٢ ، المقريزى : السلوك ، ١: ٩٨ ، هامش " ١ " .

 ⁽۲) يفيد العماد الأصفهائي ، أن القاضى الفاضل وزير صلاح الذين ، ونائبه بحصر ، كان قبل تراسله مع صلاح الدين بالشام ، يقف بنفسه على نسخ الرسائل العراقية الواردة من الخلافة العباسية ، أنظر العماد : البرق - خ ، ۱۳۸ أ - ۱۳۹ أ ، وراجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، ص ٦ - ٥ ، وأنظر رسائل فاضليه لصلاح الدين بالشام ، عند العماد : البرق ، ٣: ، ٥ أ - ٥٧ ب ، ٦٤ ب ، ٧٧ ب . . إلخ .

⁽٣) أنظر العماد: القتح، ص ١٨٣ - ١٨٩ ، ٢٧٩ - ٢٨٤ ، ٣٦٥ - ٣٦٦ ، العماد: البرق - خ ، ج ٣، لوحة ١١٤ ب - ١١٥ أ ، وأنظر ابن واصل: مفرج ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٨ ، وأنظر نص خطاب "تذكرة " ، حملة سفير من قبل صلاح اللدين ، إلى " أبواب الخلافة العباسية " عند القلقشندى : صبح ، ج ٢٣ ، ص ٨٧ - ٩٠ .

⁽٤) أنظر المصادر الواردة في الحاشية السابقة .

الخلافة ، في تنظيم اجتماعي عسكرى ، عرفته تجمعات الفتيان العرب منذ الجاهلية (١٠) ، وبعثه الخليفة المتصر من جديد ، لأسباب سياسية وعسكرية ، هي محاربة الصليبين (٢) ، والنهوض بفريضة الجهاد .

فقى سنة ٧٩هـ / ١٨٢ ام ، لبس الخليفة الناصر سراويل الفتوة ، على يد النين من رؤساء جماعات الفتوة ، وهما عبد الجبار ويوسف المعروف بالعقاب ، ولم يبق أحد ممن كان قريبًا منه إلا ولبس منه سراويلا ، وأمر الخليفة أبا على الدارمى ، أن يكون نقيب الجماعة ، وأن يخطب ويذكر شروط الفتوة ، ويشيد بأخلاقها الشريفة (٢) ، ثم أخرج الخليفة منشورًا من قبله ، ليقرأ على الناس ، بشأن الفتوة والإشادة بتعاليمها ، وإظهار فضائلها(٤) .

وقد أوحى الخليفة الناصر لدين الله ، إلى مفكرى وفقهاء عصره ، بالتأليف في قواعد ونظم الفتوة (٥) ، وشروط وصفات الفتيان (١) ، ورسوم التحاق الفتى بهذا التنظيم ، عن طريق شرب كأس الفتوة هو من ماء وملح (٧) ، ثم يتولى نقيب الجماعة حزمه بحوام ، يعبر عنه بد «الشد» و «التكميل » (٨) ، كنوع من أخذ العهد ، ثم إيراد القصص التي تشيد ببطولات الفتيان وشهامتهم (١) ؛ وقد ساق من ألف في نظم الفتوة ، سندًا للفتيان ولسراويلهم التي يتزيون بها ، يرجع إلى الإمام على بن أبي طالب ، الذي لقبوه بسيد الفتيان ، ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١٠)

 ⁽١) أنظر مصطفى جواد: الفتوة والفتيان قديمًا ، مجلة لغة العرب ، إبريل ١٩٣٠ ، أحمد أمين: الصعلكة والفتوة في الإسلام ، القاهرة ، مجموعة أقرأ ١٩٥١ ، أحمد أمين: الفتوة في الإسلام ، مجلة كلية الأداب ، ج ١ ،
 مايو ١٩٤٢ ، الطبعة الثانية ٩٥٦ م ، ص ١ – ٢١ .

⁽٢) عن هذه الفكرة ، أنظر عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب ، د. ت. ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

⁽٣) أنظر ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ، ص ٨٦ ، ص ١٧٧ و ص ١٧٩ .

⁽٤) ابن الساعي : الجامع المختصر ، بغداد ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، تحقيق مصطفى جواد ، ٩ : ٣٣٣ - ٢٣٥ .

 ⁽٥) أنظر ابن المعمار الحنبلي : كتاب الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وأخرون ، بغداد ١٩٥٨ ؛ كتاب الفتوة ،
 تحقيق فؤاد حسنين ، القاهرة ١٩٥٩ م .

⁽١) نفس المصدر ، طبعة مصطفى جواد ، ص ١٥٧ – ١٦٨ . . .

⁽٧) ابن المعمار الحنبلي : كتاب الفترة ، ص ٢٥١ – ٢٥٤ .

⁽٨) نفس المصدر ، ص ٢٣١ - ٢٤١ :

⁽٩) نفس المصدر ، ص ٢٦٧ – ٢٨٥ .

⁽١٠) نفس المصدر ، ص ١٤٨ .

كذلك أوعز الخليفة الناصر إلى مفكرى وفقهاء عصره ، بالتأليف في آداب الرمى بالبندق ، ورسومها وفنونها ، وأحكامها الفقهية (١) ، وهي رياضة عرفها المسلمون منذ عهد الخليفة الراشد عثمان ، ولكن الخليفة العباسي الناصر ، جعل رمى البندق فتّا ، لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها(٢).

والمتتبع لكتب الحوليات ، يلاحظ أن سلاطين بنى أيوب ، كانوا أول من قصدهم الخليفة الناصر ، ليضمهم إلى تنظيمه الجديد الخاص بالفتوة ، الذى جعل من نفسه فيه الرئيس الأعلى ، ففى سنة ٩٩هه / ٢٠٢م ، بعث الخليفة الخلع وسراويلات الفتوة إلى الملك العادل أبى بكر بسن أيوب وأو لاده ، مع عبد الجبار والعقاب ، نقيبى تنظيم الفتوة بالعراق ، فلبس العادل الخلع والسراويلات ($^{(7)}$) ولا ندرى إن كان الخليفة ، قد كرر هذه السفارة مرة أخرى سنة ٥٠٦ه / ٢٠٨ م $^{(4)}$ ، وهى السنة التالية مباشرة لإرسال التقليد والخلع الخليفتية للملك العادل سنة ٤٠٦ه . إثر الاعتراف به سلطانًا على جميع البيت الأيوبى $^{(9)}$ ، أم أن ثمة خلاف بين المؤرخين حول تحديد سنة هذا الحدث ، إذ تشير بعض المصادر أنه في سنة ٥٠٦ه ، وصل إلى السلطان الملك العادل وإلى جميع أولاده سراويلات وخاصته وشاع لبس ذلك في الناس $^{(7)}$.

ويبدو أن استجابة بنى أيوب للانتساب للخليفة فى لبس سراويل الفتوة ، عن طريق «وكلائه» وسفرائه ، من رؤساء التنظيم ببغداد ، قد شجع الخليفة على مراسلة بقية ملوك الأطراف بالمشرق الإسلامى ، لنفس هذا الغرض ، ففى سنة ٧ - ٣ هـ / • ١ ٢ ١ م ، وردت الرسل على ملوك الأطراف ، تناشدهم شرب كأس الفتوة للخليفة الناصر ، ولبس سراويلها ، « ليكون انتمائهم له » ، وأمر كل

⁽١) أنظر ابن البقال: كتاب المقترح في المصطلح، مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٦٣٩ منه نسخة بالفوتستات بدار الكتب المصرية.

⁽٢) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

⁽٣) سبط : مرآة ، ٨: ١٣٥ .

⁽٤) ابن أيبك : الدر المطلوب ، ص ١٦٥ .

⁽٥) أنظر بعده الفصل الخاص بالسلطنة .

⁽٣) ابن أيبك : الدر ، ص ١٦٥ ، وقارن بحث المستشرق نشر : الفتسوة والخليفة النـاصر ، ترجمة صلاح الديـن المنجد في كتابه المنتقى من دراسات المستشرقين الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٥م ، ص ١٨٧ – ٢٠٤ .

ملك أن يسقى رعيته ويلبسهم ، « لتنتمى كل رعية إلى ملكها » ، ففعلوا ذلك ، وأحضر كل ملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمراءها وأكابرها ، وألبس كلاً منهم له ، وسقاه كأس الفتوة ، كما أمر الخليفة الملوك أيضًا ، أن تنتسب إليه في رمى البندق ، وتجعله قدوتها فيه (١٠) .

فكان من أراد الانتظام في سلك هذا التنظيم من ملوك الأطراف ، يأتي بغداد ، فيلبسه الخليفة السراويل بنفسه ، أو يعهد بهذا إلى أحد أكابر أمرائه بالوكالة عنه ، فبطلت الفتوة في البلاد جميعها ، إلا من لبس سراويلها منه ، ومنع الرمي باللبندق ، إلا من ينتسب إليه (٢) .

وأغلب الظن أن الخليفة الناصر ، قد أراد جمع شمل رعية كل ملك ، في تنظيم شعبي عسكرى لا ينفصم ، وربط جميع ملوك وسلاطين المشرق الإسلامي حول الخلافة ، في رباط موحد أيضًا ، لتكوين جبهة إسلامية واحدة ، تستمد وحدتها وتآلفها من الشعور الشعبي الموحد للأمة الإسلامية في جهاد الصليبين ، بحيث تم تجميع القوى المعنوية الإسلامية ، والقيم الأخلاقية ، والمهارات الحربية للفتوة ، في سبيل الإعداد المعنوى والحربي للأمة ، تحت راية الخليفة العباسي ، الزعيم الروحي للإسلام .

ويبدو أن تزعم البابوية لحركة الصليبيات Goisades ،قد أدى إلى مسارعة المسلمين حكامًا وشعوبًا لقبول هذه الفكرة ، خاصة وقد لاحظ المؤرخون في هذا العصر ، « أن البابا هو خليفة الفرنج » (٣) .

⁽۱) ابن واصل : مفرج ، ۳: ۲۰۱ - ۲۰۷ ، المقریزی : السلوك ، ۱: ۱۷۷ ، ۲۱۸ ، ۲۱۸ و ۷ ، الذی یقول: " و حمل أهل الأمصار علی ذلك " ، ابن الساعی : مختصر أخبار الحلفاء ، ص ۱۰۹ ، ابن الأثير : الكامل ، ۲ ا ۲۲۰ - ۲۲۳ ، الذی یذكر أن الملك شهاب الدین صاحب غزنة والهند قد لبس سراویل عن الحليقة الناصر أيضًا .

⁽۲) أنظر مصطفى زيادة : هامش "۱" على السلوط للمقريزى ، ج ۱ : ۱۷۲ ، جمال الشيال : هامش "٢" على مفرج ابن واصل ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، وأنظر ابن واصل : مفرج ابن واصل ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، وأنظر ابن واصل : مفرج ٤: ١٦٥ – ١٦٥ .

⁽٣) أنظر نصوص هامة أوردها سبط ابن الجوزى تفيد هذا المعنى على لسان ملوك وأباطرة أوربا وبملاحظة المؤرخين المسلمين أيضًا ، أنظر سبط : مرآة ، ٨ : ٨٠ ، ١٢٠ س ١٩ ، ١٥٣ – ١٥٧ ، ١٨٥ ، ٢٧٧ ابن واصل : مفرج ، ٤: ٢٥١ . والواقع أن أغلب ملوك الأطراف المسلمين قد استجابوا لدعوة الفتوة الناصرية ، ففي سنة ٢٦٦هـ / ١٢٢٨م راسل الخليفة الناصر جلال الدين منكبرتي سلطان الدولة الخواوزمية وأرسل إليه اثنين من نقباء الفتوة ليلبسوه سراويلها وكالة عن الخليفة ، وكان ذلك بموجب سؤاله ، وقد أظهر خوارزمشاه قبوله لهذه المنحة الخليفتية ، بأن أرسل إلى بغداد بعد أيام رسول من قبله برسالة يشكر فيها =

وأغلب الظن أن نقباء الفتوة ، الذين عاصروا عصرى الناصر وابنه المستنصر ، أرادوا تقوية هذا النظام ، وأثره النفسى والمعنوى في نفوس مريديه ، حين أوحوا إلى الخليفة المستنصر ، وقد بات زوال نجم خلافة بنى العباس وشيكًا ، بأن يوهم الناس بأنه لبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين على بمن أبى طالب ، فامتثل لهم المستنصر ، بحيث توجه إلى مشهد الإمام على سنة ٩ ٢٤هـ / ١ ٢٥١م ، ولبس السراويل في ضريحه أن فلا غروًا أن توارث خلفاء الخليفة الناصر نظام الفتوة ، حتى زمن المستعصم، آخر خلفاء بنى العباس بالشرق (٢) .

وفى رأينا أن نظام الفتوة ، كما أراد الخليفة الناصر تعميمه فى العالم الإسلامى ، كان يهدف من ناحية أخرى إلى محاربة الدعوة الفاطمية واستقطاب المتحمسين للتشيع للانخراط فى زمرة الفتيان الناصرية ، فليس عن قبيل الصدفة أن هذا السند المفتعل بالاريب السراويل الفتوة ، يرتقى إلى الإمام على أول إمام تشيع له شيعة بنى هاشم ، ثم إلى النبى ، فالذى ابتكر هذا السند ولققه ، قد حرص كل الحرص على إرضاء الشيعة وجذبهم إلى هذا التنظيم الذى ترأسه الخليفة العباسى الناصر ، خاصة وقد عرفت عن هذا الخليفة ، أو ربما روج هو هذا القول عن نفسه ، أنه كان يميل إلى التشيع للإمام على (٢) .

وقد إلى بغداد أرسلان شاه بن عماد الدين زنكى صاحب شهرزور ، فشرفه أحد كبار أمراء البلاط الخليفى وقد إلى بغداد أرسلان شاه بن عماد الدين زنكى صاحب شهرزور ، فشرفه أحد كبار أمراء البلاط الخليفى بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة ، بعد أن خلع عليه (نفس المصدر ، ص ٨٩ - ، ٩) وفى سنة بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة من الخليفة من الخليفة من الخليفة من فتاة - أى جعله فتا - بطريق الوكالة . (نفس المصدر : ٢ ، ١) . كذلك وفد الناص ، فانفذ إليه الخليفة من فتاة - أى جعله فتا - بطريق الوكالة . (نفس المصدر : ٢ ، ١) . كذلك وفد الى بغداد رسول من قبل بدر الدين لؤلو صاحب الموصل فى سنة ١٩٣٨ه / ، ٢٢٤ م شهد أن ابنه رمى المناوق ، وانتسب فى ذلك إلى الخليفة الناصر ، فقبل ذلك (نفس المصدر ، ص ١٤٣) ، ويبدو أن هذا الأمر أصبح عرفًا متبعًا ، شأنه شأن التشريفات الخليفية ، لجميع ملوك الأطراف الوافدين على دار الخلافة ، الأمر أصبح عرفًا متبعًا ، شأنه شأن التشريفات الخليفية ، بحميع ملوك الأطراف الوافدين على دار الخلافة ، المصدر ، ص ٢٢٣) ، وعما يؤكد أن هذا التنظيم كان يهدف إلى تأكيد الولاء للخليفة ، أن الناصر لدين المصدر ، ص ٢٢١) ، وعما يؤكد أن هذا التنظيم كان يهدف إلى تأكيد الولاء للخليفة ، أن الناصر لدين أمر ١١٠) ، وعما يؤكد أن هذا التنظيم كان يهدف إلى تأكيد الولاء للخليفة ، أن الناصر لدين ألله ، كان يلبسه هذه السراويل (نفس المصدر ، ص ٢٠٠١) ، بعنى أنه أصبح من خواص رجاله .

⁽⁴⁾ ابن الفوطى: الحوادث ، ص ٢٥٧ :

⁽٢) عِمْرُ الدَّسُوقي : الفترة عند العرب ، ص ٢٤٩ .

⁽٣) أنظن ابن الأثمير: الكنامل، ١٢: ٣٨٤ - ٤٤، ابن دحيه: النبراس، ص ١٦٤، الذهبي: المختصر بالمجتاج إليه من تاريخ بغداد لابن الديش، ص ١٧٩، المقريزي: السلوك، ١: ٢١٧ - ٢١٩.

ويقوى هذا الظن أن دعاة الفتوة ، كانوا قد نجحوا في اجتذاب أغلب نقابات الصناع والحرفين^(۱) ، التي ظلت طوال العصر الفاطمي ، وحتى أوائل العصر الأيوبي ، من المستجيبين لللجوة الفاطمية^(۲) ، وفي نفس الوقت نجحوا في جذب فتيان الصوفية ، الذين عرفوا بالملامتية ، وعرفت لهنم من أخلاق الفروسية والنخوة والشهامة منذ حوالي القرن الرابع الهجري ، ما يقنرب تنظيماتهم وأهدافهم مع طائفة الفتوة^(۳) والصلة بين التصوف والتشيع معروفة^(۱) .

والواقع أن نظام الفتوة ، كان أحد الوسائل التى حاول دعاة الفاطميين استغلالها لتكويت ما عاعات من الفتيان تدين بالولاء للخليفة الفاطمى في العراق وباقى ممتلكات الخلافة العباسية (٥) وتؤكد مشاهدات ابن جبير في بلاد الشام ، تحت الحكم الأيوبي ، تحول طوائف الفتوة بالشام إلى الدعوة السنية وتحمسهم لها ، وتبعهم للرافضة (الشيعة الفاطميين) بدمشق ، وقد تميزت هذه الطائفة السنية من الفتيان باسم «الطائفة النبوية » فيقول أنه وجد في الشام جاعة من السنين ، يعرفون بأهل الفتوة ، ويعرفون كذلك بطائفة النبوية ، وكانوا حربًا على الشيعة .. وهم يقتلون هؤلاء يعرفون بأهل الفتوة ، ويعرفون كذلك بطائفة النبوية ، وكانوا حربًا على الشيعة .. وهم يقتلون هؤلاء الروافض أينما وجدوهم ؛ ثم راح ابن جبير يتحدث على مذاهب الشيعة ، مشوهًا لها لكونه سنى المذهب ، ويتهمهم بالضلال ، إذ «قد أضلهم الله ، فاضل بهم كثيرًا من خلقه ، وسلط الله على هذه الرافضة ، طائفة أهل الفتوة ، الذين عرفوا بالنبوية »(٢) .

وبالإضافة إلى ما حققته « دعوة الفتوة الناصرية » ، من نفوذ للخليفة العباسى لدى ملوك وسلاطين المسلمين ، وما نجحت فيه من محاربة بقايا الشيعية الإسماعيلية وضم شيعتها إلى الدعوة السنية، احدثت مفاهيم وخلق المثل العليا للفتوة والفروسية الإسلامية ، ردود فعل في الغرب

⁽١) أنظر أحمد أمين : الصعلكة والفترة في الإسلام ، فؤاد حسنين على : مقدمة كتاب الفترة لابن المعمار .

 ⁽۲) أنظر عبد الحميد العبادى: كتب الحسبة وفائدتها، ، ص ٤٢٣.

⁽٣) أنظر أبو العلا عفيفي : الملامتية والصبوفية وأهل الفتوة ، د. ت . وأنظـر محمـد فهمـي عبـد اللطيـف : الفتـوة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

⁽٤) راجع ما تقدم .

⁽٥) راجع خبر طويل هام أورده ابن الجوزى يؤكد هذا فى المنتظم ، ج ١٨: ٣٢٧ – ٣٢٧) حَيْثُ يَقُولُ عُلَى جَاعَة فَتِانَ الفتوة الذين قبضت عليهم السلطات العباسية بالعراق سنة ٤٧٣هـ " إن هؤلاء الفتوة يَلاَعُون لَاعَالَ العباسية بالعراق سنة ٤٧٣هـ " إن هؤلاء الفتوة يَلاَعُون لَاعَالَ العباسية بالكلمة على هُذا الباطن " المنافق الفاطمى) ، ويجعلون ذكر الفتوة عنوالًا لجميع الكلمة على هُذا الباطن " المنافق (١) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٥٢ .

الأوربى، جسدتها فى خيال الأوروبيين ميرة البطل العربى الشهير أسامة بن منقذ (1) ، وسيرة البطل الكردى السلطان صلاح الدين ، الذى أصبح اسمه الأوربى Saladin رمزًّا للعظمة والمجد والوفاء ؛ ويؤكد البعض أن الفروسية جسمًّا وروحًّا قد نقلتها أوربا عن العرب، وتبددت فى نظام فرسان المعبد، كما اكتسبت ثروة نفسية وخلقية من الفروسية العربية (٢) ، وقد نقل الأيوبيون عن الخلافة العباسية نظام الفتوة ، وورثة عنهم الماليك ، بحيث صار السلطان الماليكى ، هو الرئيس الأعلى لطائفة الفتوة فى عصره (٦) .

ولا يغيب عن أذهانها ، أن الظروف السياسية والحربية ، التي عاشها العالم الإسلامي ، في القرنين السادس والسابع الهجرى ، ١٢ - ١٦م ، نتيجة للوجود الصليبي في بلاد الساحل الشامي ، قد حتم على الخلافة العباسية ، وملوك الأطراف المسلمين ، فضلاً عن تجمعهم حول هذا التنظيم السياسي والاجتماعي للفتوة ، بغرض جمع شمل الوحدة السياسية والعسكرية في ديار الإسلام ؛ حتم عليهم أيضًا إعداد شعوبهم وخاصة الشباب والفتيان والأحداث ، إعدادًا رياضيًا عسكريًا ، هو أقرب ما يكون إلى تنظيمات « المقاومة الشعبية » أوهيئات « الكشافة » ؛ ولا ريب ، أن إطلاق تسمية « الفتوة » على التدريبات العسكرية والرياضية التي يتلقاها طلبة المدارس والجامعات اليوم ، هي تسمية موفقة جدًا ، ولها دلالتها المستمدة من أحداث التاريخ الإسلامي .

⁽١) أنظر عمر الدسوقى : الفتوة عند العرب ، ص ٢٧٧ ، وأنظر أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار أو سيرة أسامة، وقد نشره Derenbourg بباريس ١٩٩٩م ، وإعادة نشره فليب حتى في برنستن سنة ١٩٣٠م .

⁽٢) أنظر عمر الدسوقي . المرجع السابق ، ٢٦٧ – ٢٧٦ .

⁽٣) أنظر نفس المرجع ، ص ٢٥٥ ، نقلاً عن السلوك للمقريزي ، ١: ٧٢٥ .

الفصل الخامس

حماية سلاطين بنى أيوب لطريق وفريضة الحج ؛ وللحرمين الشريفين ، والقِبلَتَين

عودة ظاهرة الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس بعد استرداد صلاح الدين للقدس سنة ٥٨٣هـ

وطبيعى وقد أضحت الخلافة العباسية ، تستند أولا وأخيرًا على سلطاتها الروحية ، التى باتت تحظى بالتبجيل والطاعة ، من ملوك وسلاطين الإسلام ، أن تعمد إلى بسط هيمنتها وإشرافها على فريضة الحج ، وهى إلى كونها ركن من الأركان الخمس التى بنى عليها الإسلام ، تعد ولا ريب مؤتمرًا اسلاميًا عالميًا ، يضم الأمة الإسلامية عن بكرة أبيها ، حين تهفوا أفندة المسلمين في موسم الحج لأداء مناسكه ، وزيارة قبر الرسول الكريم ، والإلتقاء ياخوانهم في الدين ـ وقد جاءوا زرافات ووجدانًا ، من كل فج عميق ـ في بقعة شريفة مباركة ، كانت المهد الأول لدعوة الإسلام ودولته .

ولاشك أن ارتباط الحروب الصليبية بفكرة انتزاع بيت المقدس من يد المسلمين ، بما فيه من مقدسات إسلامية ونصرانية ويهودية ، وكون أغلب المحاربين الصليبيين. إذا ما استثنينا الجند النظاميين لملوك اوربا ، واستثنينا المنظمات والمؤسسات الدينية الحربية مثل الداوية والاسبتارية وغيرها التابعة للبابوية ـ جاءوا حجاجًا لبيت المقدس^(۱) ، وإن كان الدافع المباشر لتحركهم من أوربا ، هو مساوىء النظام الإقطاعي بها ، الذي كان قد بلغ في هذا الوقت ذروة نضوجه واستفحلت مساوءه ، التي جعلت من الإقطاعي مائكًا للأرض ومن عليها^(۱) ، فلا غرو أن كان الجوع والرغبة في الخلاص والمهروب من نير الاسترقاق ، هو الدافع الحقيقي لجموع الدهماء ، الذين كانوا يمثلون الجمع الغفير من جحافل الحملات الصليبية الأولى^(۱) .

وغير خاف أن هذا الوضع الطارىء ، وما تمخيض عنه من نجاح المسلمين في استوداد بيت المقدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣ه / ١١٨٧م ، وذلك بعد استيلاء الفرنج عليه اثنتين وتسعين سنة (٩٢ سنة) ، لأنهم أخذوه سنة ٩١ هه / ٩٩ م ، بحيث دخيل السلطان الصخرة بعد تمام الفتح ، وغسلها بالماورد ، وقيل غسلها بلحيته وهو يبكى ، ومحى الصور فيها ، وكسر الصلبان ، وعمر المسجد الأقصى (٤) . ومنذ استرداد بيت المقدس نلحظ ظاهرة الحجج المزدوج عند المسلمين ،

 ⁽١) أنظر مؤلف عهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، دار الفكر العربي ،
 ١٩٥٨م .

⁽٢) أنظر بالتفصيل ج. و. كوبلاند: الإقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا ، نقله إلى العربية عمد مصطفى زيادة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٩٤٦م . --

⁽٣) أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلسو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣، ج ١ ، الفصل الخاص بدوافع الحروب كمان ضعيفًا جدًا ، وهنو يؤكد أن الدافع الديني لهذه الحروب كمان ضعيفًا جدًا ، وأن الدافع الاقتصادي لدى البرجوازية الجديدة في أوربا وخاصة في الجمهوريات الإيطالية كانت هي المحرك الحقيقي لهذه الحروب التي أرتدت مسوحًا دينيًا تسترت وراءه .

⁽٤) العماد : البرق الشامى ، ص ٤٨ – ٥١ ، ص ١٦٦ – ١٣٠ ، ص ١٣٧ – ١٤٧ ، سبط بن الجوزى : مرآة ، ٨: ٣٩٧ ؛ وأنظر السائح الهروى ت ٢١هـ : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانيت سورديل ، المعهد الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣م ص ٢٤ – ص ٢٨ .

أى إلى الأراضي الحجازية ، ثم إلى بيت المقدس(١) .

حماية دولة الخلافة الفاطمية لفريضة الحج ، بعد انتقالها إلى مصر ، والخطبة لها بالحرمين الشريفين ، وكسوتها للكعبة :

والواقع أن هاية سبيل الحجاج ، وتيسير أسباب الحج للمسلمين ، هو من أهم مهام أى خلافة إسلامية ، فنحن نعرف أن الخلافة الفاطمية ، كانت قد بررت فتحها لمصر سنة ٣٥٨هـ / ١٩٦٨م ، وحق الخليفة الفاطمى في السيطرة على العالم الإسلامي كله شرقًا وغربًا ، بعجز الخلافة العباسية عن مداومة جهاد البيزنطيين ، وانقطاع طريق الحج وتعطله ، وعدم استطاعة الحجاج أداء الفريضة (٢)

⁼ وقد زار الهروى المقدسات الإسلامية ببيت المقدس ، قبل أن يمحو صلاح الدين منها آثار الإثم الصليبى ، والصور والأيقونات الوثية ، ووصف حالة قبة الصخرة والمسجد الأقصى وصفًا يشعل صدور المسلمين غيرة على مقدساتهم التى ابتذلها الصليبيون ؛ ولقد ذكر الهروى أنه دخل بيت المقدس "زمان الفرنج سنة ٩ ٥ ٥ ٥ ، ، س ٨ ٥ - ٩ .

⁽۱) سبط: مرآة ، ۸: ۵۷۵ ، ابن الفوطى: الحوادث ص ١٣٤ ، ويقول سبط ابسن الجوزى في حوادث سنة ٣ ١٣هـ وحج بالناس من العراق ابن أبي فراس ، ومن الشام الفقيه علم اللاين الجعبرى ، وعدت من الحج على تبوك والعلا ، وجمعت بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين زيارة الخليل في المحرم ولله المئة وفي الحديث: (من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ، ضمنت له على الله الجنة) ، وإن لم يتفق على نقل هذا الحديث الثقات ، والأعمال بالنيات ، أنظر سبط: مرآة ، ٨: ٥٧٥ . وأنظر ابن شداد: النوادر ص ٣١ ص ١٥ – ١٧ ؛ والذي جمع بين حج الحجاز وبيت المقدس ، رجل متصوف ، من أهل إيران . كان أبوه صاحب توريز وقدم لشكر صلاح المدين ؛ ويقول ابن واصل في حوادث سنة ٢٢ه هـ: (وكتب والمدى وحد الله و لله المنة ، وهو مقيم بالقدس بالمدرسة الناصرية الصلاحية ، إلى السلطان الملك المعظم ، يستأذنه في الحج ، فأذن له في ذلك ، وأحرم عند الصخرة الشريفة ، وسافر إلى مكة عرما ، وحج وجاور ، يستأذنه في الحج سنة ٢٧٥ ، وعاد في سنة ٢٢٢ ، وأقمت مكانه بالمدرسة الذكورة ، (مفرج الكروب ج ٤ ، لم حج سنة ٥٢٢ ، وعاد في سنة ٢٢٢ ، وأقمت مكانه بالمدرسة الني أسترد فيها بيت المقدس : " ثم اتفق لي المود من الحج (بالحجاز) على الشام لقصد القدس وزيارته ، والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فوصلت إلى دمشق ، ثم خرجت إلى القدس ، أنظر وسلم وزيارة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فوصلت إلى دمشق ، ثم خرجت إلى القدس ، أنظر ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ٨٥ / س ١٠ – س ١١ .

⁽٢) أنظر ماجد : ظهور الخلافة ، ص ١٧٠ - ١٧٣ وأنظر مجير الدين الحنبلى ت ٩٦٨ هـ : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، نشر مكتبة المحتسب ، عَمَان - الأردن ، د. ت, (ج ١ - ٢) ، ١ : ٢٣١ (باب فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس) وفيه : عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أنها سسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أهَل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام ، غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة . وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وأحرم منه ابنه عبد الله رضى الله عنه أيضًا .

وهذا ما أكده جوهر الصقلى في أمانة لأهل مصر^(۱) ، ثم ردده الخطيب الفاطمى في أول خطبة جامعة دعا فيها للخليفة المعز لدين الله ، أول خلفاء الفواطم بعصر ، على منبر الجامع العتيق (عمرو بن العاص) بالفسطاط^(۲) .

وحين تم للخلافة الفاطمية السيطرة على الحرمين، أصبح إرسال الكسوة الفاطمية للكعبة من مصر (٢)، مع أمير الحج المصرى (٤). أهم ما يهتم به الخليفة الفاطمي، لأن في ذلك تأكيدًا لميراثه لتراث النبوة والخلافة، وحمايته لفريضة الحج، التي تجمع شمل المسلمين من كافة أرجاء العالم،

⁽۱) جاء في هذا الأمان الذي يعد أهم وثائق العصر الفاطمي كله ، لأنه يظهر هدف الفاطميين من نقل خلافتهم من المغرب إلى مصر ، وأخيرًا أهدافهم بالنسبة لتكوين خلافة إسلامية عامة : " أنه صلوات الله عليه (الخليفة المعز لدين الله الفاطمي) لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة ، إلا لما فيه إعزازكم و تمايتكم والجهاد عنكم .. وأثر إقامة الحج الذي تعطل ، وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم ، وإذ لا يأمنون على انفسهم ولا على أموالهم ، وإذا قد أوقع بهم مرة بعد أخرى فسفكت دماؤهم ، وابتزت أموالهم ، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح المطرقات ، وقطع عبث العابثين فيها ، ليتطرق الناس آمنين ، ويسيروا مطمئنين ، ويتحقوا بالأطعمة والأقوات ، إذا كان قد انتهى إليه - صلوات الله عليه - انقطاع طرقاتها ، لخوف مارتها ، إذ لا زاجر للمعتدين ، ولا دافع للظالمين " . أنظر المقريزي : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، دار الفكر العربي ،

⁽٢) أنظر نفس المصدر ص ١٦٣ ، س ١٠ – س ١٢ .

⁽٣) أنظر عن كسوة الكعبة المقريزى: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك نشر الشيال، القاهرة، ٥ ١٩٥٥ م، ص ٤٣ - ٤٤ حيث يذكر كسوتها العباسية السوداء على عهد المهدى العباسي، وص ٦٦ حيث يذكر كسوتها بالديباج الأبيض شعار الدولة الفاطمية على يد الدولة الرسولية باليمن. وأنظر عن صناعة الكسوة بمصر من قبل الخلافة العباسية ثم من قبل الخلافة الفاطمية، الشيال: مقدمة الذهب المسبوك للمقريزى ص ٢٠ - ٢١ وهامش "١" ص ٤٣ - ٤٤ على كتاب الذهب للمقريزى أيضًا، القريزى: الخيار مكة، الخطط، طبع مطبعة النيل بالقاهرة، ٤٣٢٤ه، ج ١ ص ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٦٥، ١٣٥، الأزرقى: أخبار مكة، المطبعة الماجدية بمكة ٢٩٥٠ هـ، ص ١٦٩، ١٧٧، وعن وصف الكسوة الفاطمية أنظر محمد عبد العزيز مرزوق: الزخرفة النسوجة في الأقمشة الفاطمية القاهرة ٢٩٤٢ ص ١٦، ٢٥ – ٥٣، ٦١، وعن رسوم خروج المحمل الفاطمي إلى الحجاز، أنظر Jomier: Le Mahmal وأحب أن أوجه شكرى الجزيل لهذا المستشرق الفرنسي الكبير والأب الدومينيكاني، على ما امتعني يه من حديث شيق عن المحمل المصرى، وما اتسع له صدره من مناقشة بيني وبينه يدير الأباء الدومينيكان بالعباسية.

⁽٤) كانت إمارة الحج في العصر الفاطمي من وظائف أرباب السيوف ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ج ١٠ ص ٣٠٨ ، وأنظر تقليد بإمارة الحج صادر عن الخليفة الفاطمي بحصر القلقشندى : صبح ، ج ٠٠ ص ٤٠٤ – ٤٠١ وأنظر كذلك نسخة توقيع من الخليفة الفاطمي لقاضي ركب الحج المصرى : القلقشندى : نفسه ، ج ١٠ ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

وكان تفرد الخليفة الفاطمي بهذا الأمر ، من أعظم مفاخر الخلافة الفاطمية (١) . وقد استجد في العصر الفاطمي عيد عرف بعيد الحجاج (٢) .

ولعل في سيطرة الخلافة الفاطمية على إرسال كسوة الكعبة ، وتولى أمير الحج المصرى لحماية الحجيج وطريق الحج ، وطاعة أمراء الحجاز للخليفة الفاطمي والخطبة للفاطميين بالحرمين (٢) ، هو ما يعلل وجود سنوات متلاحقة ، انقطعت فيها أخبار لواء الحج العراقي ، حتى في فترات ضعف الخلافة الفاطمية ، منذ مطلع القرن السادس الهجرى ، خاصة وأن أمراء الحجاز ، كانوا يتأرجحون في الولاء بين الخلافتين العراقية والمصرية (٤) . كما كان تعرض عرب بادية الشام والحجاز ، لنهب الحجاج إذا لم يدفعوا رسوم الغفارة ، سببًا آخر لتعطيل لواء الحج العراقي ، وعودته دون أداء المحجاج إذا لم يدفعوا رسوم الغفارة ، سببًا آخر لتعطيل لواء الحج العراقي ، لدى المؤرخين الفريضة في بعض السنين (٥) وهذا ما يستدل من تتبع أخبار لواء الحج العراقي ، لدى المؤرخين

⁽١) جاء في تقليد أمير الحاج المصرى ، عن لسان الحليفة الفاطمى : " الحمد لله الذى طهر ببته من الأرجاس ، وجعله مثابة للناس ، وآمن من حله ونزله ، وأوجب أجر من هاجر إليه ووصله بحمده أمير المزمنين أن خصه بحيازة البيت الأعظم ، والحجر المكرم والحكم وزمزم ، وأفضى إليه ميراث النبوة والإمامة ، وتراث الخلافة والزعامة ، وجعله لفرضه موفيًا ، ولحقوقه مؤديًا ، ولحدوده حافظًا ، ولشرائعه ملاحظًا ، ويسأله أن يصلى على من امره بالتأذين في الناس بالحج إلى بيته الحرام لشهادة منافعهم ، وتأدية مناسكهم .. وإن أولى ما صرف أمير المؤمنين إليه همته ، ووفر عليه رعايته ، مثابرًا عليه وناهضًا لحق الله تعالى فيه ، النظر في أمر رفق الحجيج الشاخصة إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام .. " ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ، ١ ، ص ٤٠٤ - ٢٠٤) .

 ⁽۲) أنظر ماجد: نظم الفاطمين ورسزمهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ١٣١ ، وأنظر أيضًا ماجد: ظهور الحلاقة ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

 ⁽٣) أنظر بالتفصيل: جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى في جزيرة العـرب، الطبعة الثالثة، القـاهرة ١٩٥٩،
 وأنظر قبله.

⁽٤) أنظر ماجد: ظهور الخلافة ، ص ٢٢٩ وأنظر قبله . ولعل هذا التأرجح من قبل أمراء الحجاز ، في النبعية للخلافتين العراقية والمصرية ، ما يقسر الخبر الذي أورده سبط ابن الجيوزي سنة ، ١٥هـ ، فيذكر أنه حج بالناس من العراق أمير الجيوش يمن بن عبد الله المستظهري ، ودخل مكة وعلى رأسه الأعلام ، وخلفه الكوسات والبوقات والسيوف في ركابه ، ويعلق سبط ابن الجوزي قائلاً : وإنما قصد إزلال أمير مكة ، أنظر مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٣ ، ص ٧٠ . شم يزيد الأمر وضوحًا بقوله : وهذا الجيش إنما دخلها معظمًا ، لأن أميرها والسودان كانوا عصاة على بنبي العباس ، لا يرون أمامتهم ، ويخطبون لغيرهم . فقصد بذلك الطاعة والإذعان ، لا الهوان والعصيان ، سبط : نفسه ج ٨ ص ٢٤ .

⁽٥) أنظر سبط ابن الجوزى: مسرآة ، ج ٨ : ٢٠٥ حوادث سنة ٥٤٥هـ، ج ٨ ص ٥٦٨ – ٥٦٩ حوادث سنة ١٦٠هـ، ص ٥٦٠ – ٦٦، حوادث سنة ١٦٠هـ، ص ٦٠ – ٦١، حوادث سنة ١٦٣هـ، ص ٩٠ – ٦١، حوادث سنة ١٣٦٩هـ، ص ٩٠ حوادث ٢٣٣هـ.

العراقيين ، الذين حرصوا على ذكر أخباره في كل سنة(١) .

عودة الخطبة للخلافة المباسية ببلاد الحجاز والحرمين الشريفين على يد سلاطين بنى زنكى وبنى أيوب ، والكسوة العباسية للكعبة :

ويبدو أن عودة السيادة العباسية على الحجاز ، وعودة زعامة الوية الدول الإسلامية في موسم الحج إلى لواء الحج العراقي ، يرجع إلى مساعى السلاجقة في الاستيلاء على ممتلكات الفاطميين الدعاء على منابرها للخلافة العباسية (٢) . وقد تم هذا على يد تلميذ السلاجقة النجيب نور الدين زنكى ، الذي بالغ في الإحسان لأهل مكة والمدينة ، وبعث العساكر لحفظ المدينة النبوية ، وأقطع أمير مكة إقطاعًا ، وأقع أمراء العربان إقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز ، وأكمل سور المدينة النبوية ، واستخرج لها العين ، فدعى له بالحرمين على منبريهما (٣) . بعد اسم الخليفة العباسي .

وثمة معلومة على جانب كبير من الأهمية ، لدارس تاريخ الأسرة الأيوبية ونشأتها ، تشير إلى أن تولى مؤسسى هذه الأسرة ، لإمارة لواء الحج الشامى ، إبان خدمتهما لنور الدين زنكى ، كان من أهم عوامل استقواء نفوذ هذه الأسرة الطموحة . فنعرف أن نجم الدين أيوب ، كبير البيت

⁽۱) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة ، ج ٨ ص ٦٣ حوادث سنة ٥١٥هـ ، ص ٩٨ حوادث ١٥٥هـ ، ص ١٥٨ حوادث سنة ٣٠٠هـ ، ص ١٧٤ حوادث سنة ٣٤٥ هـ ، ص ١٧٧ حوادث سنة ٥٣٥هـ ، ص ١٨٠ سـنة ٥٣٦ ، ص ١٨٢ ، ص ١٨٤ سنة ٥٣٩ ، ص ١٨٥ سنة ٥٤٠ ، ص ١٨٨ سنة ١٤٥ هـ. ، ص ١٩٦ سنة ٥٤٢ ، ص ٥٠٠ سنة ٤٤٣ ، ص ٢٠١ سنة ٤٤٤ ، ص ٢١٣ سنة ٧٤٥ ، ص ٢١٥ سنة ٨٤٥هـ، ص ۲۲۶ سنة ، ٥٥ ، ص ۲۲۷ سنة ٥٥١ ص ٢٣٢ سنة ٥٥٤ ، ص ٢٣٤ سنة ٥٥٥ ، ثم تنقطع أخبار الحج العراقسي تمامًا حوالي سبعة عشر عامًا ثم تعود سنة ٥٧٢ هـ ، وهي السنة التي ذكر فيها ابن الجوزى إبطال صلاح الدين الغفارة عن الحجاج ، أنظر مسرآة الزمان ، ٨: ٣٣٨ - ٣٣٩ ، وبعد ذلك تنطرد أخبار لواء الحج العراقي ولا تنقطع إلا نــادرًا ، أنظـر مـرآة ج ٨ ص ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٨٣ ، AAT , PAT , 0 · 2 . TY2 - TY2 , A22 , P22 , F02, • F0 , PF0, 2Y0, FY0, AY0 , ۸۲۵ - ۶۲۵ ، ۳۵ ، ۵۳۵ ، ۶۳۵ ، ۲30 ، ۲30 ، ۲30 - ۷00 ، ۸۲0 - ۶۲۵ ، ٥٧٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ . والملاحظ أن إنقطاع لواء الحج العراقي منذ مطلع القرن السابع الهجري وإلى سقوط بغداد ٩٥٦هـ ، مرده التحرك المغولي ، أنظر أخبار لواء الحمج العراقي في هذا القرن عند ابن الفوطي: الحوادث ص ١٦ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ١٨٧ – ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢٢٧، ٣١١ - ٣١٢ . وحدثنا الماوردي عن المهام الدينية والسياسية لأمير الحج العراقي ، الأحكام السلطانية ص ١٠٣ – ١٠٥ . عن الولاية على الحج وبيان إقسامها . وعن وظيفة إمارة الحج في العصور المتأخرة أنظـــر كتاب : حسن الصفا والابتهاج ، بذكر من ولى إمارة الحج ، للشيخ احمد الرشيدي . (برولكمن ملحق ٢/ ٥١٦) . أوله : حمدًا لك يا من رفع معالم البيت الشريف على أثبت بنيان ، منه نسخة خطية بمكتبة سوهاج : برقم ٨٢ تاريخ ، ٨٨ ق ، ١٣ × ٢١ سم . وهي مصورة بمعهد المخطوطات برقم ٢١٥ تاريخ . (2) أنظر قبله .

⁽٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٦٩ .

الأيوبى ، كان قد تولى إمارة الحج الشامى لنور الدين زنكى منذ سنة ٥٥١ه / ١٥٦ (١) ، والجدير بالملاحظة أنه قد ورثه فى هذا المنصب اخوه أسد الدين شيركوه ، الذى وصف أنه قد تقدم عند نور الدين زنكى ، وبعثه أمير الحاج من دمشق (١) . وكان شيركوه فى حياته قد أنفق من أمواله المبالغ الضخمة ، فى سبيل إقامة العمائر الدينية والخيرية بالحرمين هو وصديقه الوزير جمال الدين وزير صاحب الموصل ، وأوصى صديقه بأن يدفن فى تربة بجوار المسجد النبوى بالمدينة المنورة (١) . وقد حرص ملوك بنى أيوب على تحقيق هذه الأمنية والوصية ، فقاموا بنقل رفاة نجم الدين أيوب واخيه شيركوه بعد دفنهما بحصر ، وأعادوا دفنهما بالمدينة المنورة ، طبقًا لوصيتهما (١) .

واستمرت السيادة العباسية على الحجاز ، على يد سلاطين وملوك الدولة الأيوبية ، وتبدت مظاهر عودة هذه السيادة في الخطبة للخليفة العباسي بالحرم المكى ، قبل أمير مكة ، وقبل السلطان الأيوبي صاحب مصر ، وملك اليمن من بني أيوب(٥) . وفي إرسال التقاليد الخليفتية بالإمارة لكل من أمير مكة والمدينة ، صُحبة أمير الحاج العراقي ـ وكان تقليد أو عزل أمير المدينة ومكة أو أولياء

⁽١) سبط: مرآة ، ٨: ٢٢٧ .

⁽٢) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٤٠ س ٧ .

⁽٣) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ، ٨ : ٢٥٠ . ولقد بقيت عمائر الوزير جمال الدين الموصلي عامرة ووصفها ابن جبير في رحلته ، أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٠٤ ، وأنظر ترجمته هذا الوزير عند ابن الأثمر : الباهر ، ص ١٢٧ - ١٣٠ .

⁽٤) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان، ٨: ٢٧٨. يقول ابن واصل بعد ذكر وفاة نجم الدين أيوب سنة ٢٥٥ه. ولما توفى دفن إلى جانب أخيه أسد الدين شيركوه فى بيت بالدار السلطانية ، ثم نقلا بعد سنتين إلى مدرسة بنيت لهما بالمدينة ، يازاء حجرة النبى – صلى الله عليه وسلم – وسعدا بجوار النبى – عليه السلام – فتم لهما بذلك سعادة الآخرة ، مضافة إلى ما تلاه من سعادة الدنيا ، ولما حججت سنة ٤٩ ٢ وقدمت المدينة بعلى ساكنها أفضلا الصلاة والسلام رأيت قبريهما بهذه المدرسة . ابن واصل : مفرج ج ١ ص ٢٣٠ – ٢٣٠

⁽٥) ابن جبير: الرحلة ص ٧٣ حيث يقول: ثم قام الخطيب للخطبة الثانية، فأكثر بالصلاة على محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله ورضى عن أصحابه، واختص الأربعة الخلفاء بالتسمية، رضى الله عن جميعهم، ودعا لعمى النبي حزة والعباس، وللحسن والحسين، ووائى الترضى عن جميعهم، ثم دعا لأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ورضى عن فاطمة الزهراء وعن خديجة الكبرى بهلذا اللفظ. ثم دعا للخليفة العباسى، أبى العباس أحمد الناصر، ثم لأمير مكة مكثر بن عيسى بن فليتة.. بن هاشم الحسنى. ثم لصلاح الدين .. ولولى عهده أحيه أبى بكر بن ايوب .. وأنظر أيضًا ابن جبير: الرحلة ص ٨٠، يقول وفي أثر كل صلاة مغرب، يقف المؤذن الزمزمي في سطح قبة زمزم وافعًا صوته بالدعاء للإمام العباسي أحمد الناصر لدين الله ثم للأمير مُكثر، ثم لصلاح الدين أمير الشام وجهات مصر كلها واليمن .. ثم يصل ذلك بدعاء لأمراء اليمن من جهة صلاح الدين ثم لسائر المسلمين والحجاج والمسافرين وينزل. هكذا دابة دائمًا.

عهدهما يقرأ بجوار المسجد النبوى (١)، وإرسال كسوة الكعبة كل سنة بشعار بنى العباس وهو السواد، وبطر زحراء تحمل اسم الخليفة العباسى وعبارات دعائية له (٢). كما تولى خلفاء بنى العباس، عمارة الحرم المكى (٣)، والمسجد النبوى (٤). كذلك كان الخليفة العباسى وحده، هو صاحب الحق فى رفع لواءه يوم الوقوف بعرفات (٥).

- (٣) يقول ابن جبير: يصف الكسوة العباسية للكعبة، "وسقف البيت، مجلل بكساء من الحريسر الملون، وظاهر الكعبة كلها من الأربعة الجوانب، مكسو بستور من الحريسر الأخضر، وسداها قطن، وفي أعلاها رسم بالحرير الأحرر، فيه مكتوب أن أول ببت وضع للناس للذي ببكة، الآية، واسم الإمام الناصو لدين الله، في سعته قدر ثلاث أذرع، يطيف بها كلها. قد شكل في هذه الستور، من الصنعة الغربية التي تبصرها، أشكال عاريب رائعة، ورسوم مقرؤة مرسومة بذكر الله تعالى، وبالدعاء للناصر العباسي المذكور، الآمر ياقامتها، وكل ذلك لا يخالف لونها. وعدد الستور من الجوانب الأربعة أربعة وثلاثون سترًا، وفي الصفحتين الكبيرين فيها ثمانية عشر، وفي الصفحين الصغيرين منة عشر، وله خسة مضاوى، وعليها زجاج عراقي بديع النقش.. وبين الأعمدة أكواس من الفضة، عددها ثلاث عشرة، وأحدها من ذهب. ابن جبير: الرحلة ص ٢٠ ٢١، انظر أيضًا ص ٩٦ ٧٠، وأنظر بعده.
- (٣) اورد ابن جبير النصوص التاسيسية الخاصة بعمارة بنى العباس للحرم المكى وتوسيعه فيقول " توجد " رخامتان متصلتان بجوار الحجر المقابل للميزاب.. أمر بصنعتهما إمام المشرق أبو العباس أحمد الناصر بن المستطىء بالله. العباسى . ويقابل الميزاب .. رخامة نقشت .. نقشًا عجبيًا ، فيه مكتوب : 18 أمر بعمله عبد الله وخليفته ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، أمير المؤمنين ، وذلك سنة ست وسبعين وخمسمائة (٧٧٦ هـ) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٢٤ ٦٥ . ولقد أورد ابن جبير نصوص نقوش خاصة بعمارة الكعبة رآها ، ترجع إلى عهد الخلفاء العباسيين الأول ، فأورد نقشين من عهد الخليفة المهدى لدين الله ، مؤرخين سنة ١٦٧هـ ونقش من عهد الخليفة المهدى لدين الله ، مؤرخين سنة ١٦٧هـ الخليفة المهدى لدين الله ، مؤرخين سنة ١٦٧هـ الخليفة المستضىء بأمر الله مؤرخ سنة ٧٥هـ وأنظر الرحلة ص ٨٤ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٧هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٤ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٧هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ١٢ ١٦ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ١٢ ١٠ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ٨٥ س ٢٠ ١٠ ، وآخر من عهد الخليفة المهدى لدين الله مؤرخ سنة ١٦٥هـ أيضًا وأنظر الرحلة ص ١٩٥ س ١٩٠ ١٩٠ .
- (٤) حدث هذا سنة ٢٥٤ حين أحترق المسجد النبوى ، بسبب حريق عارض ، فأحترقت الحجرة النبوية ، والمنبر الذى من عهد النبى ، فلما بلغ الخليفة المستعصم لذلك أرسل قاضى القضاه ، وعدة من العدول ، وأصحبهم مالاً لعمارة ما احترق ، فعمروا ما خرب وأعادوه أحسن ما كان ، أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٣١٦.
 - (٥) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٦٣ ١٦٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٦: ١٠٥ .

⁽۱) أنظر سبط: مرآة ، ۸: ۲۱۹ ، ولقد أورد القلقشندى أكثر من نسخة تقليد لأمير مكة الحسنى صادرة عن ديوان الإنشاء المماليكي بعد انتقال الخلافة العباسية للقاهرة ، وهو يوصى أمير مكة بتأمين الحجاج وحسن وفادتهم وحماية أموالهم وأرواحهم ، أنظر صبح ج ۱۲ ص ۲۳۳ - ۲٤ ، وأورد القلقشندى أكثر من نسخة تقليد لأمير المدينة من العصر المماليكي لأنه كان بالمدينة المنورة الكثيرون من أنصار الشيعة الإسماعيلية ، وأمير مكة الحسيني مكلف بمراقبتهم ، صبح : ج ۱۲ : ۲۲۲ - ۲۵۸ ، وأنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ۲۷۶ ص ۲۷۶ ، س ۲۰ ۲ .

وتاكيدًا لإشراف الخلافة العباسية على الحرم المكى ، كان أمير الحج العراقى يقوم بنفسه بكسوة الكعبة مع خواصه (1) ، كما كانت الخلع الخليفية شعار السواد العباسى ، ترسل من بفداد إلى خطيب الحرم المكى ، شأنه شأن خطباء البلاد التابعة للخلافة العباسية على حد قول ابن جبير ، وذلك كى يلبسها عند صعوده للخطبة الجامعة ، كما كان لمقرىء الحرم أيضًا خلعة عباسية بشعار السواد ، وفي أثناء الخطبة تركز رايتان سوداوان في أول درجة من المنبر (٢) .

كذلك لاحظ ابن جبير أنه كان للحرم المكى أربعة أئمة سنية ، وإمام زيدى شيعى ، وكان الإمام الشافعى المذهب ، يعد المقدم على بقية الائمة ، الحنفى والمالكى والحنبلى والزيدى ، لأنه المقدم من الإمام العباسى ، وكان أول من يصلى (٢٠) ؛ وأخيرًا فقد كان الخليفة العباسى هو الذى يقربنى شيبة وهي الأسرة التى توارثت سدانة الكعبة وحجابتها وهل مفاتيحها منذ الجاهلية وبعد الإسلام (٤٠) ، على وظيفة سدانة الكعبة ويجدد تقليدهم كل عام (٥٠) .

أَصَبِحَ السلطان الأيوبي منذ عهد صلاح الدين هو خادم الحرمين الشريفين :

وكما ورث صلاح الدين عن استاذه نور الدين زنكى ، السلطنة العامة ، ورسالته فى توحيد الجبهة الإسلامية لجهاد الصليبيين ، عن طريق إحياء الخلافة العباسية ، ونصرة الدعوة السنية (٢٠) ، ورَتْ عن أستاذه أيضًا مهمة الحجاج وتأمين طريق الحج .

⁽١) يقول ابن جبير يصف رسوم وصول الكسوة العباسية الجديدة للكعبة: وفي يوم السبت يوم النحر المذكور ، سبقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقي إلى مكة على أربعة جمال ، تقدمها القاضى الجديد بكسوة الخليفة السوادية والرايات على رأسة والطبول تهر وراءه وابن عم الشيبي .. معهما ، فوضعت الكسوة على السلطح المكرم أعلى الكعبة . فلما كان الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المبارك المذكور ، اشتغل الشيبيون تأسيالها خضراء يانعة .. في أعلاها رسم أحمر ، مكتوب في الصفح الموجه إلى المقام الكريم ، حيث الباب المكرم ، وهو وجهها المبارك ، بعد البسملة : إن أول بيت وضع للناس ، الآية ، وفي سائر الصفحات اسم المكرم والدعاء له ، وتحف بالرسم المذكور طرتان حراوان ، بدوائر صفار وبيض ، فيها رسم بخط رقيق ،

⁽٢) أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٧٧ - ٧٤؛ وكانت هذه الرسوم العباسية الخاصة بالدعاء لبنى العباس على - المناير متبعة أيضًا في مصر زمن صلاح الدين، أنظر ابس جبير الرحلة ص ١٧، ٢٧ - ٢٧، ٢١، وأنظر خبيمة للدين على المنابعة أيضًا في مصر زمن صلاح الدين، أنظر ابس جبير الرحلة ص ١٧، ٢٩، ٢٧ - ٢٩، وأنظر

⁽٣) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٧٨ – ٨٠ .

⁽٥) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٥٧ – ١٥٨ .

⁽٦) أنظر قبله وبعده .

فامر فى سنة ٧٧ه - / ١٧٧٦م، بأبطال الغفارة ، التى كانت تؤخذ من الحاج بجدة ، السافرين عن طريق البحر الأحمر ، وعوض صاحب مكة فى كل سنة ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه فى البحر ، ويحمل مثلها فتفرق فى أهل المارستان بمكة ؛ كما أوقف على الحجاج وعلى الحرمين الأوقاف (١) ، وذلك للصرف على مؤنتهم إبان أداء الفريضة (٣) ؛ كما أقطع أمير مكة الإقطاعات بصعيد مصر وباليمن (٣) .

وايضًا أوقف على أمير المدينة الأمير جساز وأولاده أوقافًا بصعيد مصر، لم تذكرها المصادر الأيوبية، وإن أكدتها وثائق المحكمة الشرعية، المحفوظة اليوم بسجلات مصلحة الشنهر

⁽١) أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان : ٨: ٣٣٨ .

⁽٢) أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٣٠ - ٣١ و ص ٥٥ - ٥٥ حيث يقول موضحًا عسف أصراء مكبة بالحباج عند تأخر وصول رواتب صلاح الدين إليهم، مما جعل فقهاء الأندلس يفنون أهل الأندلس والمغرب بسقوط أداء الفريضة عنهم: " وأكثر هذا الجهات الحجازية وسواها، فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى. وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها: ينتهبونهم انتهابًا .. فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤدنه إلى أن يبسر الله رجوعه إلى وطنه، ولولا ما تلافي الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين، لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده ولا يلين شديده. فإنه رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عوض ذلك مالاً وطعامًا يأمر بتوصيلهما إلى مكثر أمير مكة، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم، عاد هذا الأمير إلى ترويع الحاج، وإظهار تنقيفهم بسبب المكوس. واتفق لنا من ذلك أن وصلنا جدة، فأمسكنا بها خلال ما خوطب مكثر الأمير المذكور. فورد أمرة أن يضمن الحاج بعضهم بعضًا ويدخلوا إلى حرم الله، فإن ورد المال والطعام اللذان برسمه من قبل صيلاح الدين وإلا فهو لا يترك ماله قبل الحاج ، هذا لفظه كأن حرم الله ميراث بيده محلل له إكتراؤه من الحاج فسبحان مغير السنن ومبدلها .. فمن يعتقد من فقهاء أهمل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب . فراكب هذا السبيل راكب خطر .. والله قد أوجد الرخصة فيه على غير همذا الحال .

 ⁽٣) يقول ابن جبير: "والذي جعل لـه صلاح الدين بدلاً من مكس الحاج، ألفا دينار السان، وألفا أردب من القمح، وهو نحو الثمانمائة مغيز بالكيل إلا شبيلي عندتا، حاشا إقطاعات أقطعها بصعيد مصر وبجهة اليمن لهم بهذا الرسم المذكور. ولولا مغيب هذا السلطان العادل صلاح الدين بجهة الشام في حَروب له هناك مع الإفرنج، لما صدر عن هذا الأمير المذكور ما صدر في جهة الحاج "، الرحلة ص ٥٥، س ١ -

العقارى (١)؛ وقد شفع صلاح الدين ذلك برفع جميع المكوس - وهى ضرائب غير شرعية كانت تجبى من التجار (٢) - عن الحجاج ، فسهل سبيل الحج ، بعد أن كاد ينقطع ، ولم يعد فى استطاعة الحجاج أداء فريضة الحج (٢) .

(١) أنظر سجل محكمة الباب العالى ، وكان مقرها بالقرب من منطقة بيت القاضي بشارع بين القصرين ، ورقم السجل بمصلحة الشهر العقاري ٢٧٤ ، الوثيقة رقم ٦٦٨ ، صفحة ٣٧٣ وما بعدها بالسجل ، والسجل يتضمن أحكام قاضي القضاة محمد أفندي ونائبه في الحكم ، إسماعيل أفندي الناظر في الأحكام الشرعية بمصر المحمية ، في شهر ذي الحجة سنة ١٩٨٣هـ. ومجمل القضية أن بعض أهل ناحية قفا ، و " الديسية " أو لعلهـ ا " الديسية " و " الطوابية " بالوجه القبلي ، وكانوا من أسرة شخص يدعى مجرم البططي ، قد أدعوا أن عميــد عـائلتهم البططي هذا شريفًا من ذرية الشريف جماز ، أمير المدينة المنورة ، واستندت عائلة البططي في إدعائها على حجمة نسب أي شجرة عائلة رق غزال أوصال (بمعنى قطع موصله بعض) مخيطة ، مسطرة من محكمة مكة المشرفة بالأقطار الحجازية مؤرخة بـ ؛ سفر سنة ٤٧٤هـ . وعلى هذا الأساس طالبوا باستحقاقهم حصة قدرهـ قيراطـان إثــان مـن الرزقة (الرزقة : هي الأرض السواد الخصبة التي تأتي أكلها وتكون وقفًا) الطين السواد المعروفة بجماز ، التي عبرتها ٨٧٥٠ فدانًا ، الكائنة بأرض ناحية قفا والديسية والطوابية ، بالوجه القبلي ، وأن المدعى عليهم واضعون أيديهم على هذه الأرض، ولا يدفعون لهم كمستحقين عنها خراجًا . فلما سنل المدعى عليهم أجاب كل منهم : " بأن كامل الرزقة المذكورة موقوفة من قبل مولانا السلطان الملك المؤيد (كذا) المنصور (كذا) أبو الفتح (كذا)، صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، أمير المؤمنين (كذا) ؛ كان تغمده الله بالرحمـة والرضـوان أوقفـه على السادة الأشراف الحسينية وعلى السادة الشراف الحسنية بمكة والمدينة ، وأنهم ومن يشركهم ، من الأشراف الحسينية والأشراف الحسنية، واضعون أيديهم على ذلك نسلاً بعد نسل من حين صدور الوقف في ذلك ، من قبل مولانا السلطان المشار إليه أعلاه ، والولاية في مدة تزيد على خسمائة سنة ، سابقة على تاريخه . فحكم القياضي ببطلان الدعوة ، وبقاء الأرض الموقوفة في يد أصحابها الواضعين أيديهم عليها لكونهم من ذرية الشويف جماز أمير المدينة . ومنطوق الحكم مؤرخ بـ ٤ جمادي الأولى سنة ١٨٤ هـ . وأحب هنا أن أشكر الأستاذ أحمد الحين ، خبير حجج الوقف وسجلات الشهر العقارى ، لأنه هو الذي دلني على وجود هذه القضية ، كما أشكر الزميل الأخ عراقي يوسف مدرس التاريخ الحديث بأداب عين شمس ، الذي عرفني على الأستاذ أحمد الحين .

(٢) أنظر يعده .

(٣) يقول ابن جبير : ومن مفاخر هذا السلطان (صلاح الدين) المزلقة من الله تعالى وأثاره التى أبقاها ذكرًا جيلاً للدين والدنيا : إزالة رسم المكس المضروب ، وظيفة على الحجاج ، مدة دولة العبيديين (الفاطميين) . فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيدائها ، عنتًا مجحفًا ، ويسامون فيها خطة خسف باهظة ؛ وربما ورد منهم من الافضل لديه على نفقته ، أولا نفقة عنده ، فيلزم أداء الضرية المعلومة ، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التى هى خمسة عشر دينارًا مؤمنية على كل رأس ، ويعجز عن ذلك فيتناول بأليم العذاب .. هذا السلطان هذا الرسم اللعين ، وسهل السبيل للحجاج وكانت في حير الانقطاع وعدم الاستطلاع ، أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٣٠ – ٣١ . ولقد أورد العماد الأصفهاني فصلاً كاملاً في كتابة البرق الشامي ج ٣ لوحة ٣٧ أ عنونه به ذكر ما استقطه السلطان من مكوس مكة شرفها الله تعالى عن الحجيج وتعويضه أميرها عنها بجلاب غلا تحمل إليه في كل سنة ، وتعيين ضياع موقوفه عليها بالديار المصرية . وأنظر لوحة ٤٧ب وصف طريق الحجاج غلا تحمل اليه في كل سنة ، وتعيين ضياع موقوفه عليها بالديار المصرية . وأنظر لوحة ٤٧ب وصف طريق الحجاج من مصر إلى جدة عبر البحر الأحمر وركوب الحجاج ؛ ثم يوضح العماد ورود أخبار عن اضطراب الأمور ببلاد الحجاز وأنه على صلاح الدين الاهتمام بالحجاز خاصة بعد استيلاء الصليبين على بيت المقدس . وعن تفاصيل خاصة برفع المكوس عن الحجاج والإقطاعات والرواتب الحاصة التي رتبها صلاح الدين لأمراء الحجاز ، أنظر المقريزى السلوك ، ج ١ ص ٤٦ حوادث سنة ٧٥ هـ . وسنة ٧١هـه ، كتب إلى قـوص يابطال المكوس التي تستادى من الحجاج وتجار اليمن ، أنظر المقريزى : السلوك ج ١ ص ٤٢ .

وكل هذه الأيادى البيضاء التى أسداها صلاح الدين ، لحجاج بيت الله الحرام ، جعلت من السلطان المصرى الأيوبى ، حامى حمى الحرمين الشريفين ، وهو مظهر من مظاهر الزعامة السياسية فى العالم الإسلامى كله ، نلمس خطورته فى تمنى الرحالة الأندلسى ابسن جبير ـ وكان أغلب الظن أحد دعاة الدعوة الموحدية (١) التى تفرعت عن الدعوة الأشعرية (١) ـ ، بأن يكون هذا الشرف ، من نصيب سلطانه (٣) ، الخليفة عبد المؤمن الموحدي (٤) ؛ هذا رغم إعجابه المتناهى بصلاح الدين وإغرابه فى الدعاء له ، والإشارة بعد له لتأمينه طريق الحج ، كلما ورد ذكر اسمه عرضاً عند تدوينه لأخبار رحلته (٥) ؛ وهو يقرر ـ رغم إدعائه أنه قد وجد أنصارًا للدعوة الموحدية المؤمنية فى مصر

⁽١) عن الدعوة الموحدية ، أنظر كتاب الفيلسوف المغربي المعاصر مالك بن نبى : وجهة العالم الإسلامي ؛ وهو يوضح كيف أن الدعوة الموحدية بالجزيرة العربية التى أعلنها المصلح الديني الإمام محمد بن عبد الوهاب ، ونشرتها الدولة السعودية الأولى في مطلع القرن التاسع عشسر ، وأطلق عليها الاستعمار الإنجليزي اسم الدعوة الوهابية ؛ وأنظر بعده .

⁽²⁾ أنظر قبله وبعده .

⁽٣) عن كون " الخليفة " ابن عبد المؤمن الموحدي سلطانًا في حقيقة الأمر ، أنظر قبله وبعده .

⁽٤) حاول ابن جبير إظهار الفساد الما هي الأهل الحجاز ، وتفرقهم فرق وشيع ، وارتكابهم المعاصى باذلالهم حجاج البيت الحرام ؛ ثم أردف هذا بالتأكيد أن صلاح بلاد الحجاز ، مهد الإسلام ، لن يتم إلا بسيطرة الدعوة الموحدية ، وخلفاء بنى عبد المؤمن ، على هذه البلاد ؛ فيقول : فأحق يلاد الله بأن يطهرها السيف ، ويغسل أرجاسها وأدناسها بالدماء المسفوكة في سبيل الله ، هذه البلاد الحجازية .. تلافاها الله عن قريب بتطهير يرقع هذه البدع المجحفة عن المسلمين ، بسيوف الموحدية أنصار الدين ، وحزب الله أولى الحق والصدق والدفاع عما حرم الله عز وجل ، والغائرين على محاديث أعلاء كلمته وإظهار دعوته ونصر ملته ، إنه على كل شيء قدير .. وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على جادة واضحة ؛ ومن سوى وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب ، لأنهم على جادة واضحة ؛ ومن سوى ذلك عمن بهذه الجهات المشرقية ، فأهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، إلا من عصم الله عز وجل من أهلها ؛ كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهة ، إلا عند الموحدين ، أعزهم الله ، فهم آخر ائمة العدل في الزمان (انظر ابن جبير : الرحلة ص ٥٥ – ٥١) .

⁽٥) يقول أبن جبير بعد حديثه عن رفع صلاح الدين للمكوس عن الحجاج: وكفى الله المؤمنين على يدى هذا السلطان العادل ، حادثًا عظيمًا ، وخطبًا أليمًا ، فترتب الشكر له على كل من يعتقد من الناس ، أن حج البيت الحرام ، إحدى القواعد الخمس من الإسلام ، حتى يعم جميع الأفاق ، ويوجب الدعاء له فى كل صقيع من الأصقاع وبقعة من البقاع ، والله من وراء مجازاة المحسنين ، وهو جلت قدرته ، لا يضيع أجر من أحسن عملاً . . (إذ) أزال هذا السلطان هذه البدع للعينة كلها ، وبسط العدل ، ونشر الأمن ، ابن جبير : الرحلة ص ٣١ س ١١ - ١٧ . حين تحدث ابن جبير عن إجحاف جباة الضرائب المصويين التابعين لصلاح الدين بالحجاج ، لأخذهم الزكاة عن أموال الحجاج التي لم يحل عليها الحول ، فلا تجب عليها الزكاة ، وذلك فى محطات الحجاج بعصر بالإسكندرية (أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٣ - ١٤ ، ص ١٦) ، وبلاد الصعيد كأخيم وقوص ومنية ابن الخصيب (أنظر ، نفسه ص ٣٨) وأكد ابن جبير أن صلاح الدين لا علم له بذلك ، وأنه لو علم به لعاقب مرتكبيه فيقول : وهذا أمر يقع القطع على أن صلاح الدين لا يعرفه . ولو عرفه لأمر بقطعه ، كما أمر بقطع ما هو أعظم منه ، ولجاهد المتناول له ، فإن جهادهم من الواجبات ، لما يصدر عنهم من التعسف ، وعسير الإرهاق وسوء المعاملة ، مع غرباء انقطعوا إلى الله عز وجل ، وخرجوا مهاجرين إلى حرمه الأمين .. هذا السلطان العادل ، وسوء المعاملة ، مع غرباء انقطعوا إلى الله عز وجل ، وخرجوا مهاجرين إلى حرمه الأمين .. هذا السلطان العادل ، وتوفيقه إن شاء الله ، (أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٣٨ – ٣٩) .

والإسكندرية في عصر صلاح الدين -(1) ، بأن الدعاء لصلاح الدين على منابر الحرمين بعد الخليفة العباسى وأمير مكة ، وتأمين جميع الحجيج على هذا الدعاء ، أقل واجب على المسلمين ، في جميع الآفاق ، تجاه هذا السلطان العادل ، ألذى أمن فريضة الحج(1) .

والواقع أن صلاح الدين لم يدخر وسعًا لاستمرار تأمين طريق الحج ، بحيث جعل هذا الأمر هجيراه ، بحيث دام على مكاتبة أمير مكة يوصيه برعاية الحجاج عند وصولهم إلى الحرم المكى (٢٠) كما كاتب أمير برقة من قبله ، يوصيه بحماية الحجاج المغاربة والأندلسيين المارين بولايته (١٠) ، كذلك حرص على تبادل السفارات الودية مع أمير المدينة المنورة وتعظيم رسوله والاعتزاز بهداياه ، لكونها من قبل أمير المدينة النبوية الشريفة (٥) .

وليس أدل على الأهمية العظمى لموسم الحج ، والهيمنة الروحية عليه بالنسبة للخلافة ، * الخبرنا به مؤرخو صلاح الدين ، وكانوا من خواص رجاله ؛ أنه حين عزم للحج سنة ٩١ ٥ هـ /

⁽١) أنظر ابن جبير : الرحلة ، ص ٥٦ - ٥٧ وأنظر بعده .

⁽Y) يقول ابن جبير بعد ذكره لدعاء خطيب الحرم المكى لصلاح الدين : وعند ذكر صلاح الدين ، تخفق الألسنة بالتأمين عليه من كل مكان . وإذا أحب الله يومًا عبده إذا ألقى عليه محبة الناس ، وحق ذلك عليهم لما يبذله من جيل الاعتناء بهم ، وحسن النظر لهم ، ولما رفعه من وظائف المكوس عنهم (ابن جبير : الرحلة ص ٧٧ س ٠ ٢ - ٢٤) . ويقول بعد ذكره لدعاء خطيب زمزم لصلاح الدين ، أنه " ذى المآثر الشهيرة ، والمناقب الشريفة ، فإذا انتهى إلى ذكره بالدعاء ، ارتفعت أصوات الطائفين بالتأمين ، بالسنة تمدها القلوب الخالصة ، والنيات الصادقة . وتخفق الألسنة بذلك خفقًا ، يذيب القلوب خشوعًا ، لما وهب الله لهذا السلطان العادل ، من النناء الجميل ، وألقى عليه من محبة الناس ، وعباد الله شهدائه في أرضه " (ابن جبير : الرحلة ص ٨٠ م ٢ - ص ١٤) .

⁽٣) يقول ابن جبير: أعلمنا بأن كتابه (صلاح الدين) ، وصل إلى الأمير مكثر ، وأهم فصوله ، التوصية بالحاج، والتأكيد فى مبرتهم وتأنيسهم ، ورفع أيدى الاعتداء عنهم ، وإلا يعاز فى ذلك إلى الخدام والاتباع . وقال : إنما نحن وأنت متقلبون فى بركة الحاج . فتأمل هذا المنزع الشريف ، والمقصد الكريم . وإحسان الله يتضاعف إلى من أحسن إلى عباده ، وأعتناؤه موصول لمن جعل همة الاعتناء بهم ، والله عز وجل كفيل بجزاء المحسنين (ابن جبير : الرحلة ص ٧٤ س ١ - س ٧) .

⁽٤) جاء في نسخة تقليد بولاية برقة ، التي كانت على عهد صلاح الدين " قد انتظمت في سلك أعسال المملكة الناصرية ، – أى الدولة الصلاحية – ، ؛ وراع أمور التجار والحجاج ، مراعاة تشملهم في السفر والإقامة ، وتحميهم من تطرق استهانة ، إلى أحد منهم واستضامة " ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ١ ص ٥٠ - ٢١ ، وخاصة ص ٢١ س ٩ - س ١٠ .

 ⁽٥) أنظر ابن حجة الحموى : كتاب ثمرات الأوراق في المحاضرات ، طبع بالقاهرة ، بهامش كتاب المستظرف
 من كل فن مستظرف للأبشيهي ، منة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ص ٤٥ .

١٩٤ م ، أى قبل وفاته بعام واحد ، _ وهو الذى يسر سبيل الحج لجميع المسلمين فى جميع أنحاء العالم الإسلامي _ نصحه خواصه بضرورة اطلاع الخليفة أولاً على هذا العزم ، حتى لا يصل إليه الخبر عن طريق آخر ، فيظن بصلاح الدين الظنون (١) .

تهديد الفرنج الصليبيين لطريق الحج البرى لحجاج مصر والمغرب والأندلس:

ولعل أمراء الصليبين، قد أدركوا خطورة فريضة الحج، كركن أساسي من أركان الإسلام، يحقق للمسلمين الوحدة الروحية، ويوثق بينهم روابط اجتماعية وفكرية، كفيلة ولا ريب بتعضيد شعورهم بالولاء إلى أمة واحدة، وكيان اجتماعي واحد؛ فعمدوا أحيانا إلى مهاجمة قوافل الحج والتجارة المصرية، المارة عبر صحراء سيناء، في طريق الحجاج الشهير، ونهبها (٢)؛ عما أدى إلى تعطيل الطريق البرى للحجاج، الوافدين من الأندلس والمغرب ومصر، واضطرارهم إلى سلوك طريق طويل يبدأ من الإسكندرية، إلى الفسطاط، إلى مدينة قوص بصعيد مصر، ثم منها يخترق الحجاج صحراء عيذاب، حتى يصلوا إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر، ومنها يركبون السفن الصغيرة المعروفة بد « الجلاب » حتى ميناء جدة ؛ وكانت هذه الرحلة طويلة شاقة عانى منها الحجاج التحرين أنه منها الحجاج

⁽۱) العماد: الفتح القسى ص ۲۱۱، قال له خواصه: " لو كتبت إلى أمير المؤمنين ، وأعلمته بحجك .. حتى لا يظن بك أمر أنت منه برىء " ، والجدير بالذكر أن صلاح الدين كان ينوى أن يحج بجميع جنوده الذين يرغبون في أداء الفريضة ، وذلك بعد أن وقع صلح الرملة ، وتسم الصلح مع الصليبيين ، وأعظى العساكر الإسلامية دستورًا ، أى سمح لهم بالعودة إلى يلادهم . فيقول ابن شداد : وأشاع السلطان أمر الحج ، وقوى عزمه على براءة الذمة منه ، وكان هذا مما وقع في ، وبدأت بالإشارة به في يوم تتمه الصلح ، ووقع منه رحمة الله عليه - موقعًا عظيمًا ، وأمر الديوان : " إن كل من عزم على الحج من العسكر ، يثبت اسمه ، حتى يحصر عدة من يدخل معنا في الطريق ، وكتب جرائد بما يحتاج إليه في الطريق من الخلع والأزواد وغير ذلك ، يحصر عدة من يدخل معنا في الطريق ، وكتب جرائد بما يحتاج إليه في الطريق من الجلع والأزواد وغير ذلك ، وسيرها إلى البلاد ليعدوها (ابن شداد : النوادر ص ٣٣٦ - ٣٣٧) ؛ ولكن الموت عاجل صلاح الدين قبل أن يتم أمنيته في الحج إلى بيت الله الحرام " ، وأنظر العماد : الفتح ج ٣ لوحة ٧٥ حيث يورد فصلاً من إنشاء القاضي الفاضل عن عزم السلطان على الحج في هذه السنة .

⁽۲) يذكر ابن واصل أن أول خروج لصلاح الدين من مصر إلى غزاة الفرنج السنة ٥٦٦ هـ ، كان حين وصله الخبر بخروج قافلة من دمشق فيها أهله ، فأشفق عليها ، وخاف عليهم من الفرنج ، فالتقى بالقافلة وخَفَرَهم إلى مصر . أنظر ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٩٨ . وقد ظل نهب الفرنج لقوافل الحج والتجارة ، حتى بعد انتصار حطين واسترداد بيت المقدس ٥٨٣هـ، فنسمع عن نهب الانكتار لقافلة مصرية سنة ١٩٨٨هـ، أنظر ابن شداد : النوادر ص ٢١٣ - ٢١٥ ، سبط : مرآة ٨ : ٢٥٥ إلى ٢١٦ .

⁽٣) أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٣٨ – ٥٣ ، الذى يسمى ميناء عيذاب به (العذاب) ، وهو يذكر أن الركوب من جدة إليها " أفة للحجاج عظيمة " ، وهو ينصح الحجاج بعدم سلوك هذا الطريق عند العودة بسل يرجعون صحبة أمير الحج العراقى ، ثم يذهبون إلى ميناء عكا على ساحل الشام ، ومنه يأخذون المراكب إلى المغرب والأندلس أو مصر . وأغلب الظن أن قطع الفرنج لطريق الحاج البرى عبر سيناء ، هو سبب عدم سماعنا عن أخبار الأمير الحج المصرى قبل استرداد صلاح الدين للقدس ولحصنى الكرك والشوبك اللذين كانا يقطعان طريق الحج الشامى والمصرى .

وكان قطع الصليبين لطريق الحج البرى عبر سيناء ، قد تم لهم بعد استيلائهم على حصن الكرك ؛ ثما جعل استرداد هذا الحصن من أهم أهداف نور الدين زنكى (١) ، ثم صلاح الدين الأيوبى ، حين كان نائبه بمصر ، قبل استقلاله بالسلطنة ؛ لذلك عمد نور الدين إلى محاصرة الكرك حصارًا مزدوجًا من ناحية الشام ومن ناحية مصر فى نفس الوقت ، وكاد يتم له استرداده ، لولا نكوص صلاح الدين وعودته إلى مصر ، خشية أن يعزله نور الدين بعد وضوح نزعاته الاستقلالية بمصر (٢) .

ولكن حين استقرت السلطنة لصلاح الدين ، جعل الكرك هدفًا لأول غزوة من مغازيه للفرنج ، ليصل طريق القوافل والتجارة عبر سيناء ، بين مصر والشام (٢٠) ، ويؤمن طريق الحج المصرى البرى بعد انقطاعه .

 ⁽١) يذكر ابن الأثير أن حصار نور الدين زنكى لحصن الكرك سنة ٥٦٥هـ، كمان لحماية قافلة مسلحة خارجة
 من دمشق بها نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، ومعه عدد كبير من التجار ، وأهمل صلاح الدين ، أنظر
 ابن الأثير : الباهر ص ٤٤٢ ؛ ولعلها نفس القافلة التي خرج صلاح الدين لغفارتها ، أنظر قبله .

⁽۲) كان انسحاب صلاح الدين من أمام الشام ، وعودته إلى مصر قبل وصول نور الدين من الشام ، هــو السبب المباشر لما عرف عند المؤرخين بـ" الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين " ، أنظر ابن الأثير : الباهر ص ١٥٨ – ١٩٩٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٢١ – ٢٢٣ .

⁽٣) كان ذلك سنة ٦٨ ٥هـ ، ويقول ابن شداد : وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرهــا بــلاد العــدو ، فــأراد توســيـع الطريق وتسهيله لتتصل البلاد بعضها ببعض وتسهل على السابلة ؛ النوادر ص ٤٥، أنظر ابن واصل : مفرج، ج ١ ، ص ٢٧٤ . وفي سنة ٧٩هـ كرر صلاح الدين حصار الكرك هو من الشام وأخوه العادل مـن مصـر بعد أن خرج مع العادل جمع غفير من التجار وغيرهم ، أنظر : النوادر ص ٦٣ . ثم كرر المحاولة مرة ثالثة ، أنظر أيضًا النوادر ص ٦٦ - ٦٨ حيث يقول عن الكرك : وكان على المسلمين منه ضرر عظيم ، فإنه كان يقطع عن قصد مصر ، بحيث كانت القوافل لا يمكنها الخروج إلا مع العساكر الجمة الغفيرة ؛ فاهتم السلطان بأمره ليكون الطريق سابلة إلى مصر ، ويسر الله ذلك ولله المنة ، وفي سنة ٥٣هـ خـرج صـلاح الدين من دمشق حين علم أن أرناط صاحب الكرك قد خرج برجاله لقطع الطريق على لواء الحج الشامي عند عودته إلى دمشق، العماد: الفتح ص ٥٨ - ٥٩ ؛ ويذكر ابن شداد أن صلاح الدين أقام بأرض الكرك حتى وصل الحاج الشامي إلى الشام ، وأمنوا غائلة العدو ، أنظر النــوادر ص ٧٤ س ١١ – ١٢ . ولقــد أوضـح مؤرخــو سيرة صلاح الدين أن موقعة حطين التي كانت إرهاصًا بفتح بيت المقسدس كانت بسبب قطبع أرناط لطريق الحج والتجارة تما جعل صلاح الدين يهدر دمه ، أنظر العماد : الفتح ص ٨٠ – ٨١ ، ابن شداد النــوادر ص ٧٤ - ٧٩ . وبعد فتح بيت المقدس أعاد صلاح الدين حصار حصني الكرك والشوبك سنة ٥٨٣هـ وذلك لقطع الفرنج طريق الحج كما صرح العماد ، أنظر الفتح ص ١٩١ ولقد استعصى هذين الحصنين على صلاح الدين حتى بعد فتح القدس ، العماد الفتح ص ٤ ، ٢ ، إلى أن استسلمت صاحبة الحصن لصلاح الدين ، العماد : الفتح ص ٢٠٥ – ٢٠٧ فتسلم الملك العادل نائب صلاح الدين بمصر هذا الحصن (العماد : الفتـح ص ٢٢٦ - ٢٦٧) ؛ ولعل كون أول حملة بحرية للأسطول المصرى الأيوبي كانت سنة ٦٦هـ لتفتيح قلعـة أيلة على البحر الأحمر ، أنظر مفرج الكروب : ١: ٩٩١ ، كانت لتأمين طريق الحج والتجارة أيضًا .

ولاشك أن حملة أرناط البحرية على البحر الأحمر ومحاولتها الوصول إلى الأراضى الحجازية واختطاف جثمان النبى الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، كانت على علم تمام بأهمية حج المسلمين إلى الأراضى الحجازية ، وزيارة قبر رسولهم بالمدينة المنورة ؛ لذلك لم يقصر لؤلؤ قائد الأسطول المصرى في أسر هؤلاء الفرنج ، وإدخالهم إلى القاهرة في هيئة مزرية ، وعلى صورة من الذلة والمهانة وصفها لنا ابن جبير؛ ثم أرسل لؤلؤ بعض هؤلاء الأسرى إلى المدينة المنورة ، حيث ذبحوا ذبح الإبل⁽¹⁾؛ فلا غرو أن لقب صلاح المدين بد «خادم الحرمين الشريفين» و «منقذ بيت المقدس من أيدى المشركين» (٢) ؛ وليس أدل على الأهمية العظمى التي أولاها العالم الإسلامي ، لتأمين طريق الحجاج المسلمين إلى مكة ، وحرص الأيوبيين على إنجازها ، مما صرح به العماد الأصفهاني مؤرخ صلاح المدين ، من أن تأمين طريق الحج إلى مكة كان من أهم دوافع صلاح المدين ، لفتح بيت المقدس واسترداده من الصليبين (٢).

الإشراف المباشر للوك بنى أيوب باليمن على موسم الحج، وعموم إشراف سلاطين بنى أيوب بمصر ، على لواء الحج : الشامي ، والعراقي ، والمصرى :

ولقد داوم ملوك بنى أيوب ، على حماية طريق الحج وتأمينه ، وحماية لواء الحج العراقس ، الممشل لسيادة الخليفة الروحية على العالم الإسلامى ؛ وكان هذا عادة ما يكون من حظ أيوبيى اليمن ، وذلك حتى في حياة صلاح الدين ، فكان يخطب لهم بالحرمين ، بعد صلاح الدين سلطان مصر (٤).

فقى سنة ١٩٨٧هـ / ١١٨٦ ، وصل سيف الإسلام طشتكين ملك اليمن الأيوبى بنفسه إلى الكعبة ، ليمنع الآذان الشيعى بها بد « حى على خير العمل » ، وليمنع العبيد الموالين لأمير مكة الذين يأخذون الحجاج ؛ وطلب مفتاح الكعبة من أمير مكة ، ليكون هو الحامى للحرم المكى من الناحية الفعلية ؛ وذلك بعد أن حاول أمير مكة إغلاق باب الكعبة ، وإعطاء مفتاحه لسدنته من بنى شيبة ، الذين ذكر الرسول ، أنه سيبقى في أيديهم إلى يوم الدين ، حتى يرغم طشتكين على العودة دون طلب مفتاح الكعبة ؛ فهدد طشتكين بأخذه قصرًا ، وهنا أذعن أمير مكة ، وسلم المفتاح لطشتكين ، الذي سلمه بدوره لبنى شيبة (٥٠) .

⁽١) عن حملة لؤلؤ أنظر ابن واصل : مفسوج الكروب ، ٢: ١٢٧ – ١٣٢ ، ابن جبيو : الرحلة ص ٣٤ ، ص ٣٥ ، العماد : القتح ص ١١٥ ، وأنظر ترجمته لؤلؤ عند العماد : القتح ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

 ⁽۲) ابن شداد : النوادر ص ۳ س ۱۰ – س ۱۱ .

⁽٣) يقول العماد : أنا استفتحنا سنة ٤٨٤هـ ، بقمع أهل التثليث ، وكنــا اشفقنا على طريق الحج ، من قصــد الفرنج ، فشغلناهم عن القصد بقصدهم ، وتصلينا لجهادهم وبردهم عن المراد وصدهم . وأقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك ، وقدمنا الطلائع إلى المناهل ، ونظمنا سلك إمدادهم في ذلك المسلك ، حتى وصل الحاج سالًا ، وذل الكفر عن قصده راغمًا ، (العماد : الفتح ص ١٩١) .

^(\$) أنظر ابن جبير: الرحلة ص ٨٠، وأنظر قبله.

⁽٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ٨: ٣٨٨ .

ولقد أكد ابن جبير في وصفه لأدائه فريضة الحج ، أن أيوبي اليمن ، كانوا يشرفون إشراقًا مباشرًا على موسم الحج ، فيخلعون على أمير مكة ، وتفتح لهم الكعبة تشريفًا لهم في غير موسم الحج ، ويعود ركب الحجاج المصريين، صحبة ملك اليمن الأيوبي ، طلبًا لحمايته في طريق العودة (١٠) .

والواقع أن مكة كانت تابعة إداريًا تبعية مباشرة لملك اليمن الأيوبي (٢) ، شأنها شأن عدن (٢) ؛ ولعل في إقدام المعظم تورانشاه - فاتح اليمن وأول ملوكها والأخ الأكبر لصلاح الدين - على الحج ، فكان أول من حج من بني أيوب ، بعد توليهم الملك (٤) ؛ كان أول شعور من ملوك الأيوبيين باليمن ، نحو الطموح إلى شرف رعاية فريضة الحج .

وقد ظلت السيطرة السياسية على مكة تتأرجح بين أيوبيسي اليمن وأيوبي مصر، في حالات الصراع الأسرى بين هذين الفرعين من البيت الأيوبي (٥) ؛ ثم أصبح هذا التنافس على السيطرة على سدانة الكعبة وكسوتها والإشراف على موسم الحج بين أيوبي مصر من ناحية ، وبين الدولة الرسولية وبنو رسول في في الأصل من مماليك أيوبي اليمن (٢) _ ؛ فأحيانًا ما كانت ترجح كفة بني أيوب ، وأحيانًا ما ترجع كفة الرسولين (٧).

ومنذ عهد صلاح الدين ، كان لواء الحج الشامى ، معضدًا للواء الحج العراقى ، حاميًا له ، والواقع أننا لم نسمع عن لواء الحج الشامى ، كلواء مستقل عن لواء الحج العراقى ، إلا منذ سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩ ، (^{٨)} وكان أول من تولى إمارته ، رجل من رجال القلم ـ وليس من رجال السيف ، كما هو الحال دائمًا فى أمراء الحج سواء فى العصر الفاطمى (^{٩)} ، أو العصر العباسى (^{١١)} ـ وهو الصفى

⁽١) ابن جبير : الرحلة ص ١٢٤ - ١٢٧ .

⁽٢) أنظر بعده .

⁽٣) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٨ .

⁽٤) المقريزى : الذهب المسبوك ، ص ٧٠ - ٧٣ .

⁽٥) أنظر ابن الفوطى: الحوادث الجامعة ص ١٢ - ١٣ ، ص ٤٢ ، ص ١٢٣ - ١٧٤ ، المقريزى: الذهب المسبوك ص ٧٦ - ٧٩.

 ⁽٦) أنظر عن هذه الدولة بالتفصيل كتاب مؤرخهم الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تـــاريخ الدولـــة الرســولـــة ، طبـــع
 ليدن ١٩١٦ – ١٩١٨ .

 ⁽٧) أنظر الشيال : مقدمة كتاب الذهب المسبوك للمقريزى ص ٢١، ابن الفوطى : الحوادث ص ١٢٢ - ١٢٤،
 المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٩ - ٨٤ ، ٨٥ - ٨٥ .

⁽٨) سبط : مرآة ، ٨: ٣٥٥ .

⁽٩) أنظر قبله .

⁽۱۰) أنظر بعده .

بن القابض وزير صلاح الدين بالشام (۱) ؛ ثم اسندت إلى سيف الدين المشطوب (۲) ، وهو أعظم أمراء الأكراد في الدولة الأيوبية ، وكان يعرف بـ « ملك الأكراد » (۲) ؛ ثم أسندت إمارة الحبج الشامي (٤) بعد ذلك لكبار مماليك الدولة الصلاحية ثم العادلية ، ثم لكبار مماليك المعظم عيسى بن الملك العادل ، ملك الشام الأيوبي ؛ وغالبًا ما كان هؤ لاء المماليك من ولاة بلاد الشام من قبل بني أيوب ، الواقعة ولا يتهم في طريق الحج الشامى (٥) ، وعادة ما كان لواء الحج الشامي ، يلتحق بلواء الحج العراقي وينضم إليه (٦) .

وكان أول تدخل حقيقى للواء الحج الشامى لحماية لواء الحج العراقى سنة ٨ ، ٦هـ/ ١٢١١ التى حج فيها بالناس من العراق طشتكين مملوك الخليفة ، ومن الشام ربيعة خاتون ، المعروفة بست الشام أخت صلاح الدين ، وولدها حسام الدين لاجين ، وجماعة من المعتبرين (٢) ؛ إذ تعرض قتادة أمير مكة ، لمحاولة اغتياله ، على يد رجل من الحشيشية الفداوية وهم أنصار الدعوة النزارية الإسماعيلية (١٠٠٠) ؛ وأعتقد أمير مكة أن هذا الحشيشى ، كان يعمل لحساب صاحب آلموت ، الذى كانت أمه فى رفقة أمير الحج العراقى ، أو لحساب أمير الحج العراقى نفسه ؛ لذلك أمر أتباعه بمهاجمة الحجاج العراقيين ، وقتلهم وأميرهم ، ونهب أموالهم وأمتعتهم ؛ فلجأ أمير الحج العراقى ، إلى خيمة ربيعة خاتون، التى أرسلت إلى أمير مكة تتوعده، وتذكره بقوة أولاد أخيها صلاح الدين ملوك الشام؛ ثم أرسلت ابن السلاد ، أمير الحج الشامى ، الذى كرر هذه التهديدات ، مؤكدًا أن بنى أيوب

⁽١) عن هذا الوزير وعن ظاهرة تعدد وزراء بني أيوب منذ عصر صلاح الدين بمصر والشام ، أنظر بعده .

⁽۲) كان ذلك سنة ٧٦هـ ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٦١ .

⁽٣) أنظر بعده ..

⁽٤) كانت بلاد الشام والعراق ومصر واليمن ، هي أهم مراكز تجمع الحجاج القادمين إلى بـلاد الحجاز من شتى أرجاء بلاد العالم الإسلامي ؛ أنظر كتاب " منازل الحج " لمحب الدين محمد بن شمس الدين محمد بن العطار؛ ذكره حاجى خليف (كشف الظنون ٢: ١٨٢٨) ، وسماه منازل الحج ، في المنازل التي تلقى الحاج في طريقه من اليمن والشام ومصر والعراق . نسخة كتبت في القرن السابع بخط المؤلف ، بمكتبة لا له لى في طريقه من اليمن والشام ومصر والعراق . نسخة كتبت في القرن السابع بخط المؤلف ، بمكتبة لا له لى

⁽٥) انظر سبط: مرآة ٨: ٤٤٨ حوادث سنة ٢٥٥هـ، ص ٤٥٦ حوادث سنة ٤٥٥ و ٥٩٦ ص ٤٢٥ حوادث سنة ١٠٥ ، ص ٥٤١ - ٥٤٢ حوادث سنة ٢٠١، ص ٥٤٥ - ٤٤٥ حوادث سنة ٢٠١ هـ. ص ٥٤٩ حوادث سنة ٢٠١ هـ. ص ٢٤٥ حوادث سنة ٢٠١ هـ.

⁽٦) أنظر سبط: مرآة ٨: ٥٥٦ - ٥٥٥ .

⁽٧) نفس المصدر والصفحة ، وهذه هي ثاني حجة لربيعة خاتون رفقة لواء الحج العراقي ، الأنها حجت من قبل سنة ٨٢هم ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٨٩ .

⁽٨) أنظر قبله وبعده .

لن يترددوا في إرسال العساكر من الشام لمحاربته ، في نفس الوقت الذي سيرسل فيه الخليفة من قبله العساكر من العراق للاقتصاص منه ؛ فأسقط في يد أمير مكة ، واكتفى حفظًا لماء وجهه ، بأخذ دية من أمير الحج العراقي ، ومن أم الكيا حسن صاحب الموت ، لاتهامه لهما بمحاولة قتله (١) .

ومرة أخرى حين حاول أمير مكة ، نهب لواء الحج العراقي سنة ٦١٧هـ / ٢٢٠م ، خوفه خواص رجاله من انتقام الكامل والمعظم للخليفة ، فتراجع عن عزمه (٢) .

أما لواء الحج المصرى ، فنحن لا نسمع عنه إلا سنة ٩٩ه / ١٩٤ م ، أى قبل وفاة صلاح الدين بسنة واحدة ، فحج بالناس من بغداد سنجر الناصرى ، ومن الشام قراسنقر وأيبك فطين الصلاحيان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب (٢٠) أى أن هذه الوظيفة أسندت لأمير من أشراف العرب المصريين ، من قبيلة بنى ثعلب ؛ وقد كان هذا الأمير من أثرياء الصعيد ، بحيث كان يفرق على الناس القمح الذي تجتلبه مراكبه في أوقات المجاعات وغلاء الأسعار (٤) ؛ وكان مقدمًا في قبيلته ، التي كانت مع غيرها من قبائل عرب الحوف الشرقى والغربي للدلتا ، يستخدمون في جيوش مصر الإسلامية ، كجند احتياطيين ، وذلك منذ العصر الطولوني ، وطوال العصر الفاطمي ، وحتى نهاية العصر الأيوبيون في جاهه

⁽١) سبط: مسرآة ٨: ٢١٥ – ٥٦٧ ، ايسن واصل: مفسرج الكسروب ج ٣ ص ٢١٠ – ٢١١ ؛ الغريسب أن ابن واصل يقول أن المقصود بالخوارزمى ، الكيا حسن ، صاحب آلموت ، أهم معاقل الإسماعيلية النزارية بإيران ، ثم يذكر أنه في هذه السنة قد تتخلى عن العقيدة الإسسماعيلية ، وأقام شعار الإسلام على المذهب السنى الشافعى ، وكتب إنى الخليفة والملوك يعلمهم ذلك ، وبعث والدته لتحج فأكرمت ببغداد ثم حجت. أنظر قبله .

⁽٢) أنظر سبط: مرآة ٨: ٦١١ ؛ والجدير بالذكر أن لواء الحيم الشامى قد تولاه فى بعض الستين بعض الفقهاء والعلماء وبعض أمراء الأكراد ، وبعض أمراء الأتراك ، أنظر سبط: مرآة ٨: ١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٥ . وإن ظل المماليك ، هم فى الغالب الذين يتولون هذا المنصب ؛ والطريف أننا نسمع فى سنة ٨٠ ٦هـ عن الحج من القدس ، مستقبلاً عن لواء الحج الشامى ، تحت إمارة الأمير الشجاع على بن ملار ، سبط: مرآة ٨: ٨٠ ٦ ؛ هذا وقد حاول أمير مكة فى سنتى ٧٠ ٦هـ ، ٨٠ ٦هـ ، نهب لواء الحج العراقى ؛ ولما لم يجد من ينجده من ملوك بنى أيوب ، نهب عن آخره ، وقر من مكة نواب الخليفة ، فبعث أمير مكة ولده إلى الخليفة يعتذر له ، فقل عدره وعفا عنه . (انظر المقريزى: السلوك ج ١ ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ – ص ١٧١ وعن حادثة أخرى نهب أمير مكة للواء الحج العراقى سنة ٣٥ ٦هـ ، أنظر ابن الفوطى: الحوادث ص ١٧٦ وعن حادثة أخرى نهب أمير مكة للواء الحج العراقى سنة ٣٥ ٦هـ ، أنظر ابن الفوطى: الحوادث ص ٢٠١ و فى الصالحية بدمشق باسم الأمير جمال الدين بن الأمير الكبير زين الدين ، بن عضد الدين خالد ، "أمير الحاج والحرمين " أبى سعد قراجا الناصرى الصلاحى ، أنظر سوفاجية : الجامع Repentione للنقوش العربية ، واحرمين " أبى سعد قراجا الناصرى الصلاحى ، أنظر سوفاجية : الجامع Repentione للنقوش العربية ،

⁽٣) سيط: مرآة ، ٨: ٤٤٨ .

⁽٤) أنظر المقريزي : السلوك ١: ١٣٤ وهامش (٤) للدكتور مصطفى زيادة ، وأنظر بعده .

⁽٥) أنظر بعده .

وثراءه ، وفى قوة قبيلته وقبائل الأعراف المنتشرين فى الحوف الشرقى للدلتا وصحراء سيناء $^{(1)}$ ، خير من يقوم بحماية الحجاج ؛ وقد لقب ابن ثعلب ـ على شاهد قبره ، فى مدف الشرفاء الثعالبة ، المذى بقيت واجهته إلى اليوم ، وهى بمنطقة الإمام الشافعى ـ لقب بـ $^{(1)}$ من الحج والحرمين $^{(7)}$.

ولاشك أن عدم وجود هذه الوظيفة بمصر أيام صلاح الدين ، مردة تعطل طريق الحج عبر سيناء ، قبل استرداد صلاح الدين للقدس والساحل ، وتوقيعه صلح الرملة ، مع ملوك أوربا ، وما تبقى من شرازم الصليبيين بساحل الشام^(٦) ؛ لذلك كان حجاج الأندلس والمغرب ومصر ، يسلكون طريقًا طويلًا ، يبدأ بعد وصولهم إلى الإسكندرية بحرًّا أو برًّا ، من الإسكندرية إلى الفسطاط ، ثم إلى صعيد مصر بمحازاة النيل ، حيث يستريحون بمدينة قوص ، التي أصبحت مركزًّا تجاريًّا وثقافيًّا هامًّا في العصر الأيوبي ، لوفود الحجاج إليها من الأندلس والمغرب ، والتجار من اليمن والهند^(٤) ؛ كما أصبحت مركزًا عسكريًّا هامًّا ، إذ أسند إلى واليها مهمة قيادة الأسطول المصرى في البحر الأجر^(٥) .

فكان الحجاج يغادرون قوص ، قاطعين صحراء عيذاب ، حتى يصلوا إلى ثغر عيذاب ، حيث كانوا يعبرون من الشاطىء المصرى للبحر الأحمر ، حتى الشاطىء الحجازى ، ليرسوا في ميناء جدة ، على مراكب صغيرة الحجم تعرف بالجلاب ، كنان يشحنها أصحابها بالحجاج بعضهم فوق بعض لتحقيق أكبر ربح (٢) ؛ ولهذا نصح ابن جبير الحجاج بعد أن عانى هو الأمرين في عيذاب وسماها

⁽۱) أنظر عباس عمار : شعب الشرقية (باللغة الفرنسية) ، القاهرة ، ١٩٤٨م وأنظر أيضًا نفس المؤلف ، عباس عمار : المدخل الشرقي لمصر (سيناء) القاهرة ١٩٤٦م ص ١٠٥ - ١١٥ .

⁽۲) هذا النص الجنائزى مؤرخ سنة ٦١٣هـ وهو باسم " أمير الحاج والحرمين " ، أبى الطاهر اسماعيل بن الشريف الأجل الأمير الكبير ، حصن الدين ثعلب بن يعقوب ابن مسلم أبى حميد الجعفرى الزينبى .. أنظر فان برشم : Conpus ج ١ ص ١٣٠ رقم ٣٧٨٨ . ولقد أفاد القلقشندى ، أن أمير الحج المصرى ، كان يكتب له تقليدًا من السلطان (يمعنى الخليفة أو وزير السيف المفوض عنه فى العصر الفاطمى ، أو السلطان الأيوبى) ، وذلك فى عصر الدولة الفاطمية وما تلاها ؛ أما فى عصره هو – عصر المماليك الجراكسة – فقد ترك هذا ورفض ، ولم يبق من يكتب له توقيع من ديوان الإنشاء سوى قاضى ركب الحاج ؛ وقد أورد القلقشندى نسخة هذا التوقيع ، أنظر صبح الأعشى ، ج ١٢ ص ٤٤٢ – ٤٤٣ ، وأهم ما فيه التوصية بمراعاة تطبيق الشريعة فى حالة إحرام الحجاج وتوضيح ما ينقضها ، ومراقبة ثبوت الأهلة التى تترتب مناسبك واحكام الحج عليها ، والحكم فى محظورات الإحرام .

⁽٣) أنظر بعده .

⁽٤) ابن جبير : الرحلة ص ٤٥ س ٩ .

⁽٥) انظر بعده .

⁽٦) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٤٦ - ٤٨ .

بالعذاب - حجاج الأندلس والمغرب والإسكندرية ومصر ، بمصاحبة لواء الحج العراقى عند العودة ، والذهاب من العراق إلى ميناء عكا ، ثم أخذ سفينة بحرية ، إلى مصر أو المغرب أو الأندلس ، لتلافى العودة عن طريق ميناء عيذاب (١) .

على كل حال حج بالناس من مصر في سنة ٩٦ ه ه / ١٩٥ م الشريف ابن ثعلب (٢) ؛ ففي جادى الأولى من هذه السنة نودى في القاهرة ومصر ، « بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج ، فليتجهز أرباب النيات »(٦) ؛ وفي رابع عشر شوال خرج الشريف ابن ثعلب سائرًا بالحاج ، وخيم على سقاية ريدان (٤) متخذًا طريقه على سقاية ريدان (٥) متخذًا طريقه المعهود الذي يبدأ من مدينة السويس ، مخترقًا صحراء سيناء (١) .

وكان بعض ملوك البيت الأيوبي ، يتولون بأنفسهم نيابة عن سلطان مصر وظيفة إمارة لواء الحج المصرى ؛ ففي سنة • ٢٦هـ ، «حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة ، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الكامل في طلوع عرفة »(٧) .

⁽١) نفس المصدر ص ٤٨ وعن كون عكا مركزًا تجاريًا في العصــر الأيوبي ، أنظر ابـن شــداد : الــوادر ص ٧٩ س ١٣ إذ يقول عنها " إنها كانت مظنة التجارة " .

⁽۲) المقريزى : السلوك ، ۱: ۱۳۹ .

⁽٣) نفس المصدر ، ١: ١٣٤ .

⁽٤) نفس المصدر ، ١: ١٣٧ وسقاية ريدان ، هي التي وقعت عندها معركة الريدانية بين طومان باي آخر سلاطين المماليك بمصر ، والسلطان سليم الأول العثمساني التي قتل فيها طومانياي ، وأصبحت مصر بعدها ولاية عثمانية ، أنظر هامش للدكور زيادة على السلوك للمقريزي ، ١: ١٣٧ .

⁽٥) المقريزى: السلوك، ج١، ص ٢١٤.

⁽٦) أنظر مصطفى عمار ; سيناء أو المدخل الشرقى لمصر ، ص ٧٠ ، ص ٥٨ – ٢٠ .

وأنظر الجزيرى : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المكرمة ، طبع السلفية بالقاهرة ١٣٨٤ وأنظر درر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المكرمة . تأليف عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الجزيرى الحبلى . فرغ من تأليفه سنة ٢٦٩هـ . ضمنها أخبار الحاج وإمرته والمنازل ، وكيفية الرحول والنزول والمناهل ، والإقامة والمناسك ، على مذهب الإمام ابن حبل ، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية . منه نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ٢٦١هـ (بخنط المؤلف) ، ٢٦٤ ورقة بالمكتبة الأزهرية ، برقم ٤٤٨ ٢٢ريخ ، ومصورة بمعهد المخطوطات برقم ٢٥٦ تاريخ . وقد ألهاد الأستاذ مصطفى عمار ، أن طريق الحجاج عبر سيناء الذي عرف بـ " درب الحاج " ، كان يبدأ من بركه الحاج أو بركة الحاج ، وهي قرية تقع في الشمال الشرقي للقاهرة ، ثم يمر بقلعة الحجرود في صحراء السويس، ثم يقطع هضبة التية ، بمدينة " نخل " ثم يصل إلى العقبة ، ثم يأخذ طريقه صوب الجنوب الشرقي متجها إلى مكة .

⁽V) المقريزى: السلوك، ج ١، ص ٢١٤.

زعامة أمير لواء الحج العراقي المفوض من الخليفة العباسي لموسـم الحـج ، ولجميـع ألويـة الحـج الخاصة بالأمصار الإسلامية وسلاطين وملوك الإسلام :

والجدير بالملاحظة ، أنه مع وجود لواء للحج الأيوبى من الشام ، سمعنا عنه منذ سنة ٥٧٥ه / ١٩٧٩ من ١٩٥٩ من دمشق قاعدة لأعماله العسكرية ضد الصليبين (٢) ، حين كان صلاح الدين مستقرًا بالشام متخذًا من دمشق قاعدة لأعماله العسكرية ضد الصليبين (٢) ، وآخر من اليمن سمعنا عنه منذ سنة ١٨٥ه / ١٩٥ ا (٢) ، وكان يرفع علم سلطان مصر (٥) ، وثالث من مصر سمعنا عنه منذ سنة ١٩٥ه / ١٩٥ ا (٢) ، ورابع من الجزيرة الفراتية ، سمعنا عنه في سنة ٢٤٤ه / ٢٢٦ م ، على عهد الملك الأشرف موسى بن العادل ، وكان يلحق بموكب الحج العراقي ، ولم تورد الحوليات من أخباره الأخبرا يتيمًا (٢) ، فإن لواء الحج العراقي، المرسل من قبل الخليفة ، كانت له الزعامة ، على جميع ألوية الحج الأخرى ، المرسلة من قبل الأيوبيين ، سواء من مصر أو الشام أو اليمن أو الجزيرة الفراتية .

فلم يكن من حق أحد من أمراء هذه الألوية ، رفع أى لواء ، غير لواء الخليفة ، على جبل عرفات (١) ، حيث يجتمع جميع حجاج المسلمين من كافة أنحاء العالم . وذلك لأن وظيفة أمرة الحج ، عند أول ظهورها في الإسلام ، كان النبي يعهد بها إلى بعض كبار صحابته للحج بالناس بدلا منه (١) ؛ ولما كانت الخلافة سواء الفاطمية أو العباسية - هي وارثة السلطة الزمنية والروحية للنبوة ، لكون الإسلام دين ودولة (١) ؛ فقد كان الخلفاء ينوبون عنهم أحد أمراء السيف ، لحماية الحجيج ومرافقتهم ، أثناء أداء فريضة الحجج ، وذلك لأن الحج بالناس هو من مهام النبي في الأصل ، ثم أصبحت من مهام الخليفة من بعده .

⁽٢) أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٥٥ وأنظر قبله .

⁽٣) أنظر بعده .

⁽٤) أنظر سبط : مرآة ٨: ٣٨٨ وأنظر قبله .

⁽٥) أنظر سبط: مرآة ٨: ٢٢٤ وأنظر قبله.

⁽٦) أنظر سبط: مرآة ٨: ٤٤٨ وأنظر قبله.

⁽٧) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٢٤٤ حيث يذكر أن لقل هذه الركب كان ستمانة جمل ، ومعه خسسون هجين وأنه دخل بغداد والتحق بركب الحاج العراقي .

⁽٨) أنظر ابن شداد : النوادر ص ٨٥، سبط : مرآة ، ٨: ٩٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٣: ١٠٥، وأنظر بعده.

⁽٩) أنظر حسن الباشا: الوظائف الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ١: ٢٠٢ - ٢٠٤ .

⁽۱۰) محمود اللبايدى: نظام الإسلام السياسى، وعلاقة الدين بالدولة فى هذا النظام، مجلة رسالة الإسلام، السنة الرابع، محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ١٩٥٧هـ/ ١٩٥٩م ص ١٩٥٩م ص ٢٧٦ - ٤٠٠، محمود شلتوت: من توجيهات الإسلام، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ص ١٩٥٩ - ٣٦٥، محمود ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٢٩٠٠ - ٣١٠.

ولكن نتيجة لوجود دولة القرامطة في جنوب العراق والبحرين ، منذ مطلع القرن الرابع الهجرى (١) وكانت في أول الأمر تابعة للدعوة الفاطمية ثم انشقت عنها (٢) وقطعها لطريق الحج بين العراق والحجاز ؛ بل أقدم القرامطة على عمل منظرف ، إذ هاجوا مكة وسرقوا الحجر الأسود ، بهدف إظهار مدى عجز الخلافة العباسية عن حماية الكعبة (٣) ؛ وأن اضطروا إلى رده ، استجابة لأمر الخليفة الفاطمي الذي استهجن هذا الأمر (٤) ؛ فإن أحدًا من خلفاء بني العباس ، لم يحج بعد عصر هارون الرشيد (٥) .

كذلك فإن خشية خلفاء الفواطم من التعرض للاغتيال من قبل القرامطة المنشقين عن دعوتهم ، أو من قبل الخلافة العباسية وأنصار دعوتها ، التي قاسمتهم منصب الخلافة في العالم الإسلامي ، وناصبتهم العداء السياسي ، كان السبب في رأينا ، لعدم أداء أي خليفة من خلفاء الفاطميين لفريضة الحجر(٢) ؛ الأمر الذي جعل من وظيفة إمارة الحج في العصر العباسي الثاني ، وطوال العصر الفاطمي ،

⁽١) أنظر محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق والبحرين ، طبع هيئة الكتساب ، القاهرة ، وعن ظهبور دعوة القرامطة ، أنظر ابن الأثير : الكامل ٧: ٤٤٩ ، حوادث سنة ٧٧٨هـ ، وعن ابتداء أمرهـم بالبحرين ، أنظر نفس المصدر ج ٧ ، ٤٩٣ – ٤٩٥ حوادث سنة ٢٨٦هـ وأنظر أخبارهم بالشام والعسراق ، نفس المصدر ، ٧ د ٥ - ١٣٥ حوادث سنة ٢٨٩هـ .

⁽٢) أنظر عارف تامر : الإسماعيلية والقرامطة ، مقال بمجلة المشرق ، سنة ١٩٥٩ ج ٤ ، ٥ .

⁽٣) نسمع لأول مرة عن قطع القرامطة الطريق أمام قافلة الحج العراقية التابعة للخليفة العباسى سنة ٤ ٢ه. أنظر ابن الأثير: الكامل ٧: ٥٤٥ - ٥٥٥، وكانت المحاولة الثانية سنة ٢ ٢هم، عند مهاجمة القرامطة للكوفة. نفس المصدر ٨: ٥٥٥، وفي سنة ٣١٧هم، صار القرامطة إلى مكة، وأخذوا الحجر الأسود، ابن الأثير، نفس المصدر ٨: ٢٠٥٠ - ٢٠٨٠.

⁽٤) ماجد : ظهور الخلافة ص ١١٢ – ١١٣ .

⁽٥) الجدير بالالتفات أن المؤرخ الشيعى اليعقوبي ، هو أول من لاحظ أن أحدًا من الخلفاء لم يحج بالناس بنفسه بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد ، فقد عقد اليعقوبي فصلاً في تاريخه ذكر فيه من أقام الحج في عهد الرشيد ، وذكر أن آخر حجة حجها الرشيد بنفسه كانت سنة ١٨٨ه ثم قال : وهي آخر حجة حجها ولم يحج بعده خليفة ، أنظر أحمد بن أبي يعقوب المعروف بأبي واضح الأخباري ت ٢٩٢هـ : تاريخ اليعقوبي ، طبع النجف بالعراق سنة ١٣٥٨ه ج ٣ ص ١٦٠ - ١٦١ .

⁽٣) وذلك للأهمية الكبرى لنصب الخلافة ، بالنسبة للفكر السياسي الإسماعيلي ، أنظر قبله ، لكون الخلافة ورائيه في نسل على وفاطمة ، فقد لا يتوفر هذا الانتساب العلوى الفاطمي في أحد حين وفاة الخليفة ، وعدم وجود أبناء له ، مما يُعرض أركان الدولة والخلافة الفاطمية كلها للتقود بمجرد موت الخليفة ، لاقتران طاعة العالم الإسلامي والرعية بمصر ، والدولة الفاطمية ، بطاعة الخليفة ، أنظر الشيال : مقدمة الذهب المسبوك ص العالم الإسلامي وقول أنه لا يجد تفسيرًا لعدم حج أحد من الخلفاء الفاطمين ، وقد تجرأنا فأبدينا هذا الرأى الذي أثبتناه في المتن ، والله أعلم بالصواب .

وظيفة في غاية الأهمية ، وذلك لخوف كل من خلفاء بني العباس وخلفاء الفاطميين ، للخروج بأنفسهم ، على رأس لواء الحج للحج بالناس .

وللأهمية الكبرى ، لوظيفة إمارة الحيج العراقى ، كان الخليفة العباسى عادة ما يعهد بها ، إلى أحد كبراء أمراء المماليك من خواصه وترابيه (١) ، ويخلع عليه قبل رحيله بالحاج خلعه سنية (٢) ؛ كما تعود الخلفاء أن يقطعوا من يتولى إمارة الحاج ، بعض المدن الواقعة على طريق الحج العراقى إلى الحجاز ، مثل الكوفة (٣) أو الحلة (٤) ؛ وتفيد تراجم هؤلاء المماليك ، أن أغلبهم قد عرف عنه الورع، والنزوع الصوفى ، وإيقاف الأموال عن سعة لإقامة العمائر الدينية والخيرية (٥) ؛ كما كانوا متفقهين فى الشريعة الإسلامية ، حتى عمل بعضهم - تواضعًا منه وتقربًا إلى الله فى نهاية حياته - كاتبًا لأحد القضاه ، الذين اشتهروا بالتقى والورع والعدل فى الأحكام (٢) .

⁽۱) ينص سبط ابن الجوزى مثلاً أن الذي حج بالناس سنة ۸۹ه هـ ، قطب الدين سنجر " مملوك الخليفة" ، انظر مرآة ، ٨: ٢٢٤ - ٤٢٣ ، وهو ينسب إلى أستاذه الخليفة كعادة المماليك في أسمائهم فيسميه " سنجر الناصري " أنظر مرآة ٨: ٤٤٨ كذلك فإن أسماء جميع أمراء الحج العراقي ، تؤكد أنهم كانوا من المماليك وأغلبهم من مماليك الخليفة نفسه ، مثل عن ابن عبد الله المستظهري ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٦٣ ، ونظر الخادم بنفس المصدر ٨: ٩٦ ، وظامتكين بن عبد الله النستري، انظر سبط نيض المصدر ٨: ١٩٦ ، وطامتكين بن عبد الله النستري، نفس المصدر ٨: ١٩٦ . وأنظر ترجمته نظر الخادم نفس المصدر ٨: ١٠٥ . وأقباش الناصري ، نفس المصدر ٨: ١٠٥ . وأنظر ترجمته نظر الخادم نفس المصدر ٨: ١٠٥ ، وترجمة سنجر ، نفس المصدر ٨: ١٠٥ ، وقيماز نفس المصدر ٨: ٢٣٤ ، وترجمته طاشتكين ، نفس المصدر ٨: ١٠٥ ، وترجمة سنجر ، نفس المصدر ٨: ١٥٥ - ١٩٥ . وفي رأينا أن وظيفة إمارة الحج من أهم الوظائف التي أدت إلى ارتفاع مكانة المماليك ، مما أدى إلى وصولهم لوظيفة السلطنة ذاتها ، أنظر بعده ، والجدير بالملاحظة أن إمارة الحج كانت أحيانًا يتوارثها أبناء المماليك عن آبائهم أو ينوب فيها الإبن عن أبه ، أنظر سبط : مرآة ٨: ١٤٥ .

⁽٢) أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٢٥ ، ص ١٦٦ . الذي يقول : " وشرف في الموضع الذي جرت عادة أمير الحج أن يشرف فيه .

⁽٣) أنظر سبط : مرآة ٨: ٥٥٦ ، ابن الفوطي : الحوادث ص ٢٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٢: ٣٠٣ .

 ⁽٤) سبط : مرآة ٨: ٧٧٥ وعن كون مدينتي الكوفة والحلة واقعتين على بداية طريق الحج العراقي ومن محطات.
 أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٨١ – ١٩٣ .

⁽٥) أنظر أعلاه هامش (٢) .

⁽٦) أنظر سبط: مرآة ٨: ٣١٥.

وكان أمير الحج العراقى ، يلقب بأمير الحج والحرمين (١) ، وذلك لأنه كان يستصحب معه التقليد الخليفى لأمير مكة والمدينة أو لأولياء عهدهما فى كل عام (١) ؛ لذلك فإن موكب خروجه للحج كان موكبًا عظيمًا ، « مشل موكب الملوك » (١) ، تصاحبه البوقات (النفير) والكوسات (الطبول) ، كى تضرب عند الرحيل ، أو عند مغادرة أى منزلة أو محطة على طول الطريق ، لتنبيه الحجاج ، وعلى رأسه الأعلام (١) ؛ ويتقدم الموكب « المهد » (٥) وهو ما عرف بمصر بالمحمل ، وكان عبارة عن حجرة خشبية فارغة ، مكشوفة السطح ، قريبة الشبه بالهودج ، توضع فوق ظهر جمل ضخم أعد لهذه المهمة ؛ وكان « المهد » ، كما سمى فى العراق ، أو المحمل كما سمى بمصر ، يعد فى أول الأمر لركوب بعض الأميرات أو الملكات اللائى خرجن لأداء الفريضة ؛ أما فيما بعد ، فقد أصبح رمزًا لسلطة الخليفة أو السلطان الماليكي (١) .

وبطبيعة الحال ، كانت المهمة الأولى لأمير الحبج ، هي هاية الحجاج في أنفسهم وأموالهم ، فكانت تصحبه حامية رمزية مسلحة عددها خسمائة فارس (٢) ؛ وكانت سلطته على الحجاج قريبة الشبه جدًّا بالسلطات الممنوحة في يومنا هذا لقواد السفن المدنية ، بحيث كانت له السلطة القضائية أيضًا ، وربحا رافقه قاض (٨) ؛ بالإضافة إلى مراقبته النزام الحجاج بشعائر الإحرام ، وصحة أداءهم لمناسك الحج (٩) .

ويخبرنا ابن جبير بمعلومة هامة تؤكد تزعم أمير الحج العراقى ، لموسم الحج كله ، وهى أن ثبوت رؤية الهلال ، لإعلان بداية موسم الحج ، كانت لا تعلن بمكة ، إلا عند وصول أمير الحج العراقى ،

⁽١) أنظر سبط : مرآة ٨: ٧٧٥ وإيراده لقب أمير الحج على هذا النحو " أمير الحج والحرمين " ، أو إمرة الحمج والحرمين ، أنظر سبط : مرآة ٨: ٦١١ ، يؤكد ما تشكك فيه الدكتور حسن الباشا من اقتران اللقبين ، أنظر حسن الباشا : الوظائف الإسلامية ، دار النهضة العربية ٥٦٥ ٢ ج ١ ص ٢٠٤ .

⁽٢) أنظر سبط: مرآة ٨: ٣١١، ٥٢٤.

⁽٣) سبط: مرآة ٨: ٧٧٥.

 ⁽٤) نقس المصدر ٨: ٦٣ ، ابن جبير : الرحلة ص ١٦٣ - ١٦٤ .

⁽٥) سبط: مرآة ٨: ٢٨٥ - ٢٩٥ .

ر٦) أنظر : Jomier: Le Mahmed .

⁽٧) سبط : مرآة ٨: ٨٢٥ – ٢٩٥ .

⁽٨) أنظر قبله عن الحديث عن لواء الحج الفاطمي ، وأغلب الظن هذا ينسحب أيضًا على لواء الحج العباسي .

⁽٩) أنظر قبله أيضًا عند الحديث عن لواء الحج الفاطمي .

وإعلانه بنفسه هذه البشارة العظيمة (١) ، التي على أساساها يبدأ المسلمون الوافدون الذين أتو عن بكرة أبيهم من جميع أرجاء العالم الإسلامي في تأدية مناسك الحبح . ويوم الوقوف بعرفة ، كان أمير الحبح العراقي ، هو الوحيد من أمراء الحاج الوافدين من كافة أقطار دار الإسلام ، الذي يرفع علم الخليفة (٢) ؛ وكانت خيامه فوق عرفات تتصف بالعظمة والفخامة (٣) ، وحولها يضرب الحجاج المصاحبين له ، وغيرهم خيامهم ؛ وبعد رمى الجمرات ، كان يتولى بنفسه كسوة الكعبة بكسوتها الجديدة (١) .

وعادة ما كان يصطحب أمير الحج العراقى معه فى قافلته ، حجاجًا من قبل سلاطين العجم (الخوارزمشاهات ومن الخراسانيين) () وملوك الموصل الزنكيين ، وملوك بنى أيوب بالجزيرة الفراتية وأرمنية () ؛ وكان أغلب الحجاج ، قبل اتصال طريق لواء الحج المصرى حتى المغاربة والأندلسيين ، يعودون برفقة أمير الحج العراقى ، ليتفرقوا من بلاد العراق والشام ، عائدين إلى بلادهم ())

والجدير بالملاحظة أن أمراء الحج العراقي ، كانوا يتولون هذا المنصب ، لسنوات طويلة متوالية ، قد تتجاوز أحيانًا العشرين عامًا (^^) ؛ وليس أدل على أهمية هذا المنصب بالنسبة للخلافة العباسية

⁽١) ابن جبير : الرحلة ص ١٤٩ س ٥ – س ١٥ .

 ⁽۲) أنظر ابن شداد : النوادر ص ۸۵ ، أبو المحاسن : النجوم ۲: ۵ ، ۱ ، سبط : مرآة ۸: ۲۲۴ وأنظر بعده ،
 ويفيد ابن جيير أن أمير الحج العراقى ، كان يترأس المسلمين عند الوقوف بعرفة ، ويضرب ابنية فوق جبل
 الرحمة فى استقبال القبلة ، وكان حوله جملة من جنده الدارعين ، أنظر الرحلة ص ۲۵۲ – ۲۵۳ .

⁽٣) يقول ابن جبير : وكانت محلة هذا الأمير العراقــي جميلــة المنظــر .. رائعــة المضــارب والأبنـــة ، عجيبــة القبــاب والأروقة ، على هيئات لم ير أبدع منها منظر ، أنظر الرحلة ص ١٥٥٣ – ١٥٥ .

⁽¹⁾ ابن جبير: الرحلة ص ١٥٧ - ١٥٨ وأنظر قبله.

⁽٥) ابن جبير : الرحلة ص ١٥٣ – ١٥٥ ، ص ١٥٨ – ١٦٠ ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

⁽٦) كان هؤلاء الحجاج في الغالب ، من النساء العقائل المعروفات بالخواتين ومن بنات الأمراء ، أنظر ابن جبير : الرحلة ص ١٥٦ – ١٥٥ ، وكانت فيهم ابنة الملك مسعود ملك الدروب والأرمن ، وأم صاحب الموصل سليل البيت الزنكي ، وابنة صاحب أصبهان من بلاد خراسان ، أنظر الرحلة ص ١٦١ – ١٦٢ . (٧)ابن جبير : الرحلة ص ٤٨ وأنظر قبله .

⁽٨) حَج نظر الخّادم ، أمير الحُج ، نيفًا وعشرين حجة أميرًا . أنظر سبط : مرآة ٨: ٢٠٥ ، أما قيمار الأرجواني فقد حج بالناس عشر سنين ، نفس المصدر ٨: ٢٣٤ . ونجد هذا الأمر أيضًا عن بعض أمراء الحبج

الشامى فى العصر الأيوبى ، إذ حج الشجاع على بن أقش ابن السسلار ، أمير الحمج ، بالنباس نيفا وعشرين حجة ، وكان المعظم يجبه ويحترمه ويعتمد عليه ، سبط : مرآة ٨: ٧٠٢ .

من ذكر بعض من ترجم لخلفاء بنى العباس لأميرى الحج اللذين حجا بالناس فى عصره الطويل(1) ؛ وحين كانت أم الخليفة ، تخرج للحج مع قافلة الحجاج ، كان الخليفة يخرج بنفسه لوداع الموكب حتى الكوفة ثم يعود (٢) ، وأحيانًا ما كان الخليفة يخرج لوداع أمير الحج ، إكرامًا لذات أميره وإظهارًا لإعزازه له(٦) . وكانت وفاة أمير الحج ، أو عدم عودته مع قافلة الحجاج ، لأى سبب من الأسباب ، يعد أمرًا شديد الخطورة ، بحيث كان موكب الحاج يدخل إلى بغداد ليلاً ، وتلغى رسوم الاحتفال الخاصة باستقباله ، وكان الأمر يصل بالحجاج إلى حد البكاء ، فى حين كان الخليفة يظهر الحزن الشديد (٤) لهذا الخطب الجلل .

فلا ريب أن أصبح لأمير الحج العراقى ، مكانة سياسية ضخمة ، فى العالم الإسلامى ؛ لذلك حين وشى بعضهم إلى الخليفة بأن أمير حجه يكاتب صلاح الدين الأيوبى سرًا ، سارع إلى عزله والقبض عليه ، ثم ما لبس أن أطلق سراحه ، بعد ان تأكد من براءة ساحته (٥) ؛ كذلك حين وقعت وحشة بين الخليفة العباسى ، وأمير حجه المعروف بوجه السبع ، ترك قافلة الحجاج ، ولجأ إلى الملك العادل أبو بكر وأولاده بالشام ، كلاجىء سياسى ، فأكرموا وفادته ، وأنزلوه لديهم معززًا مكرمًا (١) ؛ وأيضًا حين اختلف أمير حاج آخر مع الخليفة العباسى ، لجأ إلى الملك الكامل بحصر ، فاحتفى به ، وجعله مقدمًا على أمراء دولته (٧) .

وثمة إشارات أوردتها المصادر ، تفيد حدوث أزمات دبلوماسية ، بين الخلافة العباسية ، والسلطنة الأيوبية ، سببها العرف السائد ، وهو تفرد أمير الحج العراقى ، برفع لواء الخليفة العباسى يوم الوقوف بعرفة ؛ ففى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م ، حين كان صلاح الدين فى ذروة مجده الحربى ، أراد ابن المقدم ، أحد كبار أمراء الدولة الصلاحية ، رفع علم صلاح الدين ، يوم وقفة عرفات ، فمنعه

⁽١) ذكر سبط ابن الجوزى في ترجمة الخليفة المقتفى بالله ، أنه " حج في أيامه نظر الخادم " وقيماز الأرجواني ، أنظر مرآة ٨: ٣٣٥ .

 ⁽٢) ابن الفوطى: الحوادث ص ١٨٧ – ١٨٨ ، ص ١٩٦ (٤) سنة ٥٥٠ خرج الخليفة المقتفى لوداع الحاج،
 فبلغ الكوفة ، وخرق أسواقها وعاد إلى بغداد أنظر سبط: مرآة ٨: ٢٢٤ .

⁽٣) سبط: مرآة ، ص

⁽٤) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

⁽٥) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

⁽٦) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

⁽٧) نفس المصدر ؛ راجع ما تقدم .

طشتكين أمير الحج العراقى ، وقال : « لا يرفع هنا سوى علم الخليفة » ، فقال ابن المقدم « والسلطان علوك الخليفة » ، ولكن مماليك طشتكين ، نكسوا علم صلاح الدين ، فأقتتل الطرفان وقتل ابن المقدم، فأرسل الخليفة يعتذر إلى السلطان ، غلبى أساس أن أميره كان الباغى ، فلم يقبل صلاح الدين ، ولم يرد على سفارة الخليفة (1) .

كذلك كادت تحدث أزمة دبلوماسية أخرى بين السلطنة الأيوبية والخلافة العباسية في عهد السلطان الكامل ، بسبب هوج ابنه الأقسيس صاحب اليمن ، الذي حج سنة 9.17 - 1.07 - 1

ومع تسليم سلاطين بنى أيوب ، بهيمنة الخليفة على موسم الحج ، وحرصهم على تأكيد هذه الفكرة ، تذكر بعض المصادر ، خبرًا في غاية الخطورة والأهمية _ إذا صح _ ، وهو أن كسوة الكعبة ، كانت ترسل في العصر الأيوبي من مصر ، وأن أول من أرسلها من ملوك بني أيوب صلاح الدين نفسه ، وكانت إذا أكملت حزمت وأرسل بها إلى مكة ، من غير أن يراها أحد ، حتى أحدث بيبرس الطواف بها في القاهرة (٤) ؛ كذلك أسند صلاح الدين ، مهمة تفويز الحجاج إلى الحجاز ، إلا أدلاء

⁽۱) أنظر ابن شداد : النوادر ص ۸۵ ، أبو المحاسس : النجوم ۲: ۱۰۵ ، العماد : الفتح القسى ص ۱۸۸ – ۱۸۹ ، وأنظر عن تفاصيل وافية عند ابن واصل : مفرج ج ۲ ، ص ۲۵۰ – ۲۵۲ .

⁽٢) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٧ .

⁽٣) سبط : مرآة ٨: ٦٢٤ ، وأنظر ابن واصل : مفرج ج ٤: ١٢٤ – ١٢٥ .

⁽٤) أورد هذه المعلومة الفريدة ، العلامة أحمد تيمور باشا ، في كتابه التذكرة التيمورية ص ٣٤٣ ، مادة الكعبة (كسوتها) . نقلاً عن كتاب ذخيرة الأعلام ، وهي منظومة في التاريخ القمرى . وقد ذكرت المصادر أن الحليفة الناصر لدين الله العباسي ، هو أول من كسا الكعبة السواد . وأنظر الكتاب الجامع اللطيف لابن ظهيره ، رقم ٢٤٩ ، تاريخ تيمور ، ص ١٠٤ - ١٠٩ ، أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ٣٤٣ ، وأنظر أبو شامة : الروضتين ، طبع بولاق ٢: ١٠٩ . ولقد رأى ابن جبير هذه الكسوة ووصفها أنظر الرحلة ٥ - ٢١ ، ٢٩ - ٧٠ وأنظر قبله فريما كانت الكسوة تصنع في مصر في دار الكسوة الفاطمية القديمة ، القاهرة أو تيس – قبل خرابها – أو شطا . عنها أنظر المقريزي : الخطط ، طبعة بولاق ج ١ ص ١٨١ و ٢٢٣ ، والتذكرة التيمورية ص ٢٤٣ ، ولكن بشعار السواد العباسي وباسم الخليفة العباسي وترسل من و ٢٢٣ ، والتذكرة التيمورية ص ٢٤٣ ، ولكن بشعار السواد العباسي وباسم الخليفة العباسي وترسل من النابلسي ، (القرن ٧ه) أن حياكة كسوة الكعبة كانت تنم بالقلعة . أنظر رحلة النابلسي المسماة : الحقيقة والمجاز بين مكة والحجاز مخطوط ٢٣٣ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ورقة ، ٣٦ وأنظر أحمد تيمور : النذكرة التيمورية ص ٣٤٣ .

من قبيلة عرب الشواكر ؛ وقد ظل هذا الأمر كما رتبه صلاح الدين طوال العصر الأيوبي ، وحتى العصر الماليكي أيضًا(١).

كذلك أظهر سلاطين الأيوبيين ، اهتمامًا كبيرًا ، بترتيب القومة والخدام للحرمين ، ووقف الأوقاف لهذا الغرض . فتذكر بعض المصادر أن صلاح الدين ، كان أول من رتب الخصيان لخدمة الحرم النبوى ، وهو أمر استمر طوال العصر الأيوبى ، حتى العصر الماليكى (٢) .

و مما يؤكد اهتمام سلاطين بنى أيوب بموسم الحج ، ما ذكره مؤرخو سيرة صلاح الدين ، من استحداثه رسومًا خاصة باستقبال موكب الحج الشامى ، وذلك خلال إقامته بدمشق ، فكان صلاح الدين يركب ركوبًا عسكريًا ، مرتديًا الزى العسكرى الكامل ، ويخرج فى احتفال عام ، يقطع به شوارع دمشق ، سالكًا طرقًا محددة (") ، وهو أمر قريب الشبه بطواف المحمل بمصر منذ عهد بيبرس إلى ما بعد قيام ثورة ٢ ٩٥٦ ، سالكًا أيضًا طرقًا محددة ، ليتسنى للنظارة متابعة الاحتفالات ؛ كذلك

⁽١) أنظر القلقشندى : نهاية الأرب ٨٩٦ تاريخ تيمورية بدار الكتب المصرية ص ١٤٨ ، أحمد تيمسور : التذكرة التيمورية ص ١٣٣ مادة " الحجج " . .

⁽٢) أنظر ابن أياس: بدائع الزهبور ج ١ ص ٧٢ ، رقم ٩١ تاريخ تيمبور بدار الكتب المصرية ، أحمد تيمبور التذكرة التيمورية ص ١٤٤ .

⁽٣) انظر ابن شداد : النوادر ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، وأنظر أيضًا هذه الرسوم عند ابن واصل : مفرج ج ٢ ص ٤١٤ – ٤١٦ وفيه : ولما لقى السلطان الحج ، استعبرت عيناه ، كيف فاته الحج وسألهم عن أحوال مكة وأميرها وحال الخصب بها ، وكم وصلهم من غلات مصر وصدقائها ، والفقراء المجاورين لـه ، ورواتبهـم وإداراتهم ، وسر بسلامة الحج ؛ وهذا النص يفيد أن صدقة القمح التي كانت ترتب للحجاج مسن مصـر منـذ العصر العباسي الأول وحتى العصر العثماني ، أنظر بعده ، قد ظلت مستمرة في عصر صلاح الدين ، وخلفانه سلاطين بني أيوب . ولعل مما يؤكد الأهمية التي أظهرها الملوك والسلاطين في ذلك الوقت نحو رعايتهم طريـق الحج ، ما ذكر المنشىء النسوى ، مؤرخ سيرة جلال الدين منكبرتي ، آخر سلاطين الدولـة الخوارزمـة ، أن سبب الوحشة بينه وبين الخليفة العباسي ، التي جعلته يفكر تفكيرًا جديًا في تحقيق حلم أبيه في قصد بغداد والتحكم في الخليفة ، وإقامة سلطنة بغداد في أسرته على مشاكله السلطنة السلوجوقية ، أن الخليفة العباسي ، قدم سبيل صاحب بلاد الموت أمام الإسماعيلية ، على سبيل سلطان خــوارزم ، الـذى رتبـه فـى طريـق مكــة لسقاية الحجيج. أنظر النسوى : سيرة جلال الدين منكيرني ، ص ٥١ . ويذكر ابن واصل ، أن مظفـر الديـن كوكبرى ، الذي كان يعد نفسه سلطانًا مستقلاً عن بني أيوب ، تابعًـا تبعيـه مباشـرة للخليفـة العباسـي ، بعـد نزاعه مع أولاد الملك العادل الأيوبي الأكبر ، أنظر قبله ، أعتسي بشأمين فريضة الحبج ، فيقبول ابن واصل : وكان يقيم في كل سنة سبيلًا للحاج ، ويسير مع السبيل جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق ، ويسمير صحبته أمينًا معه خمسة أو ستة آلاف دينار، لينفق بالحرمين على المحاويج وأصحاب الرواتب؛ وله بمكة حرسها الله تعال ، آثار جميلة وبعضها باق إلى الآن ، وهو أول من أجرى المـاء إلى جبــل عرفــات ليلــة الوقــوف وغــرم عليه جملة كثيرة ، وعمر بالجبل مصانع للماء وبني توبة هناك . (ابن واصل : مفرج ج ٥ ص ٥٦ – ٥٧) .

نلاحظ عناية سلاطين بنى أيوب ، بعد وفاة صلاح الدين ، وحتى عصر شجرة الدر القصير ، بشق طرق جديدة عبر صحراء سيناء ، وتعبيدها ، لتسهيل سبل قوافل الحبح والتجارة (١) .

وإذا كان المؤرخون قد لاحظوا ، أن أحدًا من سلاطين مصر الأيوبية ، لم يحج بنفسه ، لا نشغالهم الدائم بجهاد الصليبين $^{(7)}$ ؛ فقد حج من أيوبى اليمن الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه ، أخو صلاح الدين ، وفاتح اليمن ، وأول ملوكها $^{(7)}$ ؛ ثم الملك المسعود المعروف باقسيس ، ابن الملك الكامل سلطان مصر $^{(1)}$ ، وحج من أيوبى الشام ، الملك المعظم عيسى ، ابن العادل أبى بكر ، صاحب دمشق ؛ والملك الناصر داود بن المعظم عيسى صاحب الكرك $^{(9)}$.

انقطاع طريق لواء الحج العراقي بسبب تحرك المغول من آسيا الوسطى صوب العراق:

وليس أدل على اقتران حماية ورعاية فريضة الحج في تاريخ الإسلام ، باستقرار أحوال الخلافة الإسلامية أو ما يساندها ، وأعنى وظيفة السلطنة العامة ؛ من تعطيل موسم الحج ، نتيجة لانقطاع طريق لواء الحج العراقي ، سنوات متالية ، منذ سنة ٣٤٤هـ / ٢٣٦ ((١) ، بسبب تحرك المغول ،

⁽۱) أنظر عباس مصطفى عماد : المدخل الشرقى لمصر ، أهمية شبه جزيرة سيناء كطريص للمواصلات ومعبر للموجات البشرية ، القاهرة ١٩٤٦ ص ١٠٥ - ١١٥ ، وقال ابن واصل فى ترجمته للسلطان الملسك الكامل: وبلغ من هيبته ، أن الرمل الذى بين العريش وديار مصر ، كان يمر به الإنسان وحده ومعه الذهب الكثير ، أو الجماعة اليسيرة ومعهم الأحمال من القماش ، فلا يخافون سارقًا ولا قاطع طريق .. ، (ابن واصل : مفرج ج ٥ ص ١٥٧) .

⁽٢) الشيال : مقدمة الذهب المسبوك للمقريزى ص ١٥ ، ولقد ذكر مؤرخو صلاح الدين ، أنه كان قد عزم على الحج ، بعد توقيعه الهدنة مع الفرنج ، ولكنه تخوف من نقض الفرنج للهدنة ، لو عرفوا بأنه قد ترك الشام إلى الأراضى الحجازية ، أنظر ابن شداد ; النوادر ص ٢٣٧ س ٧ ، ص ٢٣٩ س ٨ ، وأنظر ابن واصل : مفسرح الكروب ج ٢ ص ٢٠٨ ، الذى يذكر أنه كان قد كاتب أخاه العادل بمصر ، وأخاه صاحب اليمن ، يخبرهما يغرضه على الحج . وقد علق ابن شداد على عدم استطاعة صلاح الدين الحج بقوله ص ٢٣٩ س ٨ : وانقطع شوقه إلى الحج ، وكان من أكبر المصالح التي فاتته ، ولقد تعرض ابن شداد في الفصل الأول من كتابه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، وهو في سيرة صلاح الدين ، إلى حرصه على أداء جميع أركان وفرائض السلطانية والمحاسن اليوسفية ، وحين تعرض لفريضة الحج قال ابن شداد : أما الحج فإنه لم يزل عازمًا الإسلام من صلاة وصيام وزكاة ، وحين تعرض لفريضة الحج قال ابن شداد : أما الحج فإنه لم يزل عازمًا عليه ، وناويًا له ، بينما في العام الذى توفي فيه ، فإنه صمم العزم عليه ، وأمر بالساهب ، وعملت الروادة ، ولم يبق إلا المسير ، باعتناق عن ذلك بسبب ضيق الوقت وفراغ البد عما يليق بأمثاله ، فأخره إلى العام المستقبل ، فقضى الله ما قضى ، وهذا شيء اشترك في العلم به الخاص والعام . راجع النوادر السلطانية ، المستقبل ، فقضى الله ما قضى ، وهذا شيء اشترك في العلم به الخاص والعام . راجع النوادر السلطانية ، المستقبل ، فقضى الله ما قضى ، وهذا شيء اشترك في العلم به الخاص والعام . راجع النوادر السلطانية ،

⁽٣) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٧٠ - ٧٣ .

⁽٤) نفس المصدر ص ٧٦ - ٧٩ .

⁽٥) نفس المصدر ص ٧٣ - ٧٦ .

⁽٦) نفس المصدر ص ٨١ - ٨٤ .

وانشغال الخليفة في بغداد ، وملوك بني أيوب بالشام والجزيرة الفراتية ومصر ، بجمع العساكر لمواجهته ، مما جرأ البدو في بادية الشام والحجاز على نهب ركب الحجاج (١) ؛ فلا غرو أن اقترنت صحوة الموت ، التي بعثها الخليفة المستعصم بالله العباسي ، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد ، في دماء الخلافة العباسية ؛ بالاهتمام بأمور الخبج سنة ، ٢ ٦ ه - / ٢ ٢ ٢ م ، من تأمين طرقه ، وتوكيل إمارته لأمير كفء شجاع ، جدير بتحمل تبعاته ، وتكليفه بإخضاع أمير مكة ، ثم عمارة الأسبلة التي أنشأها من قبل خلفاء بني العباس في طريق الحج ، لسقاية الحجيج ، وتعيين السبلدارية المخصصين لخفظها ورعايتها ، إلى جانب إصلاح الآبار بطريق الحج (٢) .

إلا أن غارات التار، ما لبثت أن اشتدت ، وأصبحت تهدد عاصمة الخلافة نفسها ، بل استطاعت أن توجه للأمة الإسلامية كلها ، طعنة كادت تكون قاتلة لولا لطف الله بالإسلام والمسلمين ، ونهوض المماليك لإحياء الخلافة وحماية الإسلام (٢٠ وذلك بإسقاط الخلافة العباسية وقتل الخليفة المستعصم بالله سنة ٢٥٦ه / ١٢٥٨ ، فصار الناس بغير خليفة إلى سنة ٥٥ه هـ / ١٢٥٠ و المراق إذ أقيم في تلك السنة خليفة عباسي بمصر (١٤ ، الأمر الذي أدى إلى تعطيل أداء فريضة الحج من العراق تمام من سنة ٥٥ هـ / ١٢٥٧ م إلى سنة ٢٦٦ه / ٢٦٧ م (ولكن حج ملك اليمن الرسولى والملوك الرسولين هم مماليك بني أيوب باليمن كما تقدم القول الملك المظفر شمس الدين بسن رسول سنة ٥٩ه هـ / ٢٦٠ م ، وغسل الكعبة بنفسه ، وطيبها وكساها من داخلها وخارجها ، فكان أول من كسى الكعبة من الملوك ، بعد قتل الخليفة المستعصم ببغداد ؛ وعلى هذا النحو ، قام الملك المظفر بمصالح الحرم وأهله ، وخُطب له بمكة ، واستمر يخطب له بعده لملوك اليمن الرسولين على منبر مكة ، الى عصر المقريزي (القرن الـ ٩هـ) ، بعد الخطبة لسلطان مصر (١٠) .

 ⁽٢) يفيد ابن الفوطى أن الخليفة المستعصم ، عاد إلى الاهتمام بأمور الحج سنة ، ٦٤هـ ، وكان منقطعًا من سنة
 ٣٤هـ ، عن مظاهر هذا الاهتمام ، أنظر بالتفصيل ابن الفوطى : الحوادث ص ١٦٣ – ١٦٤ ، ص ١٦٦٠ م ص ١٦٣ ص ١٧٣ ص ١٧٧ .

⁽٣) أنظر قبله وبعده .

⁽٤) المقريزي : السلوك ١: ٢٢ .

⁽٥) ابن الفوطي : الحوادث ص ٣٥٨ ، المقريزي : الذهب المسبوك ص ٨٤ س ٧ - ٨ .

⁽٦) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ٨٤ .

مداومة سلاطين بنى أيوب ، وسلاطين الماليك من بعدهم ، على إرسال كسوة الكعبة من مصر؛ وكان السلطان الماليكي الظاهر بيبرس ، بعد نقله لمقر الخلافة العباسية إلى القاهرة ، هـو أول من أدار محمل الكسوة الشـريفة بمصـر ؛ وصـيرورة سلاطين الأيوبيين ، ومِـنّ بعدهـم سلاطين الماليك وسلاطين العثمانيين ، حماة الحرمين الشريفين والقبلتين :

ويرى الشيال ، أنه كان هناك نزاع خفى دائم ، بين ملوك اليمن الرسولين ، وبين ملوك الأيوبيين أولاً ، وسلاطين المماليك ثانيًا فى مصر ، حول السيطرة على الأراضى المقدسة بالحجاز ، ومظهر ذلك رغبتهم فى أن يخطب لهم على منابر مكة ، وسعيهم أن يكسوا هم الكعبة (١) ، خاصة وقد استن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سياسة محنكة ، تجاه السيطرة على موسم الحبح ، فتعمد إدارة محمل الكسوة الشريفة بمصر ، قبل إرساله إلى مكة فكان أول من استحدث هذا الرسم من سلاطين المماليك (٢) ، الأمر الذي تعمد إخفاءه - فيما يبدو - ملوك بني أيوب ، منذ عصر صلاح الدين ، وغم أن الكسوة كانت تصنع بمصر (١) ، وذلك إجلالً للخليفة ، ولاستكمال مظاهر سيادته على موسم الحج .

فحج السلطان بيبرس بنفسه سنة ٦٦٨ه / ١٦٦٨م ، ورتب أموالاً سنوية لأمير مكة ، عوضًا عما يؤخذ بمكة من المكوس عن الحجاج ؛ كما اشترط على أميرى مكة والمدينة ، أن يخطب له بمكة والمشاعر ، وتضرب السكة باسمه ؛ وكتب التقليد ، لأميرى مكة والمدينة من قبله ، وسلم أوقاف الحرم بمصر والشام لنوابهما ، وأنعم على الطواشية خدام الحجرة الشريفة (أ) ، الذين كان صلاح الدين أول من رتبهم (6) .

وهنا نلاحظ أن سياسة بيبرس لرعاية الحرمين الشريفين ، مستمدة من سياسة نور الدين زنكى ، ثم صلاح الدين الأيوبي (٢٠) ، فبعد أداء بيبرس لفريضة الحج ، غسل الكعبة بيده بماء الورد ، وعلق كسوتها بنفسه ومعه خواص رجاله (٧) ؛ ومن هذه السنة ، أصبح محمل الحج المصرى ، رمزًا لسلطة

⁽۱) الشيال: مقدمة كتاب الذهب المسبوك للمقريزى ص ۲۱. وأنظر عن علاقات بنى رسول بالخلافة العباسية ابن الفوطى: الحوادث ص ۱۲۲ وأنظر عن محاولة بنى رسول الاستيلاء على مكة، بعد موت الملك الأقسيس بن الملك الكامل، صاحب اليمن الأيوبى، ونجاحهم فى طرد نواب الملك الكامل من مكة، أنظر ابن الفوطى: الحوادث الجاممة ص ۱۲۳ - ۱۲٤، وأنظر تفاصيل اشتباك مسلح كاد يقع بين عساكر الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر، وعساكر الملك المنصور نور الدين بن رسول ملك اليمن سنة ، ٣٤ هـ، داخيل مكة إبان موسم الحج (أنظر المقريزى: السلوج ١ ص ٣١٧) ولعل هذا الخبر ما يفسر الحملة البحرية التي أرسلها الصالح نجم الدين أيوب إلى اليمن سنة ٣٦٨ه (المقريزى، ١ : ٣٠٩).

⁽٢) الشيال: نفس المصدر ص ١١.

⁽٣) أنظر قبله .

⁽٤) المقريزى : الذهب المسبوك ص ٨٧ - ٨٩ .

⁽٥) أنظر قبله . (٦) أنظر قبله .

⁽٧) المقريزي : الذهب المسبوك ص ٩١ .

سلطان مصر ، وحمايته للحرمين الشريفين ، وبسط نفوذه الروحي والزمنسي ، على كافية أنحاء العالم الإسلامي ، في كل مدينة ينزل بها المحمل ، على طول الطريق من القاهرة إلى مكة (١) .

فلا غرو أن اتخذ بيبرس، بعد نقله للخلافة العباسية إلى مصر، القابّا لم يتخذها من قبله، سلاطين البويهيين أو السلاجقة أو حتى أساتذته بنو أيوب: فتلقب بد «سلطان الإسلام والمسلمين»، وهو لقب جديد ظهر بعد أن هوت الخلافة العباسية ببغداد سنة ٢٥٦هـ / ٢٥٨ ام، وأصبح السلطان المملوكي بمصر، هو الزعيم الحقيقي للعالم الإسلامي، كما تلقب بد «صاحب القبلتين»، أي الكعبة والمسجد الأقصى، و «خادم الحرمين الشريفين» أي الحرمين المكي والمدنى، وهو لقب اتخذه من قبل صلاح الدين (٢)، «والآمر ببيعة الخليفتين»، أي الخليفة المستنصر العباسي، ثم الحاكم بأمر الله العباسي، وكلاهما بويع بمصر على التوالى؛ وأخيرًا توج الظاهر بيبرس هذه الألقاب، بلقب «قسيم أمير المؤمنين» (٢).

وظل لقب « حامى حمى الحرمين الشريفين » أهم الألقاب التى يتفاخر بها سلاطين المماليك ، ويتطاولون به على كافة سلاطين الإسلام المعاصرين لهم ، بحيث جعلهم هذا اللقب ، بالإضافة إلى تربعهم على عرش مصر ، أعظم ملوك الإسسلام بملاحظة مؤرخهم ابن إياس (1) ؛ وكان ميراث العثمانين لهذا اللقب ، عن سلاطين المماليك المصريين ، إلى جانب أصطحاب الخليفة العباسي المصرى إلى استانبول ، من أهم الأسباب التي شجعت سلاطين بني عثمان ، على إعلان قيام خلافتهم (٥) .

وقد حرص السلطان سليم العثماني ، فاتح مصر ، على أن يحى تقليد إرسال صدقة القمح إلى الحرمين من مصر (٢٠) ، إشعارًا وتأكيدًا بأنه أصبح حامى هي الحرمين الشريفين ؛ وكانت صدقة

⁽١) أنظر: Jomier: Le Mahmed وهؤ فصل بعنوان " المحمل وسياسة بيبرس " ،

⁽٢) أنظر قبله .

⁽٣) أنظر دراسة وافية لهذه الألقاب وغيرها من ألقاب السلطان الظاهر بيبرس فى مقال محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقدارى : المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث ، العدد الأول ، مايو سنة • ١٩٥٠ ، ص . ١٩٠ - ١٠٢ .

⁽٤) ابن إياس: بدائع الزهور ٥: ٢٠٦.

⁽٥) أنظر قبله .

⁽٦) أنظر كتاب السناء الباهر رقم ٢٠٣٣ تاريخ تيمور بدار الكتب ص ٢٢٤ ، وكتاب الإعلام لقطب الدين رقم ١٢٣٩ تاريخ تيمور بدار الكتب ص ٣٣٢ ، وكتاب نزهة الجليس رقم ٩٤ أدب - تيمور بدار الكتب المصرية ج ١ ص ١٧٦ ، وأنظر أحمد تيمور : التذكرة التيمورية ص ١٣١ – ١٣٢ ، مادة " الحجاز " .

الحرمين من القمح ، ترسل من مصر أيضًا منذ العصر العباسى الأول ، وكان أول من قررها البرامكة (١) ، وهم من وزراء بنى العباس ، واستمرت في عصر صلاح الدين وخلفائه من سلاطين بنى أيوب (٢) .

 ⁽۱) أنظر الجهشيارى: رقم ۲۲٤٤ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ص ۲۱۱ – ۲۱۲ ، وأنظر أحمد تيممور:
 التذكرة التيمورية ص ۱۳۱ .
 (۲) أنظر قبله ، وأغلب الظن أن العثمانيين ، ورثوا إرسال صدقة القمح من مصر إلى مكة عن المماليك .

⁽٣) المقريزي : الذهب المسبوك ص ٦٩ .

⁽٤) أنظر ابن جبير : الرحلة ص ٧٣ ، المُقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٠ – ٧٩ . ٨١ - ٨٣ .

⁽٥) أنظر المقريزى: الذهب المسبوك ص ٢١ - ٢٢، ٨٥ - ٥٥، ٥٥ - ١٠٩

⁽٦) سبط : مرآة ٨: ٣٨٨ .

⁽٧) يقول ابن جبير: وللحرم أربعة أئمة سنية ، وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية ، وأشراف أهل هذه البلدة على مذهبهم ، وهم يزيدون في الأذان: حي على خير العمل ، أثر قول المؤذن حي على الفلاح ، وهم روافيض سبابون ، والله من وراء حسابهم وجزائهم ، ولا يجمعون مع الناس (أي أنهم لا يصلون صلاة يسوم الجمعة) إنما يصلون ظهرًا أربعًا ، ويصلون المغرب ، بعد فراغ الأنمنة من صلاتها (أنظر الرحلة ص ٧٨ س ١٥ - ١٥)

⁽٨) أنظر ابن الفوطى: الحوادث ص ٢٥٣، وليس صدفة ولا ريب، أن أمراء مكة الزيدية، لم يجرؤا على إظهار ميلهم لأثمة اليمن الزيدية، وترتيب أمام بالحرم يؤذنه بالشعار الشيعى " حى على خير العمل " إلا فى سنة ٢٤٨هـ، وهى التى أصبح فيها زوال ملك بنى أيوب من مصر، أمرًا أكيد الوقوع.

⁽٩) أنظر محمد عبد الله ماضى ، دولة ائمة اليمن الزيدية ، مقال بمجلة الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد٣، ج ١. ١٩٥٠م ، ص ١٥ – ٣٥ ، وأنظر أيمن فؤاد : المذاهب الدينيـة بـاليمن فـى القـرن الرابـع الهجـرى ، رسـالة ماجستير جامعة القاهرة ،١٩٨٠ تحت إشراف الدكتور حسن محمود .

ويبدو أن الأيوبيين قد اكتفوا إقرارًا للأمور ، نتيجة للبعد التاريخي المرتبط بحكم الأنصة الزيدية باليمن ، وشدة حماسة اليمنيين للمذهب الزيدي ، بأن يخطب أنمة الزيدية باليمن للخليفة العباسي السني ، ويعترفون بخلافته (1) .

أما الخليفة العثماني السنى ، فقد ظل يخطب له بالحرمين ، اربعة قرون ، حتى سقوط الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين (٢) ، بمعنى أن الخلافة السنية ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٢٧٥هـ / ١٧١ م ، قد دعى لها على الحرمين طوال سبعة قرون ، بدأت بالعصر الأيوبى ، وانتهت بالعصر العثمانى ، وهو مظهر من أهم مظاهر غلبة الدعوة السنية على العالم الإسلامى ، منذ ظهور حركة الأحياء السلجوقي (٢) .

حاز السلطان الأيوبى إذّا منذ عصر صلاح الدين ، شرف هاية فريضة الحج والإشراف على الحرمين الشريفين ، وتعضيد النفوذ السياسى لأمير لواء الحج العراقى على بلاد الحجاز ؛ كما أصبحت السلطنة الأيوبية هى حامية الدعوة العباسية ، والعاملة على نشر دعوتها فى جميع ديار الإسلام ، سواء فى ممتلكات الخلافة الفاطمية أو الخلافة الموحدية ، وفوق ذلك فى البلاد الإسلامية بالشام التى يتم استردادها من الصليبين ، وأخيرًا على منبر المسجد الجامع بمدينة القسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى . ولا ريب أن تفرد سلاطين بنى أيوب ، بالنهوض بأعباء الدعوة العباسية ، وهاية الخليقة العباسى ، وإلزام ملوك الأطراف إظهار الطاعة والتبعية له ، قد أمد السلطنة الأيوبية بسند شرعى ، جعلها تتصدر الزعامة السياسية للعالم الإسلامى .

والجدير بالملاحظة أن أول السلاطين السنيين الذين اضطلعوا بحماية فريضة الحج ، قبل نور الدين زنكى وتلامذته سلاطين بنى أيوب ، كان السلطان محمود الغزنوى أول السلاطين السنيين وأقدمهم ظهورًا في تاريخ المشرق الإسلامي^(٤) ؛ ثم ورثة تلامذته السلاجقة ، فالسلطان ملكشاه السلجوقي ، كان أول من استن وسائل حماية هذه الفريضة لمن بعده من السلاطين ، فبنى أجواض الماء

⁽١) أنظر ابن الفوطى : الحوادث ص ٢٥٨ .

⁽٢) أنظر سيد رجب حراز : الدولة العثمانية والجزيرة العربية ص

⁽۱) انظر شید وجب خوار . اندونه انتصاب و بریوه اسان ح (۳) انظر قبله وبعده .

⁽٤) قال ابن الجوزى في حوادث سنة ٢١٤هـ: قمن الحوادث فيها ، أنه كان حاج العراق تأخر عن الحج سنة ١٠٥ و ٢١١هـ، فلما جاءت سنة ٢١٤هـ، قصد جماعة من الناس يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، وقالوا له : أنت سلطان الإسلام ، وأعظم ملوك الأرض ، وفي كل سنة تفتيح من ببلاد الكفرة قطعة ، والثواب في فتح طريق مكة أعظم ، والتشاغل به أوجب ، وقد كان بدر الدين بن حسنوية ، وما في أصحابك إلا من هو أكبر شأنًا منه ، يسير الحاج بماله وتدبيره عشرين سنة ، فأنظر لله تعالى ، واجعل لهذا الأمر حظًا من اهتمامك ، فتقدم إلى أبي محمد الناصحي ، قاضى القضاه في مملكته بالتأهب للحج ، ونادى في سائر أعمال خراسان بالتأهب للمسيرة ، وأطلق للعرب في البادية ، ثلاثين ألف دينار ، وسلمها إلى الناصحي ، سوى ما أطلقه من الصدقات ، (ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢) .

على طريق الحجاز ، ورفع المكوس ورسوم الخفارة عن طريق الحاج ، وأقطع أمراء الحرمين نظير ذلك الإقطاعات والأموال ، وكانوا يأخذون قبل ذلك من كل حاج سبعة دنانير ذهبية ، وأنعم كذلك على عرب البادية وعلى مجاورى الكعبة بالإنعامات الطائلة(١) .

ويبدو أن حماية فريضة الحبج ، كان عهدًا قطعه السلاجقة على أنفسهم ، حين أعلنوا قيام سلطنتهم سنة ١٦ ٤ ه . ١ م ، وطاعتهم وتبعيتهم للخلافة العباسية ، بحيث وعدوا الخليفة بمداومتهم على زيارة الكعبة ؛ وإن كانت ظروف دولتهم قد حالت أغلب الظن دون قدومهم بأنفسهم إلى الحجاز (٢) ، لأن المقريزى في كتابه الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك لم يترجم لأحد من سلاطين بني سلجوق .

وقد أكد تقليد الخليفة العباسى المستنصر بالله ، الذى فوض بمقتضاه السلطنة للملك الكامل الأيوبى سلطان مصر ، أن حماية فريضة الحج ، أصبحت من أهم الواجبات الدينية ، التى عهدت بها الخلافة العباسية ، لسلاطين بنى أيوب (٣) ؛ فلا غرابة أن أصبحت حماية فريضة الحج فى العصر

⁽١) أنظر الراوندى: راحة الصدور ، ص ٢٠٥ .

⁽٢) أكد هذا الظن الإمام الجويني ، اللذي كان الفقيه والمفكر السياسي الأكبر في عصر السلاجقة ، وذلك في كتابه الشهير غياث الأمم ، وهو كتاب فقهي في علم الأحكام السلطانية ، ألف بامسم الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك وأهداه إليه ؛ إذ أفاد الجويني أنه إذا كان حج السلطان إلى مكة سوف يعوقه من مباشرة أمور الإمامة بأكملها ، وهي الخاصة بإمضاء شريعة الإسلام ، ورعاية شئون الرغية ، وإقرار الأمن في ديـار الإسلام ، والدفاع عن بيضة الإسلام بالماغرة في الثغور ، فإن فريضة الحبج تسقط عن السلطان ؛ كذلك إذا كان الحج ، سوف يعرضه هو ورعيته للأخطار ، سقط وجوب الحج عن السلطان ورعيته ؛ ومن لم فالجويني يناشد السلطان السلجوقي في عصره ، ضرورة العناية بتأمين طريق الحج وحماية الحجيج . أنظر مناقشة فقهية طويلة لهذه القضية عند الجوينسي : غياث الأمم ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ومصطفى حلمي ، القاهرة ٩٧٩م . ص ٢٦٤ – ٢٧٠) . ولاشك أن هذه الأسباب التي أجازت شرعًا لســــلاطين الســـلاجقة - في رأى الجويني - إسقاط فريضة الحج عنهم " لعدم الاستطاعة " ، هي ذاتها التي تفسر عدم إقدام أحد من خلفاء الفاطميين على أداء فريضة الحج ، وغدم استطاعة أحد من الخلفاء والعباسيين بعد عصر هارون الرشيد، الذي شهدت الخلافة في عصر أولاده الانقسام وظهور الدويلات المنقطعة ، أيضًا أداء هـذه الفريضة ، وهي تُفَسر أخيرًا عدم استطاعة صلاح الدين الحج ، رغم رغبته في ذلك ، وإظهار العزم على أداء هـده الفريضة قبيل موته . ولقد أوضح الجويني أن ارتباط العبادات بنظر الإمام وإشرافه عليها ، ينسحب على العبادات والفرائض التي ترتبط باجتماع جمع غفير من المسلمين مثل فريضة الحج ، كما أوضح أن وظيفة إمسارة الحمج ، كان النبي يقوم بها بنفسه ، وأحيانًا ينيب فيها أبا بكر الصديق ، ثم أصبح خلفاء المسلمين يستنيبون فيها الأمراء أو ذوى الألوية (غياث الأمم ص ١٤٦ - ١٤٧) .

⁽٣) جاء في هـذا التقليد على لسان الخليفة : وأمره باعتبار أسباب الاستظهار والأمنة ، واستقصاء الطاعة المستطاعة ، والقدرة الممكنة ، في المساعدة على قضاء تفث حجاج بيت الله الحرام ، وزوار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأن يمدهم بالإعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ، ويحرسهم من التخطف والأذى في حالتي الظمن والمقام ، فإن الحج أحد أركان الدين ، المشيدة ، وفروضه الواجبة المؤكدة ، قال الله تعالى : " ولله على الناس حج البيت " سورة آل عمران الآية ٩٧ ، أنظر القلقشندى : مآثر الإنافة ، ص ١١٤ - ١٠٥ .

المماليكي بمصر ، وبعد انتقال مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة ، إثر سقوط بغداد عاصمة الخلافة أمام الغزو المغولي ، من أهم واجبات السلطان المملوكي ، وراثة عن سلاطين بني أيوب(١) .

(١) أجمع الفقهاء المصريون ، الذين ألفوا كتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية ، في العصر المماليكي ، أن تأمين طريق الحج ، من أهم الواجبات الشرعية التي يلتزم بها السلطان المملوكي . وقد حرص هؤلاء الفقهاء على أفراد فصول وفقرات من مؤلفاتهم لشرح أهمية إشراف السلطان على تعيين أمير للحج ، وحمايسة فريضة الحج، وإرسال الكسوة إلى الكعبة. فيقول خضر بن أبي بكر في الفصل الثالث من الباب الرابع من كتابه المناقب المعزية وعنوانه: " في أمير الحج " : ينبغي لـه (أي السلطان) أعزه اللـه ، أن يقيم شعار الحج ، فإنه من أركان الإسلام .. وليؤمر عليه أميرًا ، وهي ولاية سياسية وحراسة ، ومن شرطه أن يكون مطاعًا ، ذا رأى وشجاعة وهداية ، عارفًا بمناسك الحبج وأوقاته ، وأن يجمع الناس ويرتبهم ، ويرفق بهم ويحميهم ، ويصلح بين المتنازعين فيهم (أنظر المناقب المعزية - خ ، ص ٩٠) . أما ابن جماعة فيذكر أن الحق الثالث من حقوق الرعية العشر على السلطان لإقامة شعائر الإسلام ، والإعتماء بتيسير الحجيم من نواحي البلاد ، وإصلاح طرقهم وأمنها في مسيرهم ، وانتخاب من ينظر في أمورهم (أنظر تحرير الأحكمام - خ ، ص ١٥، الباب الناني). وكان عبد الصمد الصالحي، أكثر فقهاء العصر المماليكي توضيحًا لدور السلطان في حماية فريضة الحج ، وعمارة الكعبة وكسوتها ، فكتب يقول : وأما كسوة الكعبية زادها الليه تشريفًا وتعظيمًا ، فينبغى للملك أن يكسوها في كل سنة كما جرت به العادة ، ويكون ثمن الكسوة وما ينصرف عليها من مال الخراج والجزية ، وما يهديه أهل الحرب إلى الملك ، وهذه جهة مصرفها قديمًا ، وأما الآن فلهما جهة مخصوصة ، فتكسى منها مع شمول نظر الملك في أمرها ، وعرض الكسوة بين يديه وتفقد أحوال ذلك ، ويكون الناظر عليها رجلاً دينًا أمينًا عفيفًا عاقلاً ، ذا ثروة ومال ، يمنعه من التماس شيىء من مالها المعد لها في كل سنة .. ، وأما إصلاح طريق الحاج ، فينبغي للملك أن يتعهد ذلك في كل سنة ، بعمارة البوك في الطريق، وتطرق الماء إليها، ونزح الطين من الأعين، وتمهيد ما في الطريق من الوعر، وتسهيل ذلك وتوسيع المضايق وبناء العلائم (أي العلامات الهادية في الطريق) ويصرف على ذلك من المال المتقدم ذكره ؛ وأما تجهيز المحمل الشريف في كل سنة فكذلك ، ويصرف عليه من المال المذكور . وينبغي للملك أن يوصى أرباب الإدراك بطريق الحاج بحفظ الحجاج ورعايتهم ممن يؤذيهم ، وأن يصرف لهم معاليمهم المرتبة لهم في كل سنة من بيت المال ، ويجهز خلعهم الجاري بها العادة إليهم ، فهذا صرف لهم ذلك بتمامـه مـن غـير نقص ، وحصل للحاج مع ذلك ، أذى من قطع طريق أو غيره مما يكون حفظه لازمًا لهم ، يُنبغي للملك أن يرسل خلفهم ويعفهم على ذلك ويهددهم إذا عادوا في التقصير لحفظ الحاج ؛ وأما ترتيب سير الحاج ، فينغى للملك أن يوصى أمير الحاج في كل سنة بالرفق في السير ، وحفظ الحجاج ، وتفقد أحوالهم ، ولا سيما الفقراء منهم ، وإقامة الحرمة ، والإقامة بهم في الأماكن التي جرت بها العادة بالمقــام فيهــا ، وينبغي للملك أن يرسل معهم في كل سنة طائفة تحميهم وتمنع عنهم العدو . أنظر عبد الصمد الصالحي : هدية العبد القاصر إلى الملك الناصر – خ ، مكتبة كوبرئى برقم • ٢٩ ، ومصور بالمكتبة الزكية بدار الكتب المصرية برقسم ٢٦٠٢ تاريخ ، ٥٥٨٣٦ عمومي ، الفصل الرابع لوحة ٥١ – ٥٢ .

الفصل السادس

تَبَعِيَّة سلاطين بني أيوب ، لدولة الخلافة العباسية السُّنِّيَّة ،

ونهوضهم بفريضة الجهاد ، وتوحيدهم كلمة المسلمين ، `

ونشرهم لعلوم السُنة .

ـ التقليد والتفويض الخايفي لسلاطين بني أيوب

. ألقاب السلطنة الأيوبية .

ـ سلطنات إسلامية متعاصرة، وأسباب تفرد السلطنة الأيوبية بالتفويض الخليفي في ديار الإسلام .

ـ الوضع الشرعي للسلطنة الأيوبية .

تبعية سلاطين بني أيوب ، لدولة الخلافة العباسية السُنيّة

ونهوضهم بفريضة الجهاد ، وتوحيدهم كلمة المسلمين ، ونشرهم لعلوم السُّنَّة :

التقليد والتفويض الخليفي لسلاطين بني أيوب:

لا ريب أن التفويض الخليفي لصلاح الدين ولخلفه، كان بالإضافة إلى إسباغه الشرعية ، في نظر المعالم الإسلامي ، على الممتلكات النورية والفاطمية التي ضمها إلى دولته الفتية ، فإنه كان تفويضًا من الخليفة العباسي إلى صلاح الدين ، بجميع السلطات الشرعية ، التي يعد الخليفة هو القائم بها ، من واقع تفويض الأمة الإسلامية له هذه السلطات عن طريق مبايعة أهل الحل والعقد له بالخلافة (١) .

ولقد حدد القلقشندى ، الوظائف الرئيسية فى الدولة الإسلامية ، بوظائف عشر ، يفوضها الخليفة إلى من يرى فيه الكفاءة على القيام بها على خير وجه ، ثم أفاد أن هذه الوظائف العشر ، أصبحت يفوضها الخليفة إلى السلطان ، ثم يفوضها السلطان بدوره إلى من يستطيع النهوض بأعبائها(٢٠) .

ولدينا لحسن الحظ، وثيقتان هامتان، إحداهما خاصة بتقليد الخليفة الناصر لدين الله العباسى لصلاح الدين ال عمد بن العادل العباسي للملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر (1).

وبدراستنا لهاتين الوثيقتين ، دراسة مقارنة ، نستطيع أن نحدّد السلطات الشرعية التى فوضها الخلفاء العباسيين لسلاطين بنى أيوب ، على أساس أن الوثيقة الأولى ، ترجع إلى عهد قيام الدولة الأيوبية ، والوثيقة الثانية ، ترجع إلى عصر استقرارها وبلوغها أوج اتساعها في عصر السلطان الملك الكامل محمد .

كما أن لدينا أيضًا ، وصفًّا دقيقًا شائقًا ، لرسوم وصول الخلع الخليفية ، مع رسل وسفراء الخلافة العباسية إلى مصر ، واستقبال سلاطين الأيوبيين لهؤلاء السفراء ، وركوب السلاطين المصريين في موكب رسمى ، بالآلات الملوكية والخلع والأعلام الخليفية ، المميزة باللون الأسود شعار بنى العباس ، وبين يدى السلطان وزيره راكبًا فرسه ، حاملًّا عهد الخليفة «التقليد الخليفى» ، الذى يسبغ الشرعية على سلطنة بنى أيوب ، أمام رعاياهم المصريين وأمام العالم الإسلامى كله (٥٠) .

⁽١) أنظر قبله ، وبعده .

⁽٢) أنظر القلقشندى : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، ١: ٧٤ - ٨٠ .

⁽٣) أنظر نص هذا التقليد عند القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٦ – ٩٨ ، صبح ، ١٠ : ١٤٥ – ١٥٢ .

⁽٤) أنظر نص هذا التقليد عند القلقشندي : مآثر ، ٣: ٩٩ – ١٢١ ، صبح ، ١٠ : ٩٨ – ١١١ .

⁽٥) أنظر وصف تفصيلي لهذه الرسوم عند المقريزي : الخطط ، ٣: ١٧٤ – ١٧٥ .

وقد حدّدت التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب ، حدود ممتلكات الدولة الأيوبية ، التى سوف يسرى فى أراضيها هذا التفويض الخليفى ؛ وهنا نلاحظ أنه إلى جانب البلاد والممتلكات ، التى كان كل من صلاح الدين ، ثم السلطان الكامل ، قد ضموها إلى دولتهم بالفعل ؛ فإن الخليفة العباسى ، كان يتعمد تقويضهم سلطاته الشرعية ، على كل البلاد التى سوف ينجحون فى ضمها إلى ممتلكاتهم ؛ سواء من البلاد التى كان الفرنج قد استولوا عليها ببلاد الشام ، أو البلاد التى كانت الخلافة الفاطمية ، والكيانات السياسية الشيعية التابعة لها ، قد نشرت فيها المذهب الفاطمى ، وخطبت على منابرها للخليفة الفاطمى (۱) ؛ وقد داوم . . الخليفة فى هذه التقاليد على تذكير سلاطين بنى أيوب ، على ما يجب عليهم شرعًا من طاعة الخليفة العباسى ، والولاء للخلافة العباسية ، وأن يطالعوا الخلافة الباسية ، وأن يطالعوا الخلافة بأحوال دولتهم ، ويطلبوا منها المشورة عند الملمات (۱) .

ثم تنتقل التقاليد ، إلى التنويه عبيراث البيت العباسى ؛ لنص النبى على أن الخلافة والإمامة في بيت عمه العباس !؟ ، ثم تعداد فضائل ومناقب البيت العباسى ، بل الغريب أن صرحت هذه التقاليد ، عبداً عصمة الأئمة ، ووصفت الخليفة بأنه «إمام المسلمين خليفة الله في أرضه » ، وأنه الذي حاز «مواريث البوة والإمامة ، وخصه الله من حسن التوفيق الإلهى بامتن عصمه » ، «. واختاره للمسلمين إمامًا»؛ وفي هذا جنوح للنظريات السياسية الفاطمية ، الخاصة بالإمامة ، مشل مبدأ « المنصيص » ، و عصمة الائمة مع التلميح إلى مبدأ « الحكم الإلهى » والمفاهيم الثيوقراطية للدولة ، كما ألمحت هذه التقاليد أيضًا إلى فكرة حق الخليفة في الولاية والطاعة على جميع المسلمين وهو ما عبرت عنه التقاليد بـ « الطاعة الواجبة على الخلائق » ، وفي هذا أيضًا تأثرًا بمبدأ « الولاية » ، عند الفاطمين ؛ كذلك تبدى تأثر الخلافة العباسية ، غداة القضاء على الخلافة الفاطمية بالصيغ والمفاهيم الشيعية الخاصة بالصفات الدينية للخلفاء ، من دعاء كاتب هذه التقاليد ، للخليفة بالعباسي ، بصيغة «صلوات الله عليه وسلامه » ، وهي أيضًا صغة شيعية (") .

⁽۱) أنظر القلقشندى: مآثر ، ۳: ۸۸، ، س ۹ – ۱۷ (تقليد صلاح الدين) ، ج ۳ ، ص ۱۰٤ – ۱۰۵ ، د ا تقليد الملك الكامل .

⁽۲) أنظر القلقشندى : مآثر ۳: ۸۸ ، س ۲ - س ۸ ، ۹۷ - ۹۸ (تقلید صلاح الدین) ، ۳: ۱۰۰ - ۱۰۱ ، (تقلید الملك الكامل) .

⁽٣) عن هذه التعابير والصبغ الشيعية الواردة في التقاليد الخليفية لسلاطين بني أيوب أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣ : ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٢ ، وعن النظريات السياسية الفاطمية أنظر ماجد: نظم الفاطميين، ١٠٤ - ١٠٠ ، وأنظر قبله هامش واف في الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، فيه مناقشة هذه النظريات السياسية الفاطمية .

والملاحظ أن هذا الأثر الواضح ، للفكر السياسي الفاطمي ، في المفاهيم والصيغ السياسية للخلافة العباسية ، وخلفاء بني العباس ، إثر سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، وتفرد العباسيين بالخلافة ، قد وجدنا أثره في مدائح الشعراء لخلفاء بني العباس التي ترجع إلى هذا العصر ، بـل وجدناه أيضًا في الوثائق الرسمية والنقوش التي ترجع إلى هذا العصر أيضًا (١) .

أما جوهر السلطات الشرعية ، التى فوضها الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، فهى فى الواقع جميع السلطات الشرعية التى عرفت فى الدولة الإسلامية ، وهى فى مجملها تدور فى فلك الوظائف العشر التى قسم القلقشندى (٢) عليها ، السلطات السياسية العامة ، التى يمنحها الخليفة للسلاطين ، ويمنحها السلاطين بدورهم لمن يتولى مباشرتها من الأكفاء ؛ وهى : إمامة الحرب أى قيادة الجيوش ، وإمامة الصلاة ، ونظر المظالم ، والمعاون والأحداث ـ أى ولاية الشرطة ـ ، والحسبة ، ونظر الأوقاف ، والأشراف على جباية الجبايات الشرعية مشل الخراج والزكاوات والجوالى وسائر وجوه الجبايات وصرفها فى أوجه صرفها الشرعية واختيار الأمناء الأكفاء العارفين بأحكام الشريعة لجبايتها وصرفها ؛ وبخصوص ولاية القضاء ، أى السلطة التشريعية فى البلاد ، فلقد أمر الخليفة السلطان ، بتقوية يد القضاه لتمكينهم من تنفيذ الأحكام والحدود الشرعية ؛ ويستلفتنا بخصوص وظيفة نظر المظالم ، المر السلطان بأن يتولى نظرها بنفسه ، ولا يفوض أو يستنيب فيها أحد ، ليظهر العدل فى الرعية ، ويساوى بين أقويائهم وضعفائهم ، ويمنعهم عن النظالم فيما بينهم .

ولقد عمدت التقاليد الخليفية لسلاطين بنى أيوب ، على توضيح كل سلطة مخوّلة إلى السلطان الأيوبى على حدة ، وشرح كيفية اختياره لمباشريها ، أو إشرافه عليهم ، لتؤدى مصالح المسلمين على الوجه الأكمل .

وقد نوهت هذه التقاليد ، بضرورة النزام السلطان ياقامة وإظهار شعائر الإسلام ، وتشييد قواعده ، بالنهوض بنفسه بإمامة الصلاة في صلوات الجمع والأعياد ، والإشراف بنفسه على تعمير المساجد ، كما أناطت به وظيفة دينية هامة ، وهي حماية وتأمين طريق الحج⁽⁷⁾ .

كما حثت التقاليد الخليفية ، سلاطين بني أيوب على ضرورة جهاد الفرنج في بالاد الشام ، لكون جهاد المشركين ، فريضة إسلامية (1) .

⁽١) أنظر تبع لهذه النصوص في الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

⁽٢) أنظر القلقشندى: مآثر ، ١ : ٧٤ - ٨٠ .

 ⁽٣) أنظر ما تقدم بحثًا مستوفيًا عن حماية الأيوبيين لفريضة الحج . وأنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ١١٤ – ١١٥
 (تقليد الكامل) .

⁽٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٤ ، س ٩ – ١٧ (تقليسه صلاح الديسن) ، ج ٣: ص ١١١ – ١١٤ (ر تقليد الكامل) .

ولم يفت التقليد الخليفي ، أن ينبه السلطان الأيوبي ، إلى العهد الذي التزمه بالخطبة على منابر مملكته للخلافة العباسية « فيقيم الدعوة الهادية على المنابر على عادة من تقدمه »(1) ؛ ولما كان صلاح الدين ، هو مؤسس الدولة الأيوبية ، وأول سلاطينها ، فأغلب الظن أن الخليفة يعنى بعبارة « على عادة من تقدمه » ، السلاطين السنين ، الغزنويين والسلاجقة والزنكيين على التوالى .

وفى حين ألمح التقليد الخليفى لصلاح الدين إلى أنّ تتبع فلول الشيعة ودعاتهم من المهام الموكولة إلى المحتسب^(۲) ، وإلى وجود رجال للشرطة فى أطراف البلاد مكلفين بالقبض على دعاة الشيعة ؛ لم يشر تقليد الملك الكامل إلى اهتمام المحتسب بتتبع الشيعة ودعاتهم^(۲) ؛ وأغلب الظن لأن الدعوة الفاطمية ، كان قد تم القضاء عليها تقريبًا فى عصر الملك الكامل⁽¹⁾.

فعلى هذا النحو إذًا ، فوض الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، جميع سلطاته الشرعية ، بوظائفها الدينية والحربية والإدارية ، وترك لهؤلاء السلاطين اختيار الأكفاء من رعاياهم القادرين على النهوض بأعباء هذه الوظائف على الوجه الأكمل ، ليفوض السلطان بدوره ، لكل منهم ، سلطات الوظيفة التي يستطيع الاضطلاع بها ؛ ولقد أوضحت كتب السياسة الشرعية ، أن تفويض السلطان الوظائف العامة للأكفاء ، يعد في الفقه الدستورى الإسلامي ، من باب أداء الأمانات إلى أصحابها (٥) ؛ وذلك لأن حق الرعية ، يعد من الناحية الشرعية النظرية هو حق الله (١) ؛ بمعنى أن من فرط في مصلحة الرعية ، وفي حق من حقوقها ، فكأنه فرط في حق من حقوق الله .

والجدير بالالتفات ، أننا نجد في التفويض الخليفي لسلاطين بني أيوب ، تلخيصًا شاملًا لأهم قواعد وأسس النظرية السياسية في الإسلام ؛ فنجده ينص على المبدأ والمحور الأساسي لهذه النظرية ، وهو مبدأ الشوري (٧) ؛ كما يؤكد ارتكاز المفاهيم السياسية في الإسلام على أساس أخلاقي يستمد أصوله من السنة النبوية (٨).

⁽۱) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٩ ، س ٨ - ١٨ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١٠٩ ، س ٢ - ١٥ (تقليد الكامل) .

⁽٢) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٣ - ٩٤ (تقليد صلاح الدين) .

⁽٣) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ١١٩ ، س ١ - ١٥ (تقليد الكامل) .

⁽٤) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

⁽٥) أنظر ابن تيمية : السياسة الشرعية ، تحقيق على سامي النشار ، ١٩٥١م ، ص ٤ - ١١ .

⁽٦) نفس المصدر ، ص ٦٦ - ١٧٢ .

⁽٧) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٩٢ ، م ٨ - ١١ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١١٠ ، س ٧ - ١٣ (تقليد الملك الكامل) .

⁽٨) أنظر القلقشندى : مآثر ،٣: ٨٧-٨٩ (تقليد صلاح الدين) ، ٣: ١٠٠-١١ (تقليد الملك الكامل) .

وترتيب هاتين الوثيقتين ، يكاد يتطابق ، بل أن الأفكار في الوثيقتين واحدة ، ولم يتغير سوى الأسلوب ؛ ومنهج الوثيقتين ، هو النص على الأمر الخليفي ، أى السلطة أو الوظيفة المفوضة ، ثم الاستشهاد على كونها مستمدة من الشرع ، أى من القرآن والسنة .

ويستلفتنا عند مقارنة رسوم المكاتبات الإنشائية في كلتا الوثيقتين ، أن ديوان الإنشاء الخليفي ، لم يفته التمييز في رسوم الإنشاء الرسمية ، بين تقليد صلاح الدين ، وكان في ذلك الوقت ، حاكمًا مستقلاً بمصر وبلاد اليمن والحجاز والقيروان وبعض مدن الشام ، وبين تقليد الملك الكامل ، وكان في ذلك الوقت سلطانًا على أغلب بلاد المسرق الإسلامي ، بما فيها بلاد الشام والجزيرة الفراتية وأجزاء من آسيا الصغرى ، وهذا ما لاحظه مؤرخو ديوان الإنشاء في العصر الأيوبي مشل ضياء الدين بني الأثير ، وفي العصر المماليكي ، مثل القلقشندي (١) .

ألقاب السلطنة الأيوبية :

وسنقف قليلاً ، لمناقشة الألقاب الرسمية ، التي منحها الخلفاء العباسيون ، لسلاطين بني أيوب، متخذين في دراستها ، المنهج المقارن ، الذي سبق أن أشرنا إليه ، في نقدنا للمصادر (٢٠) ؛ وهو مقارنة هذه الألقاب الرسمية الواردة في سجلات تقليد سلاطين بني أيوب ، بالألقاب الرسمية والشرفية التي وردت على أثار ونقوش ومسكوكات الدولة الأيوبية ، والتي وردت أيضًا على المؤلفات ذات الصفة الرسمية ، ألفت برسم خزانة السلاطين الأيوبين وأهديت إليهم بصفة رسمية .

لقد لقب صلاح الدين في التقليد العباسي بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، صلاح الدين ، ناصر الإسلام ، عماد الدولة ، جمال الأمة ، فخر الملة ، صفى الخلافة ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، عز المجاهدين ، ألب غازى بك يوسف بن أيوب » (٣) .

ولقّب الملك الكامل بـ « الملك ، الأجل ، السيد ، الكامل ، المجاهد ، المرابط ، نصير الدين ، ركن الإسلام ، أثير الأنام ، تاج الملوك والسلاطين ، قامع الكفرة والمشركين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ألب غازى بك ، محمد بن أبى بكر بن أيوب ، معين أمير المؤمنين » (أ) ؛ وعلل الخليفة منح هذه الألقاب له بأنها « رعاية لسوابق خدمه وخدم أسلافه و آبائه » (ه) .

⁽١) أنظر القلقشندي : مآثر ، ٣: ٨٦ ، ٩٩ ، صبح ، ١٠ : ٩٨ ، ١٣٥ .

 ⁽۲) أنظر أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ٢٥٥هـ – ٢٤٨هـ (دراسـة مقارنة عصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر المماليكي ؛ مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبية من الأرشيفات الإيطالية، تنشر لأول مرة) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ٢١٥ هـ/٩٩٦ م ، ص ٢١ – ٢٣ ، ص ٢٥ - ٢٧٧ .

⁽٣) القلقشندي : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ ، س ١٢ - ١٤ ، ص ٨٨ ، س ١ - ٢ .

⁽٤) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

⁽٥) القلقشندى: مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، س ٤ - ٣ .

وأول ما نلاحظه في هذه الألقاب ، أن الثلاثة الأول منها ، قد ورثت عن وزراء السيوف المفوضين في العصر الفاطمي ، وهي على ترتيب ظهورها في العصر الفاطمي ، السيد ، الأجل ، الملك (١) ؛ وإن كنا نلاحظ أنها وردت في التقليدين العباسيين بعكس هذا الترتيب ، بحيث جاء لقب «الملك» ، .. وهو آخر هذه الألقاب ظهورًا في العصر الفاطمي ، وأضخمها ، وأكثرها دلالة على استقواء نفوذ هؤلاء الوزراء المفوضين .. أول هذه الألقاب الثلاثة في التقليد العباسي .

ثم تستلفتنا الألقاب الخاصة بالعلاقة بين سلاطين بنى أيوب والخلافة العباسية ، فلقب صلاح الدين بد « عماد الدولة » ، و « صفى الخلافة » () ، ولقب الملك الكامل بد « معين أمير المؤمنين » () والألقاب الدالة على جهاد الأيوبيين للصليبين أى لقب « قامع الكفرة والمشركين » () ووالدالة على قضاء الأيوبيين على الدعوة الإسماعيلية وتتبعهم لفلول الشيعة ، أى لقب « قاهر الخوارج والمتمردين » () والدالة على مكانة سلاطين الأيوبيين في العالم الإسلامي ، وتصدرهم لملوك وسلاطين الأطراف كالقاب « ناصر الإسلام » ، « جمال الأمة » ، « فخر الملة » ، « تاج الملوك والسلاطين » ، التي لقب بها صلاح الدين () ، وألقاب « ركن الإسلام » ، « أثير الأنام » ، « تاج الملوك والسلاطي » ن ، التي لقب بها الملك الكامل () ؛ وأغلب الظن أن لقب « ألب غازى بك » () ، الذي لقب به كلا السلطانين الأيوبيين ، يشير إلى تاريخ اسرتهم المجيد في محاربة الفرنجة فنذ التحاق أجدادهم بخدمة نور الدين زنكي .

والجدير بالملاحظة ، أن اللقب الذي منحه الخليفة الفاطمي العاضد لصلاح الدين ، وهو « الناصر لدين الله » (1) ، لم يرد في التقليد العباسي لصلاح الدين ، بـل أغلب الظن أنه قد تُعمَّد حذفه ، وذلك لأن الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، كان قد تغير على صلاح الدين لمساركته له في لقبه كما ذكر القلقشندي (10) ، وإن لاحظ بعض المؤرخين أن اتخاذ صلاح الدين لهذا اللقب ،

⁽١) أنظر ماجد: نظم الفاطميين ، ج ١ ، ص ٨٣ - ٨٧ .

⁽۲) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

⁽٣) نقس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٩ .

⁽٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

⁽٥) نفس المصدر في الموضعين .

⁽٦) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

⁽٧) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٩ .

⁽٨) نقس المعدر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

⁽٩) أنظ تقليد العاضد لصلاح الدين عند القلقشندي : صبح ، ج ، ١ ، ص ٩١ - ٩٨ ، وأنظر قبله .

⁽۱۰) القلقشندى: مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ .

في حين ذكر اللقب الملكي وهو « الكامل » في تقليد الملك الكامل (٢٠)؛ والواقع أن هذا اللقب الملكي المزدوج مع لقب الملك قد ورثه الأيوبيون أيضًا عن وزراء السيف المفوضين في العصر الفاطمي ، فلقب شيركوه (الملك المنصور)^(٣) وصلاح الدين (الملك الناصر) ، ولقب نجم الدين أيوب والد صلاح الدين (الملك الأفضل)(1) ، وصار هذا تقليدًا في ألقاب جميع الأسرة الملكية الأيوبية(٥) ، كما ورث المماليك فيما بعد هذا اللقب المزدوج عن الأيوبيين.

كان سابقًا لخلافة الخليفة الناصر لدين الله ولا وجه لغضب الخليفة من صلاح الدين(١)، وذلك

كذلك ، فقد لقب كل من السلطانين ، بلقب مضاف إلى الدين ، أولهما (صلاح الدين)(٢) ، وثانيهما (نصير الدين)^(٧) .

وأخيرًا لقب الملك الكامل بـ (المجاهد) ، والمرابط (٨٠ ، وهي ألقاب أعتز بها سلاطين الأيوبيين ثم سلاطين المماليك من بعدهم ، لدلالتها على رسالتهم في تزعم حركة جهاد الصليبيين في الشرق الإسلامي ؛ مثل ألقاب (المشاغر)() ، والمجاهد (١١٠ ، والمرابط (١١١ ، والمظفر (١٢ ، والمنصور (١٢ ، والمؤيد⁽¹¹⁾.

ولاشك أن هذه الألقاب التي منحها الخليفة العباسي لسلاطين بني أيوب ، قـد اسبغت على سلطنتهم الشرعية ، في نظر العالم الإسلامي كله ، خاصة وقد زالت الخلافة الفاطمية من مصر ،

⁽١) أنظر كتاب إنسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوط رقم ٩١٩ تاريخ تيمور بــدار الكتب المصرية ورقة ١٥٩ – ١٦٢ ، وأنظر السيوطي : حسن المحاضرة ، الطبعة القديمة ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، وأنظر أحمد تيمور: التذكرة التيمورية ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية ، ص ٧٩ .

⁽۲) القلقشندي : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ . (٣) أنظر تقليد العاضد لشيركوه ، عند القلقشندى : صبح ، ج ١٠ ، ص ٨٠ - ١٠ .

⁽٤) أنظر قبله .

⁽٥) أنظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص ٧٣ - ٧٤ ، و ص ٨٢ ، و ص ٥٢٥ .

⁽١) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

⁽٧) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

⁽۸) نفسه ، ص ۱۰۵ – ۱۰۹ .

⁽۹) القلقشندی: صبح، ج ۲، ص ۲۹.

⁽۱۰) نفس المصدر، ج ۲، ص ۲۹.

⁽١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧. (۱۲) نفس المصدر، ج ۲، ص ۲۸.

⁽١٣) نفس المصدر، ج ٦، ص ٣١..

⁽١٤) نفس المصدر، ج ٦، ص ٣٢.

واصبحت الخلافة العباسية هي مستقر السلطات الشرعية في العالم الإسلامي ، بما يشبه الإجماع بين الفقهاء ؛ ولاشك أيضًا أنها قد اظهرتهم أمام بقية ملوك الأطراف التابعين للخلافة العباسية ، كحماة لهذه الخلافة ، وللمذهب السنى ، ولديار الإسلام أمام الخطر الصليبي ، مما كان له أبعد الأثر في استقواء النفوذ السياسي والأدبي لسلاطين بني أيوب في بلاد المشرق الإسلامي بصفة عامة ؛ وقد أيد هذا النفوذ تفرد الخلافة العباسية بالعراق ، بعد سقوط الخلافة الفاطمية بمصر ، بحق منح الألقاب الرسمية لملوك الأطراف .

لقد أنفرد الخلفاء دائمًا بسلطة التلقيب ، وذلك نتيجة لتمتعهم بحق التعيين ، وكان من تقاليد الدولة العباسية أن ينص على اللقب عند كتابة التقليد (١) ؛ كما احتفظ الخلفاء الفاطميون أيضًا بحق التعيين والتلقيب ، وحرصوا على عدم التفريط فى هذا الحق حتى نهاية العصر الفاطمى ، حتى أن الألقاب التى أطلقها وزراء السيوف المتغلبين على الفواطم فى نهاية دولتهم ، ظلت فى نظر الناس مغتصبة وغير رسمية (١) ؛ وظل حق الخليفة فى التولية باقيًا حتى الدولة الأيوبية ، بحيث حرص الملوك مهما كبر سلطانهم واتسع نفوذهم على الحصول على عهود أو تقاليد من الخلافة تثبتهم فى مراكزهم ؛ وكان من الطبيعى أن يستتبع ذلك احتفاظ الخليفة بسلطته فى التلقيب ، فكانت الألقاب تثبت فى العهد نفسه (١) ، على نحو ما رأينا فى التقليدين السابقين ، لصلاح الدين والسلطان الكامل ؛ ولكن بسقوط الخلافة العباسية فى بغداد وانتقالها إلى القاهرة ، فقد الخليفة العباسى سلطته فى التعيين ، والتلقيب ، واقتصرت مهمته على مبايعة السلطان الملوكي وإعلان لقبه (١) .

بمعنى أن هذه الألقاب ، التي منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بني أيوب ، قد مُنحَت لهم بعد أن استعادت هذه الخلافة هيمنتها العامة تقريبًا على ديار الإسلام بسقوط الخلافة الفاطمية ، وبعد تفردها بحق التلقيب الرسمى ، وحين أصبحت كلمتها مسموعة مهابه بين جميع ملوك الأطراف ، حتى أصبحت طاعتهم في العرف الإسلامي العام آنذاك مفروضة واجبة على المسلمين جميعًا (٥).

ونستطيع أن نصنف الألقاب التي أضفاها ملوك وسلاطين بني أيوب على أنفسهم ، إلى ألقاب رسمية منحها لهم الخلفاء العباسيون ووردت في تقاليدهم ، وألقاب فخرية اسبغها عليهم كتاب

⁽١) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية ، ص ٩٢.

⁽٢) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية ، ص ٩٣.

⁽٣) حسن الباشا: نفس المرجع ، ص ٩٩ .

⁽٤) نفس المرجع ، ص ١٠٢ .

⁽٥) أنظر قبله .

دولتهم ومتملقوهم ، أو نعوت نعت بها ملوك بنى أيوب أنفسهم للاتصاف بالصفات التى أملتها روح العصر ، مثل الزهد والعلم ؛ كما حملت بعض هذه الألقاب الفخرية ، معانى المبالغة فى النفوذ السياسى والحربي والروحي للسلطنة الأيوبية .

والواقع ان هذا الصنف الأخير من الألقاب الفخرية الطنانة لم يظهر بجلاء إلا في ألقاب السلاطين الأيوبيين المتأخرين ، حين إنكمش النفوذ السياسي لسلطان مصر ؛ باستقلال ملوك الأطراف الأيوبيين عنه ، أو بضم سلاطين خوارزم بإيران ، أو سلاطين سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، لبعض الممتلكات الأيوبية ببلاد الجزيرة الفراتية وشمال الشام من ناحية ؛ ونتيجة لتزايد الأطماع الصلبية في غزو مصر من ناحية أخرى .

وبعض الألقاب الرسمية ، يظهر العلاقة الوثيقة بين الخلافة وبنى أيوب (١٠) ، مشل الأشارة إلى قيامهم بإحياء الخلافة العباسية ، أو إلى تقسيم السلطة السياسية بينهم وبين الخلافة ، أو تأكيد طاعتهم وولائهم للخليفة ، أو التنويه بالمعونات العديدة التي أسدوها له ، أو تخليدًا لمظاهر الود والصداقة ، التي ربطت بين الخلافة العباسية ، وهؤلاء السلاطين السنيين .

ومن هذه الألقاب: «صفى الخلافة» ،الذى منح لصلاح الدين (7) و «خليل أمير المؤمنين» ، الى منح لأخيه الملك العادل (7) «وظهير أمير المؤمنين» ، الذى يبدو أنه منح للملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين وخليفته فى حكم مصر بصفة رسمية ، بدليل استخدامه على نقوشه (6) ، و «معين أمير المؤمنين» ، الذى منح للملك الكامل بعد توليه سلطنة مصر (6) .

⁽١) عن هذه العلاقة الوثيقة ، أنظر قبله .

⁽٢) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ .

G. Wiet: Les inscriptions du Mausolée de Sha fiei. ، ۱۹۸ ص ۱۹۸ ، ۱۰ المقریزی : السلوك ، ج ۱ ، ص ۱۹۸ ، ۱۹۸ و۳) . p.175.

 ⁽٤) أنظر لوحة تأسيسية من الخشب مؤرخة سنة ٤٩٥هـ مجفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، خاصة بوقف قيصرية على صوفية خانقاه سعيد السنعداء . وأنظر .

Jean David weill: Catalogue général du Musée Arabe du Caire, les Bois a Épigraphes jusque Lépoque Mamlouke, Le Caire, 1931, p. 14. No 484.

ولأهمية هذا النقش واشتماله على جميع ألقاب الملك العزيز عثمان سوف أورده بتمامه وهو: " اللهم أرحم الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، ورضى الله عنه ، الذى أنعم على الصوفية بهذه القيصرية ، وأوقفها على بقعتهم التى تعرف بدار سعيد السعداء بمحروسة القاهرة ، وقد أمر بهذا الباب الجديد والفتح السعيد ، سيد الملوك والعبيد ، عماد الدنيا والدين وسلطان الإسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة، نظام العالى ، الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب ظهير أمير المؤمنين ، خلد الله ملكه ، في تاريخ ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمانة (٤ ٥ ٥ هـ) ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه أجمين ".

⁽٥) القلقشندى : مآثر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ – ١٠٩ .

والواقع أن لقب «خليل أمير المؤمنين»، هو اللقب الذى توارثه أغلب سلاطين بنى أيوب عصر، وأثبتوه على نقوشهم (1) ؛ ويبدو أن السلطان العادل الأول أبو بكر بن أيوب، هو أول من لقب به بصفة رسمية، إذ أثبت فى التقليد الخليفي للملك العادل بالسلطنة، الذى أرسل إليه فى سنة ٤ • ٦ هـ ٧ • ٢ ٢ م (٢) ، رغم أنه لم يرد من قبل فى التقليد الخليفي لأخيه صلاح الدين (٣) ؛ ويفيدنا القلقشندى ، أن لقب «خليل أمير المؤمنين»، هو الأدنى مرتبة مباشرة ، من لقب «قسيم أمير المؤمنين»، هو الأدنى مرتبة مباشرة ، من لقب «قسيم أمير المؤمنين»

G. Wiet: Les inscriptions de Shafiei, p. 175

وحفيده السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب أنظر:

Van Barchem: Matériaux, p. 103, p. 105.

⁽۱) قد ورد هذا اللقب ، ضمن ألقاب الملك العادل في نقوش أثرية ببيت المقدس بساريخ ٥٨٩هـ / ١٩٣ م ، وبدمشق من سنة ٥٠ ٦هـ / وبدمشق من سنة ٥٠ ٦هـ / ٢٠١٤م (حسن الباشا : الألقاب ، ص ٢٠٠١) كما لقب به ابنه السلطان الكامل محمد (أنظر :

 ⁽۲) أنظر القريزى: السلوك 1: ١٦٨، الذى يذكر أنه لما تسلطن العادل فى سنة ٤، ٣هـ / ١٢٠٧م أرسل إليه
 الخليفة العباسى الناصر، يقلده جميع البلاد التى فتحها، ويخاطبه بـ " شاهنشاه ملك الملوك، خليسل أمير
 المؤمنين ".

⁽٣) أنظر قبله ، والغريب أن هذا اللقب ، جاء ضمن ألقاب صلاح الدين في نص إنشاء بتاريخ ٥٩ه / ١٨٥ه / ١٩٥٥ من قلعة جندي بسوريا (حسن الباشا : الألقاب ، ص ، ٢٠ ؛ واستعمل لأخيه العادل أثناء سلطنه صلاح الدين ، في نقش على قلعة القاهرة بتاريخ ٥٧٩ه – ١١٨٣م (أنظر :Materiaux, p. 81 من الخلافة العباسية ، Materiaux, p. 81 فأغلب الظن أن هذا اللقب ، كان العادل ، هو أول من خُص به من الخلافة العباسية ، في حياة أخيه صلاح الدين ، ثم استعاره منه صلاح الدين على نقوشه ، إذ أنه من المستبعد أن يلقب الخليفة في حياة أخيه صلاح الدين وأخاه بنفس اللقب ؛ ويبدو أن هذا اللقب كان عببًا للملك العادل ، فحين ناشده الخليفة رفع الحمار عن مدينة سنجار ، بعد أن حاول العادل ضمها لممتلكاته في بلاد الجزيرة الفراتية ، قدم إليه رسول الخليفة يأمره بالرحيل ، وقال له عن الإمام الناصر ، قال لك : « بحياتي يا خليلي أرحل » (المقريزي : السلو ١٤١١)) .

⁽٤) أنظر القلقشندى: صبح ، ٣: ١١٣ – ١١٤ . ولقب قسيم أمير المؤمنين ، أول من اتخذه السلطان المملوكى الظاهر بيبرس بعد نقل مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة (أنظر ابن أيبك : الدرة الزكيسة ، ص ٩٩ ، المقريزى : السلوك ١: ٤٧٤ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٤٠٢) ؛ وهو لقب يشبى بمحاولة السلطان المملوكي بيبرس ، الظهور أمام العالم الإسلامي ، يمظهر من يقاسم الخليفة سلطاته على ديار الإسلام (أنظر محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البندقيدارى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث مايو . ١٩٥ م ، ص ٩١ م - ١٠٢) ففيه دراسة وافية لألقاب بيبرس اعتمادًا على النقوش التأسيسية لجامعه .

ويبدو أن لقب «قسيم أمير المؤمنين» ، قد أطلق على صلاح الدين ، فى الأوساط الشعبية عصر (1) ؛ وهو لقب همله من قبل بعض سلاطين السلاجقة (7) ، كما همل نور الدين زنكى بعض ألقاب مشابهة له (7) ؛ ولكن الأرجح أن صلاح الدين وخلفاءه من سلاطين بنى أيوب (1) ، لم يحملوه ، وذلك للإبقاء على النفوذ السياسى للخليفة العباسى ، مهابًا مصوتًا .

- (٢) أنظر الراوندى : راحة الصدور ، ص ١٤٣ ، حيث يفيد أن بعض سلاطين السلاجقة ، قد تلقب بـ " يمين أمير المؤمنين " ، و " برهان أمير المؤمنين " ، و الظر قبله .
- (٣) تلقب نور الدين زنكى بـ " قسيم الدولة وعمادها " ، و " اختيار الخلافة ومعدها " ، و " رضى الإمامة وأميرها"، و "ناصر دولة أمير المؤمنين ، أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٣٢٣ ٣٢٣ ، ابن عساكر : تاريخ دمشق خ ، نسخة المكتبة الأزهرية رقم ٤٧١ ، مصورة بمهد المخطوطات ف ٧٦ ، ج ١٩ ، لوحة ٥ ب .
- (٤) وردت ألقاب الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، على لوحة تأسيسية من الخشب ، مؤرخة سنة ٤ ٥ هه ١٩٧ م ، محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، خاصة بوقف قيصرية على صوفية خانقاه سعيد السعداء ، على هذا النحو : " .. الملك ، الناصر ، صلاح الدنيا والدين .. سيد الملوك والعبيد ، عماد الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، عضد الدولة القاهرة ، تاج الملة الزاهرة ، نظام العالم ، ملك المعالى ، الملك العزيز عثمان بن أيوب ، ظهير أمير المؤمنين .. ، أنظر : عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ص ٣٦ ٣٧ .

ووردت ألقاب الملك الكامل محمد بن العادل، على نقش تأسيسى بقبة الإمام الشافعي مؤرخ سنة ووردت ألقاب الملك الله النحو: ".. هذا قبر .. والدة الفقير إلى رحمة ربه محمد، ولد مولانا السلطان الملك العادل العالم العباد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين قامع الخوارج والمتمردين ، قاهر الكفرة والمشركين ، أبو بكر بني أيبوب ، خليل أمير المؤمنين .. وأنظر G. Wiet: Les inscriptions du Mausolee de shafiei, B.I.E. Tome خليل أمير المؤمنين .. وأنظر وردت القاب الملك الصالح نجم الدين أبوب بن الكامل على نقوش ضريحه في قته ومدرسته على النحو التالى: " .: مولانا الملك الصالح السيد العالم العادل المجاهد المرابط المشاغر ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، سيد ملوك المجاهدين ، وارث الملك عن آبانه الأكرمين .. انظر : Van Berchem: Matériaux.

⁽١) نقش هذا اللقب على طاسة نحاسية من الطاسات التي عرفت بطاسة الخصة ، إذ وصلتنا طاسة من هذا النوع ، حقق الأثريون أنها من عصر صلاح الدين ، ولقد جاءت ألقاب صلاح الدين على هذه الطاسة على هذا النحو " عز لمولانا السلطان الملك المؤيد المنصور أبو المظفر يوسف قسيم أمير المؤمنين .. ، أنظر :Goupe Magique, p. 265 حيث يلاحظ أن مصطلح " عز نصره " ، ظهر لأول مرة على هذه الطاسة النحاسية وظل مستخدمًا طوال العصر المماليكي .

ويبدر أن رجال دولة صلاح الدين ، قد لقبوه به « محى دولة أمير المؤمنين »(1) ؛ وأغلب الظن أن هذا اللقب لم يمنحه الخليفة العباسى لصلاح الدين ، أولاً لعدم وروده فى وثيقة تقليده ، وثانيًا لاستبعاد تصريح الخليفة بمثل هذا اللقب ، حتى ولو كان حقيقى الدلالة ؛ فأغلب الظن إذا أنه جاء من وحى اعتزاز كتاب رسوم المكاتبات والبروتو كولات بديوان الإنشاء المصرى بسلطانهم ، وإشادتهم بدوره فى توحيد العالم الإسلامى حول الخلافة العباسية . ويرى بعض الباحثين أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » الذى لقب به صلاح الدين بصفة غير رسمية ، كان المصدر للقب الذى اتخذه ابتكره كتاب ديوان الإنشاء فى العصر الماليكى ، وهو لقب « محى الدولة العباسية » ، الذى اتخذه الملك الأشرف خليل ابن قلاوون (٢٠) .

ولكن رغم أن لقب « محى دولة أمير المؤمنين » ، لم يكن لقبًا رسميًا لصلاح الدين ، فقد استجاز كتاب ديوان الإنشاء بمصر الأيوبية لأنفسهم ، محاكاة للقاضى الفاضل ، إثبات هذا اللقب على نقوش صلاح الدين (٣) ، وعلى نقوده (١٠) .

⁽١) جاء هذا اللقب على نقش بقلعة القاهرة مؤرخ سنة ١١٨٩هـ ١١٨٣م أنظر : Van Berehem: وهذا اللقب لقب به من قبل ، السلطان السنى محمود الغزنوى ، أنظر الكرملى : النقود العربية ، ص ١١٣٣ ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٤٦٣ ، وعن بقية ألقاب محمود الغزنوى ومنها لقب سلطان ، أنظر العتبى : الناريخ اليميني ١: ٧٠ - ٢٩ .

⁽٢) تبع أحمد زكى باشا فى دراسته الممتعة لألقاب صلاح الدين التى وردت على طاسة الخضة لقب " على دولة أمير المؤمنين " ، الذى نقش على هذه الطاسة ، وانتهى أمير المؤمنين " ، الذى نقش على هذه الطاسة ، وانتهى إلى أن الخليفة العباسى لم يمنح هذا اللقب قط لصلاح الدين ، ولكنه كان من ابتكار القاضى الفاضل رئيس ديوان الإنشاء المصرى فى عهد صلاح الدين لوروده فى نص رسالة فاضلية أوردها أبو شامة فى الروضتين ، وما لبث أن شاع هذا اللقب بين كتاب وأدباء العصر الأيوبى ، بحيث استخدمه الخطباء فى أوّل خطبة جامعة أقيمت على منابر بيت المقدم بعد أن استرده صلاح الدين من الصليبين سنة ١٩٨٣هـ / ١٩٨٧م ، وأيد أحمد زكى رأيه فى أن هذا اللقب لم يكن رسميًا ، بأن القلقشندى حين عرض للألقاب الرسمية ، لم يذكر سوى لقبى " عى المنذ " و " عى العدل فى العالمين " ، ومن ناحية أخرى فقد تدارس زكى باشا الوثائق والمكاتبات التى أرسلها خلفاء بنى العباس لصلاح الدين ، فلم يجد إلا لقبًا شبيهًا له ، هو " معز أمير المؤمنين " ولكنه ولا ربب مخاف له فى الدلالة . أنظر : 265 - 263 Ahmed Zaki: Coupe magiqua, p. 263 - 265 - 480 ميا

⁽٣) أنظر : Van Benchem: Matériaux p.81, Corpus, Egypte, v.1, No, 527 ، حسن الباشا : الألقاب،

Lane poole: Catalogue of oniental Coins in the British musum, v.4, p. 71-72; soret; (£)

Eléments de la numismatique musulmane, p. 168.

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نلاحظ ، أن ثمة ألقاب حملها صلاح الدين بطريقة رسمية لورودها في تقليده الخليفي ؛ وثمة ألقاب حملها أخوه الملك العادل بعد توحيده للدولة الأيوبية سنة ٤٠٢هـ / ٢٠٧م ، وإقرار الخليفة العباسي له بالسلطنة ، ومنحه التقليد الخليفي الذي لقبه فيه بد «شاهنشاه ، ملك الملوك ، خليل أمير المؤمنين »(١) ؛ أي أن هذه الألقاب الجديدة المضافة إلى ألقاب صلاح الدين الرسمية قد منحت للسلطان العادل بصفة رسمية أيضًا ، من ثمّ فقد توارثها سلاطين بني أيوب ، حتى آخر دولتهم .

وأول الألقاب الرسمية ، التي توارثها سلاطين بني أيوب « لقب سلطان » ، وهو لقب أطلسة عما سبق القول على وزراء السيوف المفرّضين ، سواء في العراق العباسي أو بمصر الفاطمية ، ابتداء من القرن الخامس الهجري (٢) ، وأصبح بمرور الوقت ، وبظهور ملوك الأطراف المستقلين ، يعني في العرف السائد ملك الملوك ، أو كبير ملوك الأطراف (٢) ؛ وفي اعتقادنا أن أول من حمله بصفة رسمية ، هو السلطان محمود الغزنوي ، سلطان غزنة والهند وإيران ، الذي كان في القرن الخامس الهجرى ، أقوى ملوك المشرق الإسلامي ، الذين رفضوا الدعوة الفاطمية ، وعمد إلى مساندة الخلافة العباسية في صراعها مع الخلافة الفاطمية ، من أجل السيطرة على العالم الإسلامي (٤) ؛ ولقد أفاد العبي مؤرخ سيرة هذا السلطان ، أن الذي أوحى إلى الخليفة العباسي بمنح محمود الغزنوي لقب العتبي مؤرخ سيرة هذا السلطان ، أن الذي أوحى إلى الخليفة العباسي بمنح محمود الغزنوي لقب «سلطان » الإمام أبو إسحاق الأسفرايني (٥) ، وهو من المة الدعوة الأشعرية السنية التي وقفت من الدعوة الفاطمية الشيعية موقف الخصومة المذهبية والسياسية (٢) ؛ فلا غرو أن اعتز محمود الغزنوي،

⁽١) أنظر عن الخلع والألقاب الخليفية التي منحت للسلطان العادل سنة ٤٠٢هـ، القلقشندى : مآثر الإنافة ، ٢: ٥٩ - ٠٠ ، سبط : مرآة ، ٨: ٥٣٤ ، المكين ابن العميسد : أخبسار ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، المقريسزى : السلوك ، ١: ١٦٨ .

 ⁽٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، حيث ناقشت مسألة تطابق وظيفتى وزارة التفويض والسلطنة .

⁽٣) عن التطور التاريخي للقب "السلطان" ، أنظر القلقشندى : صبح ، ٥: ٤٤٧ – ٤٤٨ ، ٩: ٣٩٨ ، ٣٠٨ ، المسائل ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ، أبو المحاسن : النجوم ٥: ٢٧٩ ، المسيوطى : الوسائل ، ص ٧٨ .

⁽٤) أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية ، والوضع الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية . وأنظر السيوطي : الوسائل ، ص ٧٨ ، حيث ينص على أن محمود الغزبوى هـو أول مـن - هـل لقب سلطان .

⁽٥) أنظر العتبي : التاريخ اليميني ، ص ٣١ ، وفيه مناقشة لغوية وفقهية لمعنى لقب " سلطان " .

⁽٦) أنظر قبله الفصل الخاص ياعادة الشعائر السنية إلى مصر ، ونشر الدعوة الأشعرية بها .

بهذا اللقب وذكره على نقوشه (١) ، ثم توارثه عنه جميع سلاطين المشرق الإسلامي السنيين ، المفوضين من قبل الخليفة العباسي ، والقائمين بدعوته ، وهم : السلاجقة ثم الزنكيين ثم الأيوبيين (٢) .

وإذا كان البعض قد ذهب إلى أن لفظ «سلطان » يرجع إلى أصل فارسى (١) أو أصل سريانى أو آرامى (١) نتحسن نستطيع أن نؤكد أن هذا اللفظ عربى ، لوروده أكثر من مرة في القرآن الكريم (٥) ؛ وقد تتبع المؤرخ بدر الدين العينى ، مرات ذكر هذا اللفظ في القرآن ، فوجد أن الله قد ذكره في القرآن في اثنين وثلاثين موضعًا (١) ؛ وقد ذهب اللغويون في شرح معنى كلمة السلطان ، كما وردت في القرآن بأنها أحيانًا ما تكون في معنى «البرهان » ، ومنها ما يكون في معنى «القدرة » ، وأحيانًا ما تأتى في القرآن بمعنى «الحجة » (١) ؛ وحاول بعض اللغويين ، تفسير إطلاق هذه اللفظة على خليفة المسلمين ، أو من ينوب عنه في مباشرة السلطة السياسية في ديار الإسلام ، فذهب أحدهم إلى أنه إنما قبل للخليفة سلطان الأنه ذو السلطان أي ذو الحجة ، وقيل الأنه به تقام الحجة والحجوق (١) ، وذهب ثالث إلى ان «السلطان إنما سمى سلطانًا ، الأنه حجمة الله في أرضه » (١) ، في حين ذهب ابن منظور إلى أن «السلاطة » في اللغمة القهر ، ومن الأرض و كثرة الانتفاع به (١١) ، في حين ذهب ابن منظور إلى أن «السلاطة » في اللغمة القهر ، ومن الأرض و كثرة الانتفاع به (١١) ، في حين ذهب ابن منظور إلى أن «السلاطة » في اللغمة القهر ، ومن المؤرث و المنافئ » ، قدرة الملك ، وقدرة من جعل ذلك له (١٠) .

⁽١) أنظر حسن الباشا: الألقاب، ص ٣٢٣.

⁽٢) أنظر أبو المحاسن : النجوم ، ٥: ٢٧٩ .

F. Steimgais; A Comprehenaive Persian- Einghih Dictionary .., New impression انظر (۳)

⁽٤) أنظر حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٢٣ .

⁽٥) أنظر محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألقاب القآن الكريم ، القاهرة ١٣٦٤هـ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥، ويستفاد منه أن لفظه « سلطان » ، قُد وردت في القرآن ٣٧ مرة ، وليس ٣٢ مرة كما ذكر البدر العيني .

 ⁽٢) أنظر البدر العينى : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) ، تحقيق محمد زاهـــد الكوثــرى ، القــاهـرة ،
 ٢٢ - ٢٢ .

⁽٧) أنظر ابن دريد: كتاب الإشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجي ، ١٩٥٨ ، ص ١١١ – ١١٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، " سلط " ، الزبيدى : تاج العروس ٥: ١٥٩ ، مادة " سلط " .

⁽٨) نقل هذا الرأى الزبيدى : تاج العروس ، ٥: ١٥٩ ، عن الأزهرى في كتابه " تهذيب اللغة " .

⁽٩) هذا رأى ابن منظور ، صاحب لسان العرب .

⁽١٠) هذا رأى محمد بن يزيد اللغوى ، كما أورده ابن منظور في لسان العرب .

⁽۱۱) أنظر الزبيدى: تاج العروس، ٥: ١٥٩.

⁽١٢) أنظر ابن منظور : لسان العرب ، مادة " سلط " .

ونحن نستطيع اعتمادًا على هذه التعريفات اللغوية لكلمة السلطان ، مع مطابقتها على الأوضاع السياسية والشرعية ، والظروف التاريخية التي صاحبت تلقيب السلاطين السنيين به ، أن نقرر أن هذا اللقب ، عمدت دول الخلافة العباسية برضائها ، إلى منحه لأعظم الملوك السنيين المعاصرين لها ، للإشارة إلى أن هذا الملك ، هو السلطان أو الحجة أو البرهان ، الذي يعلن عن سلطة الخليفة السياسية وعن وجوده الشرعي ، على أساس أنه بالخليفة أو بحجته الذي هو السلطان ، تقام الحجج والحقوق الشرعية ، ولما كان هذا اللقب لا يمنح إلا للأمراء العسكريين من أرباب السيوف ، فقد اقترن مفهوم هذه اللفظة في اللغة بمعنى القدرة والشدّة والحدّة والسطوة ، وأصبحت تسمية عامة ، لكل من يتولى أمرًا من الأمور أو ولاية من الولايات .

وبالنسبة للأسرة الأيوبية فالجدير بالالتفات حقًا ، ما لاحظه الباحثون المحدثون ، أنه من الشابت تاريخيًّا أن صلاح الدين لم يتخذ لقب «سلطان» رسميًّا ، وإن كان بعض المؤرخين قد أضفوا عليه هذا اللقب (1) ؛ في حين ذهب بعض الباحثين المحدثين ، إلى أن صلاح الدين هو الذي أطلق هذا اللقب على نفسه (٢) ، وهي ملحوظة هامة يؤيدها التقليد الخليفي لصلاح الدين الذي سبق دراسته (٣) .

وعلى هذا الأساس ، فنحن نستطيع أن نقرر ، أن الملك العادل ، هو أول من حمل لقبى « السلطان » ، و « خليل أمير المؤمنين » ، بصفة رسمية ، من الخليفة العباسى سنة ٤ • ٦ه . / ٧ • ٧ م ، وعنه توارث جميع سلاطين بنى أيوب هذا اللقب ، حتى نهاية دولتهم ، بل ورثه عنهم سلاطين الماليك بمصر .

أما صلاح الدين ، فقد ورث عنه خلفاؤه لقب « تاج الملوك والسلاطين » ، الله منحه له الخليفة (1) ، إذ توارث جميع السلاطين الأيوبيين (٥) ؛ ويرى البعض أنه في العصر الأيوبي ، أخذ اللقب

⁽١) أنظر سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ١٩٧ ص ١٧٥ .

Ahmed zaki: Coupe Magine, p. 260. : انظر (۲)

⁽٣) أنظر قبله نفس هذا الفصل ، وعلى هذا الأساس نحن نرفض ما ذهب إليه البدر العينى حين ذهب إلى :

" أن لفظة السلطان إنما ظهرت فى دولة بنى أيوب ، أول من ملك منهم هو السلطان صبلاح الدين .. ولم يكن أحد قبله يخاطب بالسلطان " ، أنظر العينى : الروض الزاهر ، ص ٢٣ - ٢٤ ، وذلك لأن هذا اللقب قد تلقب به كثيرون قبل صلاح الدين ، سواء بصفة رسمية أو اغتصابًا ، أنظر بعده الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي ، وأغلب الظن أن البدر العيني ، وهو مؤرخ ألف كتابه في عصر السلطنة بالماليكية بمصر ، وارثة السلطنة الأيوبية ، قد حاول أن يبالغ في أهمية السلطنة الأيوبية ، بالنسبة لتاريخ الخلافة الإسلامية .

⁽٤) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٣: ٨٧ - ٨٨ .

⁽٥) حسن الباشا: الألقاب، ص ٢٣٢.

المضاف إلى « الدنيا والدين » ، يختص بالسلاطين دون غيرهم ، وأن أوّل من تلقب بهذه الألقاب المضافة إلى الدنيا والدين بصفة رسمية من الخلفاء العباسيين ، هو السلطان طغر لبك ، أول سلاطين السلاجقة (١) .

ولاشك في أن توارث سلاطين بني أيوب لهذه الألقاب «السلطان»، و «تاج الملوك والسلاطين»، قد ميزهم عن معاصريهم من ملوك الأطراف في المشرق الإسلامي، خاصة بعد أن نهضوا بفريضة الجهاد ضد الصليبين باسم الخليفة العباسي، وقيامهم بحماية فريضة الحج، فضلاً عن إحيائهم لدولة الخلافة العباسية المشاهم على الخلافة الفاطمية والكيانات السياسية الشيعية (٢٠) كما أن في حملهم للألقاب المضافة إلى «الدنيا والدين»، إشارة خفية لتفويض الخليفة العباسي لهم لسلطاته الشرعية التي تشمل الدنيا والدين، لكون الإسلام دين ودولة.

ولقد استلفت نظر بعض الباحثين $^{(1)}$ ، أن سلاطين بنى أيوب ، قد حملوا جميعًا لقبًا مزدوجًا ، هو « السلطان الملك » ، وعللوا هذا االقب المزدوج بإشارة القلقشندى وابن خلدون ، أن الوزيسر جعفر البرمكى ، هو أوّل من حمله $^{(4)}$ ، وأن وزراء السيوف فى العصر الفاطمى المتأخر ، قد توارثوا لقب « الملك $^{(7)}$ ، فى حين أطلق على العادل بن سلار $^{-}$ و كان سنى المذهب _ لقب سلطان $^{(7)}$ ، كما اتخذ بعض أخوة وزراء السيوف الفاطميين هذا اللقب $^{(6)}$ ، فى حين منح الخليفة الفاطمى العاضد لقب الملك لشير كوه ولصلاح الدين بصفة رسمية .

وعلى هذا الأساس ، فقد ورث الأيوبيون عن وزراء السيوف الفاطميين لقب ملك (١) ، في حين آل إليهم لقب سلطان عن طريقين :

⁽١) نفس المرجع ، ص ١٥٤ .

⁽٢) أنظر بعده الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

⁽٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الفاطمية .

Ahmed zaki: Coupe Magiqne, p. 260-262 : أنظر (٤)

⁽٥) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، طبع بولاق ٩: ٥٠٥ ، ابن خلدون : المقدمة ، طبع بـولاق ١٢٨٤هـ ، ص ١٩٩ .

⁽٣) أنظر القلقشندى : صبح ، طبعة دار الكتب المصرية ، ٥: ٤٤٧ – ٤٤٨ ، الخالدى : المقصد – خ ، لوحة ١٩٣ أ ١٩٣ أ - ١٩٣ .

⁽٧) أنظر المقريزى : إتعاظ الحنفا ، حسن الباشا : الألقاب ، ص ٣٣٣ .

⁽٨) أنظر المقريزى: الخطط، طبعة بولاق، ١: ١١، ٤٨٦، رغم أن هذا الأخ لم يكن إلا مجرد واليّا للإسكندرية.

⁽٩) ماجد: نظم القاطمين ، ١: ٨٧ .

أولهما السلاطين الزنكيين الذين عمل أباء الأيوبيين في خدمتهم.

وثانيهما عن وزراء السيوف الفاطمين (١٠).

ويفيدنا القلقشندي ، أن الفرق بين « السلطان » ، و « الملك » ، أن الملك أخص ، بمعنى أن السلطان قد يكون تابعًا له أكثر من ملك ، بمعنى أن السلطان يعنى ملك الملوك(٢) ، وهو اللقب الذي لقب به الخليفة العباسي الملك العادل سنة ٤ • ٦هـ / ٢٠٧ م، فخاطبه بـ « شاهنشناه » ، ملك الملوك^(٢).

وثمة بعض الألقاب ، التي منحتها الخلافة العباسية لسلاطين بنبي أيوب ، منذ عصر صلاح الدين ، للإشارة إلى قضائهم على الدعوة الفاطمية ، مثل « جامع كلمة الإيمان »(1) ، « وقامع الخوارج والمتمردين »(°) ، و « دافع المتمردين في البلاد »(١) ، و « دامغ المفسدين في البلاد »(٧) ، و « ماحي البغي والعناد » ، و « ماحي البغي والفساد » $^{(h)}$ ، و « مهلك الطغاه والمارقين $^{(h)}$.

كذلك منح سلاطين بني أيوب ، ألقابًا تمجد دورهم السياسي في توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الصليبيين في بلاد الشام ، ودورهم الحربي في التصدي للقوى الصليبية بالشام ، وإلحاق الهزائم بها ، واسترداد بيت المقدس من أيديهم مثل ألقاب : «المجاهد »(١٠٠) ، « المشاغر »(١١٠) ، « سيد ملوك المجاهدين »(١٢) ، « مطهر قبور الإسلام والمسلمين من رجس الكافرين »(١٣) ،

⁽١) أنظر: حسن الباشا: الألقاب، ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

⁽٢) القلقشندى : صبح ، ٩: ٣٩٨ .

⁽٣) المقريزى: السلوك، ١: ١٦٨.

⁽٤) حسن الباشا: الألقاب، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

⁽٥) أنظر ابن شداد : النوادر ، ١٢٤ – ١٢٦ ، حسن الباشا : الألقاب ،ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

⁽٦) أنظر حسن الباشا: الألقاب، ص ٢٥٥.

⁽٧) نفس المرجع ، ص ٢٨٦ .

⁽A) نفس المرجع ، ص ۲۸۹ – ۲۸۷ .

⁽٩) نفس المرجع ، ص ٥١٥ .

⁽١٠) نفس المرجع ، ص ٥٥١ - ٢٠٤ .

⁽١١) نفس المرجع ، ص ٤٤٩ – ٥٥٠

⁽۱۲) القلقشندي : صبح ، ۱۰ : ۹۹ – ۱۱۱ ، نفس المرجع ، ۱۹۳ ، ۳۵۰ .

⁽١٣) حسن الباشا: نفس المرجع ، ص ٤٧٣ .

« قامع عبدة الأوثان $^{(1)}$ ، « قامع عبدة الصلبان $^{(7)}$ ، « حافظ الجمهور $^{(7)}$ ، « حامى التغور $^{(4)}$ ، « سيف الإسلام $^{(6)}$ ، « سيف الدولة $^{(7)}$ ، « منقذ بيت المقدس من أيدى الكافرين $^{(4)}$.

وأغلب الظن أن بعض هذه الألقاب ، قد منحت رسميًّا من الخلافة العباسية ، ووردت في العهود الخليفية لسلاطين بني أيوب ، والبعض الآخر أطلقه بنو أيوب على انفسهم ، ولكننا لا نستطيع التمييز بدقة بين كلا النوعين من الألقاب ، لعدم توفر جميع التقاليد الخليفية لسلاطين بني أيوب (^) .

ومن الألقاب الكثيرة والمتنوعة لسلاطين بنى أيوب ، نُولى اهتمامًا خاصًا بألقابهم التى تدل على الحرمين اتساع نفوذهم السياسى والدينى على ديار الإسلام ، لكونهم قد أصبحوا بسيطرتهم على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ببلاد الحجاز ، واستردادهم لبيت المقدس من أيدى الصليبين بالشام ، وحمايتهم لفريضة الحج التى صاحبها بعد استردادهم القدس ، ظاهرة الحج لبيت المقدس ، بعد الحج لمكة وذلك بعد انتهاء موسم الحج () ، وأهم هذه الألقاب ولا ريب ، « خادم الحرمين الشريفين » (١٠٠) ،

⁽١) نفس المرجع ، ص٧٥ .

⁽٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ .

⁽٣) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ .

⁽٤) نفس المرجع ، ص٥٥٥ .

 ⁽٥) نفس المرجع ، ص ٣٤١ .

⁽٦) نفس المرجع ، ص ٣٤٣ .

⁽٧) نفس المرجع ، ص ١٣٥ .

⁽٨) أغلب الظن أن الكتابات الرسمية على النقوش ، كانت تلتزم بالألقاب الرسمية التى منحا الخليفة لسلاطين بنى أيوب ، وفى بعض الأحيان ، كان ديوان الإنشاء المصرى ، يزيد بعض الألقاب التى يؤثرها هؤلاء السلاطين لأنفسهم ويجدونها جديرة بهم ، أو أحيانًا لاستغلالها كرسيلة دعائية إعلامية عن مكانتهم فى العسالم الإسلامى ؛ والملاحظ أن هذه الألقاب الفخرية الواردة على النقوش الأثرية للعصر الأيوبى ، الحاصة بمنشآت سلاطين بنى أيوب ، تكاد تطابق الألقاب التى أوردها كتاب ومؤرخو هذا العصر فى الكتب الرسمية التى أهدوها لهؤلاء السلاطين ، أو ألفوها باسمهم ، وذلك فى ديباجة هذه المؤلفات ، أنظر ابن شداد نوادر، ص ٣ ، س ٩ – ١ ١ ، ابن مماتى : قوانين ، ص ٥ ٧ ، س ١ – ٢ ، الشيزرى: المنهج المسلوك ، ص ٣ ، س ٩ – ١ ١ ، ابن بعره : كشف الأسرار العلمية ، ص ٥ ، س ، ٢ ، النابلسى : تجريد سيف الهمة ، لوحة ٣ ، ب لوحة ٢ ٩ ب ، س ٢ ، النابلسى : إظهار صنعة الحى القيوم ، ص ٢ ، س ٧ – ٨ ، النابلسى : لم القوانين ، ص ٣ ، س ٧ – ٨ ، النابلسى : لم القوانين ، ص ٣ ، س ٧ – ٨ ، النابلسى : الم القوانين ، ص ٣ ، س ٢ - ٩ .

⁽٩) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

⁽۱۰) أنظر ابن شداد ، نوادر ، ص ۳ .

و « صاحب الحرمين الشريفين $^{(1)}$ ، « ومالك الحرمين الشريفين والبيت المقدس $^{(1)}$.

ولا يخفى أن السيادة على الحرمين الشريفين ، تعتبر رمزًا لشمول النفوذ على العالم الإسلامى كله (٢) ، فلا غرو أن أطلق بعض سلاطين الأيوبيين ، على أنفسهم لقب سلطان الإسلام والمسلمين (٤) ، وشجعوا رجال دولتهم على مخاطبتهم به (٥) ، عيث ذاع هذا اللقب في ديار الإسلام، وطار في الآفاق، وصار علمًا على سلاطين بني أيوب ، يلقبهم به العلماء والمفكرون ، حتى من حظى برعاية عظماء ملوك الإسلام ، المزاحمين للدولة الأيوبية في نفوذها السياسي ، وأعنى بهم ملوك الدولة الخوارزمشاهيةة في إيران وما وراء النهر وعراق العجم (١) .

كما دلّت بعض ألقاب سلاطين بنى أيوب على اتساع نفوذهم السياسى ، وامتداد ممتلكات دولتهم ، وأغلبها ذات دلالة حقيقية ، فى حين أن بعضها ، « صاحب ديار مصر وزييد وعدن واليمن وديار بكر $^{(Y)}$ ، « ملك الديار المصرية والشامية والأخلاطية $^{(h)}$ ، « شاه أرمن $^{(P)}$ ، « فاتح الطراز الأخضر من بنى الأصفر $^{(Y)}$.

⁽١) أنظر حسن الباشا: الألقاب، ص ٣٧١.

⁽۲) نفس المرجع ، ص 6 \$ \$ ، والواقع أن لقب حامى حمى الحرمين الشريفين ، كان هو اللقب الذى ورثه الظاهر بيرس ، عن سلاطين بنى أيوب ، وجعله أحد دعائم زعامته للعالم الإسلامى ، بعد أن ساهم فى هزيمة المغول فى عين جالوت سنة ١٩٥٨هـ / ١٢٥٨م ، ونقله للخلافة العباسية إلى مصر سنة ١٩٥٩هـ / ١٢٢٠م أنظر ابن أبيك : الدرة الزكية ، ص ٤ ٤ ، والمقريزى : السلوك ١: ٤٤٧ ، وأنظر دراسة مستفيضة لألقاب بيبرس، فى مقال عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس البند قدارى : المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الشالث ، مايو ، ١٩٥٥ ، ص ١٩ - ١٠٠ ، وقد ورث هذا اللقب عن مسلاطين المماليك ، سلاطين العثمانيين ، أنظر قبله ، المصر الخوبية .

⁽٣) حسن الباشا ، الألقاب ، ص ٣٦٨ .

⁽٤) نفس المرجع ، ص ٣٣١ – ٣٣٣ .

⁽٥) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ٣ ، النابلسي : تجريد الهمة ، لوحة ٢ ، أ – ب .

⁽٦) ألف الإمام فخر الدين السرازى ت ٥، ٦هـ / ٩، ٢، ٩م ، المذى عاش فى بلاط الدولة الخوارزمية وحظى عند ملوكها ، كتابه أساس التقديس ، وأهداه للسلطان العادل أبى بكر ابن أيوب ، ولقبه بهذا اللقب ، انظر أساس التقديس ص ٣ ، س ٣ – ٦ ، وأنظر قبله .

⁽٧) أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

⁽٨) أنظر : المقريزى : الخطط ٤: ٢١٦-٢١٦ (المدرسة الكاملية) ، وخاصة ص ٢١٤ – ٢١٥ .

 ⁽٩) أنظر ، سبط : مرآة ، ٨ : ص ٧١١ ، حسن الباشا : المرجع السمايق ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ ، وأنظر ديموان
 ابن النبيد ، ص ١٥ ، ص ٢٢ ، ص ٥٦ ، ص ٧٦ .

⁽١٠) أنظر حسن الباشا المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

ونجد أن آخر سلاطين الأيوبيين ، وهو الملك الصالح نجم الدين أيوب ، تلقب ب « شهريار الشام » ، « سلطان العرب والعجم » ، « صاحب الحرمين الشريفين » ، « ملك البرين والبحرين » ، « ملك الهند والسند واليمن » ، « ملك صنعاء وزبيد وعدن » ، سلطان المشارق والمغارب » $^{(1)}$ ، والطريف أن الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبى بكر ، وجد في سيطرته على أغلب أجزاء الجزيرة الفراتية مسوغًا له لينعت نفسه بـ « سلطان العراق » $^{(7)}$ و بـ « خسروا إيران » $^{(7)}$.

وبالنسبة الألقاب سلاطين بنى أيوب ، التى استقر عليها مصطلح رسوم المكاتبات فى ديوان الإنشاء الأيوبى ، فلقد كان سلاطين بنى أيوب ، يخاطبون بد «مولانا $^{(4)}$ ، و « المجلس $^{(9)}$ ، و « المقر الشريف $^{(4)}$ ، فى حين كان جميع أفراد الأسرة المالكة الأيوبية ، يطلق عليهم لقب « الأمير $^{(9)}$.

ونختتم ألقاب الأسرة الأيوبية ، بإيراد النعوت التي نعت بها صلاح الدين نفسه ، قبل أن يستقل بحكم مصر ، حينما كان نائبًا عن نور الدين ، ثم عن ابنه الصالح إسماعيل في حكم مصر ، والنعوت التي نعت بها صلاح الدين نفسه في مراسلاته مع الخلافة العباسية ، مثل «المملوك» ($^{(1)}$) ، و « الحادم » $^{(11)}$ ، في حين كان نور الدين يلقب صلاح الدين «بالاسفهسلار» $^{(11)}$ ، عني مقدم العسكر .

⁽١) أنظر حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .

⁽٢) نفس المرجع ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

⁽٣) نفس المرجع ، ص ٢٧٥ .

⁽٤) أنظر القلقشندى: ٦: ٣٠٥، ٧: ٨٨، ٧: ٨٨، حسن الباشا: الألقاب، ص ٥٢٠.

⁽٥) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٥٥٥ - ٢٥٦ .

⁽٦) ابن شيث : معالم الكتابة ، ص ٣٦ ، حسن الباشا : نفس المرجع ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

⁽٧) ابن شيث: المصدر السابق ، ص ٣٦ ، القلقشندى : صبح ، ٥: ٩٩٤ ، الباشا : المرجع السابق ، ص ٨٤ ،

⁽٨) ابن شيث: المصدر السابق ، ص ٣٦ ، الباشا : المرجع السابق ، ص ٨٤ ، ٤٨٩ .

⁽٩) الباشا : نفس المرجع ، ص ١٨٤ .

⁽١٠) نفس المرجع ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

ر ۱۱) نفس المرجع ، ص ۵۰۸ – ۰،۹ .

⁽١٢) نفس المرجع ، ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

⁽۱۳) نفس المرجع ، ص ۱۵۹ – ۱۵۷ .

ولعل من الطريف أن نذكر لقبين ، حملهما بعض ملوك الأيوبيين ، كانا لهما دلالتين فريدتين هما : « بقية الملوك والسلاطين »(١) ، و « شيخ الملوك والسلاطين »(٦) .

وإذا كانت الألقاب الرسمية والفخرية ، لسلاطين بنى أيوب ، قد أوضحت النفوذ السياسى ، والدينى ، الذى تمتع به سلاطين بنى أيوب ، وأهمية السلطنة الأيوبية ، بالنسبة للعالم الإسلامى ، والخلافة العباسية ؛ وإذا كان أغلب هذه الألقاب ، قد تتشابه كما أوضحنا مع ألقاب السلاطين المشارقة السنيين ، الذين قاموا من قبل بنفس رسالة السلطنة الأيوبية فى تعضيد الدعوة السنية والخلافة العباسية ، وهم على التوالى سلاطين الغرنويين ثم السلاجقة ثم الزنكيين ؛ فقد لاحظ القلقشندى ، أن الخلع والتشاريف الخليفية ، التى منحت لسلاطين بنى أيوب ، تكاد تطابق الخلع والتشاريف الخليفية ، التى منحت السلاطين ، الذين قاسموهم السلطة فى بغداد ، والتشاريف التي منحها الخلفاء العباسيين للأمراء والسلاطين ، الذين قاسموهم السلطة فى بغداد ، مثل أسرتى البويهيين ثم السلاجقة على التوالى ؛ وفى رأى القلقشندى ، أن الأيوبيين ، قد أصبحوا من واقع هذه الخلع ، هم سلاطين الإسلام ، وحماة الخلافة العباسية ، شأنهم شأن سلاطين السلاجقة ، من واقع هذه الخلع ، هم سلاطين الإسلام ، وحماة الخلافة العباسية ، شأنهم شأن سلاطين السلاجقة ، من مور ، مقرًا السلطنتهم ، فى حين اتخذ الأيوبيون من مصر ، مقرًا السلطنتهم ، فى حين اتخذ الأيوبيون من مصر ، مقرًا السلطنتهم ، مقرًا السلطنتهم ، مقرًا السلطنتهم ، فى حين اتخذ الأيوبيون من مصر ، مقرًا السلطنتهم ، مقرًا السلطنتهم ، مقرًا السلطنتهم ، فى حين اتخذ الأيوبيون

سلطنات إسلامية متعاصرة ، وأسباب تفرد السلطنة الأيوبية بالتفويض الخليفي في ديار الإسلام :

والجدير بالملاحظة ، أنه بعد سيطرة صلاح الدين على مصر ، وممتلكات الدولتين النورية والجاهية ، وتوحيده للجبهة الإسلامية بالمشرق الإسلامي لمحاربة الصليبيين ،(٤) عاصر قيام الدولة

 ⁽١) أفاد القلقشندى ، أن هذا اللقب من ألقاب من له سلف من الملوك ، كصاحب حصن كيفا من الملوك الأيوبية،
 أنظر القلقشندى : صبح ، ٦: ٤١ .

⁽٢) أفاد القلقشندى أن هذا اللقب من ألقاب المسنين من الملوك ، قال القلقشندى : هذا اللقب رأيت عن كتاب عن الملك الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بعث به نجم الدين أيوب ، والد السلطان صلاح الدين ، أنظر صبح ، ٦ : ٧٧ .

⁽٣) أنظر القلقشندى : مآثر ، ٢: ٥٩ – ٠٠ ، ٢٣٧ – ٢٤٠ ، صبح ، ٣: ٢٦٩ – ٢٧٢ ، وأنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

⁽٤) لاحظ سبط ابن الجوزى ، أنه فى بدء سنة ١٥ه ، توفى ثلاثة من الملوك الأكابر ، العادل الأيوبى ، وعمد بن تكش " خوارزمشاه " ، وعز الدين كيكاوس ، سلطان سلاجقة الروم (مرآة ، ٨ : ، ٠٠) ، وفى هذا ما يفيد أن أعظم ثلاثة ملوك بالشرق فى مستهل العصر الأيوبى ، كان سلطان سلاجقة الروم ، وسلطان الدولة الأيوبية ، وخوارزمشاه ملك الدولة الخوارزمية ؛ وإلى جانب هؤلاء الملوك الذين وصفوا بـ " الأكابر " ، اشتهر عدد آخر من ملوك الأطراف بديار المشرق الإسلامى ، فيذكر سبط ابن الجوزى أن سنة ٨٩هم ، يقال لها سنة الملوك، مات صلاح الدين، وبكتمرشاه أرمن، وعز الدين صاحب الموصل (مرآة ، ٨ : ٢١٤) .

الأيوبية بمصر ، ملكان عظيمان من ملوك الأطواف ، ببلاد المشرق الإسلامى ، زاحماه الزعامة السياسية والعسكرية ، وهما : خوارزمشاه ، ملك الدولة الخوارزمية (١) ، التى ورثب ممتلكات السلاجقة في العراق وإيران وما وراء النهر ، وسلطان سلاجقة الروم ، وهم آخر الفروع التى تبقت من الأسرة السلجوقية (١) ، وذلك بعد ان أزال خوارزمشاه محمد بن تكش السلطنة السلجوقية من بغداد سنة ، ٩ ٥هـ / ١٩٣ م (١) وبعد سيطرة اسرة البهلوان على سلاطين سلاجقة العجم (١) ، بحيث لم يتبق من الدولة السلجوقة ، إلا فرع سلاجقة الروم بآسيا الصغرى .

⁽۱) اعظم ملوك حوارزم الذين عاصروا صلاح الدين ، هو محمد بن تكش ، ت سنة ٢١٦هـ ، قال ابن واصل : "كانت مملكته من حد العراق إلى تركستان من بلاد الترك ، مطاقًا إلى غزنه وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وغير ذلك من الممالك ، وبالجملة لم يملك أحد بعد إنقراض الدولة السلجوقية مثله ، غبر أن السعادة أدبرت عنه ، وزال بزوال ملكه ملك البلاد الإسلامية في جميع هذه المماليك ، فسبحان من لا يزول ملكه " ، (أنظر مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٤٥ - ٤٦) . ويقصد ابن واصل بزوال ملكه على يد الغارة المغولية ، ولقد عبر المنشىء النسوى ، مؤرخ البيت الخوارزمي ، الذى دخل في خدمة سلاطين بني أيوب بعد زوال الدولة الخوارزمية ، عن اتساع دولة محمد بن تكش بقوله : " بلغ من أمر السلطان الأعظم محمد بن تكش ، وعظم شأنه ، أنه جمع إلى ما أورثه أبوه من خراسان وخوارزم ، ملك العراق ، ومازندران ، وضم إلى هذه الواسطة كرمان ومكران وكيش وسجستان ، وبلاد الغور وغزنة وباميان ، إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأنجادها .. وملك على الخطائية وغيرهم من ملوك الترك وما وراء النهر بعد إخافتهم واستنصال شأفتهم ، والجأ المقلين منهم إلى أقاصي الصين ، .. وخطب له على منابر فارس وإيران وأذربيجان إلى ما يلي دربند شروان ، فتواصلت له فتوح الأقاليم (أنظر النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٥ - ٣٧) .

⁽٢) أنظر عدة إشارات هامة عن أهمية دولة سلاجقة الروم عند الراوندى في راحة الصدور ، ولقد ألف الراوندى هذا الكتاب لسلطان سلاجقة الروم فيي عصره كيسخروبن قلح أرسلان ، ولقد ناشد الراوندى سلطانه " احياء دولة آل سلجوق " ، و " إحياء مراسم العدل ، بتقريب العلماء وتقوية الإسلام ونصرة الشريعة ، وأن يسلك النهج الذي سلكه السالفون من سلاطين آل سلجوق أنظر راحة الصدور ، ص ٨٣ ، كما ناشده أحياء علوم الدين في آسيا الصغرى ، وأن يحرص على أن تصبح علوم الفقه والكلام ولغة العرب والخط والأدب والشعر الفارسي والعربي متداولة على ألسنتهم في هذه الناحية ، وأن يعمل على أن تكون آثار السلاجقة ومنشآتهم الدينية والاجتماعية سائدة في جميع أرجاء العالم (راحة الصدور ، ص ٤٠١) ؛ هذا الراوندي أن اقتداء ملوك سلاجقة الروم في زمانه بالسلاجقة الأوقاف عليها (راحة الصدور ص ١٤٠) ، وفي رأى الراوندي أن اقتداء ملوك سلاجقة الروم في زمانه بالسلاجقة الأوائل سيكون سببًا في تأكيد دينهم ودولتهم وتأسيس قواعد ملكهم وسلطنتهم (راحة الصدور : ص ١١٨ ، س ٢ - ٣) .

⁽٣) استعان الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، بالسلطان محمد بن تكش الخوارزمى ، للقضاء على آخر سلاطين السلاجقة بالعراق سنة ٩٠٥هـ . أنظر النسوى ، سيرة منكبرتى ، ص ٤٩ ، هامش (٤) ، ويبدو أن الخطبة لسلطان خوارزم قد استمرت ببغداد منذ سنة ٩٠٥هـ ورالة عن سلاجقة العراق ، ثم انقطعت سنة ١٩٦٤هـ ، كما ذكر النسوى ، أنظر سيرة منكبرتى ، ص ٥٣ ، ويبدو أنه كان لخوارزم شاه شمحنة ببغداد أيضًا ، شأن السلاجقة ، أنظر النسوى ، سيرة منكبرتى ، ص ٥٣ - ٥٥ ، وأنظر قبله .

⁽٤) ابن واصل : مفرج ، ج ۲ ، ص ۲٤٨ .

ولكن رغم مزاحمة هاتين الدولتين الإسلاميتين العظيمتين ، للدولة الأيوبية ، النفوذ السياسى في بلاد الشرق الإسلامي ، فلقد استطاع صلاح الدين الأيوبي ، أن يحقق له ولدولته ولخلفائه من بعده ـ مكان الصدارة في المشرق الإسلامي ، ولقد ساعده على ذلك اسباب عدة إذ توفرت في شخصيته ولا شك صفات الزعامة ، وأيده تاريخ اسرته المجيد في جهاد الفرنج بمصر والشام ، إبان خدمتهم لنور الدين زنكي ، فضلاً عن ميراثه لرسالة نور الدين في توحيد الجبهة الإسلامية ضد الفرنج ، إلى جانب الموقع المتوسط لممتلكاته ، بالشام والجزيرة الفراتية ومصر والحجاز واليمن وبرقة ، إذ تشغل قلب العالم الإسلامي ، وتضم أغلب الأقطار الناطقة بالعربية ، بالإضافة إلى اشتمالها على المقدسات الإسلامية ، في الأراضي الحجازية .

وفى اعتقادنا ، أن حصول صلاح الدين على تفويض الخليفة العباسى له سلطاته الشرعية فى ديار الإسلام ، سواء فى أرجاء الممتلكات الأيوبية ، أو فيما يستجد للسلطان فتحه من ديار الحرب أو استرداده من البلاد التى اغتصبها الصليبيون ؛ ثم تخويل الخليفة للسلطان ، حق ذكر اسمه بعد اسم الخليفة ، على منابر ممتلكات الدولتين النورية والصلاحية الزائلتين (1) ؛ وخاصة منابر الحرمين الشريفين بمكة والمدينة (۲) ، وبيت المقدس بعد استرداد صلاح الدين له من الفرنج سنة ۵۸۳ه السيحى الشريفين بمكة والمدينة الجامع بالقسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى سنة ۲۸۵ه / ، واخيرًا بالمسجد الجامع بالقسطنطينية ، عاصمة الدولة البيزنطية زعيمة العالم المسيحى سنة ۲۸۵ه / ، و ۱۹ م (1 م (1) ؛ قد جعل صلاح الدين فى الواقع نائبًا عن الخليفة العباسى فى جميع أرجاء الدولة الأيوبية ، التى اتسعت ، وبلغ أمتدادها من أطراف أرمنية الإسلامية والجزيرة الفراتية شمالاً المادن وبلاد النوبة جنوبًا ، وامتدت غربًا حتى بلاد القسيروان (۵) ؛ وما لبث السلطان العادل

⁽١) أنظر قبله ، نفس هذا الفصل دراستنا للتقليد الخليفي لبني أيوب .

 ⁽۲) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي ، وأنظر على الخصوص ، ابن جبير : الرحلة ، ص ۷۲
 ٨٠ . ٧٣ -

⁽٣) دعا خطيب صلاح الدين ، على منبر بيت المقدس " للخليفة والسلطان " ، على حد قول العماد الأصفهاني ، انظر الفتح القسي ، ص ١٤٧ ، س ٢ ، ص ١٣٧ - ١٤٠ ، ص ١٤٩ - ١٤١ ، ص ١٤٧ س ٢٠ - ١٧ ، حيث يقول عن القدس " رفعت الأعلام العباسية على منبره " ، وانظر أيضًا ص ١٩٨ ، س ٢ - ٧٠ .

⁽٤) أنظر ابن شداد: النوادر ، ص ١٣٢ – ١٣٣ ، العماد: الفتح ، ص ٤١٤ ، سبط: مرآة ، ١. ٤٠٤ ، الفتح ، ص ٤١٤ ، سبط: مرآة ، ١. ٤٠٤ ، المذى يقول: "خطب للخليفة والسلطان بقسطنطينية" ، ابن واصل: مفرج ٢: ص ٣٢٨ – ٤٢٩ ، المقريزى: السلوك ١: ٩٨ وهامش (١) ، وأنظر قبله، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

 ⁽٥) أنظر كارل بيكر : دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، الطبعة الأولى ، مادة أيوبيين ، أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٤٢ – ٣٥٠ ، ٣٥٠ – ٣٥١ ، وأنظر قبله .

الأول أبى بكر بن أيوب ، أن ربط دولته بدولة الخلافة العباسية ، برباط وثيق ، امتزجت فيه دعوة الجهاد ، بروح الصوفية وأخلاق الفتوة والفتيان ، بالأهداف السياسية والمذهبية للخلافة العباسية ، عين بادر بالاستجابة لدعوة الفتوة الخليفية الناصرية في سنة ٥٥ه / ٢٠٢م ام قبل تفرهه بالسلطنة الأيوبية ثم في سنة ٥٠٦ه / ٨٠٢م ، عقب تربعه على السلطنة الأيوبية ووصول تقليده الخليفي وخلعه الخليفية بسنة واحدة ، كما حدا بجميع ملوك الأطراف المسلمين ، إلى الانضمام إلى دعوة الفتوة الناصرية ، متابعة للسلطان الأيوبي (١٠).

ولقد سبق التدليل ، اعتمادًا على وثائق العصر الأيوبى ، وعلى الحوادث التاريخية ، أن ممتلكات الدولة الأيوبية الواسعة ، وعلى رأسها مصر ، كانت من الناحية الشرعية النظرية ، ملكا للخليفة العباسى (٢) ؛ ذلك لأن صلاح الدين كما أكدت رسائله المبادلة مع الخليفة العباسى ، بغرض إطلاعه على أسرار سياسته الحربية الخارجية ، أو بغرض البشارة بما تم من الفتوح (٣) ، كان يقوم بكل هذه الفتوحات باسم الخلافة العباسية ، ونيابة عنها ؛ وهذا في الواقع ما منحه حق استنفار ملوك الأطراف المسلمين ، إلى الانضمام إلى جيوشه ، للقيام بفريضة الجهاد ، وفي نفس الوقت ، ألزم هؤلاء الملوك ، ضرورة الاستجابة لاستنفاره لهم (٤) .

ولاشك أن ميراث صلاح الدين لمكانة نور الدين ببلاد المشرق الإسلامي (م) ، كان من أقوى الركائز التى استند عليها لتأكيد سطوته بين ملوك الشرق ، فكما ورث صلاح الدين ممتلكات نور الدين (٢) ، ومكانته السياسية ، فقد ورث أهدافه البطولية في استرداد بيت المقدس (٧) ، وورث

⁽۱) أنظر ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص ۸۹، ۱۷۷، ۱۷۹ - ۱۸۰ ، سبط: مسرآة، ۱، ۵۱۳، ۱۷۳، الفريزى السلوك، ۱: ۱۷۲، ابن واصل: مفرج، ۳: ۲۰۲ - ۲۰۷، المقريزى السلوك، ١: ۱۷۲، ۱د: ۲۱۸، س ٦ - ۷، ابن الساعى: الجامع المختصر، ٩: ۲۳۳ – ۲۳۰، وأنظر قبله.

⁽٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

⁽٣) أنظر قبله ، نفس الفصل السابق .

⁽٤) أنظر قبله ، نفس القصل السابق .

 ⁽٥) قال سبط ابن الجوزى ، بعد أن عدد الحصون والبلاد التى استردها نور الدين زنكى من الصليبيين بالشام
 " فتح نيفا و شمين حصنًا . . واتسع ملكه ، ففتح الموصل والجزيرة وديار بكر والشام والعواصم ودمشق
 وبعلبك وبانياس ومصر واليمن ، وخطب له فى الدنيا " (مرآة ، ٨ · ٣٠٥ – ٣٠٦) .

⁽٦) أنظر قبله .

⁽٧) قال سبط ابن الجوزى ، نقالاً عن ابن الألير: " ما كان يرى نور الدين إلا خلاص القدس من الفرنج واستنصالهم من الساحل" ، مرآة ، ٨: ٣٢١ ، س ٤ - ٥ ، وقال فى موضع آخر : كان فى عزمه (نور الدين) ، أن يفتح بيت المقدس ، فعمر منبرًا وقبلة بجامع حلب على اسم القدس ، فتوفى قبل الفتح ، فلما ملك صلاح الدين البيت المقدس ، حمل المنبر إليه وأبقى القبلة بجامع حلب ، أنظر مرآة ، ٨: ٣١٣ .

كذلك طموحاته السياسية في الاستيلاء على المتلكات سلاجقة الروم في شمال الجزيرة الفراتية وفي أرمنية الإسلامية ، بل والإطاحة بسلطنتهم التي أقاموها بآسيا الصغرى حتى تنضوى دولتهم تحت لوائه (١) ، في كيان سياسي وعسكوى موحد .

لهذا لا نعجب من إقدام صلاح الدين ، بعد استقواء دولته على محاربة سلطان سلاجقة الروم في سنة ٥٧٥هـ / ١٧٩ م ، وإرغامه على الدخول في طاعته (٢) ، ثم توقيع صلحًا مشتركًا يقضى بتعاون السلطانيين في وجه الكيانات الصليبية في سنة ٧٩هـ / ١١٨ م (٢) ، وهو ما تم في نفس هذه السنة ، حين ساند السلطان صلاح الدين ، سلطان سلاجقة الروم ، إبان صراعه مع مملكة أرمينية المسيحية (٤) ، تلك المملكة المسيحية المتعاطفة مع الحركة الصليبية والتي كان الاستيلاء عليها يمثل إحدى طموحات نور الدين قبيل وفاته (٥) .

ثم ما لبث سلطان سلاجقة الروم ، أن أعلن في سنة ٥٨٣ه / ١٨٧ م ، بعد انتصار صلاح الدين على الصليبين في حطين ، دخوله في طاعة صلاح الدين واتحاده معه (٢) ، وتابعه في ذلك ، جيع ملوك الأطراف المسلمين ، الذيب راسلوا صلاح الدين بعد تمام فتح القدس في سنة ٥٨٣ه / ١٨٧ م ، يطلبون لأنفسهم منه تقليدًا على بلادهم (٧) ، وكان على رأس هؤلاء الملوك ، آخر ملوك سلاجقة العجم الذين سيطروا على عراق العجم ، وملوك الأراتقة الذين سيطروا على أغلب أقاليم الجزيرة الفراتية الفراتية (١٨٠٥ على أشاس أنه «سلطان» بشمول النفوذ السياسي لصلاح الدين على جميع بلاد المشرق الإسلامي على أساس أنه «سلطان» المسلمين ، السياسي ملك ملوك الإسلام (١٠) ؛ فلا غرو أن أصبح لقب «سلطان» يشير إلى صلاح الدين دون غيره ،

⁽۱) عن محاولة نور الدين زنكى ، ضم دولة سلاجقة الروم إليه سنة ٥١٨هـ ، انظر سبط : مرآة ٨: ٣٣٣ – ٢٣٤ ، ٢٩٤ ، ابن واصل : مفرج ، ١: ٣٣٣ – ٢٣٤ ، ٢: ٩٦ – ٩٨ .

⁽۲) أنظر العماد : الفتــح ، ص ۱۸۱ ، ص ۲۱۱ – ۲۱۳ ، المقريــزى : الســلوك ۱: ۸۸ – ۲۹ و ۱۹۲ ، ابن واصل : مفرج ، ۲ : ۷۹ .

⁽٣) أنظر ابن شاهنشاه : مضمار ، ص ٤٢ ، اين واصل : مفسرج ، ٢: ٩٦ – ١٠٠ ، أبـو المحاســن : النجــوم ، ٢: ٧٢ . ٧٨ .

⁽٤) أنظر واصل ، ٢: ٩٦ – ١٠٠ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٦: ٢٧ – ٢٨ .

⁽٥) أنظر ابن واصل : مفرج ، ١: ٢٣٦ .

⁽٦) أنظر على الخصوص : العماد : الفتح ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، وأنظر قبله .

⁽٧) أنظر العماد : الفتح ، ص ١٨١ ، وص ٢١١ .

⁽٨) أنظر العماد : الفتح ، ص ٢١٢ – ٢١٣ ، ص ٧٧٥ – ٧٧٥ .

⁽٩) أنظر قبله مناقشة المفهوم الاصطلاحي للفظ " سلطان " .

حتى لو ورد في سياق الحديث أخبار أحد سلاطين السلاجقة المعاصرين له(١).

وكما اقنع صلاح الدين ملوك الأطراف المسلمين بالانضمام إليه والاعتراف بسلطنته ، وشمول نفوذه السياسي على ممالكهم اثر استرداده لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ ؛ فإن هذا الانتصار الحاسم للمسلطان صلاح الدين على القوى الصليبية قد أرغم الإمبراطور البيزنطى الذي عرف بملك القسطنطينية على التخلى عن الحركة الصليبية ، وإرسال سفارة لصلاح الدين لتوقيع صلح معه يقضى بإقامته الحطبة «للدعوة الإسلامية العباسية » في جامع القسطنطينية باسم السلطان صلاح الدين ، الذي أرسل مع السفير البيزنطى الخطيب والمنبر وجمعًا من المؤذنين (٢) ؛ وقد شجعت هذه الخطوة الجريئة من الأمبراطور البيزنطى وعيم العالم المسيحى الشرقى ملك مملكة أرمينية المسيحية المعروف الكيكاوس على مراسلة صلاح الدين بدوره ، وعرض عليه خدماته بخصوص إبلاغه بتحركات الحملات الصليبية (٢).

وفى هذا ما يؤكد أن صلاح الدين قد أصبح بعد انتصاره فى حطين واسترداده بيت المقدس، سلطان الإسلام والمسلمين، سواء فى نظر الخلافة العباسية، أو فى نظر ملوك الأطراف المسلمين، أو حتى فى نظر الممالك والدول المسيحية، ببلاد الشرق، وهى الأمبراطورية البيزنظية، ومملكة أرمينية المسيحية.

وإذا كان سلطان سلاجقة الروم ، قد أقر للسلطنة الأيوبية بالزعامة على بلاد المسرق الإسلامي ، وأعلن انضمامه رسميًا للدولة الأيوبية في تحالف سياسى وعسكرى سنة ٧٦ه- / ١٨٥ م ، فإن هذا في واقع الأمر قد ضمن للسلطنة الأيوبية زعامة العالم السنى في ذلك الوقت ، وعلى رأسه الخليفة العباسي ، ذلك لأن الدولة الخوارزمشاهية ، والتي كانت ولا ريب أقوى مملكة إسلامية بالمشرق الإسلامي في القرن السادس الهجرى ، إذ ضمت بلاد ما وراء النهر إلى حدود

⁽١) أنظر سبط: مرآة، ٨: ١٠٤، وقد تأكدت سيطرة وزعامة السلطان الأيوبي على جميع ملوك الأطراف، حين وافت رسل ملوك الأطراف المسلمين ورسل الخليفة العباسي ورسل الفرنج السلطان الكامل عمد بن العادل سنة ٢٩٩ه، حين نهض لحرب المغول، وألبسه رسل الخليفة خلعة السلطنة، وكان من ضمن رسل ملوك الإسلام، رسل ملك الهند ورسول صاحب جزيرة الأندلس، أنظر ابن أيبك: الدر المطلوب، ص ٣٠٥ - ٣٠٦، المقريزي السلوك ٢: ٣٤٣.

 ⁽۲) أنظر ابن شداد : النوادر ، ۱۳۲ - ۱۳۳ ، العماد : الفتح ، ص ٤١٤ ، سبط مرآة ، ٨: ٤٠٤ ،
 ابن واصل : مفرج ، ٢: ٣٢٨ - ٤٢٩ ، ابن عبد الظاهر : الدرّ النظيم ، ص ٣٧ - ٤٢ ، المقريزى :
 السلوك ، ١: ٩٨ ، وهامش (١) ، وأنظر قبله .

⁽٣) أنظر ابن شداد : النوادر ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

الصين وبلاد الهند وإيران وعراق العجم والجزيرة الفراتية ـ كانت تعتنق الدعوة الشيعية (١) ، شأن الدولة البويهية من قبل (٢) ، وعلى هذا الأساس فإن ملك خوارزم الشيعى ، لم يكن من ناحية الانتماء العقائدى ، يصلح لتبنى الدعوة العباسية السنية ، التي التف المسلمون حولها بعد سقوط الخلافة الفاطمية الشيعية بمصر على يد الأيوبين (٣) .

ومع ذلك فقد اعتبر خوارزمشاه نفسه ، وارتًا لسلاطين السلاجقة السنين ، في السيطرة على الخلافة العباسية ببغداد ، والخطبة باسمه بعد الخليفة العباسي على منابر العراق ، وذلك بعد أن نجح خوارزمشاه في سنة ، ٩ ٥هـ / ١٩٣ م ، في إنهاء الوجود السياسي والعسكري لسلاطين السلاجقة من العراق (أ) ، وأغلب الظن أن استقواء النفوذ السياسي والعسكري لخوارزمشاه محمد بن تكش ، وطموحه في السيطرة على الخلافة العباسية بالعراق ، سيطرة مباشرة لقربها من دولته ، هو الذي

⁽١) إن غلبة دعوة الشيعة المعتزلة على بلاد خوارزم ، قد تم في اعتقادنا منذ أيام الدولة الحوارزميـة الأولى ، التي كانت تعرف بالدولة المأمونية ، وهذا هو السبب في الواقع في عداء السلطان محمود الغزنوي ، أول السلاطين السنيين ، للدولة الخوارزمية الأولى وإبادته لها ، وعلى هذا الأساس يكون دخول الدعوة الشيعية إلى خوارزم ، قد تم على الأقل في مطلع القرن الخامس الهجرى ، إذ ألف القاضي عبد الجبار الهمداني بـ ١٥ ٤ هـ / ١٠٠٤م ، أهم كتب الدعوة الاعتزالية ، وهو كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعزلة ، لخوارزمشاه مأمون بن مأمون الذي تولى سنة ٩ ٣٩هـ ، وتوفي سنة ٧ ٠ £هـ . أنظر القاضي عبد الجبار : فضل الاعــتزال ، تحقيــق فؤاد سيد ، تونس ١٩٧٤م ، ص ١٣٧ وهامش (١) . وقد بقيت دعوة الاعتزال قويـة في خيوارزم حتى بعد إبادة السلطان محمود الغزنوي للدولة الخوارزمية الأولى ، حين أرسل المعتزلة إلى خوارزم أحد كبار دعاتهما وهو أستاذ المفسر الشهير الزمخشري ، صاحب التفسير المسمى بالكشاف ، وعنه أخذ الزمخشري دعوة الاعتزال (أنظر زهدى: جار الله: المعتزلة، القساهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص ٢١٧ - ٢١٨)، وقد صرح الزمخشرى في ديباجة تفسيره الكشاف أنه أملاه في مكة ، بعد أن ألبح عليه أصحابه من المعتزلة أهل العدل والتوحيد في خوارزم في تأليفه . بمعنى أن الاعتزال ظل قويًــا فـي خــوارزم طــوال القــرن الســادس الهجري في عهد الدولة الخوارزمية الثانية ، وهذا ما دعى إلى إقدام الإمام فخير الدين البرازي ت ٢ ، ٦هـ / ٩ . ٢ . ٩ أشهر علماء الدعوة الأشعرية السنية في عصره ، على إهداء كتابه أساس التقديس ، للسلطان العادل الأيوبي ، رغم أنه كان من أصدقاء خوارزمشاه والمقربين إلى بلاطه والمقيمين في دولته ، وقد ألمح الفخر الرازى إلى هذا السبب في ديباجة كتابه أساس التقديس ، أنظر قبله الفصل الخاص بإعادة الشعائر السنية إلى مصر ، ونشر الدعوة الأشعرية بها .

⁽٢) أنظر قبله .

⁽٣) أنظر قبله .

⁽٤) أنظر المنشىء النسوى : سيرة جلالة الديـن منكـبرتى ، ص ٤٩ هـامـش (٤) ، ص ٥٠ – ٥٣ ، ص ٦٤ ، ص ٢٠٧ .

وقف حائلاً دون تمتع صلاح الدين رسميًا بلقب «سلطان » حتى وفاته (١) سنة ٩٥هـ / ١٠٤١م ؛ ويبدو أن الخطبة لخوارزمشاه استمرت ببغداد منذ سنة ٥٩هـ / ١٩٣ / ١٩٣ م ، وراثة عن سلاجقة العراق ، ثم انقطعت سنة ٤٢٤هـ / ٢١٧ م (٢) .

ورغم تشيع الدولة الخوارزمشاهية ، ورغم الدلالة السنية للقب « السلطان » ، فإن ملوك الدولة الخوارزمشاهية ، الذين عاصروا سلاطين بنى أيوب ، قد حاولوا إرغام الخلافة العباسية وملوك الأطراف المسلمين على مخاطبتهم بلقب « سلطان » ، الذى خوطب به ملوك بنى أيوب منذ عصر السلطان العادل الأول سنة ٤ • ٦ ه / ٧ • ٧ ٢ م (٢) ، ولكن الخلافة العباسية أبت عليهم هذا اللقب ، اغلب الظن لتشيعهم ، من ثم رفض ملوك المسلمين ، تلقيب ملك الدولة الخوارزمية بلقب « سلطان » (٤) ، الذى صار علمًا على ملوك بنى أيوب .

وكان تشيع خوارزمشاه محمد بن تكش ، واستهانته بالخلافة العباسية ، ودعوتها السنية هو الذي زين له في رأينا فكرة الاستيلاء على العراق ، والسيطرة على الخلافة العباسية سنة ، ٩ هه / ١٩٣ م (٥) ، وإقامة سلطنة استبدادية شيعية ، تحجر على خلفاء بني العباس (٢) كما فعل أمراء بني بويه ، الشيعة من قبل بعد سيطرتهم على بغداد ، في حين ظل سلاطين الأيوبيين وسلاجقة الروم ، وكلاهما من أهل السنة ، على ولائهم التقليدي المتوارث نحو الخلافة العباسية .

⁽١) أنظر قبله .

⁽٢) أنظر النسوى : سيرة منكبرتي ، ص ٥٢ ، وص ٣ .

⁽٣) أنظر قبله ، نفس هذا القصل .

⁽٤) يقول النسوى: كان جلال لادين يكتب إلى الخليفة ... والوحشة قائصة ، حذوا على منوال أبيه (خادمه المطواع منكبرتى بن السلطان سنجر) ، ولما خلعت على خلعت السلطنة .. منة ٢٦٦ه / ٢٦٨م ، كتب إليه – أى إلى الخليفة – (عبيدة) والخطاب (سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وإمام المسلمين وبخليفة رسول رب العالمين ، وإمام المشارق والمغارب) ، وكان جلال الدين يكتب إلى علاء الدين كيقباذ – سلطان سلاجقة الروم – وملوك مصر والشام أجمع – بنى أيوب – اسمه واسم أبيه منعوتًا بالسلطان ولم يكتب شيئًا مما جرت به العادة من خادمه أو عبه أو أخيه ... ، وقد خاطبوه من الخليفة ... به (الجناب الرفيع الخاقالي) ؛ ولم يزل يقترح عليهم خطابه به " السلطان " فلم يجب إلى ذلك ، إذ لم تجر العادة به ، مع من تقدمه من كبار الملوك ، فلما كثر إلحاحه ، خاطبوه حين حملت إليه خلع السلطنة ، به (الجناب العالى الشاهنشاه) ، (أنظر سيرة منكبرتي ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥) .

⁽٥) أنظر سبط: مرآة، ٨: ٤٧٢.

⁽٦) يقول ابن واصل: "حدّثته نفسه بقصد العراق وتملكه وتصيير الخليفة تحت حكمه ، كما كان الأمر في استيلاء السلجوقية وبني بويه قبلهم على الخلفاء ، (مفرج ٤: ٣٥) .

وحين كاتب خوارزمشاه الخلافة العباسية بأنه: يطلب ما كان لبنى سلجوق من الحكم والملك ببغداد، وترددت الرسل فى ذلك مرارًا، فلم تجب إلى مراده لعلم الخلافة بمشاغل خوارزمشاه فى حروب مع الترك المغول، بعد أن أوضح رسل الخلافة له، أن تحكم بنى سلجوق فى بغداد، اقتضته الظروف السياسية والمذهبية الحرجة التى صاحبت فتن البسا سيرى القائد والداعية الفاطمى حين تغلب على بغداد سنة ، ٥٥هـ / ١٥٥ م وخطب بها للخليفة الفاطمى: وإلا فليس يحتم أن يكون مع الزمان على أكتاف الخلافة، متحكم يأمر فيها، وينهى كيف شاء (١)، على حد قول سفراء الخلافة العباسية.

ومع ذلك فقد قام خوارزمشاه بمحاولتين عسكريتين للسيطرة على بغداد والحجر على الخليفة العباسى ، أولهما سنة ١٤ هـ / ٢١٧ م (٢) ، حين أعاقه سقوط الثلج فظن أن هذا من كرامات البيت العباسى ، وخاطبه بعض خواصه بأن « ذلك غضب من الله ، حيث قصدت بيت الخلافة (10^{10}) ، فأبدى خوارزمشاه الندم عن مهاجمته عاصمة الخلافة (10^{10}) ؛ إلا أن هذا لم يحل دون قيام ابنه جلال الدين منكبرتى ، آخر ملوك خوارزم بمحاولة أخرى لقصد بغداد والحجر على الخليفة العباسى ، وذلك في سنة ٢٢ هـ ، وكاتب الملك المعظم عيسى الأيوبي صاحب بلاد الشام والجزيرة الفراتية ليشترك معه في هذه الحملة على بغداد إلا أنه اعتذر له قائلاً : « أنا معك على كل حدّ ، إلا الخليفة ، فإنه إمام المسلمين (10^{10})

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن تشيع ملوك الدولة الخوارزمشاهية (٢) ، واستهانتهم بالدعوة العباسية والخليفة العباسي ، ومحاولتهم الحجر عليه والسيطرة على بغداد وإقامة حكم عسكرى استبدادى بها ، قد حال دون اعتراف الخليفة العباسي وملوك الأطراف باتخاذ ملوك خوارزم للقب سلطان ، الذي أصبح علمًا على سلاطين بني أيوب ، حماة الخلافة العباسية ، والدعوة السنية .

 ⁽۱) النسوى : سيرة منكبرتي ، ص ٥٠ .

⁽٢) أنظر سبط : مرآة ، ٨: ٨٨٠ ، أبو المحاسن : النجوم ، ٦: ٢٦٩ – ٢٢٠ .

⁽٣) السيوطى : تاريخ الخلقاء ، ص ٢٩٨ .

⁽٤) أنظر نص هام أورده النسوى في هذا المعنى : سيرة منكبرتي ، ص ٢٤ .

⁽٥) سبط : مرآة ، ٨: ٢٣٤ .

⁽٦) يعتقد د. أحمد السعيد سليمان أن ملوك خوارزم اعتقوا التشيع ابتداء من سنة ١٤ هـ، وهـذا الـذى دفعهـم لقصد بغداد أنظر : تاريخ الدول الإسلامية ، ٢: ٣٧٥ ، ولكننا أوضحنا أن دعوة الشيعة المعتزلة انتشـرت في خوارزم من القرن الحامس الهجرى ، أنظر قبله .

أصبحت السلطنة الأيوبية إذا ، منذ عهد صلاح الدين ، وطوال عصور خلفائه ، هى الممثلة للخلافة العباسية ، والمفوضة من قبلها ، والمتحدثة باسمها ، والمنفذة لسياستها ، سواء على المجال الإسلامي أو العالمي على حد سواء ؛ ولقد أملي هذا الولاءللخلافة العباسية ، والتبعية لدعوة خلفاء بني العباس ، على الدولة الأيوبية منذ قيامها ، موققاً معاديًا تجاه الخلافة الموحدية بالمغرب، التي كان قد أعلن قيامها بنو عبد المؤمن ، مظهرين بذلك استقلال خلافتهم عن الخلافة العباسية ، وعللوا هذا المسلك ، بأنهم قد احتسبوا على خلفاء بني العباس بعض المنكرات (١) ؛ وقد أقر فقهاء الإسلام الأمر الواقع ، واعترفوا بشرعية قيام الخلافة الموحدية بالمغرب ، وبنوا تخريجهم الفقهي هذا ، الذي ينافي رأى أغلب الفقهاء في عدم شرعية تعدد الخلافة في دار الإسلام ، على أساس وقوع ممتلكات الخلافة الموحدية بالمغرب والأندلس ، مع بلاد ديار الحرب ، ووجود إسلامية قائمة في ديار الإسلام ، وتداخل بلاد المغرب والأندلس ، مع بلاد ديار الحرب ، ووجود بعض رعاياها المسلمين في الجزائر الواقعة فيما وراء دار الحرب ، الأمر الذي جعل الخليفة الموحدي الماشر الفعلي لمصالحهم (١)

ولكن رغم هذا التخريج الفقى لشرعية الخلافة الموحدية بالمغرب ، فإن خلفاء بنى عبد المؤمن ، كانوا من الناحية الفعلية والشرعية ، سلاطين عسكريين ، لعدم توفر شروط الخلافة فيهم ، لأنهم ليسوا من قريش ، فهم إذًا سلاطين حملوا لقب الخلافة ، شأن الخلفاء العثمانيين الأتراك في القرن العاشر الهجرى / ٢٦م (٢) .

ويبدو أن الدعوة المؤمنية الموحدية ، قد تميزت بنوع من التشدّد ، إذ نظرت إلى دعوتها على أنها هي الدعوة الإسلامية الحقة ، في حين أن باقي ديار الإسلام ، قد تابع في دعواته المذهبية آراء الفرق الكلامية ؛ فنجد الراحلة المغربي ابن جبير ، وهو في أغلب الظن أحد كبار الدعوة المؤمنية الموحدية ، يقرّر بعد مشاهدته لتعدد الفرق الإسلامية ، والميول السياسية في بلاد المشرق الإسلامي أنسه « لا إسلام إلا ببلاد المغرب! » « ولا عدل ولا حق ولا دين على وجهه إلا عند الموحدين » ؛ وهو يصف خلفائهم بأنهم « آخر أئمة العدل في الزمان ، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان على

⁽۱) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسيي والشيرعي ، وأنظر الآن سبط : مرآة ، ٨: ١٥١ و ٢٤٥ - (١) أنظر قبله ، الفصل ٢٤٦ - ٢٤٥ .

⁽٢) أنظر الجويني : غياث الأمم، ص ١٢٨ – ١٣٠ .

⁽٣) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي .

غير الطريقة » ؛ والطريف أنه استثنى عن حكمه التعسفى هذا السلطان صلاح الدين بقوله : « اللهـم الا هذا السلطان العادل صلاح الدين »(١) .

وإذا كان الأيوبيون قد استطاعوا بعد جهود دامت حوالى خسة عشر عامًا (من ٢٥هه/ الا ١٩٥ م ١١٧٢ م ١١٧٥ه / ١١٨٧ م ١١٨٥ م ١١٨٠ م ١١٨٥ م ١١٨٠ م ١١٨٠ م ١١٨٠ م ١١٨٠ م ١١٨٠ م ١١٨٠ م ١١٨٥ م ١١٨٠ م ١١٨٥ م ١١٨٠ م

فتراسل صلاح الدين مع الخليفة الموحدى المنصور أبى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على مدى سنتين ، بعد تمام فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ / ١٩٥ م ، إذ استمرت هذه المراسلات من سنة ٤٨٥هـ / ١٩٥ م إلى سنة ١٩٥هـ / ١٩٥ م ، ولدينا نصوص لبعض هذه المكاتبات التى أرسلها صلاح الدين بإنشاء القاضى الفاضل ، وفيها يعرض صلاح الدين على الخليفة الموحدى أسرار سياسته الحربية تجاه القوى الصليبية ، ويناشده عقد حلف بحرى بينهما ، يقضى بإمداد الخليفة الموحدى لصلاح الدين بالأساطيل البحرية ، حتى يتسنى له عزل الصليبين في ساحل الشام ، وقطع الإمدادات البحرية المرسلة إليهم من وراء البحر من قبل ملوك أوربا والبابوية ؛ وقد أفصح صلاح الدين للخليفة الموحدى في هذه المراسلات ، إلى أنه يصبو إلى فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ؛ وقد بالغت المراسلات الفاضلية على إسباغ الألقاب على الخليفة الموحدى ،

⁽۱) أنظر ابن جبير: الرحلة ، ص ٥٥ - ٥٦ ، ٥٠ - ٥٧ ، وهما نصان هامان فراجعهما بتمامهما ، والغريسب حقًا أن ابن جبير ، حاول أن يقنع قارئ رحلته ، بانتشار الدعوة الموحدية المؤمنية بمصر وفى بالاد الحجاز ، وبوجود أنصار لها يراسلون الخليفة الموحدة بالمغرب ، ويلحون عليه فى المجىء إلى المشرق الإسلامى ، لإزالة ما فيه من منكرات ، بل ويجاهرون فى إعلان ولاءهم للخليفة الموحدى ؛ بل ذهسب ابن جبير إلى القول بأنه قد نما إلى علمه أن بعض علماء مصر والإسكندرية وفقهائها وزعمائها ، قد حبّر خطبًا أعدها للقيام بين يدى الأمير الموحدى ، وذلك بعد فتحه لمصر ، ولقبه به "سيدنا أمير المؤمنين » !؟

⁽٢) أنظر قبله ، الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية .

وتمجيد الدعوة الموحدية (١) ، ثم أيد صلاح الدين هذه المكاتبات الرسمية بسفارة دبلوماسية قام بها الأمير شمس الدين ابن منقذ إلى بلاط الخليفة الموحدى في سنة 0.00 هذه الدبلوماسية ، لعقد التحالف البحرى بين السلطان الأيوبي والخليفة الموحدي قد باءت بالفشل ، إذ عزّ على الخليفة الموحدي ، أن صلاح الدين ، لم يخاطبه في هذه المراسلات بـ « أمير المؤمنين » ، وهو اللقب المحبب والمميز لخلفاء المسلمين .

لم تستطيع السلطنات الأربع ، التي تعاصرت في ديار الإسلام في القرنين السادس والسابع الهجرى (١٢ - ٣م) ، الأيوبية ، وسلاجقة الروم ، والخوارزمشاهية ، والموحدية ، اتخاذ سياسة موحدة وخطة عسكرية مشتركة ، ضد الأخطار الخارجية ، التي راحت تتهدد العالم الإسلامي شرقًا وغربًا ؛ إذ أدّى التافس السياسي والاختلاف المذهبي ، والطموحات الشخصية ، إلى تناحر هذه السلطنات الأربع المتعاصرة فيما بينها ، مما تمخض فيما بعد عن اجتياح المغول للشرق الإسلامي ، وإسقاطهم للخلافة العباسية ببغداد سنة ٥٦ه م ١٩هـ / ١٢٥٨ م ؛ في حين استطاعت بقايا الصليبين بالشام ، البقاء بالساحل ، في شريط جغرافي ضيق ، يحيط به الكيانات الإسلامية من كل جانب !؟ ؛ الاسام ، بلاد المغرب الإسلامي ، فقد استطاعت حركة الاسترداد المسيحي بالأندلس ، إنهاء الحكم الإسلامي ببلاد الأندلس ، بل وتهديد سواحل بلاد المغرب العربي .

ورغم أن الخلافة العباسية في طورها الأخير ، قد بذلت جهودًا دبلوماسية كبيرة ، في سبيل جمع ملوك الأطراف حولها للتصدى للخطرين المغول والصليبي (٢) ، إلا أن الانقسام المذهبي الذي ألم بالعالم الإسلامي ، أدّى إلى تفاوت ملوك الأطراف في ولائهم وطاعتهم للخلافة العباسية ، ففي حين ظل سلاطين بني أيوب ، وسلاطين سلاجقة الروم على ولائهم للخليفة العباسي ؛ فإن الدولة الخوارزمشاهية الشيعية ، لم تظهر مثل هذا الولاء ، رغم اعترافها بتبعيتها للخلافة العباسية ؛ في حين

⁽۱) أنظر هذا الخطاب القلقشندى: صبح ، ٦: ٥٣٠ - ٥٣٠ ، أبو شامة : الروضتين ٢: ١٧١ - ١٧٣ ، ١٧٣ وأنظر رسالة أرسلها القاضى الفاضل للسلطان صلاح الدين بخصوص الخليفة الموحدى عند أبى شامة : gaudefrey-Demombynes, M: "une lettre de saladin au الروضتين، ٢: ١٧٤ - ١٧١ وأنظر: Calife Almohade" Mil. R. Basset II, 1925, pp. 279 - 304.

⁽٢) عن هذه السفارة أنظر سبط: مرآة ، ٨: ٤٦٧ ، ابن واصل: مفرج ، ٢: ٣٦١ - ٣٦٢ .

⁽٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي .

أعلنت الدولة الموحدية استقلالها بخلافة خاصة بها ، متوارثة في بني عبد المؤمن ، تتبنى دعوة إصلاحية سلفية مغايرة للدعوة العباسية ، الأمر الذي حال دون اتخاذ العالم الإسلامي ، لسياسة وخطة موحدة لجهاد هذه الأخطار الخارجية ، التي تهددته من جهة ديار الحرب .

الوضع الشرعي للسلطنة الأيوبية :

ولما كان منصب الخلافة ، هو الخاص بحماية أمور الدين والدنيا في النظم الإسلامية لكون الإسلام دين ودولة ، فلقد استبع هذا الوضع الشرعي الجديد لديار الإسلام ، بعد تفويض الخليفة مختارًا لصلاحيات ومسئوليات منصبه للسلاطين السنيين ، دراسات فقهية مستفيضة ، قام بها مفكروا الدعوة الأشعرية السنية ، التي قام مفكروها بالتوجيه الفكري والسياسي للعالم الإسلامي كله منذ منتصف القرن الخامس الهجري (١).

وأهم ما يستلفتنا في الفكر السياسي لمفكرى ودعاة الدعوة الأشعرية ، أنه يناقد تمامًا الفكر السياسي للدعوة الإسماعيلية والفرع الفاطمي منها بصفة خاصة ، كما أنه يناقض جميع النظريات السياسية لمفكرى دعاة المذاهب الشيعية المختلفة بصفة عامة (٢) ؛ وإن ظل الفكر السياسي للأشاعرة ، في جوهره مظابقًا للفكر السياسي السنى ، كما عرضته كتب الأحكام السلطانية لفقهاء أهل السنة في القرنين الثالث والرابع للهجرة (٢) ؛ ولم يضف فقهاء الدعوة الأشعرية على الفكر السياسي لأهل السنة إلا بعض الاجتهادات والتخريجات الفقهية أملتها الأوضاع السياسية والشرعية للعالم الإسلامي في القرنين السادس والسابع الهجرى ، وكانت أهم هذه الاجتهادات لمفكرى الدعوة الأشعرية هي الخاصة بوظيفة «السلطنة» .

ويعد كل من إمام الحرمين الجويني (ئ) ، وتلميذه أبى حامد الغزالي (٥) ، أول من صاغا الفكر السياسي للدعوة الأشعرية ، اعتمادًا على الآراء التي كان قد أبداها من قبل الإمام أبى الحسن الأشعرى مؤسس الدعوة ، ثم أبى بكر الباقلاني أضخم مفكريها بعد الأشعرى ؛ والواقع أن جميع من ألف في الفكر السياسي في العصر الأيوبي وعلى رأسهم عبد الرحمن الشيزري (٢) ،

⁽١) أنظر قبله القصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .

 ⁽٢) عن تناقض جوهر النظرية السياسية الشيعية مسع النظرية السياسية الأهمل السنة ، أنظر قبله الفصل الخاص بالقضاء على الدعوة الإسماعيلية .

 ⁽٣) أنظر الجزء الثانى من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، تحت الطبع إن شاء الله تعالى ،
 عند دراستا للمؤلفات الخاصة بالأحكام السلطائية والسياسية الشرعية .

⁽٤) عنهما أنظر قبله الفصل الخاص بالدعوة الأشعرية .

⁽٥) نفس المرجع عاليه .

⁽٦) عنهم أنظر الجزء الثاني من كتابنا مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي، تحت الطبع إن شاء الله تعالى .

وابن طلحة الدمشقى (١) ، وخضر بن أبى بكر (٢) أو فى العصر المماليكى وعلى رأسهم ابن جماعة (٣) ، قاموا ـ وخاصة فى الفصول التى عقدوها لمناقشة الوضع الشرعى لنصب « الخلافة » ، ولنصب « السلطنة » ـ بتلخيص آراء الجوينى والغزالى فى هاتين المسألتين .

لقد رفض الجوينى رأى فرق الشيعة ، التى ذهبت إلى القول بأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد نص على ولاية على ابن أبى طالب للخلافة من بعده ، وهو ما عرف عند الشيعة بـ « النص » ، أو « التنصيص » (٤) ؛ كما رفض آراء جميع القرق الإسلامية التى قالت بمبدأ النص حتى من خالف منهم الشيعة العلويين ، وذهب إلى القول بأن النبى ، قد نص على أبى بكر الصديق (٥) ؛ بل رفض الجوينى ، رأى الفرقة العباسية التى ادعت أن النبى قد نص على ولاية عمه العباس للخلافة من يعده (١)

وأقام الجوينى حجته على بطلان مذاهب أصحاب النصوص على أساس نقده لأسانيد الأحاديث النبوية التى استندت عليها الفرق الإسلامية ، التى اعتنقت مبدأ « النب » () ، وعلى أساس شرحه للأحاديث النبوية التى أولها الشيعة للتدليل على أنه تشير إلى حق على وابنائه فى ميراث النبوة والخلافة () ؛ وفى رأى الجوينى أن يوم السقيفة أى اجتماع المسلمين فى سقيفة بنى ساعده لمبايعة أبى بكر ، وما حدث من تناقش المهاجرين والأنصار على منصب الخلافة ، يؤكد عدم وجود نص عن النبى ، عدد فيه خليفته ؛ ومن ثم فيوم السقيفة عند الجوينى ، دليل قاطع على بطلان مذاهب أصحاب النصوص () ، أما الحجة الدامغة فى رأيه فهو أن هذا الخبر العظيم الخاص بميراث النبوة لا يمكن أن يخفى على عامة المسلمين وتنفرد به بعض الفرق الإسلامية () .

⁽١) نفس المرجع عاليه.

⁽٢) نفس المرجع عاليه .

⁽٣) نفس المرجع عاليه .

⁽٤) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٩ ، وأنظر الغزالي : الاقتصاد في الاعتقـاد ، ص ١١٧ وأنظر قبلـه نقـالاً عن فضائح الباطنية للغزائي ، أنظر الفصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .

⁽٥) نفس المصدر ، ص ٢١ .

⁽٦) نفس المبدر ، ص ٢١ .

⁽٧) نفس المعدر ، ص ٢٧ .

⁽٨) نفس المصدر ، ص ٢٨ - ٣٢ .

⁽٩) نفس المعدر ، ص٥٥ – ٢٧ .

⁽١٠) نفس المصدر ، ص ٢٤ - ٢٥ .

١٠) نفس المصادر ، ص ٢٤ – ٢٥ .

فالإمامة في رأى الجويني ، تثبت بالاختيار من أهل الحل والعقد لعدم وجود نص (۱) ، وخاصة لو أجمع أهل الحل والعقد على هذا الاختيار ، لقول النبي لا تجتمع أمتى على ضلالة (۲) ؛ ولابد من توافر شروط الإمامة فيمن يقوم بها ، وهي الشروط التي حددها فقهاء أهل السنة من قبل سواء الخاصة بسلامة المحضاء (۱) ، أو ما يرتبط بالصفات اللازمة مشل النسب القرشي والذكورة والحرية والعقل والبلوغ (۵) ، أو فيما يتعلق بالفضائل المكتسبة مثل العلم والورع (۲) .

فالفكر السياسى الأشعرى إذًا كما عرضه الجوينى والغزالى ، يطبابق الفكر السياسى السنى ، ويناقض الفكر السياسى الشيعى ؛ وهذا ما دعا كل من الجوينى $^{(V)}$ والغزالى $^{(A)}$ إلى توجيه عناية خاصة للحض نظرية « عصمة الائمة » ، التي اعتنقتها فرق الشيعة .

وإذا كانت الأمة الإسلامية ، مجمعة على أن نصب « الإمام » ، واجب شرعًا ، بمعنى أن وجوب نصب الخليفة مستفاد من الشرع المنقول وليس من قضايا العقول () ، وذلك لكون الخليفة هو زعيم المسلمين وراعى شئون دينهم و دنياهم ، والقائم على إقامة المدعوة الإسلامية () ، ومع تأكيد الجوينى لهذه الحقائق الشرعية التى قررها فقهاء أهل السنة من قبل ، فقد عنى بالرد على الشيعة و دحض معتقدهم فى « النص » لقولهم بأن الإمامة موكولة إلى الله وليست إلى اختيار الرعية ؛ كما رفض الجوينى أيضًا قول الشيعة بعدم إمكان خلو الزمان من إمام قائم ، ولقد علل الجوينى رفضه على أساس أن الزمان يخلو من الأنبياء « فإذا جاز خلو الزمان عن نبى ـ وهو معتصم دين الأمة ـ فلا بعد فى خلوه عن الأئمة » ()) .

⁽١) نفس المصدر ، ص ٣٤ ، ص ٤٣ ، وعن شروط أهل الحل والعقد وظروف عقد البيعة أنظر الجويتي : نفس المصدر ، ص ٤٦ - ٥٧ ، ويقول الجويني في غياث الأمم ص ١٩ " لو ثبت النص من الشارع على الإمام ، لم يشك مسلم في وجوب الاتباع على الإجماع ، فإن بذل المسمع والطاعة للنبي واجب باتضاق الجماعة ، وإن لم يصح النص ، فاختيارمن هو من أهل الحل والعقد كاف في النصب والإقامة وعقد الإمامة " .

⁽٢) الجويني : نفس المصدر ، ص ٣٤ .

⁽٣) نفس المصدر ، ص ٦٠ - ٦١ .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ٦٦ - ٦٢ .

⁽٥) نفس المصدر ، ص ٦٢ – ٦٥ .

⁽٦) نفس المصدر ، ص ٦٥ – ٦٩ .

⁽V) نفس المصدر ، ص ، V = V .

⁽٨) أنظر الغزائى : الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٧ ، وأنظر قبله نقلاً عن فضائح الباطنية للغزائى ، أنظر الفصل الخاص بنشر الدعوة الأشعرية .

⁽٩) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٥ – ١٧ .

^{(•} ١) يقول الجوينى : " الإمامة رياسة تامة ، وزعامة عامة ، تتعلق بالخاصة والعامة فى مهمات الدين والدنيا ، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية ، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين ، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٥ .

⁽١١) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٧ - ١٨ .

وإذا كان الفكر السياسى الأشعرى ، يرى منع نصب إمامين فى وقت واحد ، لما فى ذلك من انقسام للأمة الإسلامية (١) ؛ فقد أجاز نصب إمام فى القطر الذى لا يبلغه نظر الإمام ، حاصة إذا كان هذا القطر متداخلاً مع ديار الحرب ، أو تفصله عن ديار الإسلام بعض أقطار ديار الحرب (٢) ؛ وفى هذا التحريج الفقهى ما ينسحب كما أسلفنا على الخلافة الموحدية التى أعلن بنو عبد المؤمن قيامها بالمغرب الأقصى ، وباشرت أحوال المسلمين فى بىلاد الأندلس ، إبان حركة الاسترداد المسيحى (٢)

ولما كان الهدف السياسى للدعوة الأشعرية ، جمع شمل المسلمين حول خلافة واحدة ، متناسقًا مع الهدف العقائدى لهذه الدعوة الساعى لجمع شمل المسلمين فى مذهب كلامى وعقائدى واحد⁽³⁾؛ فلقد قال الأشاعرة بمبدأ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، على أساس أن التسليم يامامة المفضول الذى تمت له البيعة يحسم الفتنة ، وعلى أساس أن المفضول فى أغلب شروط الإمامة ، قد يكون أفضل من غيره فى أمور الحرب التى قد تملى ظروف ديار الإسلام أهميتها عن بقية شروط الإمامة مثل العلم والورع وغير ذلك ؛ وأن تحفظ الأشاعرة ، فقالوا أنه لو أمكن إقامة الأفضل دون إشعال فتنة ، لكان هو الأصلح للمسلمين (٥).

ولقد قسم الجويني نظر الإمام في أصل الدين إلى قسمين: الأوّل حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين ، عن طريق إرشاد أهل الزيغ والأهواء والبدع وغلاة الفرق الإسلامية ، إلى المتزام جادة

⁽۱) يقول الجويسى: إذا تيسر نصب إمام واحد يطبق خطة الإسلام ، ويشمل الخليقة على تفاوت مراتبها في مشارق الأرض ومغاربها أثره ، تعين نصبه ولم يتبع والحالة هذه نصب إمامين ، وهذا متفق عليه لا يلقى فيه خلاف .. وقد تقرر من دين الأمة قاطبة أن الغرض من الإمامة جمع الأراء المشتتة .. وليس بالخافي على ذوى البصائر أن الدول إغا تضطرب بتحزب الأمر ، وتفرق الأراء .. ، ونظام الملك .. بالإذعان والإقرار ولذى رأى ثابت لا يستبد ولا ينفرد ، أنظر غياث الأمم ، ص ٢٦ - ١٢٧ .

⁽٢) يقول الجوينى: " والذى تباينت فيه المذاهب ، أن الحالة إذا كانت بحيث لا ينبسط رأى إمام واحد على الممالك ، وذلك يتصور بأسباب لا تغمض ، منها اتساع الخطة وانسحاب الإسلام على أقطار متباينة ، وجزائر فى لجيح متقاذفة ، وقد يقع قوم من الناس نبذة من الدنيا ، لا ينتهى إليهم نظر الإمام ، وقد يتوليج خطر من ديار الكفر بين خطة الإسلام ، ويتقطع بسبب ذلك نظر الإمام عن المدين وراءه من المسلمين ، فإذا اتفق ما ذكرناه ، فقد صار صائرون عند ذلك إلى تجويز نصب إمام في القطر الذي لا يبلغه الر نظر الإمام ؛ وعزى هذا المذهب إلى شيخنا أبى الحسن (الأشعرى) ، والأستاذ أبى إسحق الأسفرايني وغيرهما، وابتغى هؤلاء مصلحة الخلق ، أنظر غياث الأمم ، ص ١٢٨ - ٣٧٩ .

⁽٣) أنظر قبله الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية ، وأنظر أيضًا ما تقدم هنا في فصل

⁽٤) أنظر قبله الفصل الخاص بالدعوة الأشعرية السنية .

⁽٥) أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ١٢١ – ١٢٥ .

الدين القويم ، وإلزامهم بذلك قهرًا إذا لمزم الأمر (١) ؛ والشانى السعى فى دعاء الكافرين إلى دين الإسلام ، أما بالحجة وإيضاح المحجة مثل إرسال السفراء والمرشدين إلى الأمم التى أبدت استعدادًا لاعتناق الإسلام ، وإما عن طريق مقاتلتهم بحد السيف حتى يفيئوا إلى أمر الله (٢) .

ثم أوضح كيف يرتبط إظهار شعائر الإسلام ، بنصب الإمام ، فأكد أولاً أن العبادات البدنية للفرد المسلم لا يتعلق صحتها بنظر الإمام (٢) ، وإنما يرتبط بنظر الإمام ، ما يرتبط باجتماع عدد كبير وحجم غفير كالجمع والأعياد ومجامع الحجيج (١) .

ثم عدد مهام الإمام المتعلقة بأحكام الدنيا ، مشل الجهاد وحفظ ديار الإسلام بسد التغور ، والقضاء على أهل البغى واللصوص داخل ديار الإسلام ، وفصل الخصومات الثائرة بإناطة القضاة والحكام بنظرها ، وإقامة السياسات والعقوبات والحدود الزاجرة من ارتكاب الفواحش ، وتكفل ضعاف المسلمين ، وسد حاجات المحاويج ، لكون الإمام هو الولى على من لا ولى له ، وجباية الحقوق الشرعية وحفظ أصول أموال المسلمين ، وصرفها في أوجهها الشرعية (٥) ؛ وبهذا ينهى الجويني بسط الفكر السياسي للدعوة الأشعرية ، الخاص بموضوع الإمامة ، وهو في هذا التناول يقصد منصب الخلافة » .

وأغلب الظن أن الجويني هو أوّل من ناقش الوضع الشرعي لمنصب « السلطنة » ، مين مفكرى الإسلام ، وكانت أبحاثه واجتهاداته في الواقع مستمدة ومنصبة على أوضاع السلطنة السلجوقية التي عاصرها ، وسيطرتها على الخلافة العباسية في العراق ؛ وقد لخص هذه الأبحاث الخاصة بوظيفة السلطنة تلميذه الغزالى ، الذي دوّن مؤلفاته أيضًا في العصر السلجوقي ، وعن الجويني والغزالى ، لخص المفكرون والفقهاء في العصرين الأيوبي والمماليكي الوضع الشرعي لوظيفة السلطنة .

نظر هـؤلاء المفكرون السنيون إلى الأحوال السياسية والحربية للعالم الإسلامى ، فوجدوه قد طرأ عليه خطب جلل لم يتعرض له من قبل ، ومن ثم لم يطرحه الفقهاء من قبل للمناقشة ؛ هذا الخطب الجلل الطارئ ، هو الذي عبر عنه الجويني بالفرضية الفقهية التي طرحها بقوله : « إذا وطيء

⁽١) الجويني : غياث الأمم ، ص ١٣٥ – ١٤٣ . .

⁽٢) نفس المصدر ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

⁽٣) يريد الجوينى بهذه العبارة أن يشير إلى حقيقة أن الإسلام ليس لمه هيشة كهنوتية (إكليروس) تعمد الواسطة بين المتعبد والله .

⁽٤) نفس المصدر ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

⁽٥) أنظر تفاصيل هذه المهام الموكلة للإمام والمتعلقة بأحكام الدنيا عن الجويني ، غياث الأمم، ص ١٤٨ – ١٩٠.

الكفار ديار الإسلام »(1)؛ وأغلب الظن أن هذا الظرف السياسي والحربي ، كان في ذهب الجويني ، حين دلّل على رأى الأشاعرة الخاص بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، إذا ما توفرت في هذا المفضول الكفاءة الحربية التي تطلبتها ظروف العصر ، رغم افتقاره لجميع الشروط الأحرى التي اشترط الفقهاء ضرورة توفرها في الإمام(٢).

ولعل هذا الوضع السياسي والحربي الطارىء ، هو الذي أملى على الجويني ، أفراد الباب التالى، من فصول كتابه الشلاث ، لمناقشة الأوضاع والافتراضات الشرعية الخاصة بوظيفة السلطنة ، وقد عنون هذا الباب بعنوان : « القول في خلو الزمان عن الإمام » (٢٠) ؛ فناقش فيه أولاً جواز تنصيب إمام لا تتوفر فيه أهم شروط الإمامة ، مشل الانتساب القرشي ، أو العلم بالشرع أو الورع ، وأقر بجواز ذلك على أساس أن تعطيل الممالك عن راع يرعاها ، ووال يتولاها ، عظيم الأثر والموقع في انحلال الأمور ، وتعطيل النغور (٤) ؛ وتني بمناقشة « القول في ظهور مستعد بالشوكة مستول » (٥) ، يقصد إذا ما استولى أحد الكفاة الشجعان عن لا تتوفر فيه شروط الإمامة على السلطة الزمنية قهرا ، وكان له من الأتباع من كفل له الأمر ، فإستجاب له الناس ، وأقر الجويني أيضًا بجواز إمامة هذا المستولى على الأمر قهرًا ، معلمًا ذلك بأنه « إن لم يكن في الزمان من يستجمع صفات أهل الاختيار .. وكان الداعي إلى اتباعه على الكمال المرعى ، فإذا استظهر بالقوة ، وتصدى للإمامة ، كان إمامًا حقًا .. وقد خلا الدهر عن أهل الحل والعقد ، فلا وجه لتعطيل الزمان عن وال يذب عن بعن بيضة الإسلام ويحمى الحوزة » (٢٠) .

وتأسيسًا على أبحاث الجويني بصدد وظيفة السلطنة ، التي نظر إليها الجويني على أساس أنها الاعتراف بشرعية إمامة الكفاة الشبجعان من أولى الشبهامة والنجدة ، القادرين على حماية حوزة

⁽١) الجويني : غياث الأمم ، ص ١٩١ – ١٩٢.

⁽٢) يقول الجوينى: ولو كان أحدهما أفقه ، والثانى أعرف بتجنيد الجنود ، وعقد الألوية والبنود ، وجر العساكر .. فينظر ذو الرأى إلى حكم الوقت ، فإن كان أكناف خطة الإسلام إلى الاستقامة ، .. ولكن ثارت بدع وأهواء .. والحاجة ماسة إلى من يسوس الأمور الدينية .. فالأعلم أولى ، وإن تصورت الأمور على الضد على ذكرناه ، ومست الحاجة إلى شهامة وصرامة .. ، فالاشهم أولى بأن يقدم ، أنظر غياث الأمم ، ص ٢٠٥ . (٣) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٠٥ .

⁽³⁾ أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص (3) \sim (4) ، وخاصة ص (3) ، ص (4)

⁽٥) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٣١ .

⁽٦) الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٣٢ .

الإسلام ، حتى لو لم تتوفر فيه شروط الإمامة ؛ فرق الغزالى بين منصبى « الخلافة » و « السلطنة » ، إذ أن الخلافة كما أوضح الغزالى ، واجبه شرعًا في حين أن السلطنة يُحتم وجودها المنطق السليم ، لأن أمور الدنيا والدين لا تستقيم في رأى الغزالى ، إلا بسلطان مطاع (١) ؛ وهو يقرر شرعية وظيفة السلطنة ، رغم عدم توفر شروط الإمامة والقائمين بها على أساس المبدأ القائل بأن الضرورات تبيح المحظورات ، لأن خلو الزمان من أى إمام قائم معناه عزل الولايات والوظائف الشرعية ، وإبطال جميع العقود الشرعية في ديار الإسلام (١) .

وهنا لا يسعنا إلا أن نحى فقهاء الإسلام ، على جرأتهم بالتصريح فى وقت سيطر فيه على السلطة الزمنية السلاطين المتغلبون على الخلافة ، والذين لا تتوفر فيهم شروط الإمامة ، الشرعية وأهمها النسب القرشى ، بأن السلطنة وضعًا شرعيًا استثنائيًا ، أملاه الأمر الواقع ، على أساس أن الضرورات تبيح المحظورات .

ونفس هذه الجرأة والشجاعة نجدها عند فقهاء الإسلام في العصور المتأخرة ، وعلى رأسهم ابن خلدون حين دللوا على أن « الخلافة » قد انقلبت إلى « ملك » وظهرت إرهاصات هذا الانقلاب منذ العصر الأموى ، حين استندت على « العصبية » ، وان استمر الدين وإقامة شعائره هو الوازع للملك ، ثم اتخذ خلفاء بنى أمية وبنى العباس رسوم الملك والترف والأبهة ؛ ثم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وبقى الأمر ملكًا بحتًا كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق ، والمقصود بالعجم البويهيين الفرس ، والسلاجقة الترك ، يدينون بطاعة الخليفة تبركًا والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء ؛ أي أن الملك قد انفرد عن الخلافة ، حيث افترقت

⁽۱) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ۱۱٤ ، وأنظر الشيؤرى : المنهج المسلوك ، ص ٧ - ٨ ، ابن طلحة : العقد الفريد ، ص ٣٤ - ٣٥ ، الحسن بن عبد الله : أثنار الأول ، ص ١١ - ١٣ ، خضر بن أبنى يكر : المناقب المعزية ، ق ٢٥ - ٢٧ .

⁽٢) يقول الغزالى: ليست هذه مسامحة عن الاختيار ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات ، فنحن نعلم أن تساول الميتة محظور ، ولكن الموت أشد منه ، فليت شعرى ، من لا يساعد على هذا ، ويقضى ببطلان الإمامة في عصرنا لفوات شروطها ، وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدى لها ، بل هو فاقد للمتصف بشروطها، فأى أحواله أحسن ، أن يقول القضاة معزولون والولايات باطلة والانكحة غير منعقدة ، وجميع تصرفات الولاة في أقطار العالم غير نافذة ، وإنما الخلق كلهم مقدمون على الحرام ، أو أن يقول : الإمامة منعقدة ، والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار ، الغزالى : الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٦ .

عصبيته عن عصبية الخلافة(١) ، لكون السلاطين أعاجم والخلفاء عرب .

وليس خافيًا ، أن ما عبر عنه ابن خلدون بافتراق عصبية الملك عن عصبية الخلافة ، يشير إلى استحواز السلاطين الأعاجم على السلطة الزمنية والألقاب الخلافتية ؛ وكلمة الأعاجم تنسحب على البويهين الفرس ، والسلاجقة الترك ، والأيوبين الكرد ، ومن بعدهم العثمانين الترك (٢) .

وتأثرًا برأى الغزالى ، فى أن وجود السلطنة ضرورة منطقية ، قرر الشيزرى ، المفكر السياسى للدولة اليوبية أن الملك هو القاعدة التى يبنى عليها المملكة ، أما الأساس الحامل للملكة فهو الدين (٣) فى حين ذهب ابن طلحة إلى القول : السلطنة أمر من أمرار الربوبية يناط بها العباد ويحفظ بها البلاد ، ويقطع بها العناد ..، فالسلطان فى الحقيقة قائم برعاية عباد الله ، وحماية بلاد الله ، وحراسة دين الله، وإقامة حدود الله ، وحفظ أحكام الله ، قد ارتضاه الله من خليقته ، وأمرهم بطاعته .. ، وهو باتفاق ظل الله فى أرضه ، وبه يقام شعائر سنته وفرضه .. ، وثمرة السلطنة ، حراسة البلاد وسلامة النفوس

⁽١) أوضح هذا الرأى الخاص بانقلاب الخلافة إلى ملك ابن خلدون ، أنظر المقدمة ، الفصل الشامن والعشرون ، بعنوان " انقلاب الخلافة إلى ملك " ، ص ٢٠٢ - ٢٠٨ وأغلب تعابير الفقرة السابقة مأخوذة عن نفس تعابير ابن خلدون ، وهاك نص ابن خلدون بتمامه لأهميته ، ، يقول ابن خلدون بعد أن دلل على تطور ظاهرة انقلاب الخلافة إلى ملك ، منذ أن ظهرت ارهاصاتها في عصر خلافة بني أمية ، إلى أن اكتملت جميع خصائصها بسيطرة البويهيين على الخليفة العباسي في بغداد ، واستبدادهم بالسلطة الزمنية دونه : " فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك ، وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه ، والجرى على منهاج الحسق ، ولسم يظهر التغير إلا في الوازع ، الذي كان دينًا ثم انقلب عصبية وسيفًا ، وهكذا كان الأمر بعهد معاوية ومسروان وابنه عبد الملك والصدر الأول من خلفاء بني العباسي إلى الرشيد وبعض ولده ، ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق إلا اسمها ، وصار الأمر ملكًا بحتًا ، وجوت طبيعة التغلب إلى غايتها ، واستعملت في أغراضها من القهـر والتقلب في الشهوات والملاذ ، وهكذا كان الأمر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بنسي العباس ، واسم الخلافة باقيًا فيهم لبقاء عصبية العرب ، والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ، الم ذهب رسم الخلافة وأثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي أحوالهم ، وبقى الأمر ملكًا بحتًا ، كما كان الشأن في ملك العجم بالمشرق ، يدينون بطاعة الخليفة تبركًا ، والملك بجميع ألقابه ومناحيه لهم ، وليس للخليفة منه شيء ، وكذلك فعل ملوك زناته بالمغرب مثل صنهاجه مع العبيديين ، ومغراوة وبني يفرن أيضًا مع خلفاء بني أمية بالأندلس ، والعبيديين بالقيروان ، فقد تبين أن الحلافة قد وجدت بدون الملك أولاً ، ثم التقت معانيهما واختلطت ، ثم انفرد الملك حيث الترقت عصبيته من عصبية الخلافة " . (ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٨ ، س ٢١ - س ٢٥) . وأنظر فصلاً هامًا أورده السيوطي ، بعنوان " ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع " أنظر السيوطي : حسن المحاضرة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ج ٢ ،

 ⁽٢) أنظر قبله : الفصل الخاص بالوضع السياسي والشرعي لمصر الأيوبية ، الفقرة الخاصة بالسلطنة العامة .
 (٣) أنظر الشيزرى : المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، ص ١٤ – ص ٢٠ ، وأنظر أيضًا الحسن بسن عبد الله :
 أثار الأول في تراتيب الأول ، ص ١١ – ١٣ ، الباب الأول : في فضل الملك وشرفه والحاجة الداعية إليه .

وحفظ الأموال ، وإدرار الأرزاق ، وإقامة المعايش ، ونشر العلم ، وإظهار الدين ، وذلك بقمع الظلمة، وردع البغاة ، .. فتأمن السبل وتتوفر الدواعي على مصالح الدين والدنيا ، فأى منقبة أنفع .. وأى مرتبة أجمع للمزايا ، وأشمل من حاله بها انتظام مصالح الدنيا ، وهي قوام الآخرة والأولى(١) .

وكان أكثر الفقهاء وضوحًا في رأينا ، عند عرضه للوضع الشرعي لوظيفة السلطنة ، الفقية ابن جماعة في كتابه «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام » الذي ألفه في العصر المملوكي فقال : إذ فوض الخليفة إلى رجل ولاية إقليم أو بلد أو عمل ، فإن كان تفويضًا خاصًا بعمل خاص ، لم يكن له الولاية في غيره ، كما إذا ولاه الجيش دون الأموال ، أو الأموال دون الأحكام والحكام (أي القضاه) ونحو ذلك ، وإن كان تفويضًا عامًا كعرف الملوك والسلاطين في زماننا جاز له تقليد القضاة والولاة وتدبير الجيوش ، واستيفاء الأموال من جميع جهاتها وصرفها في مصارفها ، وقتال المشركين والمحاربين ، ولا ينظر في غير الإقليم المقرض إليه ، لأن ولايته خاصة ، وتعتبر في السلطان المتولى من جهة الخليفة ما يعتبر فيه خلا النسب لأنه قائم مقامه .. ؛ وإذا استولى ملك بالقوة والقهر والشوكة على بلاد ، فينبغي الخليفة أن يفوض أمورها إليه استدعاءًا لطاعته ، ودفعًا لمشاقته ، وخوقًا من اختلاف الكلمة وشق عصا الأمة ، فيصير بذلك التفويض صحيح الولاية ، نافذ الأحكام ، فإن لم يكن أهالًا لذكرناه من المصالح (٢٠)

ثم أوضح ابن جماعة حقيقة هامة خاصة بنظم الحكم والإدارة ، في الدول التي تمثل السلطنة القاعدة الأساسية لنظمها ، وهي ضرورة اختيار وزيرًا للسلطان الذي لا تتوفر فيه شروط الإمامة وخاصة الخاصة بالعلم والشرع ، ممن تتوفر فيه هذه الشروط التي تعوز السلطان ؛ وهذا في رأينا تعليل كون وزراء جميع سلاطين الإسلام من أرباب الأقلام ، ووزراء تنفيذ (٦) ، فيقول ابن جماعة : وينبغي أن يعين له نائبًا أهلًا لتقليد الولاية ، ينفذ الأمور لتكون صفات النائب حائزة لما فات من صفات المستولى قهرًا ، فتنتظم المصالح الدينية والدنيوية (١٤) ؛ وهذه الفكرة قد عبر عنها من قبل الجويني (٥) .

 ⁽١) أنظر ابن طلحة: العقد الفريد للملك السعيد ص ١٣٣٠ - ١٤٢ ، وقارن الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد ،
 ص ١١٤، ، فمن هذه المقارنة يتضح إلى أى مدى تأثر ابن طلحة بعبارات ومعانى الغزالى بخصوص وظيفة السلطنة .

⁽٢) ابن جماعة : تحرير الأحكام ، ح ، ورقة ١١ – ١٢ .

⁽٣) أنظر بعده الفصل الخاص بالوزارة الأيوبية .

⁽٤) ابن جماعة : المصدر السابق ، ورقة ١٢ . (٥) يقول الجويسي : إذا كمان سلطان الزمان لـم يبلـغ مبلـغ الاجتهـاد ، فـالمتبوعون العلمـاء والسلطان نجدتهـم

ه) يقول الجويني : إذا كمان سلطان الزمان لم يبلخ مبلخ الاجتهاد ، فالمتبوعون العلماء والسلطان نجدتهم وشوكتهم وقوتهم . . ، فعالم الزمان في المقصود الذي نحاوله ، كنبى الزمان ، والسلطان مع العمالم ، كملك في زمان النبي ، مأمور بالانتهاء إلى ما ينهيه إليه النبي " أنظر الجويني : غياث الأمم ، ص ٢٧٥ -.

الفصل السابع

القسدس

بين الفتح العُمري سنة ١٥ هـ ، والفتح الصلاحي سنة ٥٨٣ هـ ،

والفتح الناصري الداوادي سنة ٦٣٧ هـ ، والفتح الصالحي النجمي سنة ٦٤٢هـ .

الفتح العُمَريّ للقدس سنة ١٥هـ

تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بفتحهم القدس بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إذ رُوى عن الصحابي عوف بن مالك رضى الله عنه ، أنه قال : أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك (٩هـ) ، وهو في قُبّة من أدم ، فقال لى : يا عوف أعدد ستًا بين يدى الساعة ، موتى ، ثم فتح بيت المقدس ؛ وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ : ألا أن الشام ستفتح ، وبيت المقدس سيُفتح إن شاء الله تعالى ، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله تعالى . وهذا ما تم بالفعل (1) ، وقد شهد شداد بن أوس فتح القدس وتوفى بها وقبره بها معروف مزار رآه وزارة الرحالة المقدسي البشارى صاحب كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٢) .

وفى العام الثانى من خلافة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام ، عقد رضى الله عنه أربعة ألوية وسيرها لفتح بلاد الشام ، ووجه كل لواء منها وعليه أمير إلى أحد الأقسام الإدارية الأربعة لبلاد الشام ، حسب التقسيم الإدارى والحربى للروم ، وكان عقدة رضى الله عنه لهذه الألوية يوم الخميس لمستهل صفر سنة ١٣ هـ ؛ فسير لواء عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى أرض فلسطين ، وأمره بفتحها ، ثم التحرك منها إلى مصر لاستكمال فتوح الشام ومصر ؛ وسير لواء شرحبيل ابن حسنة رضى الله عنه ، لفتح أرض الأردن ؛ ولواء يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وقيل خالد بن سعيد بن العاصى .. لفتح دمشق وأرضها وساحل لبنان ؛ وجعل القيادة العامة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أمين الأمة ، وجعل له إمامة الصلاة ، إذ جمعت هذه الألوية الأربعة ؛ وجعل القيادة العامة فى المعارك الكبرى ، للأمير التي تقع المعركة فى القسم الذى وجه إليه من أقسام وجعل القيادة العامة فى المعركة فى القسام ؛ أما إذا اجتمعت الألوية الأربعة فى معركة كبرى ، فالقيادة العامة لأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، وأمر أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص أن يسلك طريق أيله عامدًا لفلسطين ، وأمر الله عنه ، وأمر أبو بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص أن يسلك طريق أيله عامدًا لفلسطين ، وأمر يزيد أن يسلك طريق تبوك ، وكتب إلى شرحبيل أن يسلك أيضًا طريق تبوك "

⁽١) أنظر مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل في تباريخ القندس والحليل ، مكتبة المحتسب ، عَمَّان - الأردن ، د.ت. ، ١ : ٢٤٤ - ٢٤٥ ؛ وفيه نُصَّ حديث عوف بن مالك برواية أخرى مطولة .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يها معاذ إن الله عَزّ وَجُلّ سيفتح عليكم الشام من بَعْدى / من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس ، فهو في جهاد إلى يوم القيامة » . أنظر مجير الدين الحبلى : الأنس الجليل ١ : ٢٦٨ – ٢٦٨ .

⁽٢) أنظر المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

⁽٣) أنظر البلاذرى: فتوح البلدان ، ١٢٨- ١٢٩ ، خبير ٣٠٢ - ٤٣٥؛ أبو يوسف: كتاب الخبراج ، ص ٤٢ - ٤٣ ؛ ابن شيخ الربوة الدمشقى: نخبة الدهر في عجانب البير والبحر ، طبع ليبسك ١٩٣٣م، ص ١٩٢ ؛ الأزدى: فتوح الشام ، ص ١ - ٠٥ .

وشهدت أرض فلسطين والأردن المعارك الكبرى التي نصر الله فيها المسلمين على الروم ؟ أولها معركة دائن - وهي قرية من قرى غَرِّة - سنة ١٦ هـ ، وتولى قيادة جيش الروم بطريق - أى والى - غزة ، وتولى قيادة جيش المسلمين عمرو بن العاص رضى الله عنه ؟ وثانيها معركة وادى غربة - وهو وادى معروف إلى اليوم بأرض فلسطين (١٠) ؟ ثم كتب الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد رضى الله عنه قائد فتوح الإسلام ببلاد العراق ، يأمره بترك العراق ، والقدوم إلى الشام مع أهل القوة من أصحابه ، للإنضمام إلى جيوش المسلمين ببلاد الشام على أن تكون له القيادة العامة لألوية الشام (٢) ، فمضى مسرعًا حتى انضم إليهم أمام دمشق ، وتم فتح مدينة بصرى من أرض دمشق ، ومدينة مآب من أرض البلقاء (٣) ؟ ثم توالت انتصارات المسلمين على جيوش الروم بأرض فلسطين والأردن، فتمت معركة أجنادين بأرض فلسطين يوم الإثنين ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ (١٠) ومعركة فحل بأرض الأردن في ٢٨ ذى القعدة سنة ١٣ هـ (١٥) ، ومعركة اليرموك بأرض الأردن في

وقد توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه لثمان ليال بقين من جهادى الآخرة سنة ١٣هـ، وبويع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر ؛ فكان أول شى أمر به أن عزّل خالد بن الوليد عن الإمره ، وولى أبا عبيدة بن الجراح على الجيش والشام ؛ وأرسل بذلك إليهما؛ فقصدا دمشق و-حاصراها حتى فتحت ، وبعث أبو عبيدة ببشارة الفتح إلى عمرو ؛ ثم بعد دمشق بيسير تمّ فتح حمص بعد حصار طويل ، ثم فتح حماه صلحًا ، وكذلك المعرّة ، ثم فتح اللاذقية عنوة ، وفتح بلادًا أخرى منها : قيسارية وسبسطيه

 ⁽۱) البلاذری : فتوح البلدان ، ۱: ۱۲۹ – ۱۳۰ خبر ۳۰۵ – ۳۰۸ ؛ الأذری : فتوح الشام ، ص ۳۸ ،
 و ص ۵۷ .

⁽٢) البلاذرى: نفس المصدر ١: ١٣١ - ١٣٣ ؛ الأزدى: فتوح الشام ، ص ٦٨ - ٨٠

⁽٣) البلاذري : نفس المصدر ١: ١٣٤ خبر ٣١٢ – ٣١٣؛ الأزدى: فتوح الشام، ص ٨١ – ٨٦ ، وص ٢٩.

⁽٤) البلاذري : نفس المصدر ١: ١٣٥ - ١٣٦ ؛ الأزدي : فتوح الشام ص ٨٧ - ٩٣ .

⁽٥) البلاذرى: نفس المصدر ١: ١٣٧ ؛ الأزدى: فتوح الشام ص ١١١ - ١١٤ .

⁽٦) البلاذرى: نفس المصدر ١: ١٦٠ – ١٦٣ ؛ الأذى: فتوح الشام ، ص ١٨٠ – ٢٤٥

- من أرض فلسطين ، ويُقال أن بها قبر يحى وزكريا عليهما السلام - ونابُلس ولد ويافا ، وتلك البلاد جميعها ، حتى دخلت سنة ١٥ هـ(١):

وبعد أن أتم المسلمون فتح حمص العاصمة السياسية للروم ببلاد الشام ، سار أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لفتح إيلياء (القدس) العاصمة الدينية للروم ، فسار رضى الله عنه حتى الأردن ، فعسكر بها ، وبعث الرسل إلى أهل إيلياء ، يدعوهم إلى الإسلام ، ويخييرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال ، وكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ؛ وانتظر أبو عبيدة أهل إيلياء ، فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه ، فأقبل سائرًا إليهم حتى نزل بهم ، وحاصرهم حصارًا شديدًا وضيق عليهم ، وأوجب على نفسه أنه غير مقلع عنهم ؛ فلما لم يجدوا لهم طاقة بحربه ، قالوا : نصالحك ، قال : وإلى قابل منكم ، قالوا : فأرسل إلى خليفتكم ، فيكون هو الذي يعطينا هذا العهد ، ويكتب لنا الأمان ، قبل أبو عبيدة ذلك ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه : «أخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيانيهم ، ليقبل ويؤدون الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا ؛ فإن رأيت أن تقدم فأفعل ، فإن في سيرك أجرًا وصلاحًا » (٢٠).

⁽۱) البلاذرى: نفس المصدر 1: ۱۳۸ – ۱۶۰ (أمر الأردن). وقيه: "افتتح شرجبيل بن حسنة الأردن غنوة ، ما خلاطبرية فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسيهم ". 1: ١٤٤ – ١٥٤ (فتح مدينة دمشق وأرضها) ١٦ عرم سنة ١٤ه ، ١: ١٥٥ – ١٥٩ (أمر حمص) سنة ١٤ هـ ؛ ١: ١٦٤ – ١٧١ – ١٧١ (أمر فلسطين) ؛ ١ : ١٧٢ – ١٨٠ (أمر جندق تِنسرين والمدن التي تدعى العواصم) = فتح حمص ولتح حلب – فتح أنطاكية ، الأزدى: فتوح الشام ص ٩٨ – ٩٩ (وفاة أبي بكر رضى الله عنه ، وعزله لخالد) ؛ ص ١٠٤ – ١١٠ (فتح دمشق وصلحها) ؛ واستخلاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعزله لخالد) ؛ ص ١٠٤ – ١١٠ (فتح دمشق وصلحها) ؛ ص ١١١ – ١٤١ (فتح حمص) ؛ ص ١١٩ – ١٤٩ (فتح حلب) ؛ ص ١١٩ – ١٤٠ (فتح حمص) ؛ ص ٢٤١ – ١٤٩ (فتح حمص) ؛ ص ٢٤١ – ١٤٩ (فتح حلب) ؛ ص ١٤٦ – ١٤٩ (فتح النظين ومدينة أيله ، ومدينة إيلياء (القدس) ، ص ٢٤٢ – ٢٧٠ (قصة صلح إيلياء) ، ص ٢٧٧ – ٢٧٠ (فتح قيسارية من أرض فلسطين) ؛ عبر الدين الخبلى : الأنس الجليل ١: ٢٤٣ – ٢٤٧ .

⁽۲) الأزدى: فتوح الشام، ص ۱۰۹ - ۱۷۰، ص ۲٤٢ - ۲٤٥ (وفيه نصوص المكاتبات المتبادلة بسين أبى عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب، ويَيْن أبى عبيدة بن الجراح وأهل إيلياء)؛ البلاذرى: فتوح البلدان، ص ۱۹٤ - ۱۹۵، خبر ۳۹۹ - ۳۷۱ (أمر فلسطين)؛ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ۳: ۳،۲ - ۲۰۲، حوادث سنة ۱۵هـ (ذكر فتح قيسارية وحَصْر غزة وفتحها)، ۳: ۲۰۲ - ۲۰۷ (ذكر فتح يبسان ووقعة أجنادين) - ۳: ۷،۷ - ۲۰۳، حوادث سنة ۱۵هـ (ذكر فتح بيت المقدس)؛ مجير الدين الخبلى: الأنس الجليل ۱: ۲۵۷ - ۲۵۰ (ذكر الفتح العمرى لبيت المقدس).

فاستخلف عمر رضى الله عنه على المدينة على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقدم إلى الجابيه وهى من ضواحى دمشق. ، وقدم بها عليه أهل إيلياء (١) ؛ وكتب لهم فيها الصلح ، لكل كورة كتابًا واحدًا ، ما خلا أهل إيلياء خصهم بكتاب مفرد ، نظرًا خصوصية مدينتهم وقداستها عند جميع أهل الأديان السماوية ؛ وكتب لأهل مدينة لدّ ، العاصمة السياسية والإدارية لفلسطين في المصطلح الإداري السياسي الرومي البيزنطي ، كتاب صلح شامل ، لجميع أهل المدن والكور الفلسطينية وجميع أهل فلسطين (١) .

وكتب عمر رضى الله عنه بالجابية أيضًا ، كتاب صلح لجميع نصارى أهل الشام ، تضمن المسروط العمرية الخاصة بأهل اللمة في الإسلام ، وتأمينهم على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم وأراضيهم وكنائسهم ، نظير أدائهم الجزية لبيت مال المسلمين ، والاشتراط عليهم استضافة من ينزل بهم من المسلمين أو جيوش الإسلام ثلاث ليال ، وعدم استخدام أى دير أو كنيسة أو قلاية أو صومعة راهب في مدن المسلمين التي اختطها المسلمون ؛ ولا يواروا في كنائسهم جاسوسًا ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يمنوا أحدًا من ذوى قرباهم الدخول في الإسلام ، ولا يتخذوا شيئًا من المسلح ، ولا يبيعون الحمر أو يظهرون الصليب على كنائسهم ، ولا يضروا بأحد من المسلمين . وقد اعتمد أئمة الإسلام هذه الشروط ، وعمل بها الخلفاء الراشدون (٢) ؛ وهي شروط ضمنت حماية أهل الذمة ، وتأمينهم ومنحتهم حقوق المواطنة المدنية والقضائية في دولة الإسلام من ناحية ؛ واقتضتها دواعي الأمن القومي والحربي من ناحية ثانية في بداية عصر الفتوحات الإسلامية ودواعي احتفاظ المجتمعات الإسلامية بخصائصها وشرائعها ومكارم أخلاقها ، لكونها خير أمة أخرجت للناس من ناحية ثالثة ؛ ويتجلى هذا من الشروط العمرية التي ألزمت أهل الذمة مغايرة المسلمين في الزي والهيئة ، حتى لا يُنسب إلى أمّة الإسلام من ليس منها ، وتصبح الأمة الإسلامية مسؤلة عن سلوكه وتصرفاته .

⁽۱) أنظر الأزدى: فتوح الشام ، ص ٢٤٦ - ٢٥١ (قصة صلح إيلياء وقدوم عمر رضى الله عنه بالشام) ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ (خطبة عمر رضى الله عنه بالجابيه) ؛ الطبرى: تماريخ الرسل والملوك ٣: ٢٠٨، حوادث سنة ٥١هـ؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل ١: ٢٥٠ - ٢٥٣ .

⁽٢) أنظر الأزدى: فتوح الشام ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٦ ؛ الطبرى: تاريخ الرسل ٣: ٧٠٧ - ١٠٩ ؛ الطبرى: تاريخ الرسل ٣: ٧٠٧ - ٠٠٠ ، حوادث سنة ١٠٥ د (ذكر فتح بيت المقدس) ، وخاصة ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، حيث يذكر نص وثيقتنى صلح وعهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء ، ولأهل الله وفلسطين ؛ مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل : ٢٠١ - ٢٠٤ (حيث يورد نص وثيقة صلح وعهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء) .

⁽٣) مجير الدين الحتبلي : الأنس الجليل ١: ٢٥٤ – ٢٥٥ .

ولما قدم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بنفسه إلى القدس بعد أن فتحها الله على الإسلام ولمسلمين سنة ١٥ هـ، ومنح أهلها عهد وعقد وأمان صلحهم وذمتهم، وهى المرة الوحيدة التى خرج فيها رضى الله عنه من بلاد الحجاز أيام خلافته ؛ قام رضى الله عنه بنفسه ببحث وتحقيق أثرى ، لتحديد موضع مسجد داواد ؛ وهو يقصد . كما أفاد الطبرى وابن فضل الله العمرى والقلقشندى ومجير الدين الحنبلى . موضع المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج ، وهو كائن بالقرب من الصخرة المقدسة ، فى صدر حرم المسجد الأقصى ، على سمة القبلة إلى المسجد الحرام (الكعبة)؛ وقد اهتدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هذا التحقيق ، وهذا القول الفصل فى هذه المسألة الدينية التاريخية الأثرية الهامة ، فى ضوء الأحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن ، والخاصة بمعجزة الإسراء والمعراج ، وفى ضوء السنة وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء المسجد الجامع النبوى بالمدينة المنورة فى جعل القبلة فى صدور الجوامع ، وهو ما استن به المسلمون فى جميع الجوامع التى أقاموها بعد ذلك فى جميع الأمصار الإسلامية ؛ وفى ضوء مجادلة بطريك القدس - أى واليها من قبل الروم - ، و كعب الأحبار كبير أحبار اليهود بالشام ، وكان قد دخل فى الإسلام مع بواكير الفتح الإسلامي للديار الشامية .

ويقول مجير الدين الحنبلى مفصلاً قصة البحث والتحقيق الأثرى الذى قام به الفاروق رضى الله عنه ، لتحديد موضع مسجد داود ، واتجاه سمة قبلة المسجد الأقصى : « لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ببيت المقدس ، نزل على الجبل الشرقى ، وهو طور زيتا . وأتى رسل بطرير كها إليه بالترحيب، وقال : إنا سنعطى بحضورك ما لم نكن نعطيه لأحد دونك ، وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية ، وأن يعطيه الأمان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ، فأنعم عليه عمر بذلك . فسأله الرسول الأمان لصاحبه ، ليتولى مصالحته ومكاتبته ، فأنعم ؟ وخرج إليه بطريكها في جماعة ، فصالحهم وأشهد على ذلك .

والبطريق هو الأمير ، وأما البطرك فهو الكاهن ؛ وكان اسم البطرك يوم ذلك صفريوس ، وكان قد أخبر النصارى أن الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال .

فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس، قال لبطريقها: دلنى غلى مسجد داود، قال: نعم. وخرج عمر مقلدًا بسيفه في أربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم، وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح إلى السيوف، والبطريق بين يدى عمر في أصحابه حتى دخلوا بيت المقدس، فأدخلم الكنيسة التي يقال لها القمامة، وقال: هذا مسجد داود. فنظر عمر وتأمل، وقال له: كذبت، ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود

بصفة ما هى هذه . فمضى به إلى كنيسة يقال لها صهيون ، وقال له : هذا مسجد داود فقال له : كذبت . فمضى به إلى مسجد بيت المقدس ، حتى انتهى به إلى الباب الذى يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد انحدر ما فى المسجد من الزبالة على دَرَج الباب ، حتى خرج إلى الزقاق الذى فيه الباب ، وكثر على السدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الرواق ، فقال له : لا نقدر أن ندخل إلا حبوا . فقال عمر : ولو حبوا . فحبا بين يدى عمر ، وحبا عمر ومن معه خلفه ، حتى ظهروا إلى صحنه ، واستووا فيه قيامًا . فنظر عمر وتأمل مليًا ، ونظر يمينًا وشسمالاً ، ثم قال : الله أكبر ، هذا والذى نفسى بيده مسجد داود عليه السلام ، الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به إليه .

ووجد على الصخرة زبلاً كثيرًا ، مما طرحته السروم غيطًا لبنى إسرائيل ، قَبَسَط عمر رداءه ، وجعل يكنس ذلك الزبل ، وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل .

ومضى نحو محراب داود ؛ وهو الى على بساب البليد ، في القلعة ، فصلى فيه ، ثم قرأ سورة (ص) و سَجّد .

ورورى أنه لما جلاً المزبلة عن الصخرة ، قال : لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات .

ويروى أنه لما فتح عمر رضى الله عنه بيت المقدس ، قال لكعب (الأحبار ، كبير أحبار اليهود بالشام ، وكان قد دخل فى الإسلام) : يا أبا إسحاق ، أتعرف موضع الصخرة ؟ . فقال : أذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم كذا وكذا ذراعًا ، ثم أحفر ، فإنك تجدها . ـ وكانت يومئذ مزبلة ـ ، فحفروا ، فظهرت لهم . فقال عمر لكعب : أين تسرى أن نجعل المسجد ـ أو قال : القبلة ؟ ـ فقال : إجعله خلف الصخرة ، فتجتمع القبلتان ، قبلة موسى ، وقبلة محمد صلى الله عليه وسل ، فقال له : ضاهيت اليهود يا أبا إسحاق ، خير المساجد مقدمها ، فبناها في مقدم المسجد .

وروى أن عمر قال لكعب: أين ترى نجعل المصلى ؟ قال: إلى الصخرة ، فقال: ضاهيت والله يا كعب اليهودية ؛ بل نجعل قبلة صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها ؛ إذهب إليك ، فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكن أمرنا بالكعبة .

ولما فرغ عمر من فتح إيلياء ، وعزل الصخرة من القمامة ، وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية ، قسمتى المسلمون كنيسة النصارى العظمى عندهم قمامة ، تشبيها بالمزابل ، وتعظيمًا للصخرة الشريفة ؛ ثم ارتحل من القدس إلى أرض فلسطين .

وكان هذا الفتح في سنة خسة عشر (١٥ه.) ، من الهجرة الشريفة ؛ قاله ابن الجوزى وغيره من المؤرخين ؛ وقيل كان في سنة ستة عشر (١٦ه.) في ربيع الأول ؛ وقيل لخمس خلون من ذى القعدة ؛ والله أعلم .

قال مجير الدين الحنبلي : وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح ، من طرق كثيرة ، بروايات وألفاظ مختلفة ؛ فأحسن ما رأيته منها ، ما نقلته هنا ؛ والله الموفق »(١) .

وقد أورد الأزدى ومجير الدين الحنبلى ، نص خطبة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، التى خطبها بعد دخوله رضى الله عنه بيت المقدس ؛ وهى عظيمة الدلالة فى تاريخ الإسلام وتاريخ الفتوحات الإسلامية و تاريخ القدس ، وفى تفسير ماضى الأمة الإسلامية و حاضرها ؛ إذ قام عمر رضى الله عنه فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « يا أهل الإسلام ، إنّ الله قد صدقكم الوعد ، ونصر كم على الأعداء ، وورثكم البلاد ، ومكن لكم فى الأرض ، فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصى ، فإن العمل بالمعاصى ، فإن العمل بالمعاصى كفر للنعم ، وقل ما تحقر قوم بما أنعم عليهم ، ثم لم يفزعوا إلى التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم » (*) . ثم إن عمر رضى الله عنه أقبل نحو المدينة ، فاستقبله الناس ، يهنؤنه بالنصر والفتح ؛ فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند يهنؤنه بالنصر والفتح ؛ فجاء حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى ركعتين عند النبر ، ثم صعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، فقام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إيها الناس ، إن الله قد اصطنع عند هذه الأمة أن يحمدوه ويشكروه ؛ وقد أعز دعوتها ، وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها ، ونصرها على الأعداء ، وشرفها ومكن لها فنى الأرض ،

(٢) الأزدى : فتوح الشام ، ص ٢٥٦ ، مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٢٥٨ – ٢٥٨ .

⁽١) أنظر مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل ١: ٢٤٤ – ٢٥٨ (ذكر الفتح العمرى الذي يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) .

وأنظر الأؤدى: فتوح الشام ، ص ٢٥٩ ، حيث يقول: "ولما كان من الغَدّ (أى غَدَ اليوم الذى كتب فيه عمر رضى الله عنه صلحه لأهل إيلياء) قام فدخل بيت المقدس ، وكمان دخوله يوم الإثنين ، وأقام بها حتى يوم الجمعة ، وخطّ بها محرابًا من جهة الشرق ، وهو موضع مسجده (يقصد المسجد العُمرى الموجود إلى الأن تحت قبة الصخوة ، والمعروف إلى الآن باسم المسجد العُمرى) ؛ فتقدم ، وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة " ؛ وأنظر أيضًا نفس المصدر ، ص ٢٥٦ ، حيث يورد الأزدى نص خطبة عمر بن الخطاب فى المسلمين ، حين دخل القدس ، وخبر أمرة بلال بن أبى رباح رضى الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤذن فى الناس ، لأول صلاة حَضَرَهَا عمر رضى الله عنه بعد دخوله بيت المقدس ؛ وأنظر أيضًا نفس المصدر ، ص ٢٥٩ - ٢٦٢، وفيه: "إن إسلام كعب الحَبْر إنما كان فى قدوم عمر رضى الله عنه الشام، وكان كعب الحَبْر من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من علمائهم وأخيارهم " ؛

وأورثها بلاد المشركين وديارهم وأموالهم ؛ فأحدثوا لله شكرًا يزدكم ، وأحمدوا على نعمه يدمها لكم ؛ جعلنا الله وإياكم من الشاكرين » . ثم نزل(١٠) .

وقد شهد الفتح العمرى للقدس ، كما تقدم القول ، حوالى ألف صحابى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَدَّدَ منهم مجير الدين الحنبلى المقدسى فى كتابه الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل : أبو عبيدة بن الجراح، مُعاذ بن جبل ، بلال بن أبى رباح ، عياض بن غنم ، خالد بن الوليد ، أبو ذَرِّ الغفارى ، أبو الدرداء ، عبادة بن الصامت ، سلمان الفارسى ، أبو مسعود الأنصارى ، تميم الدارى ، عمرو بن العاص ، عبد الله بن سلام ، سعيد بن زيد ، سعد بن أبى وقاص ، مُرَّه بسن كعب ، شداد بن أوس ، أبو هريرة ، معاوية بن أبى سفيان ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عوف بن مالك ، أبو جمعة الأنصارى ، واثلة بن الأسقع ، أبو أمامه عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عوف بن مالك ، أبو جمعة الأنصارى ، واثلة بن الأسقع ، أبو أمامه الباهلى ، أبو نعيم محمود بن الربيع ، يزيد بن أبى سفيان ، أبو ريحانه واسمه شمعون القرظى ، الشريد بن سويد ، عبد الله بن أبى الحدعة التميمى ، فيروز الديلمى ، أبو محمد النجار الأنصارى البدرى ؛ سلام بن قيصر ، أبى بن أم حرّام بنت ملحان الأنصارية ، عُصيف بن الحارث ، وممن دخل القدس بعد الله بن قيصر ، أبى بن أم حرّام بنت ملحان الأنصارية ، عُصيف بن الحارث ، وممن دخل القدس بعد الله بن قيصر ، أبى بن أم حرّام بنت ملحان الأنصارية ، عُصيف بن الحارث ، وممن دخل القدس بعد الله بن حرّام بنت ملحان الأنصارية ، عُصيف بن الحارث ، وممن دخل القدس بعد الفتح ، صفية بنت حرّاء المؤمنين = ""

وتوفى بعض هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم بفلسطين ودفنوا بها ، وظلت مقابرهم معروفة مشهورة مزارة يُتبرك بها ، على نحو ما أفاد الرحالة والجغرافيون المسلمون ؛ فذكر المقدسسى البشارى أنه زار قبور ثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدس ، وهم : عبادة بن الصامت ، ومعاذ بن جبل ، وشداد ابن أوس^(۲) ، وذكر ابن بطوطة أنه زار بأرض الأردن قبر الصحابى شرحبيل بن حسنة فاتح الأردن⁽¹⁾.

وقد أطلق المسلمون على مدينة إيلياء ، أو بيت المقدس ، اسم القدس ، وذلك بعد كنس وتطهير الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزبلة التي كانت حول الصخرة المقدسة ، وظلت حولها طوال العصر البيزنطي حين ابتذلها الروم نكاية وكيدًا لليهود ؛ وقد أفاد مجير الدين الحنبلي أن إولياء معناها : بيت الله المقدس ، وبيت المقدس ، أي المكان المطهر من الذنوب ، واشتقاقة من القدس ، وهي الطهارة والبركة ، فمعنى بيت المقدس ، المكان الذي يُتطَهّر

⁽١) الأزدى: نفس المصدر، ص ٢٦٦.

⁽٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٢٦٠ .

⁽٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧١ – ١٧٢ و ص ١٧٨ .

⁽٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧هـ – ١٩٦٦م ، ص ٦٠ – ٦٢ .

فيه من الذنوب ، ويقال المرتفع المنزه عن الشوك ، والبيت المقدس ، أى المطَهَّر ، وتطهيره إخملاؤه من الأصنام(١) .

احتلال الفرنج للقدس سنة ٤٩٦هـ ، واستمرار احتلالهم له اثنتين وتسعين [٩٢] سنة ؛ حتى استنقده منهم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ ، وهو ما عُرِف بالفتح الصلاحي للقدس

تمكنت دولة الخلافة الفاطمية ـ بعد قيامها ببلاد المغرب بإفريقية التونسية سنة ٢٩٦ه، ثم انتقالها إلى مصر سنة ٣٥٨هـ(٢)، من مزاحمة دولة الخلافة العباسية في السيادة على العالم الإسلامي ؛ فمد الخلفاء الفاطميون الأوائل سيطرتهم على بلاد الحرمين الشريفين ، وخُطِب لهم بمكة والمدينة المنورة ، كما سيطروا على غالب ممالك وبلاد الإسلام في بسلاد المغرب ومصر وبلاد الشام والجزيرة العربية ؛ إذ أقيمت دعوة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (ولى الخلافة بمصر من ٣٥٨هـ والجزيرة العربية ؛ إذ أقيمت دعوة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (ولى الخلافة بمصر من ٣٥٨هـ وبهنوا المعرب كله ، وديار مصر والشام ، والحرمين ، وبعض أعمال العراق(٢) ؛ ونهضوا بفريضة الجهاد في وجه الدولة البيزنطية المتنصرة في آسيا الصغرى وبلاد الروم ذاتها ، وجزر البحر المتوسط ، حتى أرغموا الإمبراطور البيزنطي على توقيع الهدنية معهم في سنة ١٨٥هـ ، وخطب المخليفةالظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي في بلاد الروم ، وأعاد الجامع بالقسطنطينية (١٠) .

وقد ظلت القدس بأيدى الخلفاء الفاطميين أغلب أيام دولة خلافتهم ، وإن زاحهم السيادة عليها خلفاء بنى العباس وسلاطين سلاجقة الروم (الشام) وأتا بكتهم ونوابهم الأراتقة أصحاب دمشق ؛ إذ استولى الأراتقة على بيت المقدس سنة $77 \, 2 \, a^{(0)}$ ، ثم أقيمت الدعوة العباسية بالقدس من سنة $77 \, 2 \, a^{(0)}$ ؛ ثم استردها الخلفاء الفاطميون سنة $77 \, 2 \, a^{(0)}$ ؛ الأمر الذى أضعف بهلاد الشام ، وجعلها مطمعًا لحركة الفرنج منذ سنة $77 \, 2 \, a^{(0)}$ ؛ حين أجتباح الفرنج أسيا الصغرى ،

⁽١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٦ .

⁽٢) أنظر المقريزي : الخطط ٢: ١٥٨ - ١٦٧ .

⁽٣) نفس المصدر ٢: ١٦٧ ، ٤: ٦٦ – ٧٤ ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل 1: ٣٠٣ – ٣٠٠ .

⁽٤) المقريزى: الخطط ٢: ١٦٩، س ٨ – ١٠.

⁽٥) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٠٥ .

⁽٦) نفس المصدر ١: ٥، ٣ أيضًا .

⁽٧) نفس المصدر ١: ٣٠٥ أيضًا ؛ وأنظر المقريزي : الخطط ٣: ٣٢ .

⁽٨) المقريزي : أتعاظ الحنفا ٣: ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ .

وانتزعوا من أيدى دولة سلاجقة الروم مدينة أنطاكية سنة ٩٧٤هـ وأسسوا بها أول إمارة صليبية في ساحل الشام (١٠) ؛ ثم زحفوا صوب فلسطين وتحكنوا من احتلال القدس في نفس هذه السنة (٩٢٤هـ) ، بعد استشهاد الحامية الفاطمية بها عن آخرها في سبيل الدفاع عنها استشهادًا بطوليًا (٢٠) .

ويحدثنا المقريزي عن السلوك الهمجي اللا إنساني المتخلف المتعصب للفرنج ، عند استيلائهم على القدس سنة ٩٢ ٤هـ، وكيف أبادوا أهله حتى لم ينج منهم إلا النذر القليل، وكيف حرقوا المصاحف والكتب ، واستباحوا المقدسات الدينية الإسلامية ونهبوا ما كان بها من كنوز وذخائر وتحف ؛ فيقول : « في سنة ٩٢ هـ سار الفرنج لأخذ سواحل البلاد الشامية من أيمدى المسلمين ؛ فملكوا مدينة انطاكيه ، وساروا لبنان فقتلوا من به ؛ ... وخرجوا على طريق .. ، عكا ، ثم أخذوا الرملة في ربيع الآخر ؛ وزحفوا منها إلى بيت المقدس فحاصروا المدينة ؛ وبلغ ذلك الأفضل (بـن بـدر الجمالي وزير التفويض الفاطمي وأمير الجيوش الفاطمية) ، فخرج بعساكر كشيرة لمحاربتهم ؛ وجمد الفرنج ـ عندما بلغهم مسيرة إليها ـ في حصار المدينة ، وكان نزولهم عليها في شهر ربيع الآخر ، حتى ملكوها يوم الجمعة الثاني والعشرين (٢٢) من شعبان ، بعد أربعين يومًّا ؛ وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام ، وقتلوا عامة من كان في البلد ؛ وكان فيه من العباد والصحلاء والعلماء والقراء وغيرهم خلائق لا يقع عليهم حصر ، فوضعوا السيف فيهم وأفنوهم عن آخرهم ، ولم يفلت منهم إلا اليسير . وانحازت عدة من المسلمين إلى محراب داود عليه السلام (وهـو حصـن على بـاب مدينـة القدس، بها محراب داواد كما أفاد العماد الأصفهاني في كتابه الفتح القيسي في الفتح القدسي)، فحاصرهم الفرنج نيفًا وأربعين يومًا حتى تسلموه بالأمان في يوم الجمعة ثاني عشريه. وأحرقوا ما كان ببيت المقدس من المصاحف والكتب ، وأخذوا ما كان بالصخرة من قداديل الذهب والفضة والآلات ، وكان مبلغًا عظيمًا . ويقال أنه قُتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألقًا ، وأنهم لحقوا من فر من المسلمين مسيرة إسبوع يقتلون من أردكوه منهم »(٣) .

وباحتلال الفرنج للقدس سنة ٩٢٤ ، تم بأسيسهم لإمارة بيت المقدس الصليبية ؛ شم ما لبنوا أن احتلوا ساحل بلاد الشام ، وكونوا إمارات : الرها وطرابلس وعكا ، فيما بين سنتى ٩٣ ٤هــ ٥٩ ٤هـ(٤) ؛ فاكتملت بذلك إماراتهم الخمس: أنطاكية، وبيت المقدس، والرها، وطرابلس، وعكا .

⁽١) نفس المصدر ٣: ٢٠ ، ٢٤ .

⁽٢) نفس المصدر ٣: ٣٢ - ٢٤ ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٠٥ . هذا عدا جزء من الحامية الفاطمية ، تحصنوا في بُرج داود على باب مدينة القُدس ، ورفضوا إلقاء أسلحتهم ، مما أرغم الفرنج على منحهم الأمان ، فخرجوا من القُدس بأسلحتهم ، وعادوا إلى مصر .

⁽٣) المقريزى : ألفاظ الحنفا ٣: ٢٣ .

⁽٤) القريزى: أتعاظ الحنفا ٣: ٢٨ ، ٣٤

وقد استمر احتى الفرنج للقدس ٩٣ سنة ، حتى استنقذه منهم السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ١٨٥ه ، وهو ما عُرِف بالفتح الصلاحى للقدس ؛ وطَهَّر صلاح الدين قبة الصخرة من رجس ومنكرات وتعديات الفرنج ، إبان احتلالهم للقدس ؛ فأبرز محراب المسجد الأقصى ، وكان الفرنج قد بنوا أمامه حانطًا . ، ونصب المنبر ، ومحا ما وضعه الفرنج على حوالط القبة من صور ، وأزال التماثيل والأصنام ، وكسر الكنيسة والمذبح اللذين استحدثهما الفرنج فوق قبة الصخرة ، وغسل القبة وما حولها بماء الورد . وقيل غسلها بلحيته وهو يبكى . ، وعَمَر قبة الصخرة والمسجد الأقصى منبر المقتمى ، ورجح عرابه وكتب عليه لوحة مؤرخة تؤرخ لهذه العمارة ؛ ونصب بالمسجد الأقصى منبر السلطان الشهيد نور الدين محمود زنكى ، الذى كان أعده وتعب فيه وطعمه بالأبنوس والعاج ، ووضعه بمحراب جامع حلب فى سنة ٤ ٣٥ه برسم القدس إذا يسر الله فتحها ، فوضعه صلاح المدين وضعه بمحراب جامع حلب فى سنة ٤ ٣٥ه برسم القدس إذا يسر الله فتحها ، فوضعه صلاح المدين بقبلة المسجد الأقصى ، حين تم الفتح القدسى على يديه سنة ٩٥ه (١٠) .

دَّخُر صلاح الدين للفرنج في موقعة حطين يوم ٢٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٢هـ

يحدثنا القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر صلاح الدين عن الانتصار الساحق الذى من ته الله على المسلمين فى معركة حطين سنة ٥٨٣ ، بحيث ظفروا بجميع الفرنج وملوكهم ومقدميهم بين قتيل وأسير حديث شاهد عيان معاصر للأحداث ، خبير ببواطن الأمور ، عليم بروح العصر ، مقرب للسلطان صلاح الدين عارف بسريرته وطويته ؛ متجاوب مع النصر العظيم ، الذى وهبه الله للإسلام والمسلمين يوم حطين ؛ مسجل له بقلم الفخر والاعتزاز ، شاكر الله ما من به على المؤمنين من

⁽۱) أنظر بهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسقية أو سيره صلاح الدين الأيوبي ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م ، ص ٨١ - ٨١ ؛ العصاد الأصفهاني : الفتح القيسى في الفتح القيدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، د. ت، ص ١١٦ – ١١٧ (ذكر فتح بيت الله المقدس) ، القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، د. ت، ص ١٦٦ – ١٢٧ (وصف البيت المقدس) ، ص ١٦٠ – ١٢٧ (ذكر ما جوت عليه حال ص ١٣٠ – ١٣٠ (ذكر يوم الفتح وهو ٢٧ رجب) ، ص ١٣٥ – ١٣٦ (ذكر ما جوت عليه حال الفرنج في خووجهم من القدس) ، ص ١١٥ – ١١٠ (كر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات وعاد من السيئات) ، ص ١٤١ – ١١٤ (ذكر وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ، ص ١٤٥ – ١٤٦ (ذكر محراب داواد عليه السلام ، وغيره من المشاهد الكرام ؛ وتبطيل الكنائس وإنشاء المدارس) ، ص ١٤٧ – ١٤٠ (ذكر ما كتبته إلى الديوان العزيز – ديوان الحلافة العباسية – مجده الله ، للبشرى بفتح ص ١٤٧ – ١٤٩ (ذكر ما كتبته إلى الديوان العزيز – ديوان الحلافة العباسية – مجده الله ، للبشرى بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهرزوى من رساله) ؛ العماد الأصفهاني : سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٩٥ – ٢١٦ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، طبع دائرة فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٩٥ – ٢١٦ ؛ سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، طبع دائرة الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مكبة المحتسب ، عَمَّان – الأردن ، د. ت ، ١٠ ، ١٠ ، ٢٠ . ٢٠ .

تأييده ونصره ؛ فيقول : « ذكر وقعة حطين(١) المباركة على المؤمنين ، وكانت في يـوم السبت الرابع والعشرين (٢٤) من ربيع الآخر من شهور سنة ثـلاث وثمانين وخمسمائة (١٨٣هـ).؛ وذلك أن السلطان رأى أن نعمه الله عليه باستقرار قدمه في الملك وعَكين الله إياه في البلاد ، وانقياد الناس لطاعته ، ولزومهم قانون خدمته ، ليس لها شكر سوى الاشتغال ببــذل الجهــد ، والإجتهــاد في إقامــة قانون الجهاد ؟ قَسَيْر إلى سائر العساكر واستحضرها .. ، وعرضهم ورتبهم ، واندفع قاصدًا نحو بـلاد العدو المخذول ، في وسط نهار الجمعة سابع عشر (١٧) من ربيع الآخر ؛ وكان أبدًا يقصد بوقعاته الجمع ، لا سيما أوقات صلاة الجمعة ، تبركا بدعاء الخطباء على المنابر ، فربما كانت أقرب إلى الإجابة ؛ فسار في ذلك الوقت على تعبية الحرب (...) . حتى كان صباح السبت الذي بُورك فيه ، فطلب كُلّ من الفريقين مقامه ؛ وعلمت كلُّ طائفة أن المكسورة منهما مدحورة الجنس معدومة النفس ؛ وتحقق المسمون أن من ورائهم الأردن ، ومن بين أيديهم بلاد القوم ، وأن لا ينجيهم إلا الله تعالى . وكان الله قد قدر نصر المؤمنين ويسُّره ، وأجراه على وفق ما قدره ؛ فحملت الأطلاب الإسلامية من الجوانب ، وحمل القلب ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد ، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ، ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرِ المؤمنين ﴾ .واحتاط أهــل الإســلام بـأهل الكفـر والطغيــان مـن كــل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وعاملوهم بالصفاح ؛ وانهزمت منهم طائفة ، فتبعها أبطال المسلمين ، فلم ينج منهم واحد . واعتصمت الطائفة الأخرى بِتلُّ يقال له حطين ، ـ وهي قرية عنده وعندها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء ـ ، فضايقهم المسلمون على التل ، وأشعلوا حواليهم النيران ، وقتلهم العطش ، وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوقًا من القتل ، فأسر مُقَدِّومهم ، وقُتل الباقون وأسروا »(*) .

⁽١) حطين : قرية بين طبرية وعكا ، بينها وبين طبرية فرسخين ، وبقرية جبارة بالقرب منها قبر يقال أنه قبر النبى شعيب عليه السلام (يا قوت : معجم البلدان ج ٧: ٣٧٣ - ٢٧٤ ، طبعة بيروت وراجع أيضًا المقريزى : الخطط ١: ٣٦٧ (ذكر مدينة حطين) حيث يذكر أن قرية حطين التي بها الآن (على أيام المقريزى) قبر شعيب ، تقع بين طبرية وصفد ، وهي أقرب إلى صفد . وأفاد ابن شيخ الربوة الدمشقي أن حطين كانت تعد من أعمال صفد ، بأرض فلسطين والأردن وأنها بقرب من طبرية . قال : " وعلى هذه القرية كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج ، وكان ملك المسلمين صلاح الدين ، وكسر الفرنج على قرن حطين ، وقسل منهم خلق كثير ، وأسر ملوكهم ؛ وبني على قرن حطين قبة يقال لها قبة النصر " ابن شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢١ .

⁽٢) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ٧٥ - ٧٧؛ وقارن العماد: الفتح القسمى، ص ٧٦ - ٨٨ (ذكر فتحح طَبَرِيّة)، العماد: سنا البرق الشامى ص ٧٩ - ٢٩٨ (ذكر يوم حطين). ومما قاله العماد: " وَصَحَت هذه الكسرة، وتُمت هذه النصرة، يوم السبت؛ وضُربت ذِلة أهل السبت على أهل الأحد، وكانوا أسودًا فعادوا من النقد؛ فما أفلت من تلك الآلاف إلا الآحاد، وما نجا من أولئك الأعداد؛ وامتلاً الملا بالأسرى والقتلى، وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى؛ وقيدت الأسارى بالحبال واجفة القلوب، =

ويُفصّل بهاء الدين بن شداد ما حل بجميع ملوك ومقدمي الفرنج الذين وقعوا في الأسر من الصّغار والهوان ، ويبين حرص السلطان صلاح الدين الأيوبي على تخيير من كان قد أهدر دمه منهم بين الإسلام أو القتل ؛ فيقول : « وكان فيمن سلم وأسر من مُقدميهم الملك جفرى ، والبرنس أرناط (صاحب حصن الكرك) ، وأخو الملك ، والبرنس وهو صاحب الشوبك وابن الهنفرى ، وابن صاحبة طبرية ، ومقدم الداوية ، وصاحب جبيل ، ومقدم الأسبتار . وأما الباقون من المقدمين فإنهم قتلوا ، وأما الأدوان فإنهم قسموا إلى قتيل وأسير ، ولم يسلم منهم إلا من أسر ، وكان الواحد العظيم منهم يخلد إلى الأسر خوفًا على نفسه . ولقد حكى لى من ألق به ، أنه لقى بحوران شخصًا واحدًا معه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون أسيرًا ، يجرهم وحده خذلان وقع عليهم . فأما الذين بقوا من مقدميهم ، فنذكر حديثهم ، أما القومص الذي هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابته ذات الجنب فأهلكه الله فذكر حديثهم ، أما القومص الذي هرب فإنه وصل إلى طرابلس ، وأصابته ذات الجنب فأهلكه الله أرناط ، فكان السلطان قد نذر أنه إذا ظفر به قتله ، وذلك أنه كان عَبر بالشوبك قفل من الديار المصرية في حالة الصلح ، فنزلوا عنده بالأمان ، فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الله والصلح الذي بينه المصرية في حالة الصلح ، فنزلوا عنده بالأمان ، فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغ ذلك السلطان ، فحمله الدين والحمية على أنه نذر إن ظفر به قتله .

ولما فتح الله عليه بالنصر والظفر ، جلس السلطان في دهليز الخيصة ، فإنها لم تكن نُصبَت ، والناس يتقربون إليه بالأسرى ومن وجدوه من المقدمين . ونُصبَت الخيمة ، وجلس فرحًا مسرورًا شاكرًا لما أنعم الله به عليه ، ثم استحضر الملك جفرى (ملك مملكة بيت المقدس الصليبية) واخاه والبرنس أرناط ، وناول الملك جفرى شربة من جلاب (أى ماء الورد) مثلج ، فشرب منها وكان على أشد حال من العطش ، ثم ناول بعضها البرنس أرناط ، فقال السلطان للترجمان : قل للملك ، أنت الذى سقيته ، وأما أنا فما سقيته . وكان من جميل عادة العرب وكريم الخلاقهم ، أن الأسير إذا أكل أو شرب من ماء لمن أسره آمن ، فقصد بذلك ، الجرى على مكارم الأخلاق . ثم أمرهم بمسيرهم

⁼ وقُرِشَتُ القتلى فى الوِهَاد والجبال واجبة الجنوب؛ وحَطَّت حطين تلك الجيف على متنها، وطاب نشر النصر بنتنها؛ وعَبَرْت بها فلقيت أشلاء المشلولين فى الملتقى ملقاه، بالعراء عراة، ممزقة بالمازق، مفصلة المفاصل مفرقة المرافق، مفلقة المفالق؛ محذوفة الرقاب، مقصوفة الأصلاب، مقطعة الهام، موزعة الأقدام، بحدوعة الآناف، منزوعة الأطراف؛ معضاة الأعضاء، مجزأة الأجزاء، مفقوءة العيون، مبعوجة البطون (...). محدوصارت تلك المعركة، بالدماء دأماء، وعادت الغبراء حمراء؛ وجرت أنها الدم المُنهَّر، وسَفَرَ بتلك الجبائث المظلمة وجه الدين المطهر (...) . هذا حساب من قُل ، فقد حَصَرَتَ السنة الأمم عن حصره وَعَدُه ، وأمّا من أمير ، فلم تَكُف أطناب الجِيمَ عن قَيْدِه وَشَدُه؛ ولقد رأيتُ في حبل واحد ثلاثين (٣٠) وأربعين (٤٠) يقودهم فارس ، وفي بقعة واحدة مائة (١٠٠) أو مائتين (٢٠٠) يحميهم حارس " أنظر العماد: الفتح القسى ص ٧٩ - ٨٣ .

إلى موضع عين لنزولهم ، فمضوا وأكلوا شينًا ، ثم عاد فاستحضرهم ولم يبق عنده أحد سوى بعض الحدم ، واستحضرهم وأقعد الملك في الدهليز ، واستحضر البرنس أرناط ، وواقفة على ما قال ، وقاله له : ها أنذا انتصر لمحمد عليه الصلاة والسلام . ثم عرض عليه الإسلام ، فلم يفعل . ثم سَلَّ النمجاه (خنجر مقوس يشبه السيف القصير) وضربه بها ، فحل كتفه ، وتمم عليه من حضر ، وعجل الله بروحه إلى النار ، فأخذ ورمى على باب الحيمة . فلما رآه الملك وقد خرج به على هذه الصورة ، لم يشك أنه يتنى به ، فاستحضره (السلطان) وطيب قلبه ، وقال : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، وأما هذا فإنه تجاوز حده ، فجرى ما جرى . وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور، وأكمل حبور ، ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له ، والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم وأكمل حبور ، ترتفع أصواتهم بالحمد لله والشكر له ، والتكبير والتهليل حتى طلع الصبح في يوم

⁽١) بهاء الدين بن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٧ - ٧٩ ؛ وقد أفرد العماد الأصفهاتي في كتابه الفتح القسى فصلان عن هذا اليوم المجيد الذي أعز الله فيه الإسلام وأذل أعدائه ، وعرض فيه صلاح الدين أسسرى ملوك الفرنج ، أحدها بعنوان : (ذكر الصليب الأعظم والاستبلاء عليمه يوم المصاف) ، وثاليهما بعنوان : (ذكر ما اعتمده في الأساري الداوية والاسبتارية من ضرب رقابهم) أفاد فيهما أن صليب الصلبوت المذي يعظمه الفرنج قد أخذ يوم معركة حطين ، وان أخذه كان أعظم من أسر ملك الفرنج ، وأن صلاح الديسن قلد سير الأسرى من ملوك الفرنج وسجنهم بمدينة دمشق . وكان تما قاله العمساد : " ولم يؤثر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت ، وأهلك دونه أهل الطاعوت (...) ؛ وهم يزعمون أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، فهو معبودهم ومسجودهم ؛ وقد غلفوه بالذهب الأحمر ، وكللوه بـالدرّ والجوهـر ؛ واعـدوه ليوم الروع المشهود ، ولموسم عيدهم الموعود ؛ فإذا أخرجته القسوس ، وحملته الرؤس ؛ تبادرو إليه ، وأنثالوا عليه ؛ ولا يسع لأحدهم عنه التخلف ، ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف ؛ وأخذه أعظم عندهم من أسر الملك ، وهو أشد مصاب لهم في هذا المعترك (...) ؛ فلما أخذ هذا الصليب الأعظم عظم مصابهم ، ووهت أصلابهم " (العماد : الفتح القسى ، ص ٨٤) . " فلما أصبح يوم الإثنين سابع عشرى (١٧) ربيع الآخر بعد الفتح بيومين ، طلب (السلطان) الأسارى من الداوية والاستارية ، وقــال : أنــا أطَهِّـر الأرض من الجنسين النجسين ، وجعل لكل من يحضر منهما أسيرًا خمسين (دينارًا) ، فأحضر العسكر في الحال مئتين ؛ وأمر بضرب أعناقهم ، واختار قتلهم على استرقاقهم (...) . وكان عنده جماعة من أهل العلــم والتصوف ، وعدة من ذوى التعفف والتعيف ؛ فسأل كل واحد في قتل واحد . وسل سيفه وحسر عن ساعد (. .) . وسير ملك الفرنج وأخاه وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليودعوا السجون ، وتُستبدل بحركاتهم السكون " (العماد : الفتح القسى ص ٨٦ - ٨٧) . وزاد العماد في البرق الشامي : " فما قَتَلَ إلا من عرض عليه الإسلام فأبي أن يُسْلِمَ ، ورأى لشدته في كفره أن ينقاد للقتل ولا يستسلم ؛ وما أسلم إلا آحاد حَسُنَ إسلامهم ، وتأكد بالدين غرامهم " (العماد : سنا البرق الشامي ، ص ٢٩٨) . وأنظر سبط : مرآة الزمان ٨ : ٣٩٣ - ٣٩٤ ، حيث يقول : " ثم عرض السلطان الإسلام على الداوية والاسبتارية ، فمن أسلم منهم استبقاه ، ومن لم يسلم قتله ، فقتل خلق عظيم ، وبعث بباقي الملوك والأساري إلى دمشق ، إلى (الوزير) الصفي بن القايض ، فأعتقل الأعيان في القلعة ، وباع الأسارى بثمن بخس ، حتى باع بعض الفقراء أسيرًا بنعل ، فقيل له : هذا ثمن بخس! ، فقال : أردت هوانهم " .

الفتح الصلاحي للقدس ليلة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ

ويصف بهاء الدين بن شداد حصار السلطان صلاح الدين للقدس ، حتى طلب الفرنج المحاصرين به الأمان ، بقوله تحت عنوان : (ذكر فتح القدس المبارك الشريف) :

« ولما تسلم (السلطان) عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس، شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده، واجتمعت عليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد انقضاء لبانتها من السلب والغارة، فسار نحوه معتمدًا على الله، مفوضًا أمره إليه، منتهزًّا فرصة فتح باب الخير الذي حُث على انتهازه إذا فتح، بقوله عليه السلام: من فتح له باب خير فلينتهزه، فإنه لا يعلم متى يغلق دونه. وكان نزوله عليه يوم الأحد الخامس عشر (١٥) من رجب سنة (١٥٨هم) المباركة؛ فنزل بالجانب الغربي، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجاله، ولقد تحازر أهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين (١٠ ٢) الله ما عدا النساء والصبيان؛ ثم انتقل وحمه الله لصلحة رآها إلى الجانب الشمالي، وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين (١٠ ٢) من رجب، ونصب عليه المجانيق، وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة، حتى أخذ النقب في السور عما يلي وادى جهنم في قرية شمالية. ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع عنهم، وظهرت لهم إمارات نصرة الحق على الباطل ، وكان قد ألقى في قلوبهم الرعب عما جرى على أبطالهم ورجالهم من الشبى والقتل والأسر، وما جرى على حصونهم من الاستيلاء والأخذ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه وسائرون، وبالسيف الذي فتل به إخوانهم مقتولون؛ فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، واستوت القاعدة بالم اسلة بن الطائفين » (١٠).

⁽۱) ابن شداد: النوادر السلطانية ص ۸۱. وأفاد العماد الأصفهاني ، أن صلاح الدين كان قد عزم على فتح القدس عنوة كما أخذه الفرنج عنوة حين استولوا عليه سنة ۴۹؛ وبقى بأيديهم ۹۱ عامًا ، ثم نزل على رأى ومشورة مستشاريه في فتحه صلحًا وتأمين من به من الفرنج بعد أن هدد الفرنج بقتل من عندهم من اسرى المسلمين وتخريب قبة الصخرة ، أنظر العماد: الفتح القسى ص ۲۱۱ – ۱۲۹ ، العماد: سنا البرق الشامى ص ۴۰۲ – ۳۱۳؛ وما قاله العماد: "إن أسبعانا من الله على إخراج أعدانه من بيته المقدس فما أسعدنا ، وأي يد له عندنا إذا أيدنا ؛ فإنه مكث في يد الكفر إحدى وتسعين (۹۱) سنة ، لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ، ودامت همم الملوك عنه متوسنة ، (...) ؛ فما أدخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب ، ليجمع لهم بالقبول القلوب ؛ وخص به عصر الإمام الناصر لدين الله ليفضله على الأعصار ، ولتفخر به مصر وعسكرها على سائر الأمصار ؛ وكيف لا يهتم بافتتاح البيت المقدس الأقوى ، والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى ؛ وهو مقام الأنبياء ، وموقف الأولياء ، ومعبد الأتقياء ، ومزار أبدال الأرض وملانكة السماء ؛ ومنه المحشر والمنشر ، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر ؛ وفيه الصخرة التي صينت جدة أبهاجها من الإنهاج ، والمنشر ، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر ؛ وفيه ومَضَى البارق ومضى البراق ، وأضاءت ومنها منهاج المعراج ، ولها القبة الشماء التي على رأسها التاج ؛ وفيه وَمَضَى البارق ومضى البراق ، وأصاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق (...) وهو أول القبلتين ، وثانى البيتين، وثالث المراج المنير فيه الآفاق (...)

وفطن ابن شداد إلى جميل المصادفة ، وخير التوفيق الإسلامي ، وعن الطالع ، وسعادة التدبير ؛ في موافقة يوم تسلم السلطان صلاح الذين للقدس وليلته لليلة الإسراج والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فيقول مشيدًا بهذا الفتح المبارك متتبعًا أصدائه السّارة في الأمصار الإسلامية وخاصة مصر والشام : «وكان تسلمه لقدس قدس الله روحه في يوم الجمعة السابع والعشرين (٢٧) من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد ؛ فأنظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، كيف يَسر الله عوده إلى أيدى المسلمين في مشل زمان الإسراء بنبيهم وصلى الله عليه وسلم إليه ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى . وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العلم خلق عظيم ، ومن أرباب الحرق والطرق (يعني الصوفية) ؛ وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسّر الله عليه يده من فتوح السواحل ، وشاع قصده القدسي ، قصده العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف معروف من الحضور ؛ وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير ، وخطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه ، وحُط الصليب الذي كان على قبة الصخرة ، وكان شكلاً عظيمًا ، ونصر الله الإسلام نصر عزيز مقتدر »(١)

⁼ أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوى أنها تشد إليها الرحال ، ويعقد الرجاء بها الرجال . ولعمل الله يعيد بنا إلى أحسن صوره ، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سوره ، وقال عز من قائل :

﴿ سُبُحَانَ الَّذِي أُسْرَى بِعَبْدِهِ لَيُلاَ مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، وله فضائل ومناقب لا تحصى ، وإليه ومنه كان الإسراء ، ولأرضه فتحت السماء ، وعنه تؤلر أنباء الأنبياء ، (...) ، وصخرته الطولى ، القبلة الأولى ؛ ومنها تعالت القدم النبوية ، وتوالت البركة العلوية ؛ وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبيين، وصعد منها إلى أعلى عليين ، (...) ؛ وهو الذي افتحه الفاروق والحسست به سورة الفرقان " . (العماد : فتح القسى ص ١٢٢ – ١٢٣) .

⁽١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨٦ ؛ وأنظر العماد : الفتح القيسى ص ١٣٠ - ١٣٤ (ذكر يسوم الفتح وهو سابع عشرى (١٧) رجب) ؛ ولما قاله العماد : " واتفق فتح البيت المقدس فى يوم كان فى هف ل ليلته منه المعراج ، وتم عن منهاج النصر الابتهاج ، وزاد من الألسنة بالدعاء والابتهال الالتهاج ؛ وجلس السلطان للهناء ،للقاء الأكابر والأمراء ، والمتصوفة والعلماء ؛ وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار ، بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار (...) . فبشرت بأقلامي أقاليم البشر ، وعبرت بأعاجبي عن عجائب العِبر ، وملأت البروج بالدرارى والدروج بالدرر ، ورويت تلك البشرى حتى أطابت ريا (الرك) وسمر (سمرقند) ، وأطربت وحكت حتى فاقت القنديد والقند ؛ وعَلقت بفتح القدس بلاد الإسلام وزيئت ، وشرحت فضيلتها وبينت ، وأديت فريضة زيارتها وتعينت . (...) وكَنْتُ إلى كل ذى طرف بمعني طريف ، ولفظ فصيح حصيف (...) ؛ وسارت شواردى إلى المشرق والمغرب ، معربة عسن هذا الفتح المعرب ، عن النصر المذهب، وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الأقصى ، وتلوت ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدّينِ مَا وَصّى ﴾ النصر المذهب، وبشرت المسجد الحرام بخلاص المسجد الأصود بالصخرة البيضاء ، ومنزل الوحي بمحل الإسراء ، ومقر سيد المرسلين وخاتم النبين بمقر الرسل والأنياء ، ومقام إبراهيم بموضع قدم المصطفى – صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وأدام الله على الإسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر الكريم ، والفتح وعليهم أجمعين ، وأدام الله على الإسلام بشرف بيتيه مستمتعين . وتسامع الناس بهذا النصر الكريم ، والفتح والعتى " (العماد : الفتح القسى ص ١٣٠ – ١٣٤) .

ويختم ابن شداد حديثه عن الفتح الصلاحى للقدس ، بذكر شروط الصلح التى أقر عليها صلاح الدين الفرنج بعد استسلامهم وتسليمهم القدس له ؛ فيقول : « وكان قاعدة الصلح ، أنهم قطعوا على أنفسهم : عن كل رجل عشرة (١٠) دنائير ، وعن كل امرأة شمسة (٥) دنائير صورية ، وعن كل صغير ذكر أو أنثى دينارًا (١) واحدًا ، فمن أحضر القطيعة سلم نفسه ، وإلا أخذ أسيرًا . وفرج الله عمن كان أسيرًا من المسلمين ، وكانوا خلقًا عظيمًا زهاء ثلاثية آلاف أسير . وأقام - رحمه الله ـ يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء ، وإيصال من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه وهو «صور » . ولقد بلغنى أنه - رحمة الله عليه - رحل عن القدس ولم يبق له من ذلك المال شبىء ، وكان مأتى (٥٠ ٢) ألف دينار ؛ وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين (٥٠ ٢) من شعبان سنة ثلاث وثمانين وشسمائة (٥٨٣هـ) »(١) .

قال مجير الدين الحنبلي: وما أصيب الفرنج من حين خرجوا إلى الشام في سنة ٩٠هـ إلى الآن، عصيبة مثل هذه الواقعة (٢).

⁽١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨٢ . ويقول سِبْط بن الجوزى عن شروط الصلح : " واستقر الأمر على أن يخرجوا بأنفسهم وأموالهم وذراريهم ، سوى الخيل الحربية والسلاح ؛ بعد أن يؤدي كل واحد منهم عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن الصبي أربعة دنانير ، وعن الطفل دينارًا ؛ ومن عجز منهم ، كان رقيقًا مبملك ؛ ومن أراد من النصارى الإقامة ، فليقم وتؤخذ منه الجزية ؛ وأقر بأيديهم القمامة (أي كنيسة القيامة) ، وعينوا أماكن يزورونها ؛ وسلموا البلديوم الجمعة سابع عشرين (٢٧) رجب ليلة المعراج ، فكان استيلاء الفرنج عليه النين وتسعين (٩٢) سنة ، لأنهم أخذوه في سنة ٩١ ٤هـ ، وفتح في هـذه السنة وهي سنة ٥٨٣هـ (...) . قلت : ولقد ضيع السلطان الحزم بتسيير الفرنج إلى صور ، ولم ينظر في عواقب الأمور ؛ فإن اجتماعهم بصور كان سبهًا لأحدُهم البلاد ، وقتلهم بعكا من قتلوا من الأعيان وأجناد الإسلام ؛ وقد كان الواجب عرضهم على الإسلام ، فإن أبو فالسيف وهو أصدق أنباء من الكتب ؛ وأنَّى وكيف ، وما أشبه هذه القضية بفدية الأسارى يوم بدر ، حيث أشار بعض الصحابة بأخذ ذلك القدر ، وبعضهم أشار بضرب الرقاب ، وما صدر ذلك الرأى إلا عن صدر ؛ فلا جرم قتل منهم يوم أحُد سبعون ، وأسر سبعون من المسلمين ، كما فعلوا يوم بدر بالمشركين " (سبط : مرآة ٨ : ٣٩٧ – ٣٩٨) . قلت : والذي يستفاد من تاريخ فتوح الشام في صدر الإسلام زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيرة أبي عبيدة ابن الجسراح رضي الله عنه القائد العام لفتوح الشام ، أنه كان يصالح أهل بلاد الشام ومدنه ويأمنهم ويفتح بلادهم صلحًا لا عنوة ، حتى يسارع أهل بقية المدن لطلب الصلح على شروط عادلة مماثلــة ؛ ولا شــك عنــدى أن السـلطان صلاح الدين الأيوبي قبل نهوضه لفتوح الشام والسواحل ، قد قرأ سيرة وتاريخ أبي عبيدة بس الجواح رضي الله عنه ، ودرس فتوحه وبقية فتوح الشام ، واستفاد من سيرته في حروبه مع الفرنيج ، والواقيع أن السلطان صلاح الدين قد حصر الفرنج في شريط ساحلي ضيق على ساحل الشام محصورًا بين صور وصيَّدًا ، حتى سهل استئصال شأفتهم من الشام نهائيًا وهو ما تم على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاون ، حين فتح عكما آخر معاقل الفرنج بساحل الشام .

⁽٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٣ (ذكر يوم الفتح) .

ولنستمع لشهادة شاهد عيان آخر ، شهد بنفسه تسليم الفرنج للقدس سنة ٥٩٣ه وخروجهم منها ، وعاش أحداث هذا الفتح الجليل عن قرب ، وخبر شروط التسليم ، واطلع على خبايا الأمور ، لكونه من مستشارى الدولة الصلاحية ورؤساء دواوينها ؛ وأعنى به العماد الأصفهانى ، رئيس ديوان الإنشاء الصلاحى فى بلاد الشام ؛ وقد جاء وصفه لها البوم المجيد ، المذى أعز الله فيه الإسلام ، وأذل فيه أعدائه . كما عهدنا من أسلوب العماد البليغ وبيانه الرائع - وصفّا مؤثرًا جدًا - ، من شأنه ولا ريب أن يجعل هذا النصر المظفر وذكراه ، ماثلة دائمًا فى أذهاننا ، مهما طال عليها الأمد ؛ فيقول العماد : « فعقد السلطان محضرًا للمشورة ، وأحضر كبراء عساكره المنصورة ؛ وشاورهم فى الأمر ، وحاورهم فى السر والجهر ؛ (...) . واستقر بعد مراودات ومعاودات ، ومفاوضات وتفويضات ، وضراعات من القوم وشفاعات ؛ على قطعة تكمُل بها الغبطة ، وتحصل منها الحوطة ، وأشتروا بها متنا أفسهم وأموالهم ، وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم ؛ على أنه من عجز بعد أربعين يومًا عما لزمه ، أو امتنع منه وما سلمه ؛ صرب عليه الرق ، وثبت فى تملكه لنا الحق ؛ وهو عن كل رجل عشرة (١٠) دنانير ، وكل امرأة شسة (٥) ، وكل صغير أو صغيرة ديناران (٢) ؛ ودخل ابن بارزان (أحد كبار أمراء الفرنج) والبطرك ومقدما الداوية والاسبتارية فى الضمان . وبذل ابن بارزان ثلاثين (٣٠) الف دينار عن الفقراء ، وقام بالأداء ، ولم ينكل عن الوفاء ؛ فمن سلم خرج من بيته آمبًا ، ولم يعد إليه ساكنا .

وسلموا البلديوم الجمعة السابع والعشرين (٢٧) من رجب على هذه القطيعة ، وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة ؛ وكان فيه أكثر من مائة (١٠٠) ألف إنسان ، من رجال ونساء وصبيان ؛ فأغلقت دونهم الأبواب ، ورتبت لعرضهم واستخراج ما يلزمهم النواب ؛ ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير ، يحصر الخارجين ، ويحصى الوالجين ؛ فمن استُخرج منه خرج ، ومن لم يقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج .

ولو حُفظ هذا المال حق حفظه ، لفاز منه بيت المال بأوفر حظه ؛ لكنما تم التفريط ، وعم التخليط ؛ فكل من رشا مشى، وتنكب الأمناء نهج الرشد بالرُشا ؛ فمنهم من أدلى من السور بالجبال، ومنهم من حُمل مخفيًا في الرحال ؛ ومنهم من عُيِّرت لبسته فخرج بزيّ الجند ، ومنهم من وقعيتٌ فيه شفاعة لم تقابل بالرد .

وكانت فى القدس ملكة رومية مترهبة ، فى عبادة الصليب متصلبة ، وعلى مصابها ملتهبة ، وفى التمسك بملتها متحددة تحددة تحددة تحددة تحددة تحددة متعصبة من المزن ، وعباراتها متحددة تحددة تحدد القطرات من المزن ، ولها حال ومال وأشياء وأشياع ، ومتاع واتباع ؛ فَمَنَّ عليها السلطان وعلى كل من معها

بالإفراج ، وأذِنّ في إخراج كل مالها في الأكياس والأخراج ؛ فراحت فرحى ، وإن كانت من شجنها قرحى .

وكانت زوجة الملك المأسور ـ ابنة الملك أمارى ـ ، مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخدم والخول والجوارى ؛ فخلصت هي بمن معها ومن تبعها ، ومن إدعى أنه ثمن صحبها وشيعها . وكذلك الإبرنساسة ابنة فيليب أم هنفرى ؛ أعفيت من الوزن ، وتوفر مالها عليها في الحزن .

واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسماسة (٠٠٥) أرمنى ، ذكر أنهم من بلدة ، وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده ؛ وطلب مُظفر الدين بن على كوجك ، زهاء ألف (٠٠٠١) أرمنى ادعى أنهم من الرها ، فأجراه السلطان من إطلاقهم له على ما اشتهى .

وكان السلطان قد رتب عدة دوارين ، في كل ديوان منها عدة من النواب من المصريين ومنهم من الشامين ؛ فمن أخذ من أحد الدواوين خطّا بالأداء انطلق مع الطلقاء ، بعد عرض خطه على من بالباب من الأمناء والوكلاء ؛ فذكر لى من لا أشك في مقاله ، أنه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله ، فربما كتبوا خطًا لن نقده في كيسهم ، ويلبس أمر تلبيسهم ؛ فكانوا شركاء بيت المال لا أمناه ، وخانوه على ما حصل لكل من الغني والنفع وما أضر غناه ؛ ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة (١٠٠) ألف دينار ، وبقى من بقى تحت رق وأسار ، ينتظر به انقضاء المدة المضروبة ، والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة »(١).

« وشرع الإفرنج في بيع الأمتعة ، واستخراج ذخائرهم المودعة ؛ وباعوها بالمجان في سوق الوهان ، وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بأرخص الأثمان (...) ؛ وكنسوا كنائسهم ، وأخذوا منها نفائسهم (...) ؛ ونقضوا من الكنائس الكنائن ، واستخرجوا من الخزائن الدفائن ؛ وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح البر ومصوغات المسجد ومصنوعات اللجين ، وجمع ما كان في قمامه (كنيسة القيامة) من الجنسين والنسجين .

فقلت للسلطان : هذه أموال وافرة ، واحوال ظاهرة ؛ تبلغ مائى (، ، ٧) الف دينار ، والأمان على مائى (، ، ٧) الف دينار ، والأمان على الموالهم لا أموال الكنائس والأديار ، فلا تتركها فى أيدى هؤلاء الفجار . فقال : إذا تأوّلنا عليهم نسبونا إلى الغدر ، وهم جاهلون بسير هذا الأمر ؛ ونحن نجريهم على ظاهر الأمان ، ولا نتركهم يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان ، بل يتحدثون بما أفضناه من الإحسان .

⁽١) العماد : الفتح القسى ص ١٢٧ – ١٢٩ (وصف البيت المقدس) .

فتركوا ما ثقل و حلوا ما عز وخف ، ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف ؛ وانتقل معظمهم إلى صور ، وكتفوا بالديجور الديجور ؛ وبقى منهم زهاء خس عشر (١٥) القا امتنعوا عن مشروع الحق ، فاختصوا بمشروط الرق . فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة (٧) آلاف ، فإنهم الفوا ذلاً لم يكونوا له بالاف ؛ فاقتسمتهم أيدى الشبى أيدى سبا ، وتفرق الغاغون بجمعهم في الوهاد والربا . وأحصيت النساء والصبيان ثمانية (٨) آلاف نسمة ، عادت بيننا مقتسمة ، وأصبحت ببكائها وجوه الدولة مبتسمة .

فكم محجوبة هُتكت ، ومالكه مُلكت ، وعزباء نُكحت ، وعزيزة مُتحت ، وبخيلة تسمَّحت ، وجميلة وحيية ترقحت ، وعيلة وحيية ترقحت ، ومُجيلة مرّحت ، ومصونة إبتُذلت ، وفارغة شُغلت ، وعقيلة امتُهنت ، وجميلة امتُحيَت ، وهيلة امتُحيَت ، وهيلة امتُحيَت ، وهيلة متحيّت ، وعذراء افتُرِعَت ، وشمّاء فُرِعَت ، ولياء رُشِفَت ، وظمياء فُرِهَـت (...) ؛ فكم تسرّى منهن سَرى ، وتجرأ عليهن جرى ؛ وقضى وطره عزب ، ونقى نهمه سَغب .

ولما تقدس القدس من رجس الفرنج أهل الرجز ، وخلع لباس الذل ولبس خِلَع العز ، أبى النصارى (يقصد نصارى الشام ذوى الأصول العربية) بعد أداء القطيعة أن يخرجوا ، وتضرَّعوا فى أن يَسكُنوا ولا يُزعَجوا ، وبذلوا حدمًا وخَدَّموا ببذول ، وقابلوا كل ما ألزموا به بالتزام وقبول ؛ وأعطوا الجزية عن يَد وهم صاغرون ، وشَحَّت أفواهُهُم بما شَجَاهُم فزاد شَجاهُم وهم فاغرون ؛ ودخلوا فى اللهنة ، وخرجوا إلى العصمة ، وشَغلوا بالخدمة ، واستُعملوا فى المهنة ، وعَدُّوا المحسنة فى تلك المحنّة » (1)

ويتضح من الوصف الدقيق البليغ ، الذى أمدنا به العماد الأصفهانى فى كتابه الفتح القيسى فى الفتح القدسى ، عن تسليم الفرنج للقدس فى ٢٧ رجب سنة ٨٥هـ ، ورضوخهم لشروط الأمان الذى منحه لهم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وحالهم فى خروجهم من القدس ؛ يتضح أنه كان بالقدس من الفرنج عند فتح السلطان له أكثر من مائة (• • ١) ألف إنسان من رجال ونساء وصبيان ، فأغلقت دونهم أبواب مدينة القدس وصاروا أسارى ؛ وأن من لم يستطع من الفرنج أداء ما يفتدى به نفسه من الأسر والرق ، وهو عشرة (• ١) دنانير عن كل رجل ، وخسة (٥) دنانير عن كل امرأة ، وديناران (٢) عن كل طفل أو طفلة ؛ وذلك بعد انقضاء المهلة وهى أربعين (• ٤) يومًّا ـ ، وقع فى الأسر والرق ؛ وأنهم كانوا زهاء مائة (• • ١) ألف نسمة ، عجز منهم عن أداء الفدية ٥ ١ ألف ، ٧ آلاف من الرجال ، و٨ آلاف من النساء والصبيان ، صاروا جميعًا أرقاء المسلمين ، وتسرى المسلمون بالنساء منهم ، وصرن ملك يمين وأمهات أولاد للمسلمين .

كذلك أفاد العماد الأصفهاني أن خزائن بيت مال المسلمين في الدولة الصلاحية قد امتلأت من هذا الفداء ، رغم ما حدث من إنحراف وارتشاء بعض موظفي الديوان ، وتغاضيهم عن أخذ الفداء

⁽١) العماد : الفتح القسي ص ١٣٥ – ١٣٣ (ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القلس) .

من بعض الفرنج نظير رشاوى دفعوها إليهم ؛ وذكر العماد أن شهامة صلاح الدين قد آبت عليه إذلال من كان بالقدس من ملكات وأميرات الروم والفرنج ووقعن فى الأسر ، فَمَنَّ عليه ن السلطان وأطلق سراحهن بغير فداء ، وسمح لهن بالخروج بأموالهن وجواديهم وعبيدهن ؛ عملاً بالقول السائر : أكرموا عزيز قوم ذَلَّ ؛ كما إنه رحمه الله قبل شفاعة بعض أمراء دولته فى عدد كبير من الأرمن ، الذين كانوا مقيمين بالقدس على نية الحج والعبادة ، لا القتال مع الفرنج .

وذكر العماد أن تسامح السلطان بلغ مداه تجاه الكنائس والأديرة بالقدس ، فسمح لبطريرك كنيسة القيامة وأساقفة الأديرة ، بالاحتفاظ بذخائر وكنوز وتحف كنائسهم وأديرتهم ، كما أنه رفض ما أشار عليه به بعض المتشددين من رجال مشورته ، من هدم بناء كنيسة القيامة التي يجُج إليها الفرنج مما وراء البحر ، لاعتقادهم بوجود موضع صلب المسيح وقبره تحتها ؛ وسمح للنصارى بالحج إلى كنيسة القيامة ، وترك أبوابها مفتوحة للزيارة ، وحدد لهم مواضع معينة بالقدس يزورونها ، لكونها من مقدساتهم الدينية ، حتى يشيع ذكر ذلك التسامح الدينى بين النصارى وعند الفرنج ، فينسب المسلمون إلى التسامح والعفو ، ولا ينسبوا إلى التعصب والتشدد .

كما ذكر العماد الأصفهانى أن التسامح الدينى لصلاح الدين تجاه المقدسات الدينية غير الإسلامية بالقدس ، الخاصة بأهل الكتاب الأول من اليهود والنصارى ، قد شملت أيضًا الأماكن المقدسة عند اليهود ، وأهمها الحصن المعروف بمحراب داواد ، الكائن - آن ذاك - عند باب مدينة القدس ، خارج حرم المسجد الأقصى ، وخارج السور المحيط بساحة وحرم المسجد الأقصى ، إذ يزعم اليهود أن بهذا الحصن كان منزل داواد وسليمان ، وبه محراب يُعرف بمحراب داواد ؛ فأبقى صلاح الدين على محراب داواد ؛ وبقى مصونًا لا يمس حتى خرّبه الملك الناصر داواد صاحب الكرك سنة ١٣٧ه م ، لما نقض الفرنج شروط الهدنة بينهم وبين المسلمين ، وأعادوا بناء أسوار مدينة القدس وتحصين أبراجها .

ولم يفت العماد الأصفهاني ، التبيه على أمر جوهرى ، خاص بشروط تسليم القدس في الفتح الصلاحي سنة ١٨٥هم ، وهو أن السلطان صلاح الدين قد أقر العرب من نصارى الشام المقيمين عدينة القدس ، على السكنى والإقامة بداخلها ؛ على أن يؤدوا الجزية السنوية الملزم بأدائها أهل الكتاب في دار الخلافة الإسلامية ، ويصيروا أهل ذمة للمسلمين ودولة الإسلام ، ويتمتعوا فيها بحقوق المواطنة المدنية والقضائية كأهل ذمة ؛ وتفسير ذلك بطبيعة الحال ، لما سبق للعرب من نصارى الشام من أهل إيلياء (القدس) وأهل لد وفلسطين من عهد وعقد ذمة وصلح ، منحهم إياه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب بنفسه ، حين تم فتح القدس في أيام خلافته سنة ١٥ه م ، وهو ما عرف بالفتح العمرى ، واشتهر صلحه وعهده وعقد ذمته لأهل القدس باسم صلح إيلياء ؛ الذي عُدّ بعد ذلك النموذج المحتذى لدى خلفاء الإسلام ، في عهود صلحهم وذمتهم لأهل الذمة في ديار الإسلام ، أو في البلاد التي يفتحها الله على الإسلام والمسلمين من دار الحرب .

مقارنة العماد الأصفهاني بين الفتح العمري للشام والقدس سنة ١٥هـ ، وبين الفتح الصلاحي للشام والقدس سنة ٥٨٣هـ

ولأن العماد الأصفهاني ، كان كاتب ديوان الإنشاء الصلاحي في بلاد الشمام ، وأجد خواص الدولة الصلاحية ومستشاريها وأولى الرأى فيها ، ورفيق صلاح الدين الأيوبي في غزواته وفتوحاته في بلاد الشام ، وأحد مؤرخي الدولة الصلاحية ؛ فقد أفرد للفتح الصلاحي كتابًا مستقلاً ، أسهب فيه في ذكر هذا الفتح العظيم ، وأرخ له بقلمه البليغ تاريخًا شيقًا حبًا ، فكان يراعه ريشة رسام عبقرى ، رسمت وقائع ها الفتح ، ولونته بالألوان ، حتى نطق وأفصّح عن ذاته .

وقد قرن العماد في كتابه هذا الذي سماه (الفتح القيسي في الفتح القدسي ، بين هجرة صلاح الدين الأيوبي والمسلمين إلى القدس ، وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنسورة ، لما تمخض عن هاتين الهجرتين من ظهور للإسلام ؛ وعد تاريخ الفتح القدسي ، لجلاله وعظمته وأثره الباقي في تاريخ الإسلام والمسلمين ، حدثًا جليلًا من الأحداث الجسام التي تؤرخ بهما الأمم ؛ وقارن بين فتوح المسلمين في بلاد الشام في عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، على يـد صحابـة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم الذين شهدوا معه صلى الله عليه وبسلم مغازيه ومشاهده وفتوحاته ، وبشرهم صلى الله عليه وسلم بفتوح البلدان ، وكانوا عند تمام فتوح الشام قربيي العهد بوحي السماء وهدي رمول الله صلى الله عليه وملم ؛ وبين الفتح الصلاحي للقدس، الذي تم في المئة السادسة للهجرة ، حيث أصبح الإسلام غريبًا ، وبَعُدَ العهد وطال الأمد بين المسلمين ووحي السماء ، فقست قلوبهم ، وتفرقت أهواءهم ، وضعفت شوكتهم ، وهان أمرهم أمسام عدوهسم الذي دهمهم من وراء البحر ، وعجز ملوكهم عن دفعه ، حتى نهض جهادهم السلطان . صلاح الدين . وقد أطرى العماد السلطان ضلاح الدين الذي تم على يديه هذا الفتــح العظيـم ، وأكـد أنـهـ رحمه الله ـ بتدينه وتقواه وورعه وعمله وجهاده واجتهاده ، كان مُؤَيدًا في هذا الفتح من الله مسبحانه وتعالى ، وأنه كان جديرًا بهذا التأييد ، لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد في القرآن الكريم بنصر جنده وأولياته ، وأشاد العماد بوقوع هذا الفتح في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، الذي فتح صلاح الدين البلاد باسمه وباسم دولة الخلافة العباسية .

فيقول العماد في ديباجة كتابه الفتح القيسي في الفتح القدسي : « هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الغُرِّر المتجلية ، وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السيِّر المتحلية (...). وإغا بدأنا بالتأريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (١٨٣هـ) ، لأن التواريخ معتادها ، إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى ، وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى . فلا أسة من ذوات المُللِّ وذوات الدول ، إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله خلفها عن سلفها، وحاضرها عن غابرها ، تُقيد به شوارد الأيام ، وتُنصب به معالم الأعلام ؛ ولولا ذلك لانقطعت الوصل ، وجُهلت الدول ، ومات في أيام الأخر ذكر الأول (...) . ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذامّ هي الفاصلة ؛ ولقبل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها ، وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها ، وما وراء سهولتها من صعوبتها (...). وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ... ؛ وأظهر الله على الأديان الدين القيِّم ، ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم (...) ؛ ووقت هذه الهجرة الوقت الـذي أمر بـه أمرُ الإسلام ، ويومها اليوم الذي ما ولدت الليالي مثله من بنيها الأيام ، وعامها الخاص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام الأعوام . وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشبهد للهجرة الأولى بأن أمدها بالقياسة معذوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفسوع والصريح غير الممذوق ؛ وهذه الهجرة هي هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها السلطان (صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب) ؟ وعلى عامها يحسن أن يُبنى التاريخ وينسق ، وتُستقر عن أهلتها دآدىء المداد وتنشق ؛ وهي وإن كانت هجرة الإسلام إلى القدس ثانية ، فقد كان الثني عن وطنه لما ثنته يد الكُّفر ثانية . وهـذه الهجرة ابقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين (...) ، والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر ، وبين فتوحه في أول الأمر ، فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

فإن الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم غير بعيد ، والوحى ما كاد يتعطل فى طريقه من السماء إلى الأرض بريد ؛ والعيون التى شاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم تسلّ سيوفها من أجفانها ؛ والقلوب التى شهدت مواقف معجزاته أوثـق بخبره فى الفتح منها بعيانها ؛ ورسل عالم الغيب إلى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة مختلفة ، ونجدات السماء إلى أهل الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومُردفة ؛ وقد أخبرهم سيدنا وسيدهم أن الأرض زويت له مشار قها ومغاربها ، وأنه سيبلغ مُلك أمته المثوبة المرحومة ماضمّت عليه جوانبها (...) . والشام الأن قد فتح حيث الإسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا ، وهريق شبابه واستشن أديمه ، وقد عاد غريبًا كما بدأ غريبًا ، وقد طلع شرف الستمائة (...) ؛ وطال المد على القلوب فقست ، ورانت الفتن على البصائر فطمست ، وعرض هذا الأدنى قد أعمى وأصم حبه ، ومتاع هذه الحياة ورانت الفتن على عن الجزيل فى الآخرة كسبه . والكفار قد خشينت عرائكهم ، واتسعت ممالكهم ،

واستبصروا في الضلال ، واستبضعوا للقتال ؛ وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت ، ونفروا من وراء البحر يطلبون أمامهم ناشية الصوت .

ومضت ملوك الإسلام ، ومضت أيامهم كالبارق وإن لم يخلع الإظلام ، وزادت أيامهم الأيام خيالاً فتنازع الناس طرائف الأحلام ، وحماربوا هـذا العـدو الكـافر فمـا أثـروا فيهـم وكـانوا محـاربين كمسالمين ، وبذلوا جهودهم فلا نقول أنهم مظلومون بالعجز ومانُسَيِّهم ظالمين (...) . فلما أراد الله الساعة التي خلاها لوقتها ، وأظهر الآية التي لا أخت لها ، فنقول : فهي أكبر من أختها ؛ أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها ، ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها ، وجاءت بواحدها التي تُضاف إليه الأعداد ، ومالكها الذي له السماء خيمة والحبِّك أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد .. (صلاح الدنيا والدين) ، ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا ، ورأينا بين منانا وبين كرمه بونا ... ؛ فإن قلنا أحسن الله إليه ؛ فقد قال : ﴿ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (الآيسة ٣٠ من سورة الكهف). وإن قلنا : جزاه الله بالإحسان ، فقد قال : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانَ إِلَّا الإحْسَانُ ﴾ (الآيــة ، ٦ مـن سورة الرحمن) . وإن قلنا : هداه الله سبيله ، فقد قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنُّهُمْ سُبُلَناكِه (الآية ٣٩ من سورة العنكبوت) . وإن قلنا : لا ضيع الله عمله ، فقد قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أَضِيعُ عَمَـلَ عَامِل ﴾ (الآية ٩٥ أ من سورة آل عمران) . وإن قلنا : لا جعل الله لدهر عليــه سبيلًا ، فقــد قــال : ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (الآية ٩١ من سورة التوبة) ، وإن قلنا : زاده الله هدى ، فقسد قبال : ﴿ وَالَّذِينَ الْمُتَدُواْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ (الآية ١٧ من سورة محمد) . (...) وإنا لنرجو أن نكون قـد كُتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمِرَ الذين آمنوا أن يكونوا معهم ، وأن نكون قـد كُتبنا مع المحسنين لأنا أحسنا وصف إحسان الله إلى عباده . (...) .

« ويسر الله هذه الفتوح ، وأنزل بها الملائكة والروح ، في أيام سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبي العباس أحمد ، ابن الإمام المستضى بالله أبي محمد الحسن ، ابن الإمام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف ، (...) بن عبد الله بن العباس ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين والخلفاء الراشدين (...) ؛ والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف ابن أيوب ناصر دعوته وداعي نصرته ، ووليه الطائع وسيفه القاطع ، والمحكم بأمره ، والمؤمر بحكمه (...) . ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث وثمانين و شمائة (١٨٥هـ) ، بدأت بها ، وأنشأت رياضي بسحبها ، وما شَهَدُّتُ إلى إلا يما شاهدته وشهدته (...) »(١) .

⁽١) أنظر هذه الديباجة بتمامها الأهميتها ، عند العماد : الفتح القسى ، تحقيق محمد محمود (صبح) د. ت ، ص ١١ - ٥٨ .

إزالة صلاح الدين لتعديات الفرنج على قبة الصغرة والمسجد والأقصى ، وعمارته لهما سنة ٥٨٢هـ

ولندع يراع العماد الأصفهاني ، كاتب ديوان الإنشاء الصلاحي ، يقدم لنا صورة حية ملونة بناطقة بليعة ، لتطهير صلاح الدين لمدينة القدس وقبة الصخرة والمسجد الأقصى من رجس الفرنج ومنكراتهم وتعدياتهم ، وإعادة الشعائر الإسلامية إليهم ، والاحتفاء بإقامة أول خطبة جامعة وأول صلاة جمعة فيها بعد استنقاذهم من الفرنج ؛ يحيث أمر بإظهار المحراب وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدار .؛ ونصب المنبر ، وفرش القبة والمسجد بالسجاجيد الفاخرة ، وأنارهما بالقناديل الباهرة ، وأقيمت الصلوات الإسلامية الحنيفة ؛ ونطق الآذان ، وعاد الإيمان ، ووحد الله سبحانه وتعالى ؛ وصدح المنبر ، وتولى المذكرون والوعاظ والحفاظ والعلماء والفقهاء والمحدثون والمفسرون إلقاء دروسهم . واختار السلطان القاضي على المدين أي المعالى محمد بن زكر الدين على القوشي قاضي دمشق خطيبًا ، ليخطب خطبة أول جمعة تقام في المسجد الأقصى بعد استرداده من الفرنج ؛ فأهدى العماد الأصفهاني هذا الخطيب خطبتين ذكر فيهما فضل بيت المقدس والمسجد الأقصى وتساريخ تأسيسه ، المنبر ؛ فألقي هذا الخطيب خطبتين ذكر فيهما فضل بيت المقدس والمسجد الأقصى وتساريخ تأسيسه ، ورائه جوع المصلين الذين ملؤا ساحة المسجد الأقصى . واختار السلطان الواعظ الفقيه الحبلي زين ورائه جوع المصلين الذين ملؤا ساحة المسجد الأقصى . واختار السلطان الواعظ الفقيه الحبلي زين ورائه جوع المصلين الذين المؤلس لموعظ على السرير الذي أعد للوعظ في مواجهة المنبر ؛ فألقى مواحلة المنعة به كل إسبوع . واختار السلطان الواعظ مؤرة . ورتب السلطان في المسجد الأقصى خطبيا دائماً ، يتولى خطبة الجمعة به كل إسبوع .

فيقول العماد الأصفهاني في كتابه الفتح القيسى في الفتح القدسى، في الفصل الذي عنونه بر (ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات): « ولما تسلم السلطان القدس ، أمر ياظهار المحراب ، وحَتَّم به أمر الإيجاب ؛ وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدار وتركوه للغلة هريًّا (هريًّا : مخازن للغلال) ، وقيل كانوا اتخذوه مُستراحًا عدوانًا وبغيًّا ؛ وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارًّا وسيعة ، وكنيسة رفيعة ؛ فأوعز برفع ذلك الحجاب ، وكشف النقاب عن عروس المحراب ؛ وهدم ما قدّامه من الأبنية ، وتنظيف ما حوله من الأفنيية ؛ بحيث يجتمع الناس في الجمعة ، في العرصة (العرصة : ساحة الدار) المتسعة . ونصب المنبر ، وأظهر المحراب المطهر ، ونقض ما أحدثوه بين السواري (السواري : الاسطوانات التي تشبه الأعمدة) ؛ وفرشوا تلك البسيطة ما أحدثوه بين السواري (السواري : الاسطوانات التي تشبه الأعمدة) ؛ وفرشوا تلك البسيطة

بالبسط الرفيعة ، عوض الحصر والبوارى ؛ وعُلقت القناديل ، وتُلى التنزيل ، وحق الحق وبطلت الأباطيل ، وتولّى الفرقان وعُزِل الإنجيل ؛ وصُقّت السّجادات ، وصَفَت العبادات ، وأقيمت الصلوات ، وأديمت الدعوات ، وتجلت البركات ، وانجلت الكربات ، (...) وتُليت الآيات ، وأعليت الرايات . وتَطَق الآذان وخَرَسَ الناقوس ، وحضر المؤذنون وغاب القسوس (...) ؛ وعاد الإيمان الغريب منه إلى موطنه ، وطلب الفضل من معدنه ؛ وورد القُرّاء وقرئ الأوراد ، واجتمع الزهاد والعبّاد ، والأبدال والأوتاد ، وعُيد الواحد ووحد العابد ، وتوافد الراكع والساجد (...) . وصدح المنبر ، وصدع المذكر ، وانبعث المعشر ، وذكر البعث والمحشر ؛ وأملى الحفاظ ، وأسلى الوعدي المحدثون ، وتحدث وروى المحدثون ، وتحدث الهُداه وهُدى المتحنفون (...) ، وخص المفسرون ، وفسر الملخصون .

وانتدى الفضلاء ، وانتدب الخطباء ، وكثر المترشحون للخطابة ، المتوشحون بالإصابة ، المعروفون بالفصاحة ، وانتدب الخطبة ، وأنشأ معنى شانقًا ، ووشى لفظًا رائقًا ، وسوى كلامًا بالوضع لائقًا ، (...) ؛ وما منهم إلا من يتأهب ويترقب ، ويتوسل ويتقرب ، (...) ، والسلطان لا يعين ولا يبين ، ولا يخص ولا ينسص ؛ ومنهم من يقول : ليتنى خطبت فى الجمعة الأولى ، وفزت باليد الطولى ، وإذا ظفرت بطالع سعدى ، فما أبالى بمن يخطب بعدى .

فلما دخل يوم الجمعة رابع (٤) شعبان ، أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان ؛ وامتلأ الجامع، واحتفلت المجامع، وتوجست الأبصار والمسامع، وفاضت لرقة القلوب المدامع (...) ؛ وطوبي لمن عاش ، حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وإرتاش ؛ وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة ، والعصبة الطاهرة ، والأمة الظاهرة ؛ وما أكرم هذه النصرة الناصرية ، والأسرة الإمامية ، والدعوة العباسية ، والدولة الصلاحية ؛ وهل في بلاد الإسلام أشرف من هذه الجماعة ، التي شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة .

وتكلموا فيمن يخطب ، ولمن يكون المنصب (...) ؛ فنصب السلطان الخطيب بنصه ، وأبان عن اختياره بعد فحصه ؛ وأوغز إلى القاضى (محى الدين أبى المعالى بن زكى الدين على القرشى) بأن يرقى ذلك المرقى، وترك جباه الباقين بتقديمه غرقى؛ فأغرته من عندى أهبه سوداء من تشريف الخلافة، حتى تكمل له شرف الإفاضة والإضافة ؛ فرقى العود ، ولقى السعود ؛ واهتزت أعطاف المنبر ، واعتزت أطراف المعشر . وخطب وانصتوا ، ونطق وسكتوا ؛ وأفصح وأعرب ، وأبدع واغرب ، وأعجز وأعجب ، وأوجز وأسهب ؛ ووعظ في خُطبتيه ، وخَطبَ بموعظتيه ؛ وأبان عن فضل البيت

المقدس وتقديسه ، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه ، وتطهيره بعد تنجيسه ، وإخراس ناقوسه وإخراج قسيسه ؛ ودعا للخليفة والسلطان . وختم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدَلِ وَالْإِحْسَانَ ﴾ (١) (الآية ، ٩ من سورة النحل) ؛ ونزل وصلى في المحراب ، وافتتح ببسم الله من أمّ الكتاب ؛ فائتم بتلك الأمة ، وتم نزول الرحمة ، وكمل وصول النعمة ؛ ولما قضيت الصلاة انتشر الناس ، واشتهر الإيناس .

وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ، ليفرعه كبير ؛ فجلس عليه (زيـن الديـن أبـو الحسـن على بن نجا) ؛ فذكر من خاف ومن رجا ، ومن سعد ومن شقى ومن هلك ومن نجا ، وخـوف بالحجـة ذو الحجا ، وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا (...) .

وصلى السلطان في قبة الصخرة ، والصفوف على سعة الصحن بها متصلة ، والأمّة إلى الله بدوام نصره مبتهلة ، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مقبلة ، والأيدى إلى الله مرفوعة ، والدعوات له مسموعة . ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبًا استمرت خطبته ، واستقرت نصبته »(٢) .

واتبع العماد الأصفهاني هذا الفصل ، بفصل آخر عنونه بـ (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ؛ ذكر فيه أن الفرنج إبّان احتلالهم للقدس ، قـ لا تعمدوا إخفاء الصخرة المقدسة ، لارتباطها بمعجزة الإسراء والمعراج النبوية المحمدية ، حتى لا تصل إليها عيون وأيادى المسلمين المتبركين بها ؛ فبنوا فرق الصخرة كنيسة ومذبحًا ، حتى تحجب الصخرة والأبنية الإسلامية المبنية فوقها عن الرؤية ؛ وأفر دوا لموضع القدم الشريف المحفور في الصخرة ، قبة صغيرة مُذهبة ، قائمة على أعمدة من الرخام ؛ وادعوا أن هذه القدم الشريفة ، هي قدم السيد المسيح عليه السلام ، وليست قدم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يعتقد المسلمون ا ؛ وزينوا هذه الكنيسة ومذبحها بالصور والتماثيل الدينية النصرانية (الأيقونات) ، ونقشوا على جدرائها صور الأنعام والحيوانات ، عاين منها العماد اللاصفهاني بنفسه صوراً للخنازير ؟ ا ، بحيث حجبت تلك الكنيسة ومذجها ، الصخرة المقدسة ، والأبنية الإسلامية القديمة المبنية فوقها . فأمر السلطان صلاح الدين بهدم هذه الكنيسة ومذبحها والأبنية الإسلامية القديمة المبنية فوقها . فأمر السلطان صلاح الدين بهدم هذه الكنيسة ومذبحها والأبنية الإسلامية القديمة المبنية فوقها . فأمر السلطان صلاح الدين بهدم هذه الكنيسة ومذبحها والأبنية الإسلامية القديمة المبنية فوقها . فأمر السلطان صلاح الدين بهدم هذه الكنيسة ومذبحها وجدرانها ، وإظهار الصخرة المقدسة للناظرين كما كانت في الزمن القديم ؛ وتعليق القناديل فوقها

⁽۱) أورد مجير اللدين الحنبلى نص هذه الخطبة ، أنظر الأنس الجليل 1: ٣٣٢ – ٣٣٩ (ذكر أول خطبة بعد الفتح . وهى فى غاية الأهمية ، فلتراجع وتدرس لما فيها من عظة وعبرة وتصوير حَى للفتح الصلاحى للقدس. (٢) العماد الأصفهانى : الفتح القيسى ص ١٣٧ – ١٤٠ (ذكر ما أظهره السلطان فى القدس من الحسنات وعماه من السيئات) . وعن تطهير السلطان صلاح الدين للصخرة ، يقول سبط ابن الجوزى : " ودخل السلطان الصخرة وغسلها بالماورد ، وقيل غسلها بلحيته وهو يبكى ؛ وعى الصور منها ، وكسر الصلبان ، وأحرق در الداوية ، وعمر المسجد الأقصى " أنظر مرآة الزمان ٨: ٣٩٧ س ١٨ – ٢٠ .

لإنارة مكانها، وإحاطتها بحجرة مكونة من شبابيك حديد لصيانتها. ثم رتب السلطان في قبة الصخرة إمامًا من أحسن القراء تلاوة، يتقن القراءة بالقراءات السبع والعشر _ أى القراءات السبع المتواترة، والقراءات الأربع المشاذة؛ وحمل السلطان إلى القبة وإلى محراب المسجد الأقصى المصاحف والختمات والربعات القرآنية الضخمة والجميلة، وكراسي المصاحف اللازمة لفتحها وقراءتها، لتظل بين أيدى القراء والمرتادين للمسجد الأقصى يقرؤنها ويتعبدون بقراءتها؛ ورتب السلطان للقبة خاصة وللبيت المقدس عامة، قومه ونظار من ذوى التدين والعبادة والفضل؛ وبذلك صان السلطان الصخرة المقدسة من عبث الفرنج، الذين كانوا إبان احتلالهم للقدس يقطعون منها قطعًا، فيحملوها إلى القسطنطينية وصقلية ويتاجروا فيها بفرض التكسب، ليبيعوا للعوام؛ وأمر السلطان بترميم عراب المسجد الأقصى وتجميله وصيانته؛ وتبارى ملوك بني أيوب، من إخوة السلطان صلاح الدين وأبناء عمومته وأو لاده في عمارة وصيانة مدينة القدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة، فكنسوا المسجد الأقصى وساحاته بأيديهم، ومسحوه بماء الورد، وعطروه بالعطور وبخروه بالبخور، مقتدين في ذلك بفعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام حين تم الفتح العمرى للقدس، وفرشوا القبة والمسجد بالمسجد بالسجاجيد الفاخرة، وشحنوهما بالذخائر والتحف والأسلحة، بقصد ترينهما وهايتهما في آن واحد، وعمروا سور المدينة، وحفروا الخدق حوله، لتحصينها.

فيقول العماد الأصفهاني في الفصل الذي عنونه به (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله): وأما الصخرة فقد كان الفرنج قد بنوا عليها كنيسة ومذبحًا ، ولم يتركوا فيها للأيدى المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسًا ولا مطمحًا ؛ وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان وعط الإنجيل ، وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل ؛ وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، باعمدة الرخام منصبة ؛ وقالوا: «محل قدم المسيح ، وهو مقام التقديس والتسبيح » ؛ وكانت فيها صور الأنعام مثبتة في الرخام ، ورأيت في تلك التصاوير ، أشباه الخنازير ، والصخرة المقصودة المزورة ، عاعليها من الأبنية مستورة ، وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة .

فامر السلطان بكشف نقابها ، ورفع حجابها ، وحسر لثامها ، وقشر رخامها ، وكسر رجامها ، ونقض بنائها ، وفض غطائها ؛ وإبرازها للزائرين ، وإظهارها للناظرين ؛ ونزع لبوسها ، وزفاف عروسها ، (...) ؛ فعادت كما كانت في الزمن القديم ، وشهدت حين شوهدت بحسبها الكريم (...) ؛ وما كان يظهر منها قبل الفتح إلى قطعة من تحتها ، قد أساء الكفار في نحتها ؛ وظهرت الآن احسن ظهور ، وسفرت أيمن سفور ، وأشرقت القناديل من فوقها نورًا على نور ؛ وعُمِلت عليها حظيرة من شبابيك حديد ، والاعتناء بها إلى الآن كل يوم في مزيد .

ورتب السلطان في قبة الصخرة إمامًا من أحسن القراء تلاوة ، وأزينهم طلاوة ، وأنداهم صوتًا، وأسماهم في الديانة صيتًا ؛ وأعرفهم بالقراءات السبع بل العشر . (...) . وهمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحب وختمات ، وربعات معظمات ؛ لا تزال بين أيدى الزائرين على كراسيها مرفوعة ، وعلى أسرتها موضوعة . ورتب لهذه القبة خاصة ، وللبيت المقدس عامة ، قومة لشمل مصالحها ضامة ؛ فما ترتب إلا العارفون العاكفون ، القائمون بالعبادة الواقفون (...) .

وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعًا وحملوا منها إلى القسطنطينية ، ونقلوا منها إلى صقلية ، وقيل باعوها بوزنها ذهبًا ، واتخذوا ذلك مكسبًا . ولما ظهرت ؛ ظهرت مواضعها ، وقطَّعت القلوب لما بانت مقاطعها ؛ فهى الآن مبرزة للعيون بحزها ، باقية على الأيام بعزها ، مصونة للإسلام فى خدرها وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال السلطان ، والشروع فى العمران .

« وأمر بترخيم محراب الأقصى ، وأن يبالغ فيه ويُستَقْصَى ؛ وتنافس ملوك بنى أيوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنة ، وفيما يجمع لهم ودّ القلوب وشكر الألسنة (...) إلخ »(١) .

إنشاء صلاح الدين للمدارس وللخانقاه الصلاحية بالقدس ؛ وعنايته بالمزارات المقدسة القديمة بها ، وعلى رأسها كنيسة القيامة ، ومحراب داواد

وأتبع العماد الأصفهاني الفصل الذي عنونه به (وصف الصخرة المعظمة عمرها الله) ، بفصل آخر عنونه به (ذكر محراب داود عليه السلام ، وغيره من المشاهد الكرام ؛ وتبطيل الكنائس ، وإنشاء المدارس) ؛ ذكر فيه ما قام به السلطان صلاح الدين في مدينة القدس من تدابير ، قصد منها إحياء علوم الدين في هذه المدينة المقدسة ؛ وذلك بعمارة المساجد والمدارس والرباطات والخوانق بها ، بدلاً من الكنائس التي استحدثها الفرنج بالمدينة إبان احتلالهم لها ؛ وعنايته بالمشاهد والمزارات الأثرية القديمة الخاصة بالأنبياء الأقدمين بمدينة القدس ، وخاصة المقدسة منها عند اليهود والنصارى ؛ وعلى رأسها محراب داود المقدس عند اليهود ، وكنيسة قيامه (القيامة) المقدسة عند النصارى ، وكلاهما يقع خارج حرم المسجد الأقصى وساحته وسوره الخارجي . فجدد السلطان محراب داود ، وجعل يقع خارج حرم المسجد الأقصى وساحته وسوره الخارجي . فجدد السلطان محراب داود ، وحدل عند والى القدس يقيم في هذا الحصن (أو القلعة) الموجود بداخله محراب داود ، والكائن . آنذاك . عند باب مدينة القدس ؛ ورتب لهذا المحراب إمامًا ومؤذنين وقوقم ، لإقامة الشعائر الإسلامية فيه وخدمته باب مدينة القدس ؛ ورتب لهذا المحراب إمامًا ومؤذنين وقوقم ، لإقامة الشعائر الإسلامية فيه وخدمته

⁽١) العماد : الفتح القيسى ص ١٤١ - ١٤٤ ؛ وقارن عجير الديسن الحنبلي : الأنس الجليسل ١: ٣٣٩ - ٣٤٠ (١) العماد (حيث يلخص بأسلوبه هو المختصر هذا الفصل العمادي الرائع) .

وصيانته ؛ وذلك ـ أغلب الظن ـ لأن صلح إيلياء العمرى سنة ١٥ هـ ، حرَّم على اليهود سكنى مدينة القدس ، نزولاً على رغبة أهل إيلياء من النصارى .

وأمر السلطان بعمارة جميع المساجد بالمدينة ، واستشار جلساءه من العلماء وذوي السرأي ، في استحداث مدرسة للشافعية ورباط وخانقاه للصوفية بمدينة القدس، ومدارس أخرى بها لبقية المذاهب الفقهية الإسلامية: الحنفية والمالكية والحنبلية ، لإعادة نشر العلم الشرعي بالمدينة ؛ فأنساروا عليه بذلك ، فعين لبناء هذه المدارس موضع عدّة كنائس استحدثها الفرنج بالقدس إبان احتلالهم لها ؛ ولا تزال الخانقاه الصلاحية قائمة باقية بمدينية القندس إلى يومنيا هذا ، وتعند من مزارتها الإسلامية الأثرية . ورفض السلطان إغلاق أبواب كنيسة القيامة ، وحرمان النصاري من زيارتها والحج إليها ؛ وهو ما أشار عليه به بعض المتشددين من أهل مشورته ؛ كما أنه لم يأخذ برأى من أشار بهدمها ؛ وذلك نظرًا لما رآه أكثر أهل مشورته من أنّ النصاري تقدس موضع الصليب والقبر الكائن تحت كنيسة القيامة ، ولا تقدس بناء الكنيسة ذاته ؛ ونظرًا لأنه لما فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس في صدر الإسلام (سنة ١٥هـ) ، أقر النصارى على هذا المكان ، وله يأمرهم بهدم البنيان . وبهذا المسلك المتسامح تجاه المقدسات الدينية والمزارات المقدسة لليهود والنصاري بمدينة القدس ، أصبح السلطان صلاح الدين الأيوبي مضرب الأمشال على مَرّ التاريخ للتسامح الديني ؛ وهو ما لم تحظ به المقدسات والمزارات الإسلامية بمدينة القدس ، إبّان احتلال الفرنج لها. ؟ إذ حولت كلها إلى كنائس ، _ شأنها في ذلك شأن جميع المساجد والجوامع في جميع المدن التي احتلها الفرنج من مدن ساحل الشام. ؛ وهو ما لا تحظى به اليوم المقدسات والمزارات الإسلامية بمدينة القدس ، على يد الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني ، الذي لا يكف عن تخريبها وإحراقها وإتلافها والعبث بها ، ومحاولة تغيير هؤيتها وتهويدها .

فيقول العماد الأصفهانى: « واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى ، فإنه حصن عند باب المدينة منيع ، وموضع عال رفيع ؛ وهو الحصن الذى يقيم به الوالى ، فاعتنى السلطان بأحواله الحوالى ؛ ورتب له إمامًا ، ومؤذنين وقوامًا ؛ وهو مثابة للصالحين ، ومزار الغادين والرائحين ؛ فأحياه وجدده ، ونهج لقاصديه جدده (الجدد : الطرق المختلفة) . وأمر بعماره جميع المساجد ، وصون المشاهد ، وإنجاح المقاصد ، وإصفاء الموارد ، للقاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داواد وسليمان عليهما السلام ، وكان ينتابهما فيها الأنام .

وكان الملك العادل نازلاً في كنيسة صهيون ، وأجناده على بابها مخيمون .

وفاوض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار ، والأتقياء الأحيار ؛ في مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية ؛ فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب أسباط (١٠) ؛ وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة (أى كنيسة القيامة) للرباط ؛ ووقف عليهما وقوقًا ، وأسدى بذلك إلى الطائفتين معروفًا ؛ وارتاد أيضًا مدارس للطوائف ، ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف .

وأمر بإغلاق أبواب كنيسة قمامة (القيامة) ، وحرم على النصارى زيارتها ولا الإلمامه ؛ وتفاوض الناس عنده فيها : فمنهم من أشار بهدم مبانيها ، وتعفيه آثارها ، وتعمية نهج مزارها ، وإزالة تماثيلها ، وإزاحة أباطيلها ، وإطفاء قناديلها ، وإعفاء أناجيلها (...) ؛ وقالوا : إذّا هُدمت مبانيها ، وألحقت بأسافلها أعاليها ، ويُعشّت المقبرة وعُفيّت ، وأخمدت نيرانها وأطفيت ، ومُحيت رسومها ونفيت ، وحُرِثت أرضها ، ودُمِّر طولها وعرضها ، وانقطعت عنها امداد الزوار ، وانحسمت عن قصدها موارد أطماع أهل النار ؛ ومهما استمرت العمارة ، استمرت الزيارة .

« وقال أكثر الناس: لا فائدة في هدمها ولا هدها ، ولا يؤذن بصد الزيارة عن الكفرة وسدها ؛ فإن متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء ، ولا ينقطع عنها قصد أجنساس النصرانية ولو نُسِفَتَّ أرضها في السماء ؛ ولما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه القدس في صدر الإسسلام أقرهم على هذا المكان ، ولم يأمرهم بهدم البنيان »^(۲) .

كتاب العماد الأصفهاني للديوان العزيز ديوان الخلافة العباسية ببغداد ، للبشارة بفتح القدس على يد صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ

وتخب و سبط ابن الجوزى - وهو مؤرخ دمشقى عاصر الجيل الثانى والثالث من ملوك بنى اليوب ، وكان على صلة وثيقة بهم ، وصديق شخصى لجميعهم (٢) ، وهم : المعظم عيسى صاحب

⁽۱) كنيسة صندحنة : هذه الكنيسة يقال أن فيها قبر حنمة أم مريم عليها السلام ، وقد صارت مدرسة اقامها صلاح الدين (تاريخ أبو الفداج ٣: ٨٣ هل . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ه ، ويبدو أن كلمة صند ، هي تحريف للكلمة الفرنسية Saint ، بمعنى قديسة (عن حاشيه ، ٣) لمحمد صبح ، على الفتح القسى ، ص ١٤٥ .

 ⁽٢) العماد الأصفهاني : الفتح القيسي ص ١٤٥ - ١٤٦ ؛ وقارن نجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٤٠ - ٣٤٠ (محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد) .

 ⁽٣) روى سبط ابن الجوزى فى تاريخه مرآة الزمان أخبارًا شفوية عن هؤلاء الملوك والسلاطين من بنى أيوب وهم :
 المعظم، الكامل ، الأشرف ، الناصر داود ، الصالح نجم الدين أيوب ، الملك الجواد ، انظر سبط ابن الجوزى :
 مرآة الزمان ٨: ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ – ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٠٠ ، ٧١٠ ، ٧١٧ ، ٧١٧ ، ٧١٧ ، ٧١٠ ، ٧١٠ .

دمشق، وأخوه الملك الكامل محمد سلطان مصر، وأخوه الملك الأشرف موسى صاحب الجزيرة الفراتية، وابنه الناصر داود صاحب الكرك، والصالح نجم الدين أيوب سلطان الديار المصرية، والملك الجواد _ تخيير لنا سبط ابن الجوزى كتابًا عماديًا في البشارة بفتح القدس سنة ٥٨٣هـ، كتب به عن صلاح الدين الأيوبي، إلى الديوان العزيز ببغداد، لتهنئة الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي تم في عهده هذا الفتح، بما فتحه الله على الإسلام والمسلمين؛ فيقول سبط ابن الجوزى: وكان القاضي الفاضل بدمشق مريضًا، لم يحضر هذا الفتح، فأمر السلطان العماد الكاتب، أن يكتب كتابًا إلى بغداد بالفتح، فكتب في أوله: ﴿ وَعَدَ اللهُ الّذِينَ آمنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَتْهُم فِي الأَرْضِ كَمّا اسْتَخْلُفَ اللّذِينَ مِنْ قَلِهِمْ وَلَيُمَكّنَ لَهُمْ دِينَهُمْ الّذِي ارْتَصَى لَهُمْ وَلَيُدَلّنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (الآية

الحمد لله الذى أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف ، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والحلاف ؛ وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة ، وبذل الأمن به بعد المحافة ؛ وادّخرهذا الفتح الأسنى ، والنصر الأهنى ، خادم المقام النبوى ؛ ومنحه أخلص أوليائه ، وأخص أصفيائه ؛ بعد أن انقرض من الملوك الماضية، والقرون الحالية؛ على حسرة تمنيه ، وفوات ترجّيه ، وتقاصرت عنه الهمم، وتخاذلت عنه ملوك الأمم .

فلله الحمد الذى حقق بفتحه ما كان فى النفس ، وبَدَّلَ وَحْشة الكُفْرِ فيه من الإسلام بالأنس ، وجعل عزّ يومه ماحيّاً ذُلَّ أمس ، وأسكنه العالم والفقيه بعد البطرك والقس ، وعبّاد الصلب والشمس ، واخرج (؟) أهله يوم الجمعة من أهل يوم الأحد ، وقمع من كان يقول بالتثليث أهل قُلْ هو الله أحد .

وقد فتح الخادم بأمر الله من الداروم إلى طرابلس ، وجميع ما حوت مملكة الفرنج إلى نابلس ؛ وغُسِلَت الصخرة بدموع الباكين من المؤمنين ، ونُزع الساسُ عنها بإفاضة ثواب المحسنين ، ورجع الإسلام غريبة منه إلى داره ، وطلع قمر الهدى من سراره ؛ وعادت الأرض المقدسة إلى ما كانت عليه من التقديس ، وأمنت المخاوف بها وفيها فصارت (١) صباح السَّرى ومناخ التعريس ، وأقصى من المسجد الأقصى الأقصون من الله الأبعدون ، وتواقد إليه المصطفون المقرَّبون ؛ وخرس الناقوس

⁽١) في مرآة الزمان فسارت ، وبهامش المحقق لعلها فحمدت ، وما اسبتناه من نـص الكتـاب كـمـا أورده العمـاد نفسه في الفتح القسي ص ١٤٧ .

برحيل المسيحيين ، وحرج المفسدون بدخول المصلحين ، وقال المحراب (١) لأهله مرحبًا وأهلاً، وشمل جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإسلام فيه شمله، ورفعت الأعلام العباسية (٢) على منبره، فاخذت من بره أو في نصيب ، وتلت بألسنة عذبها نصر من الله وفتح قريب؛ وغسلت الصخرة بدموع المتقين من دنس الكافرين ، وأبعد أهل الإلحاد من قربها بقرب الموحدين ؛ وغسلت الصخرة بدموع المتقين من دنس الكافرين ، وأبعد أهل الإلحاد من قربها بقرب الموحدين ؛ وذكر بها ما نسى من عهد المعراج النبوى ، والإعجاز المحمدى ؛ وعاد الإسلام بإسلام البيت المقدس إلى تقديسه ، ورجع بيت الله من التقوى إلى تأسيسه) » (٣) . وذكر العماد فصولاً في هذا المعنى (١) .

(١) التكملة من الفتح القسى ص ١٤٧

(٤) انظر بقية هذا الكتاب بتمامه ، عند العماد : الفتح القسى ص ١٤٧ - ١٤٩ ، وقد تفرد سبط ابن الجوزى يابراد نص ديباجته ، وهي عظيمة الأهمية ؛ ومما جاء في خاتمة هذا الكتاب العمادى : فَذُكِرَ بها ما كاد يُنسى من عهد المعراج النبوى ، وقامت بدلالتها براهين الإعجاز المحمدى ؛ وصَافَحَتَ الأيدى منها موضع القدم (يقصد القدم النبوى على الصخرة المقدسة) ، وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان لها في القِدَمَ ، فهو ان الله على المحدين ، بل بالث الحرمين ؛ فَلْيهَنّ البيت الحرام خلاص أخيه البيت المقدس من الأسر ، وإسفار صبح الإسلام بعد طول اعتكار ليل الكفر ؛ وتطهير مواقف الأنبياء صلوات الله عليهم من أذناس الأرجاس، وتَصَوَّع أرْج الرجاء في أرجانه بعد الياس .

فالحمد لله الذى أبدل الإيجاش بالإيناس ، ونزع عنه بإفاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس ؛ وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - على الأعصر مُفَصَّلًا ، وكَمُل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه فأصبح فخر الدين والدنيا به مُكَمَّلًا (...) ؛ فالرتاج مُستفتح والرجاء مستجح (...) ؛ وأرض الكفر ينقصها الإسلام كل يوم من أطرافها ، بل يستولى على أوساطها وأكنافها (...) ؛ ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ، ودلالة المُكْرُمة ، لَكَبًا قَلَمُ البليغ في مِضمار البيان ، ولم يبلغ مدى ﴿ قُلْ لَـوْ كَانَ الْبَحْرُ مِنَا الْمَعْر عَبْل الله المُعْلِم مَدَدًا ﴾ (...) .

وأنظر نص الرسالة الفاضلية التي أرسلها السلطان صلاح الدين الأيوبي للخليفة العباسي الناصر لدين الله للبشارة بفتح القدس ، على يد القاضى ضياء الدين الشهرزورى رسول دولة الخلافة العباسية إلى السلطان صلاح الدين ، وكانت بخط القاضى الفاضل ومن إنشائه ، عند مجير الدين الحنيلي القدسى : الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ١: ٣٤٨ – ٣٤٨ ، وأنظر نص أول خطبة جامعة ألقيت ببيت المقدس بعد استرداد صلاح الدين لها سنة ٥٨٣ه م ألقاها قاضى دمشق زكى الديس القرشى ، عند مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٣٨ – ٣٣٩ . وأنظر نسخة كتاب كتب بعد القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر لدين الله الخليفة يومنذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، واقتلاح ذلك من أيدى الفرنج ، وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام ، عند القلقشندى : صبح الأعشى ٣: ٤٩٦ – ٤٠٥ ، وانظر كتابًا =

⁽٢) في مرآة الزمان الإسلامية وما أثبتناه من الفتح القسي ص ١٤٧.

⁽٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٣٩٨ - ٠٠٠ .

إحضار صلاح الدين لمنبر نور الدين الذي أعده برسم المسجد الأقصى ، ووضعه بالمسجد الأقصى بعد استرداده من الفرنج سنة. ٥٨٣هـ

قال مجير الدين الحنبلى: «وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس، وعمل منبرًا بحلب، وتعب عليه مُده، وقال: هذا لأجل القدس؛ فأدركته المنية، وكان الفتح على يد من أراد الله (أى السلطان صلاح الدين الأيوبى)؛ فأرسل السلطان صلاح الدين من أحضر المنبر من حلب، وجعله في المسجد الأقصى؛ وهو الموجود في عصرنا هذا »(١). وقلت: وقد ظل هذا المنبر موجودًا بالمسجد الأقصى، حتى تم إحراقه على يد متطرف يهودى إسرائيلى إدّعى الجنون، وذلك سنة ٩٦٩٩، م بعد احتلال إسرائيل للقدس إثر هزية سنة ١٩٦٧. وقد وصف مجير الدين

= آخر كتبه القاضى الفاضل عن الملك الناصر صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد ، نفس المصدر ٦ : ٤ . ٥ - ٦ . ٥ ؛ وأنظر كتاب كتبه العماد الأصفهاني عن السلطان صلاح الدين ؛ إلى الخليفة النـاصر لديـن الله ببغداد يفتح القدس ، نفس المصدر ٣: ٥١٠ - ٥٢٠ ، وأنظر نسخة كتاب كتب بسه إلى ديوان الخلافة العزيز أيام الخليفة الناصر لدين الله عن السلطان صلاح الدين بفتيح القدس الشريف ، من أنشاء القياضي الفاضل ، نفس المصدر ٨: ٢٨١ - ٢٨٩ . وانظر هذه الرسالة الفاضلية في فتح القدس ، عند ابن خلكان : وفيان الأعيان ، طبع بيروت ، ٧ : ١٧٩ - ١٨٩ ، وقال ابن خلكان في آخرها : هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على محاسنها ، فلما شرعت فيها قلت في نفسسي : عسى أن يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها ، فأكملتها (...) ، وهي قليلة الوجود في أيدى الناس ، وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت في تحريرها ، حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان (ابن خلكان : وفيات العيان ٧: ١٨٦ – ١٨٧) ، وأنظر نص كتاب فماضلي عين المسلطان صلاح الديين الأيوبي ، إلى الخليفة الناصر لدين الله في كتاب إنشاءات القاضي الفاضل ، لجامع مجهول ، تحقيق فتحية النبراوي ، الطبعة الأولى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ٧٥ – ٨٤ ؛ وأنظر أيضًا نـص كتــاب فاضلي آخر عن السلطان صلاح الدين إلى الخليفة العباسي ببغداد ، عند محتى الدين بن عبد الظاهر : الـدُرّ النظيم من ترسل عبد الرحيم : تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ، ص ١٥ - ٣٤ ؛ وراجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ٣٥ ٥ه -٨٤ ٦هـ ، دراسة مقارنة بمصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر المماليكي ؛ مع ترجمة ونشر ١٤ وثيقة أيوبيـة من الأرشيفات الإيطالية ، تنشر لأول مرة ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص ١٢ – ٢٣ ، ص ۳۲ – ۳۳ .

(١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٣٩ .

الحنبلى هذا المنبر بقوله فى الفصل الذى عنونه به (وصف المسجد الأقصى على ما هو عليه الآن): «والمنبر الموضوع بصدر الجامع من الخشب، وهو مرصع بالعاج والأبنوس، وهو الذى عمله السلطان الملك العادل نور الدين (زنكى) الشهيد رحمه الله بحلب، وكان عمله فى شهور سنة علام، وقال: هذا برسم القدس؛ فلما فتح الله البلاد على يد الملك صلاح الدين، أحضره من حلب؛ وهو موجود إلى عصرنا، وعليه مكتوب تاريخ عمله؛ وهذا لحسن نية نور الدين الشهيد، فإنه بَلّغه الله مراده بعد وفاته، عفا الله عنه؛ ومقابله ديكة المؤذنين (المبلغين) على عُمد من الرخام في غاية الحسن »(١).

ترخيم السلطان صلاح الدين لمعراب المسجد الأقصى سنة ١٥هـ ، ونقش تجديد وعمارة صلاح الدين لهذا المحراب وللمسجد الأقصى في هذه السنة

يقول مجير الدين القدسى الحنبلى ، مؤلف كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل فى سنة موجه ، وناظر الحرم القدسى فى أيام السلطان المماليكى الأشرف قايتباى : «ثم شرع السلطان فى العمارة ، وأمر بترخيم محراب الأقصى ؛ وكتب عليها بالفصوص المذهبة ، ما قراءته : بسم الله الرحن الرحيم . أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ؛ عندما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخسمانة ؛ وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة »(٢).

جُمَل فتوح السلطان صلاح الدين الأيوبي من مُدن وحصون ديار الفرنج

أفرد القاضى بهاء الدين بن شداد قاضى عسكر السلطان صلاح الدين الأيوبى ومؤرخ سيرته ، في سيرته المسماه النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، فصلاً بعنوان : (ذكر المدن والحصون التي يسر الله فتحها على يديه ـ رحمة الله عليه ـ من ديار الفرنسج ـ خذلهم الله تعالى ـ من سنة ١٨٥هـ إلى سنة ١٨٥هـ) ؛ ـ يعنى بعد معركة حطين في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٨٥هـ ، وبعد فتح بيت المقدس في ٢٧ رجب سنة ١٨٥هـ ؛ رتب فيه بهاء الدين ابن شداد فتوحات السلطان صلاح الدين

⁽١) نفس المصدر ٢: ١٣ . وقلت : وقد أخبرت أخيرًا أن هذا المنبر ، يعاد تصميمه وبنائه الآن على رسمه القديم المصور في كتب الآثار الإسلامية ، على يد صانع مصرى .

⁽٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٣٤٠ .

الأيوبى ـ التي شملت أرض فلسطين والأردن وساحل لبنان وأطراف آسيا الصغرى وبالاد الروم ـ ؟ على النحو التالي (١) :

طبرية ($^{(1)}$ على بحر الأردن ـ بالسيف . عكا($^{(1)}$ على البحر الكبير ـ بالأمان . حيفا $^{(1)}$ على البحر ـ بالأمان . الناصرة $^{(0)}$ ـ التى تنسب إليها النصارى ـ . الرملة $^{(1)}$. قيسارية $^{(1)}$ ـ بالأمان . فرة $^{(1)}$ ـ بالأمان . غرة $^{(1)}$ ـ بالأمان . غرة $^{(1)}$ ـ بالأمان . الماروه $^{(1)}$.

صيدا(١٣) على البحر . بيروت (١٤) . بالإمسان . جبيل (١١) . هسونين (١٦) - جبلسية

(۱) أنظر ابن شداد: النوادر السلطانية ص ٢٣٨. وقد أغنانا ابن شداد عن تحديد مواضع هذه المدن والحصون ، فأوردها على ترتيب مواقعها الجغرافية مبتدءًا بأرض فلسطين والأردن ثم يلاد الساحل (ساحل الشام ولبنان) ثم ساحل آسيا الصغرى . كما عرّف بالمجهول منها في سياق كلامه . وجميع هذه الأماكن والبلدان والحصون ذكرها ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان على ترتيب حروف المعجم ، وعُنّى بتحديد سنة أخذ الفرنج لها ، وسنة استرداد واستنقاذ صلاح الدين لها من يد الفرنج ، والمدة التي بقيت فيها بأيد الفرنج إلى أن استقدها منهم السلطان صلاح الدين . وقد عَدَّد هذه الفتوحات أيضًا العماد الأصفهاني : الفتح القيسي ص ٩٩١ - ، ، ٢ . وقد فصل ابن شداد والعماد الأصفهاني الحديث عن هذه الفتوحات الصلاحية ، على ترتيب السنين . واستأنسنا في تحقيق هذه البلاد والحصون على حواشي جمال الدين الشيال في النوادر السلطانية ومحمود محمد صبح في الفتح القيسي ومحمود حلمي في إتعاظ الحنفا وصلاح الدين المنجد على كتاب فتوح البلدان للبلاذري .

- (٢) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة بها ، وهي بفلسطين . (ياقوت) .
- (٣) عكا : مدينة مشهورة على ساحل البحر الأبيض ، في فلسطين . (ياقوت) .
 - (٤) حيفا : مدينة مشهورة بفلسطين .
 - (٥) الناصرة : قرية من قرى فلسطين مشهورة .
 - (٦) الرملة : كورة ومدينة عظيمة بفلسطين . (ياقوت) .
 - (٧) قيسارية : بلدة على ساحل البحر المتوسط من أعمال فلسطين (ياقوت) .
 - (٨) أرسوف : من مدن الساحل ، بين قيسارية ويافا (ياقوت) .
- (٩) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام (المتوسط) من أعمال فلسطين (ياقوت) .
- (١٠) عسقلان : بلدة من أعمال فلسطين على جانب البحر بينها وبين غزة نحو ثلاثة فراسخ (ياقوت) .
- (١١) غزة : مدينة مشهورة ، كانت من فلسطين (ياقوت) وتعرف اليوم بقطاع غزة ، وهي تابعة اليوم للسلطة الفلسطينية .
 - (١٢) الداروم أو الدارون ، قلعة بعد غزة لقاصد مصر ، بينها وبين البحر فرسخ (ياقوت) .
 - (١٣) صيداء : مدينة في لبنان ، جنوب بيروت ، على البحر المتوسط (ياقوت) .
 - (٤ ٤) بيروت : (عاصمة جمهورية لبنان اليوم) مشهورة (ياقوت) .
 - (١٥) جبيل : بلدة شرقى بيروت وعلى مسافة ثمانية فراسخ منها (ياقوت) .
- (١٦) هونين : بدة في جبال عاملة ، تطل على نواحى مصر القريبة منها (ياقوت) . قلت : وجبال عاملية بالغور كما أفاد المقدسي والأصطحري وغيرهما .

تبنين (١) . أنطرسوس (٢) (دون أخذ برجها) بالسيف . جبلة (٣) (مدينتها بالسيف ، وقلعتها بالأمان) . اللاذقية (١) (مدينتها بالسيف ، وقلعها بالأمان) . السَّرفند .

مدينة القدس (0) الشريف ، خلصه الله تعالى - (ذكر ابن شداد أنه فرغ من تأليف كتابه النوادر السلطانية في 17 رجب سنة 17 هـ ، وكان السلطان الملك الكامل قد تورط في تسليم القدس للفرنج كما سيأتي ذكره) - . نابلس ($^{(7)}$. ألبيرة ($^{(4)}$ بأرض القدس . صفورية ($^{(1)}$. الطور ($^{(1)}$. حصن دبورية ($^{(1)}$. الفولة ($^{(1)}$. حصن عقر بلا ($^{(1)}$.

حصن جينين $^{(17)}$. سفسطية $^{(16)}$. کو کب $^{(10)}$. حصن عفری $^{(17)}$ (شمالی القدس). بیت طم $^{(17)}$. حصن العازرية (بأرض القدس) . البرج الأحمر (قريب منه) . حصن الخليل $^{(10)}$ (عليه السلام) . بيت جبريل $^{(19)}$. تل الصافية $^{(17)}$. حصن مجدل يابا $^{(17)}$. قلعة الجيب الفوقاني . الجيب

⁽١) تبنين : أوتبنينا ، بلدة في جبال بني غامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور (ياقوت) .

⁽٢) أنطرسوس: بلد من سواحل الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمض ؛ كانت حصنًا عند فتح عبادة بن الصامت لها، ثم بني معاوية المدينة وحصنها. (ياقوت).

⁽٣) جُبُلة : قلعة بساحل الشام قرب اللاذقية ، كانت أيام ياقوت من أعمال حلب (ياقوت) .

⁽٤) اللاذقية : مدينة مشهورة على ساحل البحر المتوسط (ياقوت) وهي في الجمهورية السورية اليوم .

 ⁽٥) القدس : هي مدينة بيت المقدس ، وكانت تعرف قديمًا باسم أيلياء - مشهورة .

⁽٦) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين (ياقوت) .

⁽٧) ألبيرة: بلدة بين القدس ونابلس (ياقوت) .

⁽٨) صفورية : بلد بفلسطين ، قرب طبوية (ياقوت) .

⁽٩) الطور : جبل مُطِلّ على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ .

⁽١٠) دبورية : بلد قرب طبرية من أعمال الأردن (ياقوت : معجم البلدان) .

⁽١١) الفولة: بلدة بفلسطين (ياقوت: معجم البلدان).

⁽١٢) عفربلا : بلدة قرب بيسان وطبرية بالأردن (ياقوت) . وأفاد العماد في الفتح القسى ص ١٧٧ أنها حصن قريب من كوكب .

⁽١٣) جينين أوجانين : بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من الأردن .

⁽٤ 1) سفسطية : ذكرها العماد الأصفهاني سمسطيه ، وذكرها ياقوت " سبسطية " - وهكفا ذكرها السلاذري في فوح البلدان - وهي مدينة من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس (ياقوت) .

⁽١٥) كوكب : اسم لقلعة حصينة على الجبل المطل على طبرية ، مشرفة على الأردن (ياقوت) .

⁽١٦) عفرا : أوعفربلا : وهي بلدة قرب بيسان وطبرية بالأردن (ياقوت) .

 ⁽۱۷) بیت لحم : بلید عامر قرب القدس ، مکان مهد عیسی علیه السلام (یاقوت) .
 (۱۸) الخلیل : اسم لموضع وبلدة فیها حصن وعمارة وسوق یقرب بیت المقدس (یاقوت) .

⁽١٩) ببت جبريل : أو ببت جبرين ، بُليد بين غزة وبيت المقدس ، وبينه وبين القدس مرحلتان ، كانت فيه قلعة حصينة ضربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الإفرنج (ياقوت) .

⁽ ٧٠) تل الصافية : حسن من أعمال فلسطين ، قرب بيت جبرين ، من نواحي الرملة (ياقوت) .

⁽٢١) مجدليابة : أو مجدل يابا ، قرية قرب الرملة بفلسطين ؛ بها حصن محكم .

التحتانى , النطرون (١٠) . الحصن الأحمر . لد (١٠) بارض الرملة . قلنوسة (قريبًا منها) . يبنى القاقون والقيمون (١٠) . قلعة الكرك (١٠) (بعد حصار سنتين) . قلعة الشوبك (١٠) (بعد حصار سنتين) . قلعة السلّع (١٠) . الوعيرة . قلعة الجمع . قلعة الطفيلة . قلعة الهرمز (١٠) : (جميع ذلك في وادى موسى والسراه) . قلعة صفد (١٠) . حصن يازور (١٠) .

شقيف أرنون (۱۱) . حصن إسكندرونه (۱۲) (بين صور وعكا) . قلعة أبى الحسن (۱۳) (بارض صيدا) . ميدا) . ميدا أيضًا حصن . بلدة (۱۱) (بالساحل الأعلى) . المرقيعة (۱۱) (على البحر) . حصن يحمور (۱۱) (بأرض عكا) . بلنياس (بين جبلة والمرقب (۱۷)) . صهيون (۱۸) . بلاطنس .

⁽١) النظرون : اسم مُحَرُّف للماطرون وهو موضع قرب دمشق (ياقوت) .

⁽٢) لَدَّ : قرية من نواحي فلسطين قرب القدس (ياقوت) .

⁽٣) يُبنى أويُبنا : بليد قرب الرملة (ياقوت) .

⁽٤) القيمون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (ياقوت) .

 ⁽٥) الكرك : قلعة حصينة على الطريق البرى بين مصر والشام والحجاز ، . وهى اليوم مدينة بالمملكة الأردنية
 الهاشمية .

⁽٦) الشوبك : حصن منيع ، كان بالقرب من حصن الكرك ، ويعد كل منهما ، بوابة مدينة القدس. وهو اليوم بالمملكة الأردنية الهاشمية .

⁽٧) السلع : حصن بوادى موسى عليه السلام بقرب البيت المقدس . (ياقوت) .

⁽٨) هرمز : هي قلعة بوادي موسى عليه السلام بين القدس والكرك (ياقوت) .

⁽٩) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان (ياقوت) .

⁽١٠) يازور : أو بازور ، بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام (ياقوت) .

⁽١١) شقيف أرنون : قلعة حصينة جدًا ، في كهـف من الجبـل ، قـرب بانيـاس ، من أرض دمشـق ، بينهـا وبـين الساحل . (ياقوت) . قلت : وهي اليوم بجنون لبنان ، وانسحبت منها إسرائيل مؤخرًا .

⁽١٢) اسكندرونه: مدينة في شرق أنطاكية على ساحل البحر المتوسط بينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ (١٢) وياقرت). قُلت: وتعرف اليوم بلواء الإسكندرونة، وكانت تابعة للجمهورية السورية، ثم ضمتها تركيا الله الآن.

⁽١٣) قلعة أبي الحسن : قلعة ساحلية قرب صيداء . (ياقوت) .

⁽١٤) بلدة : من مدن بحر الشام ، قريبة من جبلة . (ياقوت) .

⁽١٥) مرقية : قلعة بساحل الشام قرب حمص (ياقوت) .

⁽١٦) حصن يحمور : حسن في بلدة يحمور الواقعة شمال بلد العريمة ، والعريمة بلد تناخم الدهناء (ياقوت) .

⁽١٧) حصن المرقب : قلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام (البحر المتوسط) ، وعلى مدينة بانياس ، وعلى ساحل جبله . (ياقوت) . وبلنياس : كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر . (ياقوت) .

⁽١٨) حصن صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام (البحر المتوسط) ، من أعمال حمص ، ليس يمشرف على البحر . (ياقوت) .

حصن الجماهيرية . قلعة العيذد (١) . بكّاس (٢) . الشّغر (٣) . بكسرائيل (١) . السُرْمانية (٥) . قلعة بُرزَية (١) . $\bar{c}_{(1)}$. وريساك (١) . بُغراس (١) . (قريبا من أنطاكية) . الدانور (بأرض بيروت) . السوفند (قريبًا من صيدا) .

تورط السلطان الكامل محمد فى تسليم القدس للفرنج سنة ٢٦٦هـ ، نظرًا للصراع الأسرى الذى دار بينه ـ آنذاك ـ وبين أخويه : المعظم عيسى ملك دمشق ، والأشرف موسى ملك الجزيرة الفراتية ، حول السلطنة وزعامة البيت الأيوبى

وبقى القدس فى يد المسلمين ٢٤ عامًا ، إلى أن وقع الخلاف والتفرق والتحرّب بين ملوك بنى أيوب على حد قول مجير اللين الحنبلى وأضطر السلطان الملك الكامل محمد إلى تسليم القدس لامبراطور فردريك ملك الألمان وصقلية ، وذلك فى سنة ٥ ٢ ٦ه ، إذ وقع التنافر سنة ٤ ٢ ٦ه بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمور بينهما ، فكاتب الملك الكامل الإمبراطور ملك الإفرنج فى ان يقدم إلى عكا ليشغل سرّ أخيه الملك المعظم عما هو فيه ، ووعد الإمبراطور بأن يعطيه القدس وكان الإمبراطور قد أظهر ميلاً للإسلام وعداءً للبابوية - ؛ وسار الإمبراطور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك ، ثم توفى الملك المعظم عيسى فى هذه السنة ، وترتب فى الإمبراطور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك ، ثم توفى الملك المعظم عيسى فى هذه السنة ، وترتب فى علكته بعده ولده الناصر صلاح الدين داود ؛ فأرسل الملك الكامل صاحب مصر فى سنة ٥ ٢ ٢ه يطلب من ابن أخيه الناصر داود حصن الشوبك ، فلم يعطه إياه ، ولا أجاب إليه ، فسار الملك الكامل من مصر إلى الشام ، ونزل على تل العجول بظاهر غزّه ، وولى إبن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه ، ووقع بينهما أمور ومراسلات . وقدم الإمبراطور إلى عكا بجموعه وقد وقد مات الملك المعظم ، فاستول على صيدا - وكانت مناصفة بين المسلمين والإفرنج وسورها خراب - ،

⁽١) قلعة العيذو أو العيذ أو عيذون ، بنواحي حلب (ياقوت) .

⁽٢) و (٣) : حصنا بكاس والشُغر : قلعتان متقابلتان على نهر العاصى ، من نواحى حلب ، بينهما واد ضيـق (٢) و ياقوت) .

⁽٤) حسن بكسرائيل : حصن من سواحل حمص ، مقابل جبله ، في الجبل . (ياقوت) .

⁽٥) سرمانية أو سرمينية : بليدة مشهورة من أعمال حلب ، أهلها إسماعيلية . (ياقوت) .

 ⁽٦) قلعة برزية : حصن بالسواحل الشامية ، والعامة تقول برزوية – على سن جبــل شــاهق ، وعــلـو قلعتهــا ٥٧٠ ذراعًا ؛ كانت بيد الفرنج حتى فتحها صلاح الدين سنة ١٨٥هـ . (ياقوت) .

 ⁽٧) دربساك : قلعة مرتفعة حصينة ، لها أعين وبساتين ، ولها من شرقها مروج كثيرة العشب ، وهمو في شمال بغراس بميلة إلى الشرق ، وبينهما عشرة أميال .

 ⁽٨) بغراس : مدينة في لحف جبل اللكام (قلت : هـو جبـل لبنـان حاليّـا - أحمـد) ، بينهـا وبـين أنطاكيـة أربعـة فراسخ ، على يمين القاصد إلى أنطاكية ، في حلب ، في المنطقة المطلة على نواحي طرسوس (ياقوت) .

فعمر الإفرنج سورها واستولوا عليها. فلما دخلت سنة ٢٦ه، واستهلت وملوك بنى أيوب متفرقون مختلفون ، قد صاروا أحزابًا ، بعد أن كانوا إخوابًا وأصحابًا ، فقوى الإفرنج بذلك ، وبموت المعظم عيسى ، ومن وفد إليهم من البحر . ولم يجد الكامل بُداً من المهادنة ، فأجاب الإمبراطور إلى تسليم القدس إليه ، على أن تستمر اسواره خرابًا ولا يعمره الفرنج ، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى ، ويكون المرجوع في الرستاق إلى والى المسلمين ، ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ؛ ووقع الأمر على ذلك وتحالفا عليه ، وتسلم الإمبراطور القدس في ربيع الآخر سنة ٢٦٩ه ، على القاعدة المذكورة (١٠) .

ويقول القريزى عن تسليم السلطان الملك الكامل القدس للفرنج: «خرج الملك الكامل من القاهرة في العساكر يريد دمشق، فأخذ نابلس والقدس؛ فخرج الناصر داود من دمشق ومعه عمه الأشرف، وسارا إلى الكامل يطلبان منه الصلح ... ؛ فاتفق قدوم الملك الإمبراطور إلى عكا باستدعاء الملك الكامل له ، فتحير الكامل في أمره لعجزه عن محاربته ، وأخذ يلاطفه ؛ وشرع الفرنج في عمارة صيدا ـ وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج ، وسورها خراب ـ ، فلما بلغ الناصر موافقة الأشرف للكامل ، عاد من نابلس إلى دمشق واستعد للحرب ، وأقام الكامل بتل العجوز وقد تورط مع الفرنج ؛ فلم يجد بدًّا من إعطاءهم القدس ، على أن لا يجدد سوره ، وأن تبقى الصخرة والأقصى مع المسلمين ، ويكون حُكم قرى القدس إلى المسلمين ، وأن القرى التي فيما بين عكا ويافا وبين لد والقدس للفرنج ؛ وانعقدت الهدنة على ذلك لمدة عشر (١٠) سنين و شسة أشهر وأربعين يومًا ، أولها ثامن ربيع الأول سنة ٢٦ ٣هه .

ونودى فى القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج ، فكان أمرًا مهولاً من شدة البكاء والصراخ ؛ وخرجوا باجعهم ، فصاروا إلى مخيم الكامل ، وأدّنوا على بابه فى غير وقت الآذان ، فشق عليه ذلك ، وأخذ منهم الستور وقناديل الفضة والآلات وتجرهم ، وقيل لهم أمضوا حيث شئتم ، فعظم على المسلمين هذا ، وكثر الإنكار على الملك الكامل ، وشنعت المقالة فيه . وعاد الإمبراطور إلى بلاده بعدما دخل القدس ، وكان مسيره فى آخر جمادى الآخرة سنة ٢٦٦ه ؛ وسير الكامل إلى الآفاق بتسكين قلوب المسلمين وإنز عاجهم لأخذ الفرنج القدس . ورحل الكامل من تل العجوز يريد دمشق و الأشرف على عاصرتها . ، فجد فى القتال واشتد الأمر على الناصر إلى أن ترامى فى الليل على الملك الكامل ، فأكرمه وأعاه إلى قلعة دمشق وبعث من تسلمها منه ، وعوضه عن دمشق الكرك

⁽١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥٠٥ – ٧٠٤، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٣٤٦ – ٣٤٨، ٣٠٣ – ٢٠٤٤ ؛ المقريزي : الخطط ٣: ٣١٣ – ٢١٤، ١: ٣٥٩ .

والشوبك والصلت والبلقاء والأغوار ونابلس وأعمال القدس ، شم ترك الشوبك للكامل مع عدة ما ذكر ، وتسلم الكامل دمشق في أول شعبان سنة ٢٦٦هـ وأعطاها للأشرف . وأخذ منه ما معه من بلاد المشرق (الجزيرة الفراتية) وهي حران والرها وسروج وغير ذلك (١١) » .

ويحدثنا مجير الدين القدسى الحنبلى عن ردود الفعل المتشائمة فى أرجاء الدولة الأيوبية ، التى صاحبت تسليم الملك الكامل القدس للفرنج ؛ فيقول : « ولما وقع ذلك ، كان الناصر داود فى الحصار لانتزاع دمشق منه ، فأخذ في التشنيع على عمه الملك الكامل بذلك ، وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط أبى الفرج الجوزى ، وكان واعظًا له قبول عند الناس ؛ فأمر الناصر داود أن يعمل مجلس وعظ ، يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حَلِّ بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج ، ففعل ذلك ، فكان مجلسًا عظيمًا ؛ ومن جملة ما أنشد ، قصيدة تائية ضمنها فضل بيت المقدس ، منها :

مدارس آیات خلت من تلاوة ومنزل وحی مُقَفّرُ العرصات

وارتفع بكاء الناس وضجيجهم لذلك ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (٢) » .

ويحدثنا سبط ابن الجوزى نفسه ، عن ما قاله فى هذه المناسبة التى عظم بها الخطب ، فيقول : ووصلت الأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج ، فقامت القيامة فى جهيع بلاد الإسلام ، واشتذت العظائم بحيث أقيمت المآتم . واشار الملك الناصر داود بأن أجلس بجامع دمشق ، وأذكر ما جرى على البيت المقدس ، فما أمكننى مخالفته ، ورأيت من جملة الديانة الحمية للإسلام موافقته ، فجلست بجامع دمشق ، وحضر الناصر داود على باب مشهد على ، وكان يومًا مشهودًا لم يتخلف من أهل دمشق أحد ؛ وكان من جملة الكلام : انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين ، يا وحشة المجاورين ، كم كان لهم فى تلك الأماكن من دمعة ، تالله لو صارت كان لهم فى تلك الأماكن من ركعة ، وكم جرت لهم على تلك الأماكن من دمعة ، تالله لو صارت عيونهم عيونًا لما وفت ، ولو تقطعت قلوبهم أسفًا لما شفت ، أحسن الله عزاء المؤمنين ، يا حجلة ملوك المسلمين ، لمثل هذه الخادثة تُسكّبُ العبرات ، لمثلها تنقطع القلوب من الزّقرات ، لمثلها تعظم الحسرات . وذكر كلام كثير ، وأكثر الشعراء فى حديث القدس (").

وقد أوضح سبط ابن الجوزى أن الإمبراطور فردريك كان يتلاعب بدين النصرانية ، ويستنكف ما ابتدعه القسس من صكوك الغفران ، ويتعاطف مع المسلمين ، ويتسامح معهم في أداء شعائر دينهم

⁽١) المقريزي : الخطط ٣: ٢١٣ – ٢١٤ (ذكر المدرسة الكاملية) ؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل ٢: ٧٠٤.

⁽٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٢ - ٤٠٧ .

⁽٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٢٥٤ .

بالقدس، بعد أن تسلمه من الملك الكامل سنة ٢٦هـ؛ فيقول سبط ابن الجوزى فى حوادث هذه السنة: « وفيها دخل الأنبرور إلى القدس، والحصار على دمشق؛ وجرى له عجانب؛ منها أنه لما دخل الصخرة، رأى قسيسًا قاعدًا عند القدم، يأخذ من الفرنج القراطيس، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء، ولكمه فرماه إلى الأرض، وقال: يا خنزير، السلطان قد تصدق علينا بزيارة هذا المكان، تفعلوا فيه هذه الأفاعيل، لنن عاد واحدُ منكم دخل على هذا الوجه لأقتلنه ...، ولما دخل وقت الظهر وآدَّنَ المؤذن، قام جميع من معه من الفراشين والغلمان ومعلمه وكان من صقلية يقرأ عليه المنطق فصولاً قصتُلوا، وكانوا مسلمين .. وكان الأنبرور أشقر في عينيه ضعف، لو كان عبدًا ما ساوى مائتى درهم. قالوا: والظاهر من كلامه أنه كان هَدِينًا، ولم يقم بالقدس سوى ليلتين، وعاد إلى يافا من الداوية، فإنهم طلبوا قتله (1)».

ويحدثنا مجير الدين الحنبلي عن الصراع الأسرى على زعامة البيت الأيوبي الذي وقع بين السلطان الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسي صاحب الشام ؛ وتمخُّضَ عن تُورط الملك الكامل في تسليم القدس إلى الفرنج ، فيقول : ولما دخلت سنة ٤ ٢ هـ ، وقع تنافر بين الملك الكامل صاحب مصر ، وأخيه المعظم عيسى صاحب دمشق ، لأمور بينهما ؛ فكاتب الملك الكامل الإمبراطور ملك الإفرنج ، في أن يقدم إلى عكا ، ليشغل سرّ أخيه الملك المعظم عما هـو فيه ، ووعد الأمبراطور بأن يعطيه القدس . فسار الإمبراطور إلى عكا ، وبلغ المعظم ذلك ؛ ثم توفي الملك المعظم في هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة سنة ٤ ٢ ٣هـ ، ودُفِّنَ بقلعة دمشـق (...) ؛ ولما توفي الملك المعظم ، ترتب في مملكته بعده ولده الملك الناصر صلاح الدين داود . فلما دخلت سنة ٦٢٥هـ ، أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر داواد حسن الشوبك ، فلم يعطه إياه ولا إجابة إليه . فسار الملك الكامل من مصر إلى الشام في رمضان من هذه السنة ، ونزل على تلّ العجول بظاهر غَزَّه، وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه ، ووقع بينهما أمور ومراسلات . وقدم الإنبرطور إلى عكا بجموعه وقد مات الملك المعظم ، فاستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والإفرنج وسورها خراب. ، فعمر الإفرنج سورها . والإنبرطور معناه : ملك الأمراء بالإفرنجية ، وكان صاحب جزيرة صقلية ، وكان فاضارٌّ يحسن الحكمة والمنطق والطب ، ويميل إلى المسلمين . ولما دخلت سنة ٢٦٦هـ ، واستهلت وملوك بنبي أيبوب متفرقون مختلفون ، قبد صاروا أحزابًا ، بعد أن كانوا إخواتًا وأصحابًا ؛ فقوى الإفرنج بذلك ، وبموت المعظم عيسي ، ومن وفَّدّ إليهم من البحر. وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن أخيه الناصر داود، وسير الملك الكامل أخاه الملك الأشرف موسى لحصار دمشق، والكامل مشتغل بمراسلة الإنبراطور. ولما طال

⁽١) نفس المصدر ٨: ٣٥٦ - ٣٥٧ ، وراجع النص بطوله .

الأمر ، ولد يجد الكامل بُدا من المهادنة ، اجاب الإمبراطور إلى تسليم القدس إليه ؛ على أن تستمر أسواره خرابًا ، ولا يعمره الإفرنج ، ولا يتعرضوا إلى قبة الصخرة ، ولا إلى الجامع الأقصى ؛ ويكون المرجوع في الرستاق إلى والى المسلمين ، ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط ؛ ووقع الأمر على ذلك ، وتحالفا عليه . وتسلم الإمبراطور القدس في ربيع الآخر (سنة على الممراطور القدس في ربيع الآخر (سنة ٢٦هم) ، على القاعدة المذكورة ؛ وعظم ذلك على المسلمين ، وحصل به وهن شديد وإرجاف في الناس (١) .

مقدمات الفتح الناصري الداودي للقدس

يقول مجير الدين الحنبلى ، حاكيًا لنا ظروف الصلح الذى تم بين السلطان الملك الكامل وابن أخيه الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق ، مما أدى إلى خلو سرّ الملك الناصر داود من هذه الحروب الأسرية ، وإقدامه على استرداد القدس من الفرنج ، وفتحها الفتح الثانى لها الذى تم على يد ملوك بنى أيوب ، وعرف بالفتح الناصرى الداودى ، وذلك سنة ١٩٣٨هـ ، وبقاء القدس فى يد المسلمين أربع سنوات ، حتى اضطر الناصر داود إلى تسليمها مرة أخرى للفرنج سنة ١٩٤١هـ ، حين تجددت الحروب الأسرية بين ملوك بنى أيوب بالشام ومصر ؛ أخرى للفرنج سنة ١٩٤١هـ ، ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الإنبرطور ، وخلا سرّه من جهة فيقول مجير الدين الحنبلى : « ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الإنبرطور ، وخلا سرّه من جهة الإفرنج، سار إلى دمشق فوصل إليها فى جمادى الأولى (سنة ٢٦٦هـ) . واشتد الحصار على دمشق ،

⁽١) مجير الذين الخبلى: الأنس الجليل ١: ٥٠٥ - ٢٠٤ ؛ وأنظر سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ٨: ٦٤٣ ، حوادث سنة ٢٤ هم، حيث يقول: وفيها قدم رسول الأنبرور على (الملك) المعظم ، بعد اجتماعه بر (الملك) الكامل ، يطلب الفتوح ؛ فأغلظ عليه ، وقال: قُل لصاحبك ما أنا مثل الغير ، ماله عندى سوى السيف ؛ وأنظر أيضاً سبط ابن الجوزى: مرآة ٨: ٢٤٦ معلومات عن التدابير التي قام بها المعظم عيسى للحيلولة دون وصول الأنبرور إلى عكا ، و ٨: ٣٥٣ - ٢٥٥ ، حوادث سنة ٢٧٦ه ، حيث يقول: وفيها أعطى الكامل الأنبرور إلى القدس ، ووصل الأنبرور إلى يافا ، وخرج الكامل من مصر فنزل تمل العجول . وفيها دخل الأنبرور إلى القدس والحصار على دمشق . ولقد ذكر ابن واصل الحموى في كتابه مفرج الكروب ، تعليقاً على تسليم السلطان الملك الكامل للقدم للفرنج ، أن السلطان فعل هذا الإنشغاله في حروبه مع ملوك بني أيوب بالشام ؛ وأنه كان قادرًا على استرداد القدس في أي لحظة ، والراجح أن ابن واصل كان صادقًا وعقًا في قوله هذا ، لأنه السلطان الكامل اشترط على الفرنج عدم عمارة سور مدينة واصل كان صادقًا وعقًا في قوله هذا ، لأنه السلطان الكامل اشترط على القرنج عدم عمارة سور مدينة القدس ، ومن ناحية أخرى ، ظل في حوذته حصنا الكرك . والشويك ، وهما الحصنان المتحكمان في مصير الأمر الذي يفسر سرعة نجاح الملك الناصر داود في فتح القدس سنة ٣٣٧ه ، وسرعة نجاح الملكان الناصل الماين في فتح القدس منة تهم الدين في فتح القدس سنة تهم الميأتي بيانه .

واستولى عليها الملك الكامل، وسلمها لأخيه الملك الأشرف موسى ؛ وعوض الناصر داود عنها المكرك والشوبك والبلقاء والصلت والأغوار (بأرض الأردن وفلسطين) ؛ ثم نزل الناصر داود عن الشوبك وسأل عمه في قبولها فقبله واستمر الأشرف موسى بدمشق ، إلى أن توفى في المحرم سنة ٥٣٥ هـ ، وتملك دمشق بعده أخوه الملك الصالح إسماعيل بعهد منه - ثم سار الملك الكامل إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزلا عليها في جمادى الأولى من هذه السنة (٥٣٥هـ) وحصلت أمور ووقائع ؛ ثم سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل لإحدى عشرة (١١) ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وتعوض عنها بعلبك .

ولم يلبث الكامل غير أيام حتى مرض واشتد مرضه، ومات لتسع بقين من رجب سنة ٣٥هـ؛ واستمر بعده في السلطنة بمصر ولده الملك العادل أبو بكر بن الكامل، فإنه كان نائبه بمصر. واتفق الأمراء بدمشق حين وفاة والده على تحليف العسكر له، وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، نائبًا عن الملك العادل بن الكامل. ورحل الناصر داود إلى الكرك، وتفرقت العساكر.

فلما دخلت سنة ٣٣٦هـ ، استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب (صاحب الجزيرة الفراتية وبلاد الشرق وحصن كيفا) ابن الملك الكامل ، على دمشق وأعمالها ، بتسليم الملك الجواد يونس في هادى الآخرة . ودخلت سنة ٣٣٧هـ ، وكان الملك الصالح أيوب سار من دمشق واستخلف فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمرو .

ووصل الصالح أيوب إلى نابلس ، لقصد الاستيلاء على الديار المصرية ؛ فسار الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ، ومعه شركوه صاحب حص ، بجموعهما ؛ وهجموا على دمشق ، وحصروا القلعة ، وتسلمها الصالح إسماعيل ، وقبض على الملك المغيث في صفر .

فلما بلغ الصالح أيوب ذلك ، رحل من نابلس إلى الغور ، وتشتت عنه عساكره ، وضاق به الأمر فقصد نابلس ، ونزل بها بمن معه ؛ فسار إليه الناصر داود بعسكره من الكرك ، وأمسك الصالح أيوب وأرسله إلى الكرك ، واعتقله بها ، وأمر بالقيام في خدمته بكل ما يختاره ؛ ولما اعتقل بالكرك ، أرسل أخوه الملك العادل أبو بكر صاحب مصر يطلبه من الناصر داود ، فلم يسلمه الناصر داود ، فأرسل العادل وتهدد الناصر بأخذ بلاده ، فلم يلتفت إلى ذلك(١) » .

⁽١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥ ؛ وانظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٢٤ .

الفتح الناصري الداودي للقدس سنة ٦٣٧هـ

بعد اعتقال الملك الناصر داود صاحب الكرك للملك الصالح أيوب بالكرك ؛ قصد الملك الناصر داود القدس ، وكان الإفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل (سنة ١٣٥هـ) لمن نقضوا شروط العهد والهدنة بينهم وبين المسلمين التي وقعها معهم الملك الكامل سنة ٢٦هـ محاصرها وفتحها ، وخرّب القلعة ، وبرج (محراب) داود أيضًا ؛ فإنه لما خربت القدس أولاً (سنة فحاصرها فقتح الصلاحي) ، لم يخرب برج (محراب) داود ، فخربه في هذه المرة وذلك في سنة ٧٣هـ ، بعد أن بقي في أيدى الإفرنج نحو إحدى عشرة (١١) سنة ، من حين تسليم الكامل له في سنة ٢٢٨هـ .

فأنشد فى ذلك الفتح وفى مدح الملك الناصر داود ، ومقارنة فتحه للقدس سنة ٣٦٧هـ ، بفتح السلطان صلاح الدين الأيوبى للقدس سنة ٣٨٥هـ ؛ أنشد الشاعر الوزير الأيوبى جمال الدين بن مطروح قصيدة جاء فيها :

المستجد الأقصيى له آيسة سارت فصارت مشلاً سائرًا إذا غسدا للكفر مستوطنًا أن يبعث الله له نساصرًا فسناصيرًا طهروه آخرواً وناصير ظهروه آخروا

ولقد شارك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن عمه الناصر داود. وكان معتقلاً عنده الفرحة باسترداد القدس من الفرنج ؛ ففى أواخر رمضان سنة ٣٧ه م ، أفرج الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمه الملك الصالح أيوب ، واجتمعت عليه تماليكه ، وسار هو والناصر داود إلى قبة الصخرة ؛ وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح ، ودمشق للناصر ؛ ولما ملك الصالح ، لم يف له بذلك ، وكان يتأول في يمينه أنه كان مكرها ، ثم سار إلى غزة (١) .

تجدد الصراع الأسرى بين ملوك بني أيوب بمصر والشام ؛

وتورط الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق في تسليم صفد وقلعة الشقيف للفرنج سنة ٦٣٨هـ، وتورط الملك الناصر داود صاحب الكرك في تسليم طبرية وعسقلان والقدس للفرنج سنة ٦٤١هـ،

ليعضدهما الفرنج على السلطان الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، لتفكيره في توحيد مصر والشام :

فلما بلغ الملك العادل صاحب مصر ظهور أخيه الصالح ، عظم عليه ، وبرز بعسكر مصر ، ونزل على بلبيس ، لقصد أخيه الصالح والناصر داود ؛ وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل المتولى على دمشق ، أن يبرز ويقصدهما من جهة الشام ؛ فسار الصالح إسماعيل بعساكر دمشق .

⁽١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥ ؛ وأنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٢٤ – ٧٢٩ .

فبينما الصالح أيوب والناصر داود ، وهما بين عسكرين قد أحاظ بهما (عسكر الصالح إسماعيل من دمشق ، وعسكر العادل من مصر) ؛ إذ رَكَتَ جماعة من المدليك الأشرفية ، ومقدمهم أيبك الأسمر ، وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبى بكر ابن الكامل ، وقبضوا عليه فى ليلة الجمعة ثامن (٨) ذى القعدة (سنة • ٤ ٦هـ) ؛ وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يستدعونه ، فأتاه فرج لم يسمع عمثله ؛ وسار ومعه الناصر داود إلى مصر ، وصار يلتقيه فى كل يوم فسرج من العساكر ، إلى أن دخل إلى قلعة الجبل بكرة يوم الأحد لست بقين من ذى القعدة (سنة • ٤ ٦هـ) وزينت له البلاد ، وفرح الناس بقدومه ؛ ولما استقر فى ملك مصر ، خاف الناصر داود إبن يقبض عليه ، فطلب دستورًا ، وتوجه إلى بلاد الكرك (١) .

وفى سنة ٣٦٣٨هـ، قوى خوف الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، من إبن أخيه الصالح أيسوب صاحب مصر ؛ فسلم صفد والشقيف إلى الإفرنج ، ليعضدوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب ؛ فعظم ذلك على المسلمين .

ولما دخلت سنة ١٤١هـ، حصلت فيها المراسلة بين الملك الصالح أيوب صاحب مصر ، والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق بالضلح ؛ وأن صاحب دمشق يطلق الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الصالح أيوب ، وحسام الدين بن على الهذباني ، وكانا معتقلين عند الصالح إسماعيل ؛ فأطلق حسام الدين وجهزه إلى مصر ، واستمر الملك المغيث في الاعتقال . واتفق الصالح إسماعيل مع الناصر داود صاحب الكرك ، واعتضدا بالإفرنج ، وسلما إليهم طبرية وعسقلان ، فعمر الإفرنج قلعتهما ، وسلما أيضًا إليهم القدس بما فيه من المزارات .

قال القاضى جمال الدين (ابن واصل الحموى): ومُسرَّرَّتُ إِذْ ذَاكَ (سنة 1 £ ١هـ) بالقدس، متوجهًا إلى مصر، ورأيت القسس قد جعلوا على الصخرة قنانى الخمر للقربان، فالحكم لله العلى الكبير.

⁽۱) المقريزى: الخطط ٣: ٣٨٣، ٤: ٩ ، ٢ - ٢١١؛ سبط: مرآة الزمان ٨: ٧٣٢ ، حيث يقول: وفي سنة ٨٦٣٨ ، سلم إسماعيل الصالح الشيقيف لصاحب صيدا، وعنول عبد العزيز (العِزّ) ابن عبد السلام من الخطابة؛ عبر الدين الحنبلي: الأبس الجليل ٢: ٦ وقد أمدنا السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، في الفصل الذي أفرده للحديث عن قضاة مصر بمعلومات طريفة وهامة عن هذه الحادثة، وكيف أن العز بن عبد السلام - حين علم بتسليم الملك الصالح اسماعيل لقلعة الشقيف لصاحب صيدا من أمراء الفرنج - أسقط اسم الملك الصالح اسماعيل من الخطبة، وجانًا إلى مصر، فاحتفى به الملك الصالح نجم الدين أيوب وعرف قدره وولاه قضاء القضاه بمصر، أنظر السيوطي: حسن المحاضرة ٢: ٩، ١ (طبعة مطبعة الموسوعات).

قال مجير الدين الحنبلى: وكان الناصر داود فتح بيت المقدس - كما تقدم - فى سنة ٦٣٧؛ ثم فعل هذه الفعلة القبيحة ، فأبدل حسنة بسيئة ؛ وقد انتقم الله منه فيما بعد ... ؛ فنعوذ بالله من سوء الخاتمة والضلال بعد الهداية (١).

الفتح الصالحى النجمى للقدس سنة ٦٤٢هـ ؛ واسترداده لغزة ولسواحل الشام والقدس الشريف ، بعد هزيمته للفرنج في معركة غزة الكبرى سنة ٦٤٢هـ،

وهي التي اشتهرت لدى الفرنج بحطين الثانية، لكثرة من قتل وأسرى فيها من الفرنج

ولما وقع ما تقدم ذكره من تسليم القدس للإفرنج في سنة 1 £ ٣هـ ، استدعى الملك الصالح نجم المدين ايوب الجند الخوارزمية وكانوا قد دخلوا في خدمته حين ولاه أبوه الملك الكامل الجزيرة الفراتية وبلاد المشرق وحصن كيفا لينصروه على عمّه الصالح إسماعيل (٢) ؛ فسار الخوارزمية ، ووصلوا إلى غزة في سنة ٢ £ ٣هـ ، ووصل إليهم عدّة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الصالح أيوب وكان أكبر مماليكه . وأرسل الصالح إسماعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص ، وسار صاحب حمص جريدة و دخل عكا ، واستدعى الإفرنج على ما كان قد وقع عليه الاتفاق معهم ، ووعدهم بجزء من بلاد مصر (٢) .

فخرج الإفرنج واجتمعوا بالفارس والراجل ، ولم يحضر الناصر داود ؛ والتقى الفريقان بظاهر غزة ، فولى عسكر دمشق وصاحب حمص والإفرنج منهزمين ، وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية فقتلوا منهم خلقًا عظيمًا ، واستولى الملك الصالح صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس الشريف ولله الحمد ؛ ووصلت الأسرى والرؤس إلى مصر ، ودُقّت بها البشائر عدّة أيام (1) .

وكما أبدى مجير الدين الحنبلى ، استنكافه من تسليم الملك الناصر داود القدس للفرنج سنة الا ٢ هـ ، وَصَرَّحَ بحنقه الشديد على الملك الناصر داود لأنه أقدم على هده الفعلة الشنعاء ، وفسر وفاة الملك الناصر داود غريبًا سليب الملك ، بغضب الله عليه ؛ فإن مجير الدين قد أشاد باسترداد الملك الناصر داود غريبًا سليب الملك ، بغضب الله عليه ؛ فإن مجير الدين قد أشاد باسترداد الملك الصالح نجم الدين أيوب للقدس ، واستعادته فتح غزة وساحل بلاد الشام من الفرنج سنة الملك الصالح نجم المدين أيوب ، ودعا له برحمة الله وعفوه والجنة ؛ فيقول

⁽١) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٥ – ٣ .

⁽٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٤١، حوادث سنة ٤١هـ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧.

⁽٣) سبط : مرآة ٨: ٧٤٥ - ٧٤٦ ، حوادث سنة ٦٤٢ ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧ .

⁽٤) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٧ .

بجير الدين: وهذا الفتح الواقع في سنة ٢٤٢هد لبيت المقدس، هو آخر فتوحاته، فإنه استمر بأيدى المسلمين إلى عصرنا (سنة ٢ ، ٩هه)؛ والمرجو من كرم الله تعالى استمراره كذلك إلى يوم القيامة، عول الله وقوته ... وكان (السلطان الصالح نجم الدين أيوب) مهيبًا عالى الهيمّة، عفيفًا طاهر اللسان، شديد الوقار؛ ولو لم يكن من علو همته إلا مبادرته لاستنقاذ البيت المقدس من أيدى الكفار في أسرع وقت لكفى؛ رحمة الله وعفا عنه وعوضه الجنة (١). وقد لاحظ المؤرخون المحدثون أن الفتح الصالحي النجمي للقدس سنة ٢٤٢هد، كان آخر مرة يفتح فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية، إذ لم يقدر لجيش مسيحي أن يدخلها بعد ذلك أبدًا حتى الحرب العالمية الأولى(١).

وقد امدنا سبط ابن الجوزى بوصف حى لمعركة غزّة الكبرى ، التى اندحر فيها الفرنج ومن استعان بهم من ملوك بنى أيوب سنة ٢ \$ ٦ه ، إذ يذكر سبط ابن الجوزى ، أنه فى هذه السنة : « فيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية والفرنج ... وكنت يومئذ بالقدس ، والناصر بالكرك ، واجتمعوا بأسرهم على يافا ، والخوارزمية وعسكر مصر على غزّة ... ؛ وكان يومًا عظيمًا ، لم يجر فى الإسلام مثله ، ولا فى زمان نور الدين وصلاح الدين ؟! ... ، وكان الفرنج عشرة (١٠) آلاف و خسمائة (٥ • ٥) فارس (...) وعشرة (١٠) آلاف و خسمائة بالسيوف حصدًا جيدًا ، وأسروا منهم ثماغائة (٥ • ٨) أسير ؛ ولقد أصبحت ثانى يوم الكسرة إلى غزّة ، فوجدت الناس يعدون القتلى بالقصب ، فقالوا : هم زيادة على ثلاثين (٥ ٣) ألفًا ؟! ، وقد بعث الخوارزمية بالأسارى والرؤس إلى مصر ... ؛ ووصل الأسارى إلى مصر (...) ، وعلقت الرؤس على أبواب القاهرة ، وامتلأت الحبوس من الأسارى ؛ وكان يومًا عظيمًا » (٢٠) ...) ، وعلقت الرؤس على أبواب القاهرة ، وامتلأت الحبوس من الأسارى ؛ وكان يومًا عظيمًا » (٢٠) ...) .

ويرى المؤرخون المحدثون أن معركة غَزّة الكبرى هذه ؛ كانت ولا شك أعظم كارثة حلت بالفرنج منذ وقعة حطين سنة ٥٨٣هم ؛ حتى أطلق المؤرخون الأوربيون عليها اسم «حطين الثانية» (1). وقد تفرغ الملك الصالح نجم الدين أيوب بعد هذه المعركة ، لتوحيد الدولة الأيوبية من جديد تحت

⁽١) نفس المرجع ٢: ٨ (ذكر الفتح الصالحي النجمي الذي يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الصالح نجم الدين أبوب بن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أبوب تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح حناته) .

⁽٢) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ١٩١٨ ، ص ١٣٣ .

⁽٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨: ٧٤٥ – ٧٤٧ .

⁽٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر ص ١٣٤ .

لواء سلطنته ، وخاصة مصر والشام ، فَخُطِبَ له بمصر والشام والجزيرة الفراتية واليمن وبلاد الحجاز والحرمين الشريفين . واسترد من الفرنج طبرية وعسقلان(١) .

تطور عمارات وتجديدات قبة الصخرة والمسجد الأقصى في العصر الإسلامي ، على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ثم خلفاء بنى أمية وخلفاء بنى العباس والخلفاء الفاطميين ، وسلاطين بني أيوب وسلاطين الماليك على التوالي

وقد قام مجير الدين الحنبلي صاحب كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ـ نظرًا لأنه كان ناظر الحرم القدسي في سلطنة السلطان الملك الأشرف قايتباي ، حين ألف كتابه هبذا في سنة • • ٩ هـ ـ قام مجير الدين ببحث أثرى دقيق ممتع ، عن تطور عمارة المسجد الأقصى في العصر الإسلامي ، اعتمادًا على الشواهد الأثرية المعاينة من ناحية ، وعلى النقوش المؤرخة للتجديدات المتعاقبة التي قام بها خلفاء وملوك الإسلام على قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، والمزارات والمشاهد والمدارس والخوانق الواقعة داخل حرّم المسجد الأقصى ، أو الملتصقة بجوانبه ، أو الواقعة خارج حرمه، فضلاً عن مناراته (مآذنه) الأربع ، وبواباته العديدة ، وبوابات سورة الأثرى ؛ وحقق في هذا الوصف التفصيلي الأثرى ، أن أول نسن عَمَر قُبَّة الصخرة والمسجد الأقصى في الإسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد الفتح العمري للقدس ، اعتمادًا على ما صح عنده وعند من شهد هذا الفتح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث نبوية مرتبطة بتاريخ المسجد الأقصى وفضائله وتحديد سمت قبلته وبمعجزة الإمسراء والمعراج ؛ وأنه يرجع إلى عصر العمارة العُمرية مسجد عمر بن اخطاب الكائن تحت قبّة الصخيرة ، وبعض المباني الملحقة بالمسجد مثل جامع المغاربة وبعض أبوابه ؛ في حين ترجع أغلب مباني قبة الصخرة والمسجد الأقضى لعمارة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، ومازيد على هذه العمارة أو لحق بها من تجديدات زمن خلفاء بني أمية من بعده (ابنيه الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك) ، وزمن خلفاء بني العباس الأوائل (أبو جعفر المنصور ، والمهدي) ، وزمن الخلفاء الفاطميين الأوائل (المعز لدين الله ، والعزينز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر بالله ، والمستنصر بالله) ، وزمن سلاطين وملوك بني أيوب (صلاح الدين الأيوبي ، المعظم عيسي ، الصالح نجم الدين أيوب) ، وزمن سلاطين المماليك

⁽١) أحمد فؤاد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ص ١٦٨ ، اعتمادًا على ألقاب الملك الصالح كما وردت على نقوشه ؛ وراجع سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ص ١٣٤ – ١٣٧ ؛ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ٢: ٨ .

(المنصور قلاوون ، الناصر محمد بن قلاوون ، الأشرف شعبان بن حسين ، حسام الدين لاجين ، الأشرف قايتباى) وذلك على يد نظارهم على الحرم القدسى ، ونوابهم على نيابة غزة (في العصر المماليكي)(١) .

(١) أنظر مجير الدين الحبلى: الأنس الجليل ٢: ١١ - ٣٠. ذكر (صفة المسجد الأقصى وما هو عليه فى عصرنا)، وأنظر أيضًا، نفس المصدر، ١: ١٨١ - ١٨٥ (قصة المعراج وما وقع لنينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالمسجد الأقصى)، ١: ٢٣٦ - ٢٤٣ (ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث)، ١: ٢٨٠ - ٢٨٥ (ذكر صفة المسجد الأقصى وما كان عليه فى رمن عبد الملك وبعده) وكما قاله: المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة الجامع المبنى فى صدر المسجد الذى به المنبر والمحراب الكبير؛ وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد عما دار عليه السور ... فإن هذا البناء الموجود فى صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحدثة، والمراد بالأقصى هو جميع ما دار عليه السور، نفس المصدر ٢: ٢٤؛ وكما قاله أيضًا: " ولم يختلف اثنان أنه عُرج به صلى الله عليه وسلم عن يمين الصخرة "، نفس المصدر ٢: ٢٠، وهو يذكر أيضًا فى نفس هذا الموضع أن الني صلى الله عليه وسلم صلّى بالأنبياء والملائكة ليلة الإسراء فى صحن الصخرة، إلى جانب ما يعسرف بقبة المعراج ومقام النبي عمد

وقد تواكب مع تزايد الاهتمام بتحرير القدس في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ظاهرة الاهتمام بتأليف كتب في فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى أنظر أبو بكر محمد بن أحمد الواسطى المقدسي من علماء القرن الخامس الهجرى : فضائل البيت المقدس ، تحقيق إسحاق حسون ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية ، الجامعة العبرية ، القدس ١٩٧٩م ؛ بهاء الدين بن عساكرت ٧٩٥ه : المستقصى بفضائل المسجد الأقصى ، طبع بيروت ١٩٧٨م ؛ أبو المعاطى المشرف ابن المرجا المقدسى : فضائل بيت المقدس ، طبع بيروت ، ١٩٨٨م ؛ أبو الفرج ابن الجوزى : تاريخ بيت المقدس أو فضائل بيت المقدس ، تحقيق محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤م أما الكتب التي الفت عن فضائل القدس والمسجد الأقصى في العصر المماليكي ، فقد اهتمت بالجانب الأكسرى والطبوغرافي للمدينة ، أنظر أبو عبد الله بن شهاب الدين المنهجي السيوطي ت ، ١٨٨ه : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان شهاب الدين المنهجي السيوطي ت ، ١٨٨ه : إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، تحقيق أحمد رمضان أخد ، القاهرة ١٩٨٩ ؛ قاضى القضاء أبو اليمن القباضي مُجير الدين عبد الرحن بن محمد العليمي المقدسي الحنبي المعمرى ، المنتهي نسبه إلى عبد الله بن عمس بن الخطاب ، ولد بالقدس ولعله بقي فيه مدة حتى القدس ولعله بقي فيه مدة حتى القدس المقدم ودرس بها ، وعاد إلى القدس والخليل ، تحقيق محمد موسى المحتسب ، مكتبة المحتسب ، وتولى قواد بالمحتسب ، المحتسب ، المحتسب ، المحتسب ، وتولى قواد بالمحتسب القديد المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب المحتسب الم

وأنظر فصولاً دقيقة عن الصخرة المقدسة ، وعَنَ قُبّة الصخرة ، والمسجد الأقصى ، وإزالة السلطان صلاح الدين الأيوبي للتعديبات والمنكرات والكنيسة والمذبح ، التي بناها الفرنج فوق الصخرة ، ومحيه للصور والأيقفونات وتحطيمه للتماثيل التي وَضَعَها الفرنج إبان احتلالهم للقدس ، وإظهاره المحراب وترخيمه ، ونصبه للمنبر ، وتطهيره لقبة الصخرة ومسحه لها سنة ٥٨٣هـ بعد فتحمه للقدس واستنقاذه لها من أيدى الفرنج ، عند العماد الأصفهاني : الفتح القيسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، =

ولم يغب عن الجغر فيين والرحالة المسلمين عند تسجيل رحلاتهم ، تقديم وصفًا حضاريًا أثريًا مُسهبًا للمسجد الأقصى ، كما رأوه عند زيارتهم له ، كل منهم حسب عصره الذى سجل فيه رحلته ومشاهداته ؛ وكان أكثر هؤلاء الجغرافيين والرحالة والمؤرخين إسهابًا وتفصيلاً ودقة في وصف المسجد الأقصى ، المقدسي (1) والأصطخرى (7) في العصر العباسي ، والهروى (7) في العصر الأيوبي ، وابن فضل الله العُمرى (6) ، والقلقشندي (1) في العصر المماليكي .

- (١) أنظر المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦٨ ١٧١ ، وقد أبدع المقدسي في وصف زحارف قبة الخصرة ، ثم قال : " وعلى الجملة ، ثم أر في الإسلام ، ولا سمعت أن في الشرك مثل هذه القُبّة "
- (٢) أنظر الأصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٣ ٤٩ ، حيث يقول : " وبيت المقدس .. بها مسجدٌ ليس في الإسلام أكبر منه " .
- (٣) أنظر الهروى: كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل طومين، نشر المعهد العلمى الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م، ص ٢٥ ٢٦؛ وهو يصف تعديات الفرنج على قبة الصخرة والمسجد الأقصى إبان أحتلالهم للقدس ٤٩٢هـ ٥٨٣هـ وما وضعوه بداخله من رسوم وشارات نصرانية.
 - (٤) أنظر ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ١٩٦٠م ، ص ٦٠ ٦٢ .
- (٥) أنظر ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار وعمالك الأمصار، (عمالك مصر والشمام والحجاز واليمن)، تحقيق أيمن فسؤاد سيد، القاهرة، ٥٠ ١ ١هـ ١٩٨٥م، ص ١٣٦ ١٣٩. وعما قالمه: " وأمما مدينة القُدس الشريف فعلى جبل مدينة مستديرة في وسطها السور المحيط على الصخرة والمبسجد المسمى الآن المسجد الأقصى؛ وإنما حقيقة المسجد الأقصى جميع ما يحيط بالسور المذكور وهو المعروف بالسور السيماني، ".
- (٢) أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤: ١٠٠ ١٠٠ ، وهو يرجع بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة فى العصر الأموى إلى الوليد بن عبد الملك لا عبد الملك بسن مروان ، ويروى هذا أيضًا عن الحميرى صاحب كتاب الروض المعطار . وهو يقول " على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور " .

وعنى المؤرخون من جانبهم بتسجيل و تتبع العمارات والتجديدات التى قام بها سلاطين المماليك ونوابهم وولاتهم على القدس والخليل ، فى المسجد الأقصى ، وفى الحرمين القدسى والخليلي ؛ وذلك بعد أن اصبح سلاطين المماليك ، هم حماة الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وحماة القبلتين ، وحماة المسجد الأقصى ، وهذا مادلت عليه ألقاب سلاطين الأيوبيين ومن بعهدهم تلامذتهم سلاطين المماليك ، وأهمها : «خادم الحرمين الشريفين» ، و «صاحب الحرمين الشريفين والبيت المقدس» (١) . فذكر هؤلاء المؤرخون أن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الذى يُعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية بمصر اهتم بعمارة المقدسات وحماية وخدمة الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، الإسلامية في بلاد الحجاز وفلسطين ، لإعلان نهوضه بحماية وخدمة الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وحاية وخدمة القبلين على احقيته في حمل لقبى : الإسلامي المسلمين ، الكعبة المسجد الحرام و المسجد الأقصى ؛ وتدليلاً على احقيته في حمل لقبى : حمد سلطان الإسلام والمسلمين » (٢) ؛ ويقول المقريزى مُعَدِّدًا أثار وعمائر السلطان بيبرس في الحجاز وفلسطين : « وعَمَرَ الحرم النبوى ، وقبة الصخرة ببيت المقدس ، وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وفلسطين : « وعَمَرَ الحرم النبوى ، وقبة الصخرة ببيت المقدس ، وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وفلسطين الخيرة الخيرة المنبود ، وقبة الصخرة ببيت المقدس ، وزاد في أوقاف الخليل عليه السلام وفلسطين الخيرة الخيرم الإبراهيم في مدينة الخيل) (٢) .

وعَدَّد ابن أيبك الدوادار في سيرته للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجوامع التي عَمْرُها واستجدها هذا السلطان هو ونوابه وولاته على الشام ، بالقدس وغزَّة وصفد ودمشق وطرابلس ؛ شم قال : « وأما الخوانق والرباطات والزوايا وكذلك المساجد ، فلا تحصى كثرة ؛ وجميع هذه الأماكن مشحونة بالأثمة والخطباء والفقهاء والمدرسين والمحدثين والطلبة والمؤذنين والقسوام والفقراء والمساكين ؛ وكل من هؤلاء ، فله المقرر من سائر ما يحتاج إليه ، ثما أوقف عليهم من الضياع والأملاك والحوانيت ؛ ولهذه الأوقاف مباشرين وعُمّال وغير ذلك »(3).

والجدير بالذكر ، أن بعض آثار وعمائر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وآثار وعمائر نُوَّابــــه وولاته على المدن الفلسطينية ، وفي طليعتها القُدس والخليسل وغَرَّة ، لا تزال بعضهـــا باقيـــة إلى الآن ؛

⁽١) راجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية في العصر الأيوبي ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م. ص ١٦٩٩ .

⁽٢) نفس المرجع ، ص ١٩٣ .

⁽٣) المقريزى : الخطط ٤: ٩٧ (ثم جامع الظاهر) .

⁽٤) ابن أيبك الدوادار : الدُرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانز روبرت رويمر ، مكتبة الخانجي ، القساهرة ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، ص ٣٨٨ .

مثل عمارة الملك الناصر محمد لقبة الصخرة بالقدس ؛ ومثل الجامع الذى أنشأه بغزة الأمير علم الدين سنجر الجاولى (١) ، نائب السلطنة بفلسطين ، وناظر الحرمين الشريفين بها (القدس والخليل) ، ووالى غزة ؛ ولازال هذا الجامع قائمًا بغزة إلى اليوم (٢) ؛ كما وصلنا خبر الجامع الذى أقامه هذا الأمير بمدينة الخليل ، ونص فى نقوشه على أنه قد أنشأه من خالص ماله ، ولم يُنفق عليه من مال الحرمين الشريفين؛ كما لدينا أيضًا وصقًا أثريًا دقيقًا لهذا الجامع (٣) .

ويحدثنا ابن فضل العُمرى ت ٩ ٤ ٧ه وهو رئيس ديوان الإنشاء في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، عن تزايد الاهتمام بعمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى ومدينة القدس ، بعد استردادها من الفرنج ، وبلوغ هذا الاهتمام زروته في عهد سلطنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ؛ فيقول : وبالقدس مدارس وخانقاه وربط وزوايا وتُرب ؛ وللمسجد الأقصى بها وقوف كثيرة جارية على مصالحة والمؤذنين به وحدّمه وجماعة من العلماء والقرّاء به ؛ (...) فإن في القدس لكل الملل معتقدًا وإليه توجها ، وأن اليهود تزوره ، والنصارى تحج به (كنيسة) قمامة (القيامة) وتنزور كنيسة بيت لحم مكان مولد عيسى عليه السلام . وقد كانت مدينة القدس ، بعد تولى أيدى الفرنج عنها ، تغلّب عليها الهدم والخراب ، إلى هذه المدّة القريبة ، انصرفت إلهم م إلى عمارة أماكن بها ، وتوفرت الدواعى إليها ؛ ووقر نائب السلطنة بالشام الآن الاهتمام بذلك ، وساق إليها قناة بسطها إلى بركة ، وهو مجتمع يرفدها بالماء زمن قلة الماء ، وتجرى إلى مدينة القدس ، وتدخل إلى سور المسجد الأقصى وهو مجتمع يرفدها بالماء زمن قلة الماء ، وتجرى إلى مدينة القدس ، وتدخل إلى سور المسجد الأقصى وتجرى به ؛ وعمّر نائب السلطان إلى ما جاور الرباط المنصور قلاوون ، مدرسة جليلة ، وقفها على مدرس وفقهاء ومتفقهة على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ؛ وبأعلاها خانقاه مشرفة ، وبحضرتها مكتب أيتام حصل به الأجر التام وللناس الرفق العام ، وأثابه الله وتقبل منه ؛ وعمّر بها

⁽۱) قال أبو المحاسن بن تغرى بردى فى وفيات سنة ٥٤٥ه: " توفى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية (...)، وهو صاحب الجامع بغزة والخليل عليه السلام ... ، وكان فاضلاً فقيهًا، وله مصنفات فى الفقه وغيره " أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١١،٩ ١٠ - ١١، وأفاد المقريزى أن السلطان الملك الناصر محمد قد جعل الأمير سنجر الجاولى فى سنة ٢١١ه منائبًا على غزة والساحل والقدس وبلد الخليل وجبل نابلس ، وأن لسنجر هذا آثار جميلة فاضلة بغزة والخليل بناها إبان توليه نيابة غزة ، إذ بنسى جامعًا فى غاية الحسن على حَد قول المقريزى ؛ ووصفه المقريزى بأنه هو الدى مَدُن غزة ، أنظر المقريزى : واصفه المتريزى بأنه هو الدى مَدُن غزة ، أنظر المقريزى الخطط ٤: ٢٧٤ - ٢٤٨ (ذكر الخانقاه الجاولية) و ٣٨٣ .

⁽۲) راجع حسن روحی : المختصر فی جغرافیة فلسطین ص ۱۰۵ ؛ محمد رمزی ، النجوم الزاهرة لأبی المحاسن بن تغری بردی ۱۱۰ : ۱۱۰ حاشیة (۱) .

⁽٣) أنظر مجير الدين الحنبلى: الأنس الجليل فى تاريخ القدس والحليل (الطبعة القديمة ٢: ٥٨ ؛ محمد رمزى: النجوم الزاهرة ١٠: ١١٠ ، حاشية (٢) ؛ وراجع أحمد فؤاد سيد : مصادر تاريخ مصر الإسلامية فى العصر الأيوبى ، دار النهضة العربية ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ص ٢١٧ – ٢١٨ ، ص ٢٥٦ – ٢٥٨ .

حمامين جليلين ، كانت أحوج شيء إليه ، لأنه لم يكن بها حمامات مُرضية ، وانشا بها الأسواق والعمائر ؛ وأصبحت مدينة القدس ضاحية المرآة آهلة الرحاب ، وعادت إلى ما كانت إليه من المدن ، بعد أن كانت لا تُعَدِّمن القرى ولا يندى في جوانبها الثرى(١) .

ويحدثنا مجير الدين القدسى الحنبلى ، صاحب كتاب الأنس الجليل فى تاريخ القدس والخليل ، وقاضى القدس ، وناظر الحرم القدسى فى عهد السلطان الملك الأشرف قايتباى (ولى السلطنة من المدلم ٩٠١ - ٩٠ م من أهمية مدرسة الشافعة التى أنشأها السلطان الأشرف قايتباى بمدينة القدس ، وعدت من محاسن ببت المقدس ، والحق بها سبيلا ، وهى لاتزال باقية عامرة إلى يومنا ، معدودة من الآثار الإسلامية الهامة بمدينة القدس ؛ فيقول مجير الدين ، فى مقدمة كتابه الأنس الجليل : « ثم أختتم الكتاب ، بذكر ترجمة ملك العصر والزمنان ، مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى نصره الله تعالى ؛ وأذكر مدرسته الشريفة ، وأنها من محاسن ببت المقدس ، لا سيما كونها فى المسجد الأقصى الشريف ، وهى آخر مدرسة بنيت فيه ؛ وأذكر ابتداء ولايته السلطنة ، وأحوال بيت المقدس وأحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام فى أيامه ؛ وأذكر سبب بناء مدرسته ، وتوليه مشيختها لشيخ الإسلام الشيخ كمال الدين أبى المعالى فى أيامه ؛ وأذكر تاريخ مولده ، وأسماء مؤلفاته ، وما تيسر من ترجمته » (١٠).

ولقد أولى الأثريون المحدثون اهتمامًا كبيرًا بدراسة عمارة المسجد الأقصى ، وتسجيل النقوش التاريخية المؤرخة الخاصة بعماراته وتجديداته طوال عصور التاريخ الإسلامي التي سجلها على عمائرهم وتجديداتهم بالحرم القدسي خلفاء وملوك الإسلام (٢) ؛ وهو أمر إذن ما قُرن بأوصاف الرحالة

⁽١) ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار ، تحقيق أيمن فؤاد ، ص ١٣٨ .

⁽٢) مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل ١: ٤ ؛ وأنظر الفصل الأخير من كتابه هذا .

⁽۳) راجع

Creswell, (R.A.C.), Early Muslim Architecture., 2vols. Clarendon press, oscford, 1932-1940, I/1,pp. 65-131; I/2, pp. 373-380.

كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام ، القاهرة ٩٧١م ، ص ١١٠ ؛ فريد شافعي : العمارة بمصر في عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة دراسة المحاريب والمحراب (المُجَوَّف) .

Marguerite van Berchem et solonge ory, "la jérusalem musulmane dans l'oeuvre de Max van Berchem", lausanne 1978.

Van - Berchem, (Max), Corpus Inscriptionum Arabicarum, Mémoures publiés par les Membres de la Mission Archéologique Français au Caire, tome x1x (19), paris, 1894=

والمؤرخين المسلمين القدماء لقبة الصخرة والمسجد الأقصى في صعيد واحد ، من شأنه ولا ريب أن يوقف العالم الإسلام والرأى العام العالمى ، على محاولات إسرائيل العبث بهذا الحرم الإسلامى الجليل، الذى ندعو الله مخلصين له الدين أن يفك أسره في القريب العاجل ، ويعيده مرة أخرى إلى حوذة الإسلام والمسلمين .

^{= (}Jérusalem II) Combe, Sawaget et wiet, Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, 12 vols, le Caire, 1931 - 1950 T. xiv (14), xv (15), xvi (16).

أحمد عبد الرازق: أضواء على المسجد الأقصى وبعض الكتابات الأثرية فيه ، المجلة التاريخة المصرية ، المجلد ٢٧، ١٩٨١م ، ص ٨٦ – ١١٨ ؛ وهو يهتم على الخصوص بدراسة نقوش العصر الماليكي .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

- ابن الأثير (عز الدين) : أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزرى ، ت ٣٠٠هـ / ١٣٣٢م .
- ابن الأثير (ضياء الدين) : أبو الفتح ، نصر الله بسن محمد بن عبد الكريم الشبباني الجنزرى ، وزير الملك
 الأفضل الأيوبي ، وكاتب إنشاءه ت ١٣٣٧هـ / ١٣٣٩م .
- ٢ « كتاب رسائل بين الملوك في أيام الأيوبيين » مخطوط بمكتبة نسور عثمانية باستانبول برقم ٣٧٤٥ في ٩٩ ق ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤١٩ أدب ، وهو منسوب في فهرسها خطأ للعماد الأصفهاني ، لورود اسم العماد بخط حديث على صفحة العنوان ، ولكن تبين لى يعد دراسة الميكروفيلم أنه الجزء الثاني المفقود من مراسلات الوزير الأيوبي ضياء الدين بن الأثير .
- ٣ « المفتاح المنشأ في حديقة الإنشاء . منه ثلاث نسخ خطية الأولى في ٢٧ لوحة مصور ، بدار الكتب المصرية برقم ٤٩٣٤ أدب ، عن نسخة بمكتبة نور الدين بك مصطفى بالقاهرة ؛ والثانية مصورة بدار الكتب المصرية أيضًا برقم ٨٤٧ أدب تيمور من لوحة ٢٧٩ إلى ٣٢٠ ، أغلب الظن عن الأصل المخطوط بمكتبة شستربتي ، وهي التي اعتمدنا عليها ؛ والثالثة نسخة في ٢٤ لوحة بدار الكتب المصرية كذلك برقم ٨٥٨ أدب طلعت .
 - ٤ -- « مؤنس الوحدة » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٧٠٥ أدب .
 - الأحدب (نجم الدين) : محمد بن عيسى بن اسماعيل الحنفي ، القارس الجواد (بروكلمن ٢: ١٣٦).
- نهاية السول والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ، مخطبوط بمكتبة أحمد الشالث باستانبول برقم ٢٦٥١
 ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ، ٥ معارف عامة .
 - الأسدى (ابن خليل) : محمد بن محمد بن خليل الأسدى ، ت بعد سنة ١٥٥٥هـ / ١٤٥١م .
- ٣ « التيسير والاعتبار والتحذير والاختيار » في تدبير الملك والأسباب الموجبة للخراب إليه ، الفه سنة
 ١٤٥٥ / ١٤٥٠م . نسخة بخط المؤلف بتاريخ ١٥٥٥هـ / ١٤٥١م . بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ اجتماع تيمور .
 - الأشرفي (الحنفي) : أحمد المحمدي الأشرفي المتوفي سنة ١٤٧٥هـ / ١٤٧٠م .

- ٧ « البرهان في فضل السلطان » ألفه للسلطان الظاهر خشقدم مخطوط بم، كتبة سوهاج برقم ٨٠ تـاريخ
 في ١٠٤ ق ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩ سياسة واجتماع . ومنه نسـخة أخـرى مخطوطة
 بالمكتبة العمومية باستانبول .
- الأشرفي (الأحمدي): طوغان شيخ الأحمدي الأشرفي ، ت ٨٨١هـ / ١٤٧٦م ، (السخاوي: الضوء، ٤: ١٠) .
- ٨ « المقدمة السلطانية في السياسة الشرعية » ، ألفه للسلطان الأشرف قايتباى سنة ٨٧٨هـ . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٠٣ أدب ، ومنه نسخة خطية أخرى بدار الكتب المصرية أيضًا في ١٨٣ ق ، برقم ١٧٣٦ فقه حنفى ، ومن المحتمل أن ظوغان الأحمدى الأشرفى ، مؤلف « المقدمة السلطانية » هذا ، هـو نفسه أحمد المحمدى الأشرفى مؤلف « البرهان » المذكور قبله .
- الباعوني (الدمشقي) : محمد بن يوسف الباعوني الدمشقي ، ت ٩٩٦٦هـ / ١٥١٠م (السـخاوى : الضوء ، ه ١ : ٨٩ ، الغزى : الكواكب السائرة ١: ٧٧) .
- ٩ « إيضاح السلوك ونزهة الملوك » ألقه على الأرجح للسلطان الأشرف قايتباى ، منه مخطوطتان
 بدار الكتب المصرية ، إحداهما بالخزانة التيمورية والأخرى بالخزانة الزكية .
- ابن البقال (البغدادى) : عز الدين أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن وداعه ، ت ٥٨٨هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٠ « المقترح في المصطلح ، في تعليم رمى البندق والصيد » ألف للخليفة الناصر لدين الله العباسي .
 مصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٥٣ج ، عن عنطوط المكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٦٣٩ .
- البغدادى (موفق الدين) : عبد اللطيف بن يوسف بن عمد بن على الموصلى ثم البغدادى ، الشافعى ، ويعرف بابن اللباد ، أبو محمد ت ٢٩٣٩هـ / ٢٣١٩م .
 - 11 « العمدة في أصول السياسة » مخطوط بمكتبة برلين برقم ٤٤٤٥ (١٠) .
 - ابن بهادر (كمال الدين): محمد بن محمد بن محمد المؤمن الشافعي ، أبو الفضل ، ت ٨٧٧هـ / ٤٧٣ م .
- ۱۲ « فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر » ضمنه تاريخ ملوك الدولة الكردية والتركية بالديار المصرية إلى أواخر المائة التاسعة ، مخطوط بخط المؤلف سنة ١٧٧ه. ، بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩ تاريخ ، وبمعهد المخطوطات بالقاهرة ، يرقم ٣٦٣ تاريخ ، وبمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٦١٦٦ .
 - الترمذي (الواعظ) : عمر الترمذي الصوفي ، ت بعد سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م .
- ١٣ « تفسير سورة الإخلاص » ألفه للملك الظاهر محمد أبى سعيد جقمق المتوفى سنة ١٨٥٧هـ ، ذكر فيه مقدمة فى نصيحة هذا الملك تتعلق بالإخلاص . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٧ وعنظ ١٧٩٤ عام .
 - التيفاشي (شرف الدين) أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون القيسي ، ت ٢٥٦هـ / ٢٥٣م . 12 - « منافع الأحجار » مخطوط في ٨٢ ق بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٢ طبيعة وكيمياء .
- ١٥ « نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب » مخطوط بمكتبة الجامع الأزهـ ر برقـم ٢٢٣ أباظـة ٧٠١٩ أدب .

- الجعفرى: عبد الله بن على بن محمد (؟).
- ١٦ « عيون الرسائل الفاضلية » مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٢٥٧٥٦ ، ٢٥٤٠ ، ١٠٤١ .
- ابن جماعة (بدر الدين): محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن حازم الكناني الحموى البياني الشافعي ، ت ٧٣٣هـ / ٢٣٣٧م .
- ١٧ « تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٨٤١ ب وبمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٤٣ ، وقد استخدمنا نسخة الدار . وطبع أخيرًا .
- ابن الجوزى (أبو الفرج): عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى القرشى التيمى البغدادى الحنبلى ، جمال الدين ، ت ٥٩٧هـ / ٢٠١٠م .
 - ١٨ « مناقب بغداد » مخطوط بدار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية برقم ١٤٤٣ تاريخ .
- ١٩ « المصباح المضىء في خلافة المستضىء » مصور بدار الكتب المصرية في ٢١٥ لوحة برقم
 ١٩ « المصباح المضىء في خلافة المستضىء » مصور بدار الكتب المصرية في ٢١٥ لوحة برقم
- الجيزى (ابن إبراهيم) : محمود بن إسمايل بن إبراهيم بن ميكائيل بن خضر بن يوسف بن يعقوب الجيزى كمان موجودًا سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م .
- ٢٠ «الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاه والأمراء» ، ألفها للملك الظاهر محمد أبو سعيد جقمـق .
 مخطوط بخط المؤلف سنة ٨٤٣هـ بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢٩٦ ب .
- جمال الدين (الإسنوى) : عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنوى الشافعي ت ٧٧٢هـ. (الزركى : الأعلام ٣٤ ؛ ٣٤٧ ؛ كحاله : معجم المؤلفين ٥: ٣٠٧ و ٣٩٧ : ٣٩٧) .
- ٣١ « رسالة في قبع استخدام أهل الذمة » يتلوها رسالة أخرى في هذا الموضوع لنفس المؤلف وذكر منشور الملك الناصر محمد بن قلاوون بشأن أهل الذمة . مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقسم ١٧٥ مجاميع تيمور (اخلاق) الرسالتان ١٨ و ١٩ بالمجموعة . وللإسام الحافظ جمال الدين الأسنوى أيضًا كتاب مطبوع بعنوان : « الكلمات المهمة في مباشرة أهل الذمة » ، لعلمه نفسه الرسالة الأولى ، والراجح أنه الفها للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وأنظر كتاب فتاوى السبكى ، وكتابه في كراهية بناء الكنائس ، لعلم الله للسلطان الناصر محمد بن قلاوون أيضًا ، أنظر خطط المقريزى (ذكر كنائس مصر) .
- ابن حبيب (الدمشقى) : بدر الدين أبى محمد الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقى الحلبى الشافعى ، ت ٧٧٩هـ / ١٣٧١م .
- ۲۲ « درة الأسلاك في دولة الأتراك » بدأ فيه من سنة ۴۸هـ / ، ۲۵۰ م، وانتهى إلى آخر سنة ۲۷۸هـ / ۲۰۲۰ م، عطوط بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ۲۰۱۱ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ۲۳۵ تاريخ ، الجزء الثاني من نسخة أخرى مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ۲۳۰۰ ح ، الجزء الأول من نسخة ثالثة مصورة عن الآستانة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ۲۲۹۳۱ .
- ابن الحداد (الواعظ) محمد بن منصور بن جيش الواعظ المعروف بابن الحداد الموصلي ، ت بعد سنة ٣٧٧هـ / ٢٧٤ م (كحاله : معجم المؤلفين ١١: ٥١ ٢٥) .

- ٢٣ « الجوهر النفيش في سياسة الرئيس » نسخة خزائنية بخط المؤلف كتبت سنة ١٤٩هـ / ١٢٥٩م
 بمكتبة أبا صوفيا باستانبول برقسم ١/٤٨٢٨ في ٣٥ ق مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٨ سياسة واجتماع .
- الحلبي (أمين الدين): عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن بن على التنوخي الحلبي لم الدمشقي، ت ٢٤٦هـ / ١٢٤٥م، صاحب ديوان الإنشاء في عهد السلطان الكامل الأيوبي:
 - ٢٤ « الأنوار المقتبسة من أوار النار » مصور بدار الكتب المصرية برقم ٣ . ٨٥ أدب .
 - 0 Y « مفتاح الأفراح في امتداح الراح » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٣ أدب .
- ابن حمویة (الجوینی) : الأمیر فخر الدین یوسف بن أبی الحسن صدر الدین شیخ الشیوخ ، وزیر السلطان
 الصالح نجم الدین أیوب ، ومقدم عسكره ونائب سلطنته ، ت ۲۵ هـ / ۲۵ ه .
- ٢٦ « تقويم النديم وعقبى المقيم » وهي مقامات ، مخطوطة قديمة بمكتبة الأزهر برقم ٢، ٧٧ أدب ، وبدار الكتب المصرية برقم ١٥٠١ أدب .
- الحنبلى (عز الدين) : أحمد بن إبراهيم بن نصر بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل ، القاهرى الصالحى الحنبلى القادرى ، أبو البركات ، ت ١٤٧٦هـ / ١٤٧١م .
- ۲۷ «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب » مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ۷۳۱۱ مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ۲۹۰ تاريخ وبجامعة القاهرة برقم ۲٤۰۳۱ ، ۲٤۰۳۱ . وطبع أخيرًا بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .
- الخالدى (بهاء الدين): محمد بن لطف الله بن عبيد الله العمرى، ت ٨٣٦هـ / ٤٣٢م (مصطفى زيادة ، هامش (٣) على السلوط للمقريزى : ١: ٢٤٥).
- ٢٨ « المقصد الرفيع المنشأ الهادى لصناعة الإنشاء » ، عنطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٧٣ كتب
 سنة ٩٢٧هـ ، ومصور بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٠٤٥ عـام ، ٢١٠٣١ ز ، ومصور بمكتبة جامعة
 القاهرة برقم ٤٥٠٤٥ .
- الخازندار (الموصلی) : مبارك بن خليـل الخازندار البديـر الموصلی ، ثـم الأمـوی ت قبـل سنة ٦٨٢هـ / ٢٨٣م. م ١٢٨٣م.
- ٢٩ « أداب السياسة بالعدل » نسخة بمكتبة كوبرلى باستانبول مصورة بدار الكتب المصرية في ٢٥٥ لوحة برقم ، ٢٨٤ ، وثالثة بمكتبة آيا صوفيا باستانبول برقم ، ٢٨٤ ، وثالثة بمكتبة أحمد الشالث باستانبول برقم ٢٠٤١ ، كتبست سنة ١٨٥هـ / ٢١٤١م في ٤٠١ ق ، مصورة بمهمد المخطوطات بالقاهرة برقم (١) تصوف وآداب شرعية .
- ابن خلف (الكاتب) : أبو الحسن على بن خلف بن على بن عبد الوهاب الكاتب ، ت ق ٥ هـ ، كان معاصرًا للخليفة الفاطمي المستصر بالله .
- ٣٠ « مواد البيان » نسخة عكتبة فاتح باستانبول برقم ١٩٨٨ ، كتبت فى القرن السابع تقريبًا ،
 فى ٢٠١ ق ، مصورة عمهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٨٤٧ أدب .
 - خضر (الشيخ) : الشيخ خضر بن أبي بكر بن أحمد « من رجال الربع الثاني من القرن السابع الهجرى » .

- ٣٦ « كتاب الوظائف المعزية » في السياسة الشرعية ، والمناقب المعزية في إصلاح الراعبي والرعبة ، ألفه للملك المعز أيبك التركماني (تولى سنة ١٤٥٨هـ / ١٢٥٠م وتوفى سنة ١٥٥٥هـ / ١٢٥٠م) ، مخطوط قديم بدار الكتب المصرية برقم ٤٧٥ الحزانة التركية .
- الدوادار (المنصورى): ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار المصرى، ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م. (ابن حجر: الدرر، ١: ٥٠٥ ٥١٥٠).
- ٣٣ « زيدة الفكرة في تاريخ الهجرة » وهو تاريخ كبير مرتب على السنين ، في ١٩ عجلدًا استعان فيه بكاتبه ابن كبر النصراني ، وانتهى فيه إلى سنة ٢٤ هد منه الأجزاء ٤ ، ٥ ، ٢ ، ٥ ، ٥ ، ٥ ، ٥ مصورة في مكاتب المتحف البريطاني بلندن ، ومكتبة أكسفورد بانجلترا ، والمكتبة الأهلية بباريس ، ومعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٤ وهناك عنصر لهذا الكتاب بعنوان « مختصر الأخبار » ، مخطوط بمكتبة الأمبروزيانا بإيطاليا ومصور بمعهد المخطوطات برقم ٢٤ ، ٢٤ ، ٢٤ .
- ٣٤ « التحفة الملوكية في الدولة التركية » ذيل به على كتابه « زبدة الفكرة » الذى انتهى فيه إلى بدء الدولة المغربة بعد انقراض الدولة الأيوبية . وبدأ في هذا الذيل بذكر الدولة المعزبة (عز الدين أيبك التركماني) إلى انتهاء دولة الملك المنصور قلاوون . مخطوط ق ٩ هـ ، بمكتبة فينا ، في ١٥٠ ق ، ومصور بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢ وبمعهد المخطوطات برقم ٢١٤ تاريخ . طبع أحسيرًا بالقاهرة .
- ابن أبى الدم (الحموى) : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المؤمن ، شهاب الدين الشافعي ، ت ٣٤٣هـ / ١٢٤٤م .
- ٣٥ « التاريخ المظفرى » بدأه من الهجرة إلى سنة ٢٤٦هـ ، عنطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية برقم
 ٢٩٢ ب ومصور بمهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٠٥ تاريخ . ومنه نسسخة أخرى بمكتبة خدابخش
 بتنه بالهند رقم ٢٨٦٨ ومصور بمهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٩٦ تاريخ .
- ابن الديباجى (موفق الدين) : أبو على الحسن بن أبى ألمكارم أحمد بن الحسين ، المنعوت بالموفق ابن الديباجى الكاتب ، ت ١٩٦٧هـ / ١٢٢٠م . صاحب ديوان الإنشاء فى عهد السلطان الكامل الأيوبى (المسلوى : التكملة ج ٥ ، ص ٢٤) .
- ٣٦ « من ترسل القاضى الفاضل » الجزء الأول منه مخطوط بخط جامعه الديباجى ، بمكتبة بشير أغا أيـوب
 باستانبول برقم ٢٦٦ فى ٢٥٧ ق ، وهو مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٨٠٨ أدب .
- ابن الزبير (القاضى الرشيد) : أحمد بن على بن إبراهيسم بـن محمـد بـن الحسـين بـن محمـد المصـرى الغسـانى ، ويعرف بالرشيد الأسوانى ، ت ٥٦٣هـ / ١٦٧ إم من مشاهير كتاب الإنشاء فى نهاية العصر الفاطمى .

- ٣٧ « المقامة اليحصبية وشرحها » في المفاخرة والمفاضلة بين الفنون وأربابها ، مخطوط في ١٠٧ ق بدار
 الكتب المصرية برقم ١٣٤٦٩ ز ، ومنها نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية .
 - ٣٨ « أمنية الألمعي ومنية المدعى » ، مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٢٢٨٥١ أدب .
- ابن الرفعة المصرى: أحمد بن محمد بن الرفعة المصرى الشافعي ، نجم الديسن ، محتسب القناهرة ، ت ٧١هـ / ١ ماره ، ١ ١٣٨٠) .
- ٣٩ « بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية ، مخطوط بالمكتبة الأهلية
 بباريس برقم ٢٥٥١ وبمكتبة غوطا برقم ٢٢١٩ .
- الرماح (نجم الدين) حسن الأحْدَبّ الرماح ، كان موجودًا في القرن السابع (بروكلمن ، ملحق ١: ٩٠٥) .
- ٤٠ « الفروسية والمناصب الحربية » أخذ مادته عن أبيه وأجداده الأستاذين في هذه الصناعة ، وعمن صحبهم ، كما جاء بصفحة العتوان ، نسخة خزائنية لعلها كتبت في القرن الـ ٩ هـ ، في ٢٢٠ ق بمكتبة الحرم المكى الشريف برقم ٥٠ تاريخ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٨ معارف عامة .
- ابن الساعاتى (بهاء الدين): على بن رستم بن هرذور ، أبو الحسن ، الشاعر الشهير ، ت ٢٠١هـ / ١٢٠٧م. ٢١ - « مقطعات النيل » وهو ديوان شعر ، غير ديوانه المشهور المطبوع فى مجلديسن ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٥ أدب .
- سبط ابن الجوزى (أبو المظفر) : يوسف بن قزاوغلى بن عبد الله البغدادى ، ثم الدمشقى شمس الدين ، ت ع ١٩٥٤هـ / ١٩٥٦م .
 - ٤٢ « كنز الملوك في كيفية السلوك » مخطوط بمكتبة مبخائيل عواد بالعراق .
- السخاوى (شمس الدين) : عمد بن عبد الرحمن بن عمد بن أبي بكر ابن عثمان بن عمد السخاوى الأصل القاهرى الشافعي ، ت ٢ ٠ ٩هـ / ١٤٩٧ م . (السخاوى : الضوء ، ٨: ٢ ٣٢) .
- 87 « عمدة الناس فى مناقب سيدنا العباس » ألفه للخليفة العباسى بمصر المتوكل على الله كما ذكر فى مقدمة الكتاب . وفرغ من تأليفه سنة ١٤٧هـ / ١٤٨٦م . نسخة كتبت سنة ١٩٨٩ ، فى ١٤٢ ق بدار الكتب المصرية برقم ١٥٦٩ تاريخ .
- ٤٤ « كتاب استجلاب ارتقاء الغرف ، بحب أقرباء الرسول وذوى الشرف » ، فرغ من تصنيفة سنة
 ٨٠٧هـ / ٢٧٢ ام . منذ نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٨٠٤٩ ولعلها مصورة عن النسخة
 التى ذكرها برولكمن بمكتبة ليبرج بألمانيا برقم ٦٤٨ .
- ٥٤ « الدرة المضية في الآثر الأشرفية » وهي سيرة للسلطان الأشرف قايتباى ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٦١٥,٣٠ وهذه النسخ الثلاث المصرية برقم ١٦١٥,٣٠ وهذه النسخ الثلاث منسوبة للسخاوى . وثمة نسخة أخرى من الكتاب منسوبة للسيوطي بمكتبة الجامع الأزهز برقم ٣٨٥ أباظة والصواب نسبتها للسخاوى .
- ٢٦ « رجحان الكفة في أخبار أهل الصفة » وهي رسالة هامة جدًا في دراسة نشأة التصوف في الإسلام .
 نسخة وحيدة في ٣٢ ق بمكتبة الجمعية الأسيوية بالهند برقم ٣٢١ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٠١ .

- ابن سعيد (المغربي) : على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسى ، الأندلسي الغرناطي المغربي ، أبو الحسسن، ت ١٧٧٣هـ / ١٢٧٤م .
- ٧٤ « المغرب في حلى المغرب » الجزء الثاني وعنوانه « الروض المهضوب في حلى دولة بني أيوب » والجزء الثالث وعنوانه « كتاب الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط » ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٧١٢ تاريخ .
- ٨٤ « المشرق في حلى أهل المشرق » مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٣٢ ،
 ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٧٧٤ تاريخ .
- السلامي (أبو عبد الله) : محمد بن إبراهيم السلامي البسيري الأصل الحلبي الشافعي ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م . (السخاوي : الضوء ، ٢ : ٢٧٥ - ٢٧٦) .
- ٩٤ « طاعة السلطان وإغاثة اللهفان » مخطوط بمكتبة بغداد كشك برقم ٩٣ ، عن نسخة كتبت برسم الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٧٥م ، وهي مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، برقم ٣٨ سياسة واجتماع .
- السلفى (أبو الطاهر) : أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة السلفى الأصفهاني ، ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م .
- ٥ « معجم السنفر » مخطوط بمكتبة البلدية بالإسكندرية ومصورة في ٢٤٤ لوحة بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٣٢ تاريخ ، وطبع أخيرًا .
- ٥١ «كتاب المشيخة البغدادية » مخطوط بمكتبة الأسكور يال بأسبانيا برقم ١٧٨٣ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٧٩ تاريخ .
- السنامی (ابن عوض) : عمر بن محمد بن عوض السنانی ، ت . بین سنة ۹۳۷ هـ / ۱۲۳۹م وسنة ۹۱۲هـ / ۱۳۰ م . (کورکیس عواد : مجلة المجمع العلمی العربی بدمشق ، ج ص ۱۳۳ ۱۳۸) .
- ٥٢ « نصاب الاحتساب » نسخة بالمكتبة التيمورية بـدار الكتب المصريـة برقـم ١٨٩، اجتمـاع تيمـور .
 ونسخة أخرى بدار الكتب أيضًا (فهرس الكتبخانة الحديوية ٣: ١٤٣) . وطبع أخيرًا بالرياض .
- السيوطى (جلال الدين) : عبد الرحمن بن أبى بكسر بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد بن خضر ابن أيوب بن محمد بن محمد بن المعلى ، أبو الفضل ، ت ١١٩ هم ابن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيرى الأصل ، الطولونى ، المصرى الشافعى ، أبو الفضل ، ت ١٩١٩م / ١٠٥٥م .
- ٥٣ « الرتبة المنيفة في فضل السلطنة الشريفة » . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٥ مجماميع ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٣ سياسة واجتماع . ومنه نسخة خطية أخرى بمكتبة الزيتونة بتونس .
- ابن شاكر (الكتبى) : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبى ، الداراني الأصل ، الدمشقى الشافعي ، صلاح الدين ، ت ٧٦٤هـ / ١٦٨٧م .
- ٤٥ «عيون التواريخ » وهو تاريخ ضخم على السنين من صدر الإسلام إلى سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م ، منه أجزاء من نسخة بخط المصنف بالخزانة التيمورية بـدار الكتب المصرية برقم ١٣٧٦ تاريخ ومنه أجزاء أخرى من نسخة ملوكية كتبت للخزانة العالية المولوية الناصرية ق ٨ هـ ، فيها من سنة ١٨٨هـ / أخرى من نسخة ملوكية كتبت للخزانة العالية المولوية أيضًا برقم ١٤٩٧ تاريخ . ومنه أجزاء أخرى بالكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبات أستانبول ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٤٥ تاريخ .

- ابن شادان : أحمد بن جعفر بن شادان ، ت. قبل منة ٢.١ هـ / ١٢٢٥م .
- ٥٥ « آداب الوزارة » انتهى من تأليفه سنة ٢٢١هـ / ١٣٢٤م . نسخة كتبت سنة ٥٠٨هـ / ١٣٠٨م في ١٣٠٨ ق بمكتبة ليدن بهولندا برقم ٧٠١٧ (١) .
- ابن شاهنشاه (الأيوبي) : الملك المنصور أبسي المعالى محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه ، ت ١٩٧٧هـ / ٢٠٢ م .
- ٥٦ « أخبار الملوك » ، ونزهة الممالك والمملوك في طبقات الشعراء المنقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين وذكر مختصر من أخبارهم ومختار أشعارهم ومن تلاهم من الشعراء إلى هـذا الزمان والأوان . أملاه مؤلفه مسنة ٢٠٦هـ / ١٠٥م من نسخة خزائية كتبت سنة ٢٠٦هـ ، عن نسخة من إملاء مصنف الكتاب في مجالس أخرها يوم الأربعاء ٢٣ ربيع آخر ، سنة ٢٠٦ في دار المزة من قلعة حمة . مخطوط محتبة لهدن بهولندا برقم ٢٣٦ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٨٧٥ تاريخ .
 - ابن شداد (بهاء الدين) : يوسف بن رافع بن تميم ، أبو المحاسن الحلبي ، ت ١٣٣٦هـ / ١٢٣٩م .
- ٥٧ « ملجأ الحكام عند اختالاف الأحكام » مخطوط بدار الكتب المصرية في ١٧٠ ق برقم ٢٦ فقه شافعي م .
- ۸ « فضائل الجهاد » ألفه وأهداه للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، عنطوط بمكتبة كوبرلى باستانبول برقسم ٧٦٤
- ابن الشعار (المرصلي) : المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي ، كمال الدين أبو البركات ، ت ٢٥٤هـ / ١٢٥٦م .
- ٩٥ «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان » (أجزاء من ١ ١٠) مخطوطة بمكتبة أسعد أفسدى باستانبول ينقص منها جزءان الثاني والثامن ، وهي مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٣٩ تاريخ و ٣٣٢٣ ٣٣٢ تاريخ
- الشيرازى (المكى) : على بن أحمد بن محمد الشيرازى ، ثم المكى الشيافعي ت ١٩٨١مـ / ١٤٥٩م . (السخاوى : الضوء ، ٥: ١٨٩) .
- ٥٠ « تحفة الملوك والسلاطين في الخلافة والسلطنة والوزارة » ألفه للسلطان جقمق سنة ١٤٣هـ /
 ١٤٣٩ عظوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ إجتماع تيمور .
- ابو صالح (الأرمنى) : أبو المكارم جرجس بن مسعود ويعرف بالشيخ أبى صالح الأرمنى ، ويدعى أبـو صالح
 كان معاصرًا لصلاح الدين الأيوبى (سركيس : معجم المطوعات ، ١ : ٣٤٧ ، لويس شيخو : المخطوطات
 العربية لكتبة النصرائية ص ٢١) .
- 71 « تاريخ أبو صالح الأرمنى » عن تاريخ مصر وتوسع فى ذكر أحوالها الدينية ولاسيما أديارها ، كذلك ذكر فيه أخبار الكنائس بمصر . وغيرها من السلاد الرومية وبر الشام . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم 71 ، كا تاريخ ، وكانت منه نسخة خطية كاملة أخرى بمكتبة جرجس فيلو تاؤس عوض صاحب المجلة القبطية ، والمطبوع من هذا الكتاب جزء واحد ذكر فيه أخبار من نواحى مصر وإقطاعها . طبع مع المترجمة الإنجليزية لايفتس B.L.A. Evelts مع حواشى للمستشرق بشلر ، طبع بأكسفورد . 1904م .

- الصالحي (ابن يحيي) : عبد الصمد بن يحيى بس أحمد بن يحيى الصالحي ت بعد سنة ٢ ، ٩هـ / ١٤٩٦م . (برو كلمن ، ملحق ٣: ١٦٦) .
- ٦٢ « هدية العبد القاصر للسلطان الملك الناصر » ألفه للسلطان الملك الناصر أبو السعادات (٩٠١ م. ٩٠٠ / ١٤٩٥ م. ٤٠ ه. ٤٠ م. ٤٠ مصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٢٦ تاريخ بالخزانة الزكية ومنه نسخة أخرى مصورة عن مكتبة كوبنهاجن كتبت سنة ٩٧٣ه. / ٩٠٥ م. مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٣٠٠ تاريخ .
- ابن الطحان (المصرى): يحيى بن على بن محمد بن إبراهيم الخضرمى، المصرى، أبو القاسم. ت. ١٦ ٤هـ / ٢٥ م. (الزركلي: الاعلام ٩: ١٩، يوسف العش: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٦: ٣٢٦ ٣٢٩).
- ٣٣ « تاريخ علماء أهل مصر » نخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ١١٦ تاريخ ، ضمن مجموعة خطيـة
 من ق ٢٤٠ ٢٥٩ .
 - الطرسوسي : مرضى بن على بن مرضى الطرسوسي (معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبي) .
- 4 « كتاب التذكر في كيفية النجاة في الفروسية في أمور السلطنة » ، أو « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء ونشر أعلام الاعلام ، في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » ألفه لمولانا وسيدنا الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان قامع عبدة الصلبان ، صلاح الدين والدين .. أبا المظفر يوسف بن أيوب .. ، منه لسخة مخطوطة سنة ٢٠٧هـ / ٢٠٩٩ م ، في ١٧١ ق بمكتبة آياصوفيا باستانبول برقم ٣٨٤٨ . ومصورة بمعهد المخطوطات يرقم ١٠ فنون حربية وفروسية . همنه نسخة بمكتبة المتحف الحربي بالقاهرة ، ونشر كلود كاهين جزء منه في B.E.O. .
- الطرسوسي (نجم الدين) : إبراهيم بن على بن أحمد الطرسوسي الحنفي ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٤٣) .
- ٦٥ « تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك » مخطوط بالمكتبة الأهليسة بساريس برقسم ٢٤٤٥ ، وبمكتبة برئين برقم ٢٦٥٤ . وبمكتبة جامعة القاهرة في ٢٩ ق برقم ١٩٤٧٤ . وبمكتبة جامعة القاهرة في ٢٩ ق برقم ١٩٤٧٤ .
- ابن طلحة (النصيبي) محمد بن طلحة القرشي النصيبي ، كما الدين ، الوزيــر الأيوبـي بالشــام ، ت ٢٥٢هـ /
 ٢٥٤ م .
- ٦٦ « نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر » ، ألفه للملسك الناصر يوسف ابن الملك العزيز الأيوبى ،
 صاحب حلب . منه نسخة خطية بسالمتحف البريطانى برقم ١٥٣٠ ، ومنه نسخة خطية أخرى ضمن عجموعة خطية بمكتبة برلين برقم ٨٧٧٩,٩٠ ، وبرقم ١٦٤٤ (١١) .
- بن طولون (الصالحى) : محمد بن على بن محمد الشهير بابن طولون الدمشقى الصالحى الحنفى ، شمس الديسن
 أبو عبد الله ، ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م .
- ٧٧ « العقود الدررية في الأمراء المصرية » وهو مختصر يشتمل على دولة الأتراك وسلاطينهم بمصر .
 نسخة بخط المؤلف سنة ٤٢ ٩هـ / ١٥٣٥م في ٧ ورقات ، مكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٢٢٠٨ تاريخ .

- ابن ظافر (الأزدى) : على بن ظافر بن الحسين الأزدى ، المصرى ، المالكى ، جمال الدين أبو الحسن ، ت ٦١٣هـ / ٢١٦٩م .
- ٦٨ « الدول المنقطعة » الموجود منه جزء ناقص من أولـه . ويبتدىء من أنساء أخبار الدولة الحمدانية ، ثم أخبار الدولة الزيدية بالجبال ، وأخبار الدولة الطولونية ، وأخبار الدولة الفاطمية بأفريقية ومصر والشام واليمن ، والصنهاجية بأفريقية والأندلس ، وفي أخبار الدولة العباسية . نسخة بخنط قديم بدار الكتب المصرية برقم ٩٩٥ تاريخ مصورة عن المتحف البريطاني ، ومصورة أيضًا بمعهد المخطوطات برقم ٩٦٤ تاريخ . وطبع منه جزء بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .
 - ٣٩ « أساس السياسة » مخطوط بمكتبة برلين برقم ٤٤٤٥ (٨) ضمن مجموعة .
- ابن العديم (الحنفى) : عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الحلبى الحنفى ، ويعرف بابن العديم . ق ٩ هـ / ١٥ م . (السخاوى : الضوء ٣: ٩٣ ٩٤) .
- ٧٠ « سوق الفاضل في مناقب القاضى الفاضل » جمع فيه ما ذكر في الكتب عن القاضى الفاضل عبد الرحيسم البيساني ، ت ٥٩٦ ١٩٩ / ١٩٩ وزير صلاح الدين ، وذكر من عاصره من الأدباء ومن أخذ عنه أو نحى نحوه . نسخة بخط المؤلف في ٢٠٠ ق بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٠٠ تاريخ ومصوره بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٠٩٩ تاريخ .
- ابن العديم (الحلبي): عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة صاحب على بن أبي طالب،
 العقيلي ، الحلبي الحنفي ، كمال الدين أبو القاسم ، ت ، ٢٦٦ه / ٢٦٢ م .
- ٧١ « بغية الطلب في تاريخ حلب » هو تراجم لأهل حلب ومن دخلها ، رتبه على حروف المعجم ، منه نسخة بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٧٩٢٥ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم
 ٩٠ تاريخ . وطبع أخيرًا .
- ابن أبى عذيبة (المقدسي): أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الشافعي ت ٥٩٨هـ / ١٤٥٢م.
 (السخاوي: الضوء، ٢: ١٦٣ ١٦٣، العزاوي التعريف بالمؤرخين، ٢٣٦ ٢٣٨).
- ٧٧ «إنسان العيون في مشاهير سادس القروس » منه نسخة بخط المؤلف بخزانة قرا جلبي باستانبول ، ومنه نسخة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية . نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ، ١٤١ تاريخ عن مخطوطة جامعة بغداد رقم ٢٤٨ في ١٩٥ ق . وقد اهتم الكتباب بصفة خاصة بأخبار الملك الناصر داود ابن الملك العادل عيسي بن محمد بن أيوب .
- العز (ابن عبد السلام) : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن المهندب السلمى الدمشقى
 الشافعي ، عز الدين أبو محمد . ت ١٩٦٠هـ / ٢٦٢ م .
 - ٧٣ « ملحة الاقتصاد في الاعتقاد » مخطوط في ٧ ق بدار الكتب المصرية برقم ١٥١ علم كلام .
 - ابن العميد (الشيخ المكين) : جرجس بن العميد بن إلياس ، ت ٦٧١ هـ / ٢٧٢م .
- ٧٤ « تاريخ ابن العميد » مخطوط في ١٣٦ ق بدار الكتب المصرية برقم ١٠٥ تاريخ ومنه نسخة أخرى مصورة عن مخطوط بالمتحف القبطى بالقاهرة في ١٣٥ لوحة بدار الكتب المصرية برقم ٣٧٤٠ تاريخ ونشر جزء منه كلود كاهين في .B.E.O .

- ابن عساكر (الحافظ) : على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى الشافعي ، أبو القاسم ثقة الدين ، ت ٧١٥هـ / ١١٧٦م .
- ٧٥ « تاريخ مدينة دمشق » يشتمل على ذكر من حلها أو اجتماز بهما ، رتبه على حروف المعجم . منه نسخة كاملة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، وأجزاء في دار الكتب المصرية برقم ٤٩٢ تاريخ وبمكتبة الجمامع الأزهر الشريف برقم ٤٧١ ع ومنه نسخة ملفقة من أجزاء مخطوطة باستانبول مصورة بمعهد المخطوطمات بالقاهرة برقم ٢٧٥ تاريخ . وطبع أخيرًا .
- ابن عطیة (الحموی) : علوان بن عطیة الحموی ، ت ۹۳۹هـ / ۲۹۲۹م . (الغیزی : الکواکب السائرة ،
 ۲ ۲ ۰ ۲ ۲ ۲) .
 - ٧٦ «كتاب النصائح المهمة للملوك والأئمة » مخطوط بمكتبة خالص أفندى باستانبول .
- العماد (الكاتب): محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله المعروف بالعماد الكاتب
 الأصبهاني ويعرف بابن أخي العزيز، عماد الدين أبو عبد الله . ت ٩٧٥هـ / ١٠٢١م .
- ٧٧ « البرق الشامى » منه ثلاث قطع مخطوطة استخدمنا ثلاثتها فى دراستنا ، وهى المجلد الثالث ، مخطوط البودليانة برقم Bruce II وقطعة مخطوطة بمكتبة البودليانة برقم Marsh 452 وقطعة مخطوطة بمكتبة ليدن بهولندا برقم ٩٩٧ .
- العمرى (شهاب الدين): أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ، العدوى العمرى ، الدمشقى الشافعي ،
 أبو العباس ، ت 29هـ / ١٣٤٨م . (ابن حجر : الدرر ، ١: ٣٣١ ٣٣٣) .
- ٧٨ « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٥ معارف عامة
 عن إحدى النسخ المحقوظة بمكتبات استانبول ، ورجعنا بصفة خاصة للجزئين الأول والثاني .
- العینی (بدر الدین) : محمود بن أحمد بن موسی بن أحمد بن یوسف ، أبو محمد ، ت ٥٥٨هـ / ١٤٥١م .
 ٧٩ « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » ١٩ جزء ، منه نسخة بخط المؤلف بمكتبة أحمد الثالث باستانبول

برقم ٢٩١١ ومصور بمعهد المخطوطات برقم ٣٣٤ تاريخ وبرقم ٧٣٨ تاريخ . وطبع منه أجزاء أخيرًا .

- الغزى (الشافعي) : عبد الله بن محمد الغزى الشافعي ، ت ق ٩ هـ / ١٥م (السخاوى: الضوء، ٥: ٥٥) .
 ٨٠ « الأدلة القطعية في عقود الولايات والسياسة الشرعية » مخطوط بمكتبة كوجك أفندى باستانبول .
- الغیطی (نجم الدین) : محمد بس أحمد بس علی بس أبی بكر السكندری ، شم المصری ، الغیطی الشافعی
 أبو المواهب ، ت ۹۸۱هد / ۹۷۳ م .
- ٨١ « التأييدات العلية للأوقاف المصرية » رسالة في ٩ ورقات بدار الكتب المصرية برقم ١١٦٢ فقه شافعي ، ومنها نسخة أخرى برقم ٩٦٥ فقه ثيمور .
- أبو الفدا (الملك المؤيد) : إسماعيل بن على بن أيوب ، الملك المؤيد ، صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م . ٨٢ - « التبر المسبوك في تواريخ أكابر الملوك » رسالة في ١٩ ق بدار الكتب المصرية ، برقم ٧٤٥ الخزانــة الزكية .

- ابن الفرات (المصرى): محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الحنفى . ت ٧٠٨هـ / ٤٠٤ م.
- ۸۳ « تاریخ الدول والملوك » بدأه من سنة ۱ ، ۵ هـ / ۱ ، ۱ م ووصل فیه إلى سنة ۸ ، ۸ هـ / ۱ ، ۱ مصور بدار الكتب المصرية برقم ۳۱۹۷ تاریخ عن مخطوطه فینا ، ومصور أیضًا بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ۱۱۶ تاریخ ومنه نسخة أخرى بدار الكتب المصریة برقم ۲۱۱۰ تاریخ . وطبع منه أجسزاء أخيرًا .
- ابن أبى الفوارس (الخزرجى) : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى الفوارس عبد العزينز الأنصارى (الخزرجى) ق ٧ هـ / ١٣٣ م .
- ٨٤ « تاريخ دولة الأكراد والأتراك » مصور بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٨٨١ في مجلدين ١٠٠ ، ٩٩ . لوحة ، عن النسخة المخطوطة بمكتبة حكيم أوغلو على بالاستانة برقم ٩٩٥ . وهـ و مصـور أيضًا بمعهـ المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٩٩٤ تاريخ .
 - قدامه (ابن جعفر) : قدامه بن جعفر · بن قدامة ، ابو الفرج ، ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م .
- ٨٥ « كتاب الخراج » مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٩٧١ فقه حنفى عن المكتبة الأهلية بباريس .
 وطبع كاملاً اخيرًا .
- القفطى (ابن الحاج) : شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة العبادى ، ضياء الدين أبو الحسن ، ت ٥٩٨هـ / ٢٠١٧م . (القفطى : انباه الرواه ، ٣ : ٧٣ ٧٤) .
- ٨٦ « تهذيب ذهن الواعى فى إصلاح الرعية والراعى » ألف للسلطان صلاح الدين الأيوبى . محطوط ضمن مجموعة خطية بمكتبة برلين برقم ٤٠٤٤ ٥ ، ٧٧ .
- القفطى (جمال الدين) : على بن يوسف بسن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني القفطى ، ويعرف بالقاضى
 الأكرم ، أبو الحسن ، وزير أيوبى ، ت ٢٤٦هـ / ٢٤٨ م .
 - ٨٧ « أساس السياسة » ، مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .
- الكافيجي (عي الدين) : محمد بـن سـليمان بـن سـعد بـن مسـعود الرومي ، أبـو عبـد اللـه ، ت ١٩٧٩هـ / ١٤٧٤ م . (السخاوي : الضوء ، ١١: ١٩٦) .
 - ٨٨ « سيف الملوك والحكام » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٢٦٣ ب .
- ابن كنان (الخلوتي) : محمد بن زين التقاه عيسى بن محمود بن محمد بمن كنان الحنبلى الصالحي الدمشقى ، ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م (المرادى : سلك الدرر ٤: ٨٥ - ٨٦) .
- - مجهول : (معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، ق ٣ هـ / ١٢ م .
- ٩ « المقامة الصلاحية في الخيل والبيطرة والفروسية » ألفها للسلطان صلاح الدين الأيوبي بعطوطة في
 ٥ ق بدار الكتب المصرية برقم ٨١ فروسية تيمور .
 - مجهول : (معاصر للسلطان العزيز عثمان الأيوبي) ق ٦ هـ / ١٢ م .

- 91 « كتاب محاسن الملوك » ألفه للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ت 91ه م / 1195م مخطوط بمكتبة طوبقبو سراى باستانبول كتب سنة 90هـ / ١٣٩٢م برقسم ٣٠٥٦ ٣٠٥٢ ، ومصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٨ أدب ، في ١٣١١ لوحة .
- جهول: (معاصر للملك الصالح اسماعيل الأيوبي ، والسلطان الصالح نجم الدين أيوب) ق ٧ هـ / ١٣٥ م.
 ٩٢ «كتاب التحقيق في شراء الرقيق» ، ألفه للملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب . عنطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٤٨ فضائل ، في ٢٥٠ ق ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٤ تصوف وأداب شرعية .
 - مجهول (معاصر للوزير الفاطمي الصالح طلائع بن رزيك) ق ٦هـ / ١٢م .
- 97 « كتاب تبية الملوك والمكائد » ، ألفه للوزير الفاطمى الملك الصالح طلائع بن رزيك . نسخة كتبت سنة ، ٢٤٤هـ / ٢٤٢م محفوظة بمكتبة كوبر في باستانبول برقم ١٠٦٥ ، في ، ٢٤٤ق ومصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٥٤ أدب وبمعهد المخطوطات برقم ٢٦ سياسة واجتماع .
 - جهول : (عاش في العصر المماليكي) ق ٨ ٩ هـ / ٤ ٢م تقريبًا .
- 94 « نزهة المناظر وراحــة الخاطر » ، مختصر الــدر المطلـوب فـى تــاريخ بنــى أيــوب مخطـوط بمكتبـة فينــا برقـم ٣٢٥ .
 - عيول :
- 90 « مجموعة رسائل القاضى الفاضل » مخطوطة بالمكتبة الأهلية بياريس برقم ٢٠٧٤ ، وبمكتبة دهده روشيد برقم ٢٨٧ ، وبمكتبة برلين برقم ٢٨٧١ ، وبمكتبة مدرسة أويس بالموصل .
 - جهول :
- ۹۱ « الرسائل الحجازية » وهي تحتوى على مكاتبات القاضى الفاضل . مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بأسبانيا برقم ٩٤٦ .
 - جهول:
 - ٩٧ « مكاتبات القاضى الفاضل » مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٧٥٧٥٧ .
 - جهول :
 - ۹۸ « مراسلات فاضلي » مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ٧٤٦٥ .
 - مجهول :
 - ٩٩ « الرسائل الأدبية للقاضى الفاضل » مخطوطة بمكتبة الجامع الأزهر رقم ٤٣ أباظة ، ٧٠٣٥ أدب .
- مجهول : معاصر لدول المماليك بمصر والشام ، ق ٩ هـ / ١٥٥م . (بروكلمن ٢: ٢٧٢ ، الملحسق ٢: ٢٩٤ ، حاجى خليفة : كشف الظنون ٣: ١٥٢٣) .
- ١٠٠ «كوكب الترك وموكب الملك » مخطوط بمكتبة غوطًا برقم ١٨٨٥ وبمكتبة شهيد على باستانبول برقم ٢٧٠٩، وبمكتبة كمبردج برقم ٩٥٤ .
 - مجهول: معاصر للملك الأشرف ق ٩ هـ / ١٥م.
 - ١٠١ « سياسة الملوك » ألفه برسم الملك الأشرف . مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .

- مجهول : معاصر للملك الأشرف قايتباى ، ق ٩ هـ / ١٥٥ .
- ١٠٢ « تحفة الملوك وعمدة المملوك » ألفه برسم الملك الأشرف قايتباى . مخطوط بمكتبة أياصوفيسا
 باستانبول .
 - مجهول : معاصر للسلطان قانصوه الغورى ، ق ١٠هـ / ١٦م .
- ١٠٣ « السلوك في تدبير الملوك » مخطوط بمكتبة أيا صوفينا برقم ١٨٥٤ في ١١٢ ق ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٥ سياسة واجتماع .
 - جهول:
 - ١٠٤ « اللؤلؤ المنثور لنصيحة ولاة الأمور » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٥ اجتماع تيمور .
 - مجهول:
- ١٠٥ « حدائق السلوك في سياسة الملوك » مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٢٥٠٧ ، مصور بمهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٣٩٠ سياسة .
 - مجهول : عاش في العصر المماليكي ق ٨ ١٠هـ / ١٤ ١٥م .
- ١٠٦ «شرح اللمعة » كتاب في تاريخ مصر أيام الفاطمين والأيوبيين والمماليك ، آخره بتاريخ سنة
 ١٠٦هـ / ١٥١٤م . مصور بالفوتستات بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ عن مخطوطة بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا .
 - مجهول : كان موجودًا سنة ٢٣٢هـ / ١٢٣٤م .
- ۱۰۷ « أخبار الصاحين والزهاد والعارفين والعباد » في تراجم الصوفية ، رتبه على حروف المعجم ، مبتدأ بالمحمدين . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ۲۷۷٤ عام . وذكر المؤلف في ق ٩٥ و ق ١٠٢ إن الذي ألبسه خرقة التصوف هو أبو عبد الله عمر بن ميمون السهرودي ، ت ٦٣٢ه .
- المحبى (لعلها المحلى) المصرى: حسين بن محمد (لعله الحسين بسن محمد المحلى المصرى الشافعي)، فقيمه فرضى رياضى، ت ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م).
 - ١٠٨ «عدة السالك في سياسة الممالك » مخطوط بمكتبة خالص باستانبول .
- ابن المحق (الموصلی) : أبو عبد الله محمد بن أبی یكر المبارك ابن الرضوان المعروف بابن المحق الموصلی .
 ۱۰۹ « النصح فی الدین ومآرب القاصدین فی مواعظ الملوك والسلاطین » مخطوط بمكتبة أحمد الشالث باستانبول برقم ۲۰۲ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ۵۰ سیاسة واجتماع .
- المخزومى (أبو الحسن): على بن أبى عمر عثمان بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن يعقوب القرشى
 المخزومى الشافعى ، القاضى الأجل السعيد ولد بالقاهرة سنة ١١٥هـ / ١١١٨م وتوفى بها سنة ٥٨٥هـ /
 ١١٨٩ م . (المنذرى: التكملة لوفيات النقلة ، ١: ١٨٩) .
- · ١١ « كتاب المنهاج في صناعة خراج مصر »، مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني بلندن برقم ٢٣٤٨٣ .
 - ابن مرتفع (المقرى) : محمد بن مرتفع بن جبريل المقرى . كان حيًا سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .
- ١١١ « سبل الرشاد في فضائل الجهاد » نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ١٤٧هـ مخطوطة بجامعة استانبول
 برقم ١٣٩٦ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٥٢ تصوف وآداب شرعية .

- ابن المظفر (الرازى) : أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى الحنفى ت ٦٣١هـ / ١٣٣٤م . (كحالة : معجم المؤلفين ، ٢: ١٥٨) .
- ١١٢ « ذخيرة الملوك في علم السلوك » نسخة كتبت في سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م ، وقوبلت على نسخة المؤلف ، في ١٣٣ ق بمكتبة لاله في باستانبول برقم ٣٣٧٩/ ٢ ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٥٥٩ تصوف وآداب شرعية .
 - ابن أبي المفاخر (مجد الدين) : محمد بن أبي المفاخر داود الملك الناصر صاحب الكرك ق ٧ هـ / ١٣٣م .
- ۱۱۳ « الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية » وهو مجمسوع رسائل وشعر السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أبي المفاخر داود ابن السلطان المظفر عيسسي بن نجم الدين أيوب ، ت ٢٥٦هـ / ١٢٥٨م . محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٩٦٣ أدب ، وهي مصورة عن استانبول في ٢٩٦ ق .
- المقريزى (تقى الدين) : أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بسن تميم ابن عبد الصمد المحيوى الحسيني العبيدي البعلي الأصل المصرى المولد والدار والوفاة ، ت ١٤٤٥هـ / ١٤٤١م .
- ١١٤ « المقفى » كتاب فى تراجم ملوك وعلماء ومشاهير مصر الإسلامية والواردين عليها منذ الفتح العربى وحتى عصر المؤلف ، مرتب على حروف المعجم . منه أربع مجلدات بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٧٢ تاريخ . والجنزء الأول منه مخطوط بالمكتبة السليمية باستانبول برقسم ٤٩٦ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٥١٠ تاريخ . ومنه مجلد آخر من مسودة المؤلف بمكتبة ليدن برقم ١٣٦٦ مصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٠٤١ تاريخ .
- ١١٥ « المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدينة » مصور بجامعة القاهرة برقم ٢٦٢٤٧ / ٩ ، عن المكتبة الوليدية بالآستانة .
 - ١١٦ « رسالة في الموازين الشرعية » مخطوط بدار الكتب المصرية .

. 1 . 9 9, V

- ابن مماتى (الأسعد): أسعد بن المهذب بن مينا بن ذكريا بن مماتى، أبو المكارم، ت ٢٠٩هـ / ٢٠٩ م. ١١٧ «مختصر من متبلج الأنوار ومتعرج النوار»، فى المكاتبة إلى الملوك والوزراء والعلماء، مما جمعه ابن مماتى، من قول القاضى الفاضل. مخطوط ضمن مجموعة خطية بمكتبة الفاتيكان بإيطاليا برقم
- المناوى (زين الدين) : عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن على بن زين العابدين الحدادى المناوى القاهرى الشافعي ، ت ١٩٦١ ٤١٦) .
- ۱۱۸ « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » وتعرف بطبقات المناوى الكبرى ، رتبها على أحد عشر طبقة ، وجعل كل طبقة مائة سنة ، ورتب كل طبقة على حروف المعجم ، مصور بمعهد المخطوطات برقم ٧٦٧ تاريخ .
- ابن منجب (الصيرفي): على بن منجب بن سليمان المصرى، أبو القاسم متولى ديوان الإنشاء الفاطمى
 بمصر، ت ٤٦هـ/ ١١٤٧م. (ياقوت: معجم الأدباء، ١٥: ٧٩ ٨١).

- 119 (10) +
- المنجنيقي (نجم الدين): يعقوب بن صابر بن بركات، أبو يوسف، ت ٢٦٢هـ / ١٢٤٨م (ابسن الفوطى: الحوادث الجامعة، ص ٨ ١١، ابن خلكان: وفيات ٢: ٣٣٧).
- ١٢٠ « عمدة السالك في سياسة الممالك » ، يتضمن أحوال الحروب والفروسية وحيلهما ، وفتح الثغور وبناء المعامل وهندستها . ألفه أغلب الظن للخليفة العباسي الناصر لدين الله . مخطوط بمكتبة برلين برقم ١٤٤٥ (٩) ضمن مجموعة خطية .
- النابلسى (علاء الدين): عثمان بن إبراهيم بن خالد بن محمد بن المسلم القرشى ، النابلسى المحتد المصرى الدار والوفاة والمولسد الشافعي الكاتب الأديب . ولد سنة ١٩٨٨هـ / ١٩٢ م بالقاهرة وتوفى بها سنة ١٦٦٨ / ٢٩١ م . (اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، ١: ٤٠٥ ٥٠٥) .
- ۱۲۱ «كتاب تجريد سيف الهمة لاستخرام ما فى ذمة أهل الذمة » مخطوط بمكتبة الزيتونـــة بتونــس برقــم ۱٦٤٥ أنظر ۱۷٫۷٤٫۱۹۲۲ ومنه نسخة خطية أخرى بمكتبة آياصوفيا باستانبول .
- ابن نباته (المصرى) : محمد بن عمد بن الحسن الجدامي الفسارةي الأصل المصى أبو الفضائل ، أبو الفتح ،
 أبو بكر ، ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م . (ابن حجر : الدرر ، ٤: ٢١٦ ٢٢٤) .
- ۱۲۲ « المنحتار الفاضل من كلام القاضى الفاضل » ، مخطوط بالمتحف البريطاني برقم ۷۳۰۷ ، وهـو مصور بدار الكتب المصرية برقم ۳۸۸۲ أدب ، وبمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ۷۵۰ أدب .
- ١٢٣ «المختار من إنشاء القاضي الفاضل» مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر رقم ٢٩٩ أباظة ، ٧٠٦٥ أدب .
- ۱۲۶ « المختار من كتاب تدبير الدول » نسخة كتبت ق ۸هـ ، في ۸۶ ق ، بمكتبة أسعد أفسدى باستانبول برقم ۱۸۲۲ .
- ابن نجم (المصرى): إبراهيم بن محمد، زين الدين، الحنفى، ت ١٩٧٠هـ / ١٥٢٦م (ابن العماد: شذرات الذهب، ٨: ٣٥٨).
 - ١٢٥ « رسالة في أحكام السياسة الشرعية » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١٦٠ .
- ١٢٦ «رسالة التحفة المرضية في الأراضي المصرية» مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٧٩ ، ٣٣ مجاميع.
- ١٢٧ «رسالة في بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها» ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣ مجاميع .
- النويرى (شهاب الدين): أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى الشافعى ،
 أبو العباس ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .
- ١٢٨ « نهاية الأرب في فنون الأدب » الجزء ٢٧ ، مصور بالفوتستات بدار الكتب المصرية برقم ٤٩ ٥ معارف عامة .

- الهروى (أبو الحسن) : على بن أبى بكر بن على الهروى الموصلي نزيل حلب الرحالة الشهير ، ت ٦٦١٦هـ / ٥ ٢١٥ .
- ۱۲۹ « التذكرة الهروية في الحيل الحربية » وهي في السياسة الشرعية وتدبير الملك والحيل الحربية ،
 عنطوط بمكتبة عاطف أفندى باستانبول برقم ٢٠١٨ ، ومصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٧ فروسية . وحقق أخيرًا بدمشق .
 - ابن أبي الهيجاء (؟) معاصر للسلطان صلاح الدين الأيوبي ق ٦هـ / ١٢م .
- ١٣٠ « تاريخ ابن أبى الهيجاء » بدأ منذ صدر الإسلام وانتهى بحروب صلاح الدين . عنطوط بالمكتبة الأحدية بتونس برقم ٥٤٦ ومصور بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٤٩٤٩ .
- ابن واصل (الحموى) : محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل المازتي التميمي الحموى الشافعي ،
 چال الدین ، أبو عبد الله ، ت ۱۹۷۷هـ / ۱۲۹۸م .
- ۱۳۱ « التاريخ الصالحى » مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول برقم ٢٢٢٤ ومصور بالتصوير الشمسى بمكتبة كلية الأداب جامعة الإسكندرية برقم ٢٣١١ .
- ابن وصيف شاه (المصرى) : إبراهيم بن وصيف شاه المصرى ، ت ٩٩ هد / ١٢٠٣م (كحالة : معجم المؤلفين ، ١ : ١٢٠٠) .
- ۱۳۲ « تاريخ أخبار الديار المصرية » وما في ذلك من جواهر البحور ووقائع الأمور وعجبائب الدهور ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ تاريخ .
- اليافعي (المصرى) : الحسن بن إبراهيم بن محمد اليافعي (؟) من علماء القرن التاسع الهجري / ١٣م كان معاصرًا للسلطان قلاوون .
- ۱۳۳ « جامع التواريخ المصرية فسى ذكر الملوك والخلفاء والسلاطين الإسلامية » الفه للسلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى . ابتداء بحوادث سنة ۲۱هـ / ۱۲۷م ، وانتهى فيه إلى سنة ۲۷هـ / ۲۷۹م ، في سلطنة المنصور المذكور ، ورتب هذا التاريخ على الحوادث والوفيات . عطوط بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ۱۰٤۳ ومصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ۲۰۱۲ تاريخ .
- يوساب (أسقف فوه): الأنبأ يوساب أسقف فوه، كان معاصرًا للدولة الأيوبية ق ٦ هـ / ١٦م. كما أفاد أكثر من مرة أثناء كتابه (سير بطاركة كرسى الإسكندرية).
- ١٣٤ « سير بطاركة كرسى الإسكندرية » مخطوط بمكتبة المتحـف القبطـى بالقــاهـرة برقــم ٥٣٢٨ . ومنــه نسخة خطية أخرى قديمة بدير السريان بوادى النطرون .

ثَانيًا: المصادر العربية المطبوعة(١):

- ابن الأثير (عز الدين) : على بن محمد ت ١٣٣هـ / ١٢٣٣م .

 ⁽١) ثمة بعض مصادر ، لم تؤلف في العصر الأيوبي ، وقد رجعنا إليها قليلاً لتحقيق الأسماء والأعلام ولم نذكرها في هذه القائمة لكثرة تداولها .

- ١ –الكامل في التاريخ ، ١٣ جزءًا ، طبع دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٦٥م .
- ٢ الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م .
 - ابن الأثير (ضياء الدين) : نصر الله بن محمد ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م .
 - ٣ رسائل ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسي ، بيروت ١٩٥٩م .
 - ٤ الوشى المرقوم في حل المنظوم ، مطبعة ثمرات الفنون ، سنة ١٢٨٩هـ .
 - ٥ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، طبع المطبعة البهية بالقاهرة سنة
 - الأذفوى (ت ٧٤٨هـ):
- ٦ الطالع السعيد الجامع الأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، الهيئة العامة
 للكتاب ، سلسلة تراثنا .
 - ابن الأزرق (الأندلسي) أبو عبد الله بن الأزرق ق ١٠هـ / ١٦م .
 - ٧ بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق على سامى النشار ،
 - الإسحاقي (المنوفي) : محمد بن عبد المعطى ت ١٩٥١هـ / ١٩٥٠م .
 - ٨ لطائف أخبار الأول ، فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ، طبع مصر .
 - الأسفرايني (أبو المظفر) : شهبور بن طاهر ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م .
- ٩ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، طبع القاهرة ،
 ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
 - الإسكافي (الخطيب) محمد بن عبد الله ت ٤٢١ه. .
- ١ لطف التدبير في تدبير الرئاسة ، تحقيق أحمد عبد الباقي ، نشر مكتبة المتنى ببغداد ومكتبة الحانجي
 بالقاهرة ، ١٩٦٤م .
 - الأشعرى (أبو الحسن): على بن إسماعيل ت ٣٣٠هـ / ٩٤٢م.
- ١١ الإبانة في أصول الديانة ، طبع بدائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٠٤هـ ، ضمن مجموعة رسائل بعنوان ، الرسائل السبعة في العقائد ، رقم ٤ في المجموعة .
- ١٢ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق هلموت ريس ، طبع في مجموعة النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٣م .
- -الأهوازى (المصرى) : على بن بلبان الفارسي المصرى الحنفي ، أبو الحسن (٦٧٥هـ ٧٣٩هـ) (ابس حجر : الدرر الكامنة ٣: ٣٣ ؛ القرشي : الجواهر المضية ص ٣٥٤)
- 17 التبر المنسبك في تدبير الملك ، ويشتمل على تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، طبع بمطبعة التمدن بمصر ١٣١٨هـ / ١٩٠٠ م ، وطبع حديثًا بعنوان التحقة الملوكية في الآداب السياسية ، منسوبًا لأبي الحسن الماوردي ، بتحقيق فؤاد عبد المنعم ، القاهرة ١٩٧٧م .
 - الأنصارى : عمر بن إبراهيم (ق ٨ ٩هـ / ١٤ ١٥م) .
- ١٤ « تفريج الكروب في تدبير الحروب » ، ألف في عهد السلطان ، فرج بن برقوق (١٠٨ه ١٤ « تفريح الكروب في تدبير الحروب » ، ألف في عهد الأمريكية بالقاهرة ١٩٦١ م .

- ابن إياس (التركماني المصرى) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي التركماني ، ولد ١٥٥٣هـ ، وبدأ تأليف كتابه بدائع الزهور سنة ١٠٩٩هـ .
- ٥١ « بدائع الزهور في وقائع الدهور » تاريخ حولى من سنة ١٥٧هـ إلى سنة ١٩٢١هـ (ج ١ ٤) ،
 تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٥١م ١٩٦٠م .
 - ابن أيبك (الدوادار) أبو بكر بن عبد الله ت بعد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م .
 - 17 « الدر المطلوب في تاريخ بني أيوب » ، تحقيق سعيد عاشور ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧٢م .
 - الباقلاني (أبو بكر) : محمد بن الطيب ٥٠ ١هـ / ١٠ ١٩ .
- ١٧ « التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » ، تحقيق محمود محمد الخضيرى،
 ومحمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، ونشر مرة أخرى ببيروت ١٩٥٧م ،
 بتحقيق يوسف مكارثي اليسوعي .
- ۱۸ «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى ، القاهري ١٣٦٩هـ / ١٨٠٠ م .
 - باعزمه (العدني) : الطيب بن عبد الله ت ٤٧ هد / ١٥٤٠م .
 - ۱۹ « تاریخ ثغر عدن (ج ۱ ۳) » ، عقیق أوسكر لوفجوین ، لیدن ۱۹۳۲م .
 - البدليسي : شرف خان ، (عاش في العصر العثماني ق ١٠ هـ ١٤هـ / ١٦ ٢٠م) .
- ۲ « الشرفنامة الكردية ، الفه بالفارسية » ، ترجمه إلى العربية محمد على عونى ، راجعه وقدم له يحيى الخشاب ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البلبابي الحلبي د. ت .
 - ابن بسام (التيسى) : عمد بن أحمد المحتسب (أواخرق ١هـ / ٧ م) .
- ۲۱ « كتاب أنيس الجيس في أخبار تنيس » ، حققه جمال الدين الشيال ، عجلة المجمع العلمي العراقي ، ج ٢١ ١٩٦٧ ، ص ١٥١ ١٨٩ .
 - ابن بعره (الذهبي) : منصور بن بعره الذهبي الكاملي ق ٦ هـ / ١٢ م .
- ٢٢ « كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية » ، طبع بالمجلس الإسلامي الأعلى بالقاهرة ١٩٦٧م،
 بتحقيق عبد الرحمن فهمي .
 - البغدادي (أبو منصور) : عبد القاهر بن طاهر ت ٢٩ ٤هـ / ٢٥ ١ م .
- ٢٣ « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم » ، تحقيق محمد زاهد الكوثرى، طبع القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٣٩٨ م .
 - ٢٤ كتاب « أصول الدين » طبع استانبول ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨ م .
 - البغدادي (موفق الدين) : عبد اللطيف بن يوسف ت ٦٢٩هـ م ٢٣١م .
- ٢٥ كتاب « الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » ، طبع بمصر ، د. ت.
 يمطبعة المجلة الجديدة لصاحبها سلامة موسى .
 - -البنداري (الأصفهاني) الفتح بن على ت ١٤٤٣هـ / ١٧٤٥ .
 - ٢٦ « تاريخ دولة آل سلجوق » ، طبع بمطبعة الموسوعات بمصر ، ١٩٠٠ م .

- ۷۷ « سنى البرق الشسامى » (۲٫۲۵هـ / ۱۱۲۱م ۵۸۳هـ / ۱۱۸۷م) ، تحقيق فتحيـة النبراوى ، القاهرة ۱۹۷۹م .
 - بنيامين التطيلي (الرحالة اليهودي الأندلسي) ق ٦هـ / ١٢م .
- ٢٨ «رحلة بنيامين التطيلي» ، ترجمها إلى العربية عزرًا حداد ، تصدير عباس العزاوى ، بغداد ، ١٩٤٥م .
 - البهاء زهير (المصرى) : زهير بن محمد ت ٢٥٦هـ / ٢٥٨م .
 - ۲۹ « ديوان البهاء زهير » ، طبع مصر ۱۲۹۷هـ ، وطبع بيروت ۱۹۶۴م .
 - البوصيري (شرف الدين) : محمد بن سعيد ت ١٨٦هـ / ١٢٩٦م .
 - . ٣ « ديوان البوصيري » ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبع مصر ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
 - ابن البيطار (ضياء الدين) عبد الله بن أحمد المالقي ت ٢٦٣هـ / ١٩٤٨م .
 - ٣٦ « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ، (ج ١ ٤) طبع ببولاق ١٢٩١ هـ في مجلدين .
 - ابن التعاويذي (سبط) : محمد بن عبيد الله ، ت ٥٨٣هـ / ١١٨٧م .
 - ۳۲ « ديوان سبط ابن التعاويذي » ، تحقيق مرجليوث ، مطبعة المقتطف بمصر ، ٣ ، ١٩ م .
 - ابن تغرى بردى (أبو المحاسن) : يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهري ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م.
- 87 8 النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 8 ، تحقيق محمد رمزى وآخرون ، طبع دار الكتب المصرية، ابتداء من سنة 80 100 هـ / 80 100 م ، ج 80 ، وبصفة خاصة (ج 80) .
 - التوحيدي (أبو حيان) : على بن محمد ، كان حيًا سنة ١٨٥هـ / ٩٩٠ م .
- ٣٤ « رسالة في علم الكتابة » ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، ضمن مجموعة رسائل طبعت بعنوان : « ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي » ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق ، ١٩٥١م .
- ۳۵ « مثالث الوزيرين » ، أخلاق الصباحب بن عباد وابن العميد ، تحقيق إبراهيم الكيلاني ، دمشق
- ٣٦ « أخلاق الوزيرين » ، مثالث الوزيريس الصاحب بن عباد وابن العميد ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٥ م .
 - التيفاشي (القفصي) : أحمد بن يوسف ت ٢٥١هـ / ١٢٥٣م .
- ٣٧ « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » ، طبع القاهرة سنة ١٩٧٧م ، ضمن مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني خفاجي .
 - ابن تيمية (تقى الدين) : أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م .
- ٣٨ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، تحقيق على سامى النشار ، وأحمد زكس عطية ، الطبعة
 الثانية ، القاهرة ١٩٥١م .
 - ٣٩ « الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية » ، القاهرة ، المطبعة المؤيدية ، ١٣١٨هـ .
 - الثعالبي (أبو منصور) : عبد الملك بن إسماعيل النيسابوري ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨ م .
 - . ٤ « كتاب تحفة الوزراء » ، تحقيق ريجينا هاينكه ، بيروت ١٩٧٥ م .

- الجاحظ (عمرو بن بحر البغدادي المعتزلي) ق ٣ هـ .
- ١٤ « رسالة في فضل الترك » ، تحقيق عبد السسلام هارون ، نشر مكتبة الخانجي ، في مجموعة رسائل الجاحظ ، القاهرة ١٩٦٥م .
 - ابن جبير (الأندلسي) : محمد بن أحمد الكناني البلنسي الشاطبي ت ٢١٤هـ / ٢١٧م .
 - ٤٢ « رحلة ابن جبير » ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
 - الجهشيارى (أبو عبد الله) : محمد بن عبدوس الكوفي ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م .
- ٤٣ كتاب « الوزراء والكتاب » ، تحقيق مصطفى السقا و آخرون ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧هـ /
 ١٩٣٨ م .
- - الجواليقي (أبو منصور) : موهوب بن أحمد ت ٤٠ هـ / ١١٤٥ .
- ٤٥ « المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم » ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة مطبعة دار
 الكتب المصرية ، ١٣٦١هـ .
- ٤٦ « شرح أدب الكاتب » ، نشر مع مقدمة وتصدير لمصطفى صادق الرافعى ، مكتبة القدسي ،
 ١٣٥٠ هـ .
 - (جوانفيل) مؤرخ لاتيني صليبي ت ق ٦هـ / ١٢م .
- ٤٧ « مذكرات جوانفيل ، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام » ، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، الطبعة الأولى ، دار المعارف عصر ١٩٦٨م .
 - ابن الجوزى (أبو الفرج) : عبد الرحمن بن على ت ٩٧٥هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٨ « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » ، نشر منه الأجزاء من (٥ ١٠) بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٥٧هـ .
 - -الجويني (إمام الحرمين) : عبد الملك بن عبد الله ت ٧٨هـ / ١٠٨٥ م .
- ٩٤ «غياث الأمم في النياث الظلم» ، الله للوزير نظام الملك السلجوقي ، تحقيق فؤاد عبد المنعم
 ومصطفى حلمي ، القاهرة ٩٧٩ م .
- ٥ « العقيدة النظامية » ألفها للوزير نظام الملك السلجوقى ، تحقيق عمد زاهد الكوثىرى ، طبع بمطبعة الأنوار بمصر ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .
- ٥١ « لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة » تحقيق فوقية حسين ، طبع القاهرة ١٣٥٨هـ /
 ١٩٩٥ .
 - ٢٥ « كتاب الإرشاد في أصول الدين » ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني ، طبع دار المعارف بمصر .
 - ابن الجيعان (شرف الدين) يحي بن شاكر ، ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م .
 - ٥٣ « التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية » ، نشر مورتز ، القاهرة ، ١٨٩٨م .

- ابن حاتم (الرازى) اليمنى (ق ٦ / ١٢م) .
- ٤ ٥ العقد الغالى الثمن في أخبار ملوك الغز باليمن ، تحقيق ج ، ركس سمث .
- ابن الحبال (المصرى) : الحافظ إبراهيم بن سعيد (أبو إسحاق) ت ٤٨٢هـ ١٠٨٩م .
- ٥٥ « وفيات المصريين » تحقيق صلاح الدين المنجد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثانى ، الجزء
 النائ ، نوفمبر ١٩٥٦م ، ص ٢٨٦ ٣٣٨ .
 - -ابن حجر (العسقلاني) : أحمد بن على الكناني المصرى ، ت ٢٥٨هـ / ١٤٤٩م .
- ٥٦ « رفع الأصر عن قضاة مصر » ، (ج ١ ٢) تحقيق حامد عبد المجيد وآخرون ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧م .
 - ابن حسول (أبو العلاء) : الوزير السلجوقي (ق ٥هـ / ١١م) .
- ٥٧ « كتاب تفضيل الأتراك على سائر الأجناد » ، ومناقب الحضرة العالية السلطانية ، تحقيق عباس العزاوى ، مطبعة المعارف باستانبول ١٩٤٥ .
- الحلبي (شهاب الدين): محمود بن سليمان الحنفي ، أبو الثناء ، صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، ت ٧٧٥ه / ع
- ٥٨ « كتاب حسن التوسل إلى صناعة الترسل » ، طبع بمطبعة هندية بدرب الجنينة ، بغيط النوبى بمصر ،
 ١٣١٥ « ١٣١٥ .
 - الحموى (ابن حجة) : على بن عبد الله ، ت ١٤٣٤ / ١٤٣٤م .
- ٥٥ « كتاب ثمرات الأوراق » ، طبع بمطبعة المعاهد بالجمالية ، ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ، على هامش كتاب (المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي) .
 - الحموى (أبو الفضائل) محمد بن على بن نظيف ت . بعد سنة ٦١٣هـ / ١٢٣٣م .
- ٦٠ « التاريخ المنصورى » ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العيددودو ، مراجعة عدنان درويش ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٢٠١٤هـ / ١٩٨٧م .
 - الخفاجي (الشهاب) : أحمد بن محمد بن عمر المصرى ت ١٩٦٩ هـ / ١٩٥٩م .
 - ٦١ « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » ، طبع بمصر .
 - ابن خلدون (الأشبيلي) : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت ٨٠٨هـ /٢٠١٦م .
 - ٢٢ « المقدمة » ، طبع بالمطبعة الأدبية بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٠ م .
 - ابن خلكان (الأربلي) : أحمد بن محمد ت ١٨١هـ / ١٢٨٢م .
- ٦٣ « وفيات الأعيان » ، تحقيق إحسان عباس ، (ج ١ ٨) ، طبع ببيروت ١٩٦٨م ، كما رجعنا أحيانًا لطبعة بولاق القديمة في مجلدين .
 - ابن دحية (الكلبي) : عمر بن الحسن الأندلسي ، ت ١٣٣هـ / ١٢٣٥م .
 - ٢٤ « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » ، تحقيق عباس العزاوي ، بغداد ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .
- -ابن درباس (ضياء الدين) : عمر بن عيسى بن درباس الهذباني الماراني المصرى ، قاضى قضاة مصر في عهد صلاح الدين الأيوبي ت ٢٠٢هـ / ٢٠٦م .

- ٥٦ « رسالة في الذب عن العقيدة الأشـعرية » ، ألفها للـلطان صـلاح الدين الأيوبي ، طبعت ضمن مجموعة الرسائل السبع في العقائد ، الهند سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ م .
- ابن دُقماق (صارم الدين) : إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق القاهرى ، مؤرخ الديار المصرية فى وقته (١٥٠هـ - ١٠٨هـ) .
- ٦٦ « الإنتصار لواسطة عقد الأمصار » ، جزآن منه ، (الرابع والخامس) ، طبعا ببولاق ، ١٣٠٩هـ ١٣٠٤هـ .
 - ابن أبي الدم (الحموى) : إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت : ٢٤٢هـ / ٢٤٤م .
- ٦٧ « كتاب أدب القضاء ، أو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات »، تحقيق محمد مصطفى الزحيلي،
 دمشق ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
 - الدمشقى (أبو الفضل) : جعفر بن على الدمشقى (ق ٦ هـ / ١٢م) .
- ٦٨ « الإشارة إلى محاسن التجارة » ، طبع بمطبعة المؤيسد بمصر ١٣١٨هـ ، وحققه ودرسه السيد محمد عاشور ، تحت عنوان : دراسة في الفكر الاقتصادي العربي ، أبو الفضل جعفر بن على الدمشقي (أبو الاقتصاد) ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ، وطبع مرة ثالثة بالقاهرة بتحقيق البشسري الشسوريجي ، ١٩٧٧م .
 - الرازى (فخر الدين) : محمد بن عمر الطبرستاني ت ٢٠١٠ . ١٢١٠ م .
- ٦٩ « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ، تحقيق مصطفى عبد الرازق ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م.
- ٧٠ «أساس التقديس في علم الكلام » ، أهداه للملك العادل الأول ، سيف الدين أبو بكر بن أيوب ،
 طبع بمصر ١٩٥٤هـ / ١٩٣٥م .
- -ابن الراهب (القبطى) : بطرس بن أبى الكرم ابن المهذب ، المعروف بابن الراهب القبطى ت ٩٩٩هـ / ٥ ١٢٥ .
 - ٧١ « كتاب تاريخ ابن الراهب » ، حققه لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ٣ ، ٩ ، ٩ م .
 - -الراولدى (أبو بكر) محمد بن سليمان ت : بعد سنة ٣ ٣هـ / ٢ ٢ ٢م .
- ٧٧ « راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية » ، ترجمة عن الفارسية الشواربي وحسنين والصياد ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ، ١٩٦٠م .
 - ابن أبى الربيع (شهاب الدين) : أحمد بن محمد بن أبى الربيع (ق ٣هـ / ٥٩) .
- ٧٣ « سلوك المالك في تدبير الممالك » ، ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسي ، طبع على نفقة عبى الدين صبرى الكردى ، عطبعة كردستان العلمية بالجمالية بمصر ، سنة ١٣٢٩هـ .
- -الرومى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى) ، المتوفى سنة ٦٦٦هـ (الزركلى : الإعلام ٩: ١٥٧) .
 - ٧٤ « معجم البلدان » ، طبع ليزج ، ١٨٧٠م (ج ١ ٦) .
 - ٧٥ « معجم الأدباء » ، طبعة فريد رفاعي ، ٢٠ جزءًا ، القاهرة ١٩٣٦م .

- الزركشي (أبو عبد الله) : (ق ٩هـ / ١٥٥) .
- ٧٦ « تاريخ الدولتين الموحدية والحقصية » ، طبع بالمطبعة العتيقة بتونس ١٩٦٦م .
 - -الزبيدى (المرتضى) : عمد بن عمد الحسيني ت ١٢١٣هـ / ١٧٩٨ م .
- ۷۷ « كتاب ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب » ، طبع بدمشق ، بتحقيق صلاح الدين المنجد سنة ۱۹۷۱م .
 - الساعاتي (ابن أنجب) : أحمد بن على البغدادي ت ٢٧٤هـ / ١٢٧٥ م .
- ٧٨ « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » ، تشر الجزء التاسع منه في بغداد سنة
 ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م ، بتحقيق مصطفى جواد .
 - ابن الساعاتي (الشاعر) : على بن رستم ت ٤٠٢هـ / ٢٠٧ م .
 - ٧٧ « ديوان ابن الساعاتي » ، تحقيق أنيس المقدسي ، المطبعة الأمريكانية بدمشق سنة ١٩٣٨م .
 - سبط ابن الجوزى (أبو المظفر) : يوسف بن قزاوغلي ت ١٥٥هـ / ١٢٥٦م .
- ٨٠ « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » ، نشر الجزء الثامن منه في قسمين ، بمطعبة دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥١م .
 - السبكي (تاج الدين) عبد الوهاب بن على ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م .
 - ٨١ « معيد النعم ومبيد النقم » ، تحقيق محمد على النجار وآخرون ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .
 - ابن أبي السرور (السروجي) : على بن عبد الله بن أبي عبد الله ت ٢٤٨هـ / ٢٥٠م .
 - ٨٢ « بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء » ، طبع بمطبعة النجاح بمصر ، ١٣٢٧هـ / ٩٠٩م . أ
 - ابن سمرة (الجعدى) : عمر بن على ت ٨٦هـ / ١١٩٠ م .
 - ٨٣ « طبقات فقهاء اليمن » ، تحقيق فؤاد ميد ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٧م .
 - –ابن سناء الملك (الشاعر) : هبة الله بن جعفر ، ت ١٨٨هـ / ١٢٨١م .
 - ٨٤ « ديوان ابن سناء الملك » ، تحقيق محمد عبد الحق ، طبع بالهند سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م .
 - السيوطي (جلال الدين) عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١٢هـ / ١٥٠٦م .
- ٨٥ « حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ج ١ ٢) طبع عطبعة عيسي البابي الحلبي ، القاهرة .
 - ٨٦ « الوسائل إلى مسامرة الأوائل » ، تحقيق أسعد طلس ، بغداد ، ١٩٥٥ م .
 - ابن شاهنشاه (الأيوبي) الملك المظفر تقى الدين عمر صاحب حماه . ت ٨٧هـ / ١٩١١م .
- ۸۷ « تاریخ حماه » ، طبعت منه منتخبات فی ذیل کتاب النوادر السلطانیة لبهاء الدین ابن شداد ، بمطبعة صبیح بالأزهر ۱۳٤٦هـ ، ص ۲۵۳ ۳۱۱، وإن کنت أشك فی صحة نسبة هذه المنتخبات لهذا التاریخ .
 - ابن شاهنشاه (الأيوبي) مؤرخ ، ابن الملك تقى الدين عمر صاحب حماه ، ت ١١٧هـ / ١٢٢٠م . ٨٨ - « مضمار الحقائق وسر الخلائق » ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٨ م .

- أبو شامة الأصفهاني : (شهاب الدين) عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ، المتوفى سنة ع٩٦٥ :
- ٨٩ « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، طبع قديمًا في جزئين ، بمطبعة وادى النيل بالقاهرة ١٢٨٧ هـ ١٢٨٨ هـ ، وطبع طبعة حديثة بتحقيق محمد حلمـ محمـ د أحمـ د ، ٢/١ مـن الجنزء الأول ، القاهرة ١٩٥٦م .
- ٩ « ذيل الروضتين » ، طبع بعنوان : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، تحقيق عمد زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .
 - ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المتوفي سنة ١٨٧٢هـ :
 - ٩١ « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » ، تحقيق بولس راويس ، طبع باريس ١٩٩٤م .
 - -ابن شداد : (بهاء الدين) : يوسف بن رافع بن تميم ، ت ١٣٣٤هـ / ١٣٣٤م .
 - ٩٢ « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤م .
 - ابن شداد (عز الدين) : محمد بن إبراهيم الأنصارى ، ت ١٩٨٤ م / ١٩٨٥م .
- ۹۳ « الاعلاق الخطيرة في تاريخ أمراء الشام والجزيرة » ، (ج ۱ ۳) ، طبع بتحقيق دومينيك سورديل ، وسامى الدهان ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسي بدمشق ، ۱۳۷۲هـ ۱۳۸۲هـ / ۱۹۵۳ م ۱۹۸۲هـ / ۱۹۵۳م ۱۹۵۳م .
 - ابن شكر (صفى الدين) : عبد الله بن على الشيبى الدميرى الملقب بالصاحب ، ت ١٣٣٠هـ / ١٣٣٢م . ٩٤ - « المقامة المولوية الصاحبية » ، نشرها ريشر ، أنظر :

W.Z.K.M.: Rescher, Beitr Z. Maqamenlit IV, Stambul 1913, 153-199.

- الشهرستاني (أبو الفتح) : محمد بن عبد الكريم ، ت ٤٨هـ / ١٥٣ م .
- 90 « الملل والنحل » ، طبع بالقاهرة بالمطبعة الأدبية ١٣١٧هـ على هامش كتباب الفصيل في المليل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ، ت ٤٥٦هـ / ٦٣ ، ٨ م .
- ٩٦ « نهاية الأقدام في علم الكلام » ، تحقيق الفردجيوم ، وإعادت طبعه بالأوفست مكتبة المشي ببغداد ،
 د. ت .
 - الشيرازي (المؤيد في الدين) : هبة الله بن موسى ، ت ٧٠٤هـ / ١٠٧٧م .
- ۹۷ « ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة » ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٩م. ٩٠ « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » (ترجمة ذاتية) ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٩م .
- الشيزرى (الشافعى) : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن عمد ، (معاصر لصلاح الدين الأيوبي ، ت ٥٨٩هـ / ١٩٩٣م) .
- 99 « كتاب المنهج المسلوك في سياسة الملوك » ، ألفه للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، طبع بمطبعة الظاهر بالقاهرة ٢٣٢١هـ ، على نفقة أحمد زكي أبو شادى .
- ١٠٠ «كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، تحقيق السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

- الصابي (أبو الحسن): الهلال بن المحسن الحراني ت ٤٤٨هـ / ٥٦ م .
- ۱۰۱ « تاريخ الوزراء » ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ١٩٥٨م .
- أبو صالح (الأرمني) : أبو المكارم جرجس بن مسعود ، ويعرف بالشيخ أبي صالح ت بعد سنة ٥٦٨هـ / ١٧٧٢ م .
 - ۱،۲ «كتاب الكنائس » ، نشر جزء منه ايفتس B.L.A.Evetts بأكسفورد .
 - الصولى (أبو بكر) : محمد بن يحيى الشطرنجي ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .
- ١٠٣ «أدب الكاتب»، تحقيق محمد بهجت الأثرى، مراجعة محمود شكرى الألوسى، نشر المكتبة العربية بغداد، والمطبعة السلفية بمصر، القاهرة ١٣٤١ه.
 - ابن أبي أصيبعة (موفق الدين) أحمد بن القاسم ، ت ١٦٦٨هـ / ١٢٦٩م .
 - ٤ . ١ « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ، طبع بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
 - الطرسوسي (مرضى بن مرضى) ، معاصر لصلاح الدين الأيوبي .
- ٥ . ١ « تبصرة ألباب الألباب » ، في صناعة الأسلحة والحيل الحربية، ألفه وأهداه للسلطان صلاح الدين،
 حقق جزء منه كلود كاهين ، أنظر : B.E.O. Tome XII, 1947-1948
 - الطرطوشي (أبو بكر): محمد بن الوليد القرشي الفهري الأندلسي، ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م.
- ١٠٦ « سراج الملوك » ، مطبعة بولاق ١٢٨٩هـ . وطبع بمصر ، بالمطبعة المحمودية بالأزهر ، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م .
- ابن طلحة (النصيبي) : محمد بن طلحة القرشي ، كمال الدين الوزير الأيوبي بالشام ، ت ٥٦٣هـ / ١٢٥٤م . ١٠٧ - «كتاب العقد الفريد للملك السعيد » ، ألفه للملـك الناصر يوسف ابـن الملـك العزيـز الأيوبـي ، صاحب حلب ، طبع بالقاهرة ، بتحقيق عبد الهادي موسى البولاقي ١٣١٠هـ .
 - ابن الطقطقي (العلوي) : محمد بن على بن طباطبا ، ت ٥٠٧هـ / ١٣٠٩م .
 - ٨٠٨ « الفخرى في الأداب السلطانية والدول الإسلامية » ، طبع في مدينة عز يفزولد سنة ١٨٥٨م .
 - ابن ظفر (الصقلی) : محمد بن عبد الله المكى ، ت ٥٦٥هـ / ١١٧٠م .
 - ١٠٩ « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » ، مطبعة الدولة التونسية بتونس ١٢٧٩هـ .
- العباسى (ابن العباس) : الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن .. عبد الله بن العباس رضى الله عنه ت بعد سنة ٨ ٥ ٧هـ / ٨ ١٣٠٨ .
- ١١٠ « آثار الأول في تراتيب الدول » ، ألفه سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م ، للسلطان المظفر ركن الدين بيبرس الثاني ، طبع بمطبعة بولاق ، بعناية محمد قاسم ، ١٢٩٥هـ .
 - ابن العبرى (أبو الفرج) : غر يغوريوس بن هارون الملطى السرياني ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م .
 - ۱۱۱ -- « مختصر الدول » ، طبع بيزوت سنة
 - العتبي (أبو نصر) : محمد بن عبد الجبار ت ٢٧٤هـ / ٣٥ ١م .
- ۱۱۲ « التاريخ اليميني في سيرة السلطان محصود بن سبكتكين الغزنوى » ، اعتمدنا على شرح لهذا الكتاب للشيخ المنيني بعنوان « شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العنبى » ، طبع بالمطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٦هـ .

- ابن العديم (كمال الدين): عمر بن أحمد العقيلي الحلبي ت ٦٦٠هـ / ٢٦٢م.
- 117 « زيدة الحلب في تاريخ حلب » ، تحقيق سامي الدهان (١ ٣) مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي يدمشق ١٣٧٠هـ ١٩٥٤م ١٩٥٤م .
 - ابن عذاری (أبو عبد الله) : محمد المراكشي الأندلسي ، ت ٩٩٥هـ / ٩٦٩٥ .
- ۱۱٤ « البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب » ، طبع بيروت د. ت ، عن طبعة ج . س. كولان وا .
 ليفي بروفنسال .
 - ابن عربي (محي الدين) : محمد بن على ، الشيخ الأكبر ، ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م .
 - ۱۱٥ « ديوان محي الدين بن عربي » ، طبع بولاق ١٧٧١هـ .
 - ابن عساكر (الحافظ) : على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى ت ٧١هـ / ١١٧٥م .
- ۱۱۶ « تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى » ، تحقيق عمد زاهد الكوثـرى ، مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧هـ .
 - العسكري (أبو هلال) : الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحي بن مهران ت ٣٩٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ۱۱۷ «كتاب الصناعتين » ، الكتابة والشعر ، تحقيق على البجاوى وأبو الفضل إبراهيم ، القناهرة
 - العماد (الأصبهاني) : محمد بن محمد ت ٩٧ ٥هـ / ١٢٠٠ م .
 - 110 « الفتح القسي » ، في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة د. ت.
- ۱۱۹ « خريدة القصر وجريدة العصر » . القسم الخاص بشعراء مصر (۱ ۲) ، تحقيق احمد أمين وشوقى ضيف ، القاهرة ۱۹۵۱م . القسم الخاص بشعراء الشام ، تحقيق شكرى فيصل دمشق ۱۹۵۵م ، ۱۹۹۵م . القسم الخاص بشعراء العراق (۱ ۳) تحقيق محمد بهجة الأثرى ، بغداد مورو ۱۹۵۵م ، ۱۹۷۲م . القسم الخاص بشعراء المغرب والأندلس (۱ ۳) تحقيق الجيلاني بن الخاج يحى و آخرون تونس ۱۹۷۲م ، ۱۹۷۱م ، ۱۹۷۲م .
 - العمرى (شهاب الدين) : أحمد بن يحى بن فضل الله القرشي الدمشقي ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م .
 - ١٢٠ « التعريف بالمصطلح الشريف » ، مصر ١٣١٢هـ .
 - ١٢١ « مسالك الأبصار في ممالكِ الأمصار » ، القاهرة ١٩٢٤م ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد زكي باشا .
- ۱۲۲ « تاريخ المسلمين » ، بدأه من بدء الإسلام إلى عصر الملك الظاهر بيبرس ، حقق منه كلود كاهين ، جزء صغير مبتور الأول ، تفادى فيه عصر صلاح الدين ، وبدأ النص من سنة ٢٠٥هـ / ٢٠٥٥م فى عهد الملك العادل الأول ونشره بعنوان « أخبار الأيوبيين » ونشرها فى منشورات المجمع العلمى الفرنسى بدمشق .
- ابن عنين : محمد بن نصر الله الأنصارى الدمشقى ت ٦٣٠هـ / ١٣٣٢م . تولى الكتابة والوزارة للملك المعظم عيسى الأيوبي بدمشق .
 - ۱۲۳ « ديوان ابن عنين » تحقيق خليل مردم ، مطبعة دمشق ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

- الغزالي (حجة الإسلام) : محمد بن محمد ، أبو حامد ت ٥٠٥هـ / ١١١م .
- ١٢٤ « رسالة العقائد والوعظ » ، ألفها للسلطان ملكشاه السلجوقى ، تحقيق بدر الديس الحلبى ، ضمن مجموعة رسائل للغزال ، ص ٦٦ ٧٩ ، بمكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م .
- ٥ ٢ ١ « التبر المسبوك في نصيحة الملوك » ، ألفه أيضًا للسلطان ملكشاه السلجوقي بالفارسية طبع بالعربية يحصر سنة ١٣١٧هـ ، مطبعة الآداب والمؤيد .
 - ١٢٦ « فضائح الباطنية » ، تحقيق جولد تسيهر ، طبع ليدن ١٩١٦م ،
 - ١٢٧ « إحياء علوم الدين » ، طبع مرارًا يحصر عند الحلبي وغيره .
 - ١٢٨ « الاقتصاد في الاعتقاد » ، طبع مصطفى الحلبي ، الطبعة الأخيرة ، د. ت.
 - ١٢٩ « المنقذ من الصلال » ، تحقيق عبد الحليم محمود ، طبع مصر ١٣٨٥ ه. .
 - ابن الفارض : عمر بن على ت ٢٣٢هـ / ١٢٣٤م .
 - ١٣٠ « ديوان ابن الفارض » ، طبع بالقاهرة أكثر من مرة .
 - الفارقي : (ابن الأزرق : المتوفى سنة ٩٠هـ) .
- ۱۳۱ « تاریخ میافارفین » ، وهو تاریخ محلی علی السنین ، سبق ابن القلانسی فی ذیـل تـاریخ دمشـق ، وقد توفی ۱۹۹هـ .
 - أبو الفدا : إسماعيل بن على الأيوبي ، صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .
 - ١٣٢ « المختصر في أخبار البشر » ،طبع بالقسطنطينية ١٣٨٦هـ ، أربعة أجزاء في مجلدين .
 - ۱۳۳ « تقويم البلدان » ، طبع باريس ١٨٤٠ م .
 - ابن الفرات (المصرى) محمد بن عبد الرحيم الحنفي ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م .
 - ۱۳٤ « تاريخ ابن الفرات » ، نشر قسطنطين رزيق ، بيروت ١٩٤٢م .
 - ابن أبي الفضائل (القبطي) : المفضل بن أبي الفضائل القبطي المصرى ت ٥٩٧هـ / ١٣٥٨م .
- ۱۳۵ « النهج السديد في ذيل تاريخ ابن العميد » ، وهو يؤرخ للعصر المماليكي ، من عهد الملك الظاهر بيرس ت ١٣٤٨ م / ١٣٤٠م إلى عهد الناصر محمد بن قلاوون ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م . طبع مع ترجمة فرنسية بعناية Blochet ، أنظر : 1913-1911 Pat: or T, XII, Fasc. 3, Paris, 1911-1913
 - ابن فضلان : أحمد بن فضلان بن العباسي بن راشد بن حماد ، كان حيًا سنة ٩ ٥ ٣هـ / ٢١ ٩م .
- ١٣٦ « رسالة في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والحزر والروس والصقالبة » ، تحقيق سامي الدهان ، طبع دمشق ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
 - ابن الفوطى (كمال الدين).
- ۱۳۷ « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » ، نشر بعنايـة محمـد رضا الشبيبي ، بغـداد
 - القاضى (الفاضل) : عبد الرحيم البيساني ، ت ٩٩ ٥هـ / ١٩٩٩ م .
- ۱۳۸ ديوان القاضي الفاضل ، (ج ۱ ۲) ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مجموعـة ترانسا ، القساهرة ١٣٨ ديوان القاضي الفاضل ، (ج ۱ ۲) ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مجموعـة ترانسا ، القساهرة

- ابن قلاقس (الإسكندري) نصر الله بن عبد الله اللخمي ت ٥٦٧هـ / ١١٧٢م .
 - ۱۳۹ « ديوان ابن قلاقس » ، تحقيق خليل مطران ، مطبعة الجوائب بمصر .
- القشيرى (أبو القاسم) : عبد الكريم بن هوازن النيسابورى ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م .
- ١٤٠ « الرسالة القشيرية » ، طبعت بمصر ببولاق ١٢٨٤هـ ، ثم طبعت مرارًا .
 - ابن القطان (أبو على) ق ٧هـ / ١٣م .
- 1 £ 1 « نظم الجمان » ، تحقيق محمود على مكى ، طبع الرباط ، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، د. ت.
 - القفطي (جمال الدين) : على بن يوسف ت ٢٢٤هـ / ٢٢٦م .
- ١٤٢ « أنباء الرواه على أنباه النحاه » (١ ٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٦٩هـ /
 ١٩٥٠ م .
- ١٤٣ « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » ، طبع في ليبسك ١٩٠٣م ، وبمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ ، و وقد اعتمادنا على الطبعة المصرية .
 - 1 £ ٤ « أخبار المحمدين من الشعراء » ، تحقيق حمد الجاسر ، بيروت ، ١٩٧٠م .
 - ابن القلانسي (أبو يعلي) : حمزة بن أسد الدمشقي ، ت ٥٥٥هـ / ١٦٦٠م .
 - ١٤٥ « ذيل تاريخ دمشق » ، نشر في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨م .
 - القلقشندي (أبو العباس) أحمد بن على ت ٢١٨هـ / ١٤١٨م .
 - 127 « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » ، تحقيق عبد الستار فراج ، (١ ٣) ، الكويت ١٩٦٤م .
- 1 £ ٧ « قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان » ، تحقيق إبراهيم الإبياري القاهرة ١٣٨٣هـ / ١ ٩٦٣
 - ١٤٨ « صبح الأعشى » ، في صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣ / ١٣٣١هـ .
 - ابن القيم (الجوزية) : محمد بن أبي بكر ، شمس الدين ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠م .
- 9 ؟ ١ « الطرق الحكمية في إصلاح الراعي والرعية » ، تحقيق محمــد حـامد الفقى ، القـاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣ م .
 - ١٥ « أحكام أهل الذمة » (ج ١ ٢) . مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١م .
 - ابن كثير (عماد الدين) : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م .
 - 101 « البداية والنهاية » ، وهو تاريخ حولى ضخم ، طبع بمطبعة السعادة بالقاهرة في 12 عجلد .
 - المالكي (البرمكي) : محمد بن هبة الله البرمكي ، الحموى الشافعي ، تاج الدين ، كان حيًا سنة ٧٧هـ .
- ١٥٢ « حدائق الفصول وجواهر الأصول » ، وهى أرجوزة نظمها للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، وهى أرجوزة نظمها للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، وضمنها علم الكلام على أصول الإمام أبى الحسن الأشعرى ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٧هـ / ٩٠٩ م .
 - الماوردى (أبو الحسن) : على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ت ٥٥٠هـ / ١٠٥٨ .
 - 107 « الأحكام السلطانية » ، تصحيح محمد عبد القادر ، مطبعة الوطن بمصر ١٩٩٨ه. .

- ١٥٤ « أدب الوزارة » ، أو قوانين الوزارة ، نشر مكتبة الخانجي بمصر سنة
- ١٥٥ « أدب الدنيا والدين » ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .
- ابن المجاور (النيسابوری) : بن محمد بن مسعود بن علی ، کان حيًا سنة ٢٣٠هـ / ١٢٣٢م .
- ١٥٦ « صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز » ، المعروف بـ « تاريخ المستبصر » ، تحقيق أوسكر لوفجرين ، ليدن ١٩٥١ م .
 - مجهول : (ق ٥ ٢ هـ / ١١ ١٢م).
 - ١٥٧ « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدم » ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٥٨م . .
 - بجهول : (ق ۲ ۷ هـ / ۱۲ ۱۲م).
- ۱۵۸ « البستان الجامع » ، نشر كلود كاهين جزء منه ، في حوليسات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق ، B.E.O. .
 - جهول : (کاتب مراکشی من کتاب ق ۱هد / ۱۲م) .
- ١٥٩ « كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار » ، وصف مكة والمدينة ومصر وبالاد المغرب ، وقد نص صاحب هذه الرحلة في رحلته أنه عاصر السلطان صلاح الدين الأيوبي والخليفة ابن عبد المؤمن الموحدي المغربي ، تحقيق سعد زغلوب عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨م .
 - جهول :
 - ١٦٠ « إنشاءات القاضى الفاضل » ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٨٠م .
 - مجهول:
- ۱۳۱ « بين أبي العلاء المعرى ، وداعى الدعاة الفاطمي » ، خمس رسائل نشرتها المطبعة السلفية ، القاهرة ٩ ١٣٤٩ هـ .
 - محهول :
 - ١٦٢ « السجلات المستصرية » ، تحقيق عبد النعم ماجد ، القاهرة ١٩٥٤م .
- عى الدين (ابن عبد الظاهر) : على بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر المصرى ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م . ١٦٣ - « الدر النظيم من ترسل عبد الرحيم » ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،
 - المراكشي (محي الدين) : عبد الواحد بن على التميمي ، المالكي ت ٤٧هـ / ٢٤٩م .
- ١٦٤ « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ، تحقيق محمد سعيد العربان ، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
 - المرتضى (الزبيدى) : محمد بن محمد الحسينى ، ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م .
 - ١٦٥ « ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب » ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٧١م .
 - ابن مطروح (جمال الدين) : يحي بن عيسي ت ٢٩٩هـ / ٢٣١م .
 - ١٦٦ ديوان ابن مطروح ، طبع بالقسطنطينية ، بعد ديوان العباس بن الأحنف ، ٢٩٨ ه. .
 - المغربي (الوزير) : الحسين بن على ، أبو القاسم ت ١٨٤هـ / ٢٧٠٩م .

- ١٦٧ « كتاب في السياسة » ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨ م .
- المغربي (ابن حيون) : النعمان بن أبي عبد الله ، التميمي ، أبو حنيفة ، القاضي ، قــاضي و داعـي الفـاطميين ، ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م .
 - ١٦٨ « دعائم الإسلام » ، تحيق آصف فيضي ، القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .
 - المقريزي (تقي الدين) : أحمد بن على ت ١٤٤٥هـ / ١٤٤٢م .
- ١٦٩ « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، طبع دار الكتب ١٩٣٤م ؛ وصدرت بقية أجزانه تحت إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة .
- ١٧٠ « اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطمين الخلفاء » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨م ؛
 ثم حققه محمد حلمي محمد أخمد ، (ج ١ ٣) ، بالقاهرة ، ١٩٩٣هـ ١٩٧٣م .
- ١٧١ «كتاب الخطط المقريزية (١ ٤) » ، طبع مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤هـ ، ورجعنا أحيانًا لطبعة بولاق في مجلدين .
 - ١٧٢ « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، نشر زيادة والشيال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧م .
 - ۱۷۳ « شذور العقود في ذكر النقود » ، نشر اوربا ۱۷۹۷م .
- ١٧٤ « خلاصة الذهب المسبوك فيمن حج مـن الخلفاء والملـوك » ، تحقيـق جمال الديـن الشبـيال ، مكتبـة المقريزى الصغيرة ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
- ١٧٥ « البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب » ، نشرة وستفلد ، جوتنجن ، ١٨٤٧ ونشر بالقاهرة بتحقيق عبد المجيد عابدين .
- المالكي (البرمكي) : محمد بن هبة الله البرمكي ، الحموى الشافعي ، تناج الدين ، كنان حيًا ٧٧٥هـ / ١٨١٨م .
- ۱۷۶ « حدائق الفصول وجواهـر الأصـول » ، وهـى أرجـوزة نظمهـا للسـلطان صـلاح الدين الأيوبـى ، وضمنها علم الكلام على أصول الإمام أبى الحسن الأشعرى ، طبع القاهرة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م .
 - ابن مماتي (الأسعد) : أسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا ، أبو المكارم ت ٣٠٩هـ / ٣٠٩م .
- ۱۷۷ « قوانين الدواوين » ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، طبع الجمعية الزراعية المصرية ، مصر، ١٩٤٣م. ۱۷۸ - « الفاشوشي في حكم قراقوش » ، تحقيق ودراسة عبد اللطيف حمزة ، القاهرة ١٩٤٥ ، بعنوان « حكم قراقوش » . والطبعة النانية ٥٩١٥ .
 - ابن منجب (الصيرفي) : على بن منجب بن سليمان ، الشهير بابن الصيرفي ت ٥٤٢هـ / ١٩٤٧م . ١٧٩ « قانون ديوان الرسائل » ، تحقيق على بهجت ، مطبعة المواعظ بمصر ١٩٠٥م .
- ١٨٠ « الإشارة إلى من نال الوزارة » ، تحقيق عبد الله مخلص ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسي ، القاهرة
 ١٩٢٣ م .
 - المنذرى (الحافظ) : عبد العظيم بن عبد القوى ، أبو محمد ، زكى الدين ، ت ٥٦٦هـ / ١٢٥٨م . ١٨١ – «كتاب التكملة لوفيات النقلة (١ – ٥) » ، تحقيق بشار معروف ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

- ابن منقذ (الشيزري) : أسامة بن موشد بن منقذ الكناني الكلبي ، ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م .
 - ۱۸۲ « ديوان أسامة بن منقذ » ، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٣ م .
 - ١٨٣ « كتاب الاعتبار » ، أو سيرة أسامة ، تحقيق فيليب حتى .
- النابلسي (علاء الديسن) : عثمان بن إبراهيم بن خالد القرشي النابلسي المصرى الشافعي ت ٢٦٠هـ /
- ۱۸۶ « كتاب لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية » ، نشـرة كلـود كـاهين في حوليـات المعهـد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق ، المجلد ١٦١ ، سنة ١٩٥٨ ١٩٦٠ ، ص ١٢٢ .
- ١٨٥ « كتاب إظهار صنعة الحي القيوم في تراتيب بلاد الفيوم » ، تحقيق مورتــز B. Moritz طبع المكتبــة
 الحديوية بمصر ١٨٩٩م .
 - ناصر خسرو علوى (الرحالة الفارسي الشهير) ق ٥هـ / ١١م .
- ١٨٦ « سفر نامة » ، ترجمة يحى الخشاب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، وطبعة بسيروت ١٩٧٠م .
 - ابن النبيه (كمال الدين): على بن محمد بن الحسن المصرى ت ١٩٦٩هـ / ٢٢٢م.
 - ۱۸۷ « ديوان ابن النيه » ، شرح وتعليق عبد الله باشا فكرى ، طبع مصر ۱۲۸۰ه. .
 - ابن النديم (الوراق) : عمد بن إسحاق بن عمد بن إسحاق البغدادى ت ٣٨ ١٥٠ / ٢٥ . ١م .
 - ۱۸۸ «كتاب الفهرست » ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ۱۳٤۸هـ .
 - النسوى (المنشىء) : محمد بن أحمد أو ابن عبد الواحد بن محمد ت ١٦٤٧ه / ١٢٤٩م . ١٨٩ - « سيرة جلال الدين منكبرتي » ، تحقيق أحمد حافظ حمدى ، القاهرة ١٩٥٣م .
 - نظام الملك (الطوسي) : الحسن بن على بن إسحاق ، الوزير السلجوقي ، ت ٤٨٥هـ / ١٩٢، ٥ .
 - . ١٩٠ « كتاب سياسة نامه » ، ترجمة السيد محمد العزاوى ، القاهرة ١٩٧٥م .
 - النعيمي : عبد القادر بن محمد بن عمر بن نعيم الدمشقي ، ت ٢٧ ٩هـ .
 - ۱۹۱ « الدارس في تاريخ المدارس » . (ج ۱ ۳) طبع دمشق ۱۹۵۲م .
 - النويري (شهاب الدين) : أحمد بن عبد الوهاب البكري الشاقعي ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م .
- ١٩٢ « نهاية الأرب في فنون الأدب » (ج ١ ١٩) ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
 - ابن واصل (الحموى) : محمد بن سالم بن نصر الله المازني التميمي ت ١٩٩٧هـ / ١٢٩٨م .
- ۱۹۳ « مفرج الكروب في اخبار بني أيوب » ، ج ۱ ۳ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القساهرة ۱۹۳ م ؛ ج ٤ ٥ ، تحقيق حسنين ربيع ، القاهرة ۱۹۷۲م .
 - ابن وهب (الكاتب) ، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الشيعى ، ت بعد سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م . ١٩٤ - « البرهان في وجوه البيان » ، تحقيق مطلوب والحديثي ، بغداد ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
 - الوهراني (ركن الدين) : محمد بن محمد بن محرز ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩ م .
- ۱۹۵ « منامات الوهراني ، ومقاماته ورسائله » ، تحقيق إبراهيم شعلان ، محمد نغش ، القاهرة ۱۳۸۷هـ/ ۱۹۸۸

- ابن يحيى (البيروتيي) : صالح بن يحيي بن الحسين ت ق ٩هـ / ١٥٥ .
- ١٩٦ « تاريخ بيروت ، وأخبار الأمراء البحتريين » ، نشره لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، ١٩٢٧م .
 - ابن أبي يعلى (الحنبلي) : محمد بن محمد بن الحسين ، ت ٢٦٥هـ / ١٦١م .
 - ١٩٧ « الأحكام السلطانية » ، تحقيق حامد الفقى ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
 - اليماني (ابن أبي القبائل) : محمد بن مالك الحمادي ، ق ٥هـ / ١٩م .
- ۱۹۸ «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » ، تحقيق محمد زاهد الكوئرى ، طبع بذيل كتباب « التبصير » للأسفراني ، القاهرة ۱۳۷٥هـ ۱۹۰۵م ، وقد ورد اسم المؤلف في النسخة المطبوعة ، ابن أبي الفضائل ، وهو تصحيف .
 - اليمني (عمارة) : تجم الدين ، أبو محمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م .
 - ١٩٩ « النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية » ، تحقيق درنبرغ بمدينة شالون ، ١٨٩٧ م .
 - • ٧ « ديوان عمارة اليمني » ، تحقيق درنبرغ ، ٢ ٩ ٩ م .
 - ٠٠١ « ديوان اليمن » ، تحقيق كاي ، لندن ١٣٠٩، تحقيق حسن سليمان محمود بالقاهرة ١٩٥٧م .
 - اليونيني (البعلبكي) : موسى بن محمد بن أحمد الحنبلي ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م .
- ٢٠٢ ذيل مرآة الزمان ، طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٤٧هـ / ١٩٥٤م ، في أربعة أجزاء .

ثَالثاً : المراجع العربية الحديثة :

- أرئولد (توماس) :
- 1 « الدعوة إلى الإسلام » ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١م .
 - أمين (محمد محمد) :
- ٢ « الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٩٤٨ ٩٧٣ ١٢٥٠ ١٢٥١م » ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ١٩٨٠م .
- ٣ « السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .
 - الباشا (حسن) :
 - ٤ « الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار » ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ م .
 - ٥ « الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية » (١ ٣) ، القاهرة ١٩٦٥م .
 - ٦ « فن التصوير في مصر الإسلامية » ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م .
 - بدوى (أحمد أحمد) :
 - ٧ « الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ، القاهرة ٢٥٩٥م .
 - ٨ « الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام » ، القاهرة ١٩٥٢ .
 - ۹ « مأمون بني أيوب (المعظم عيسي) » ، القاهرة ١٩٥٣م .
 - ١٠ « القاضى الفاضل » دراسة وغاذج ، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .

- ۱۱ « صلاح الدين بين شعراء عصره وكتابه » ، القاهرة ١٩٦٠ م .
 - بيلي (أحمد) :
- ١٢ « حياة صلاح الدين الأيوبي » ، القاهرة ١٩٢٦ (الطبعة الثانية) .
 - بیومی (علی احمد):
- ١٣ « قيام الدولة الأيوبية » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٦م ، ونشرت بالقاهرة،
 ١٩٥٢م .
 - تيمور (أحمد تيمور باشا) :
- ١٤ « التذكرة التيمورية » ، معجم القوائد ، ونوادر المسائل ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، الطبعة الأولى ، ١٤ ٥ ٥ .
 - تامر (عارف) :
 - ١٥ « سنان وصلاح الدين » ، قصة تاريخية ، بيروت ١٩٥٦ م .
 - جروهمان (أدولف) :
- ١٦ « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية » ، (١ ٦) ، ترجمة حسن إبراهيم حسن و آخرين ،
 القاهرة ١٩٣٤م . وما بعدها .
 - رجب (السيرها ملتون أ. جب) :
- ۱۷ « صلاح الدين الأيوبى » ، دراسات في التايخ الإسلامي ، حررها يوسف إيبش ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ۱۹۷۳ م .
 - أبر حديد (محمد فريد) :
- ۱۷ مكرر « صلاح الدين الأيوبي البطل الذي انتصر على الغرب » ، كتاب الهلال ، العدد ۸۷ ، ذو القعدة ۱۳۷۷هـ / يونيه ۱۹۵۸ م .
 - الحلبي (داود) :
 - ١٨ «كتاب مخطوطات الموصل» ، مطبعة الفرات ببغداد ، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م .
 - حسن (على إبراهيم) :
 - 19 « مصر في عصر دولة الماليك البحرية » ، القاهرة ١٩٦٧ م .
 - حسني (فوزي نجيب) :
- ٢٠ « صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبين » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة
 ١٩٥٩ م .
 - حسين (محمد كامل) :
 - ٢١ « دراسات في الشعر في عصر الأبوبين » ، القاهرة ١٩٥٧م .
 - ٢٢ « في أدب مصر الفاطمية » ، القاهرة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠ م .
 - ٢٣ « أدب مصر الإسلامية » (عصر الولاة) ، د. ت.
 - حسين (محمد أحمد) :
 - ٢٤ « الوثانق التاريخية » ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٤م .
 - حلمي (عباس اسماعيل) :
- ٢٥ « السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبي » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة
 ٢٥ « السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبي » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة

٢٦ - « السياسة الداخلية للدولة الأيوبية في مصر » ، بعد السلطان العادل ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ٥٥٥ ام .

- حزة (عبد اللطيف):
- ٧٧ « صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٤٤م ؛ ثم طبع بالقاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٣م .
 - ۲۸ « حكم قراقوش » ، القاهرة . ٩٤٥ م .
 - ٢٩ « أدب الحروب الصليبية » ، القاهرة ٩٤٩م .
- ٣ « الحياة الفكرية في مصر ، في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول » ، القاهرة ١٩٤٧م .
 - ٣١ « القلقشندي في كتابة صبح الأعشى » ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
 - حميد الله (محمد الحيدر آبادي) :
- ٣٢ « مجموعة الوثائق السياسية » ، للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٠ م .
 - حسن (حسن إبراهيم):
 - ٣٣ « النظم الإسلامية » ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
 - دراج (احمد) :
 - ٣٤ « المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري / ١٥م » ، دار الفكر العربي ١٩٦١م .
 - ٣٥ « وثانق دير صهيون بالقدس الشريف » ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ م .
 - دسوقي (عمر) :
 - ٣٦ « الفتوة عند العرب » ، القاهرة ، د. ت.
 - دقش (محمد محمود علي) :
- ٣٧ « الكتابة الديوانية بمصر في عصر الدولة الأيوبية » ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٣م.
 - ربيع (محمد حسنن) :
- ٣٨ « النظم المالية في العصر الأيوبي » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ، ونشرت بالقاهرة
 ١٩٦٤ م .
 - الرمزى (م) :
 - ٣٩ « تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار ، في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار » ، طبع سنة ١٩٠٨ .
 - الريس (عمد ضياء الدين) :
 - . ٤ « النظريات السياسية الإسلامية » ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م .
 - ١٤ « الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية » ، الطبعة الثانية ، ١٩٦١م .
 - زامباور (المستشرق) :
 - ٤٢ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، القاهرة ٢٥٩٥م .

- زياده (محمد مصطفى) :
- 27 « حملة لويس التاسع على مصر، وهزيمته في المنصورة » ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- ٤٤ « المؤرخون في مصر ، في القرن الخامس عشر الميلادى ، التاسع الهجرى » ، الطبعة الثانية ، القاهرة
 ٩٥٤ م .
 - زيان (حامد غانم) :
 - 6 ٤ « العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ) » القاهرة ١٩٧٨ م .
 - سالم (سيد عبد العزيز):
 - 87 « تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي » ، الطبعة الأولى ، الثانية ١٩٦٩م .
 - ٧٤ « تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام » ، بيروت ١٩٧١ (بالاشتراك) .
 - سعد (سامي سلطان) :
- ٨٤ « أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الإيطالية » ، من سنة ١١٠٠ إلى ١١٠٠ م رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٨ م .
 - سعداوی (نظیر حسان) :
 - 9٤ « نظام البريد في الدولة الإسلامية » ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .
- ٥ « التاريخ الحربي المصرى في أيام صلاح الدين » ، رسالة دكتوراه توقشت بجامعة القاهرة ١٩٥١م ،
 ونشرت ١٩٧٥م .
 - 01 « جيش مصر في أيام صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٥٦م .
 - سلام (سعد زغلول) :
 - ٥٢ « الأدب في عصر صلاح الدين » ، القاهرة ١٩٥٩ م .
 - ٥٣ « الأدب في العصر الأيوبي » ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٠م ، ص ٥٩٦ .
 - سليمان (أحمد السعيد):
 - ٤٥ « تاريخ الدول الإسلامية ، ومعجم الأسرات الحاكمة » ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م .
 - سيد (أحمد فؤاد):
- ٥٥ « نظم الحكم والإدارة في العصر الأيوبي بمصر (٩٧ ٥هـ ١٤٨هـ) » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بكلية الآداب جامعة عين شمس ، سنة ١٤٨٣هـ ١٩٨٣م .
 - سيد الأهل (عبد العزيز):
- ٥٦ « صلاح الدين الأيوبى » ، طبع القاهرة ، ١٩٦٩م ، مطبوعات المجلس الإسلامي الأعلى بالقاهرة ،
 الجنة التعريف بالإسلام ، طبع بالمكتب التجارى بيروت ١٩٦١م ، ص ٢٥٩ .
 - شافعي (على بك) :
- ٥٧ « رى الفيوم كما وصفه النايلسي (٢٤٦هـ / ١٧٤٥م) » ، ومعه مذكرة عن رى الفيوم الحالى ، وعن بحيرة مورس ، مطبعة مصر ه ١٩٤٤م .

- شافعي (فريد) :
- ٥٨ « العمارة العربية في مصر الإسلامية » ، عصر الولاة ، القاهرة ١٩٧٠م .
 - شلتوت (محمود) :
 - 90 « من توجيهات الإسلام » ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
 - الشيال (محمد جمال الدين) :
- ٦٠ « جمال الدين بن واصل » ، وكتابه مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، رسالة دكتسوراه لـم تطبع ،
 نوقشت بجامعة الإسكندرية .
 - ٦١ « مصر والشام بين دولتين » ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
 - ۲۲ « مجمل تاريخ دمياط » ، الإسكندرية ، ١٩٤٩ م .
 - ٦٣ « الإسكندرية » ، طبوغرافية المدينة وتطورها ، القاهرة ١٩٥٢م .
 - ٢٤ « مجموعة الوثائق الفاطمية » ، القاهرة ١٩٥٨ م .
 - 70 « أعلام مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي » ، القاهرة ١٩٦٥ م .
 - ٦٦ « دراسات في التاريخ الإسلامي » ، بيروت ١٩٦٦ م .
 - ٣٧ « تاريخ مصر الإسلامية » ، القاهرة ١٩٦٧م .
 - صبرة (عفاف سيد):
- ٦٨ « ديوان الإنشاء وتطوره في عصر الأيوبيين والماليك » ، مع تحقيق مخطوط البرد الموشمي في صناعة الإنشا للموصلي ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧١م .
 - صفوت (أحمد زكي) :
 - ٦٩ « جمرة رسائل العرب » ، طبع الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧م .
 - طرخان (إبراهيم على) :
- ٧٠ «النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى » ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨هـ /
 ١٩٦٨ .
 - ٧١ « مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة » ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
 - عاشور (سعيد عبد الفتاح) :
 - ٧٢ « المجتمع المصرى في عصر سلاطين الماليك » ، القاهرة ١٩٦٢م .
 - ٧٧ « الحركة الصلبية (١ ٢) » ، القاهرة ١٩٦٣م ؛ ثم طبع مرة أخرى ١٩٨٦م .
 - ٧٤ « مصر في عصر دولة المماليك البحرية » ، القاهرة ١٩٥٩م .
 - ٧٥ « الأيوبيون والمماليك في مصر والشام » القاهرة ، ١٩٧٠م .
 - ٧٦ « العصر المماليكي في مصر والشام » ، ١٩٧٦م.
 - العبادى (أحمد مختار) :
 - ٧٧ « قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام » ، بيروت ١٩٦٩ .

- ٧٨ « تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام » ، بيروت ١٩٧١ (بالاشتراك) .
 - عبد العاطى (عبد الغنى محمود) :
- ٧٩ « التعليم في مصر زمن الأيويين والمماليك » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٥م .
 - عبد الكريم (دولت عبد الله) :
- ٨٠ « الخوانق في مصر في العصريس الأيوبي والمماليكي » ، رسالة دكتوراه ، نوقشت بكلية الآثار ،
 ١٩٧٣ م .
 - عبد الوهاب (حسن):
 - ٨١ « تاريخ المساجد الأثرية » ، جزءان ، القاهرة ٩٤٦ م .
 - ٨٢ « جامع السلطان حسن وما حوله » ، المكتبة الثقافية رقم ٥٦ ، سنة ١٩٦٢م .
 - العريني (السيد الباز) :
 - ٨٣ « مصر في عصر الأبوبين » ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠ م .
 - ٨٤ « مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٦٣م.
 - العزاوى (عباس) :
- ٨٥ « التعريف بالمؤرخين ، في عهد المغـول والتركمان » ١٠٦هـ ١٢٠٤م / ١٩٤١م ١٥٣٤م ،
 طبع ببغداد ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
 - عطا (زبيدة محمد) :
- ٨٦ = « الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة
 ٩٦٩ م .
 - عطية (سليمان إسحاق) :
- ٨٧ « تاريخ التعليم في فلسطين من الفتح العربي إلى آخر الأيوبيين » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ، ١٩٥٣م .
 - العقاد (عباس محمود) :
 - ٨٨ « الديمقراطية في الإسلام » ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .
 - ٨٩ « أثر الحضارة العربية في الحضارة الأوربية » ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٢م .
 - علوبه (محمد على باشا) :
 - . ٩ « الإسلام والديمقراطية » ، نشر لجتة البيان العربي ، القاهرة ١٣٦٩هـ / . ١٩٥٠ م .
 - على (محمد كرد على) :
 - ٩١ « أمراء البيان » ، طبع سنة ١٩٣٧م .
 - ٩٢ « الإدارة الإسلامية في عز الغرب » ، طبع
 - عمران (محمود سعيد):

- 97 « الحملة الصليبية الخامسة » ، حملة جان دى برين على مصر ، ٦١٥ ٦١٨هـ / ١٢١٨ ٩٣ « ١٢١٨ المينة العامة للكتاب ، فرع الإسكندرية ١٩٧٨ م .
 - عنان (محمد عبد الله) :
 - 92 « مصر الإسلامية » ، القاهرة ١٩٣١ م .
 - 90 « مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى » ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
 - عنبر (أحمد محمد) : -
- 97 « جولة مع ضياء الدين بن الأثير ، في كتابه المشل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، القاهرة . 9 « 1905 م .
 - غنيمة (محمد عبد الرحيم) :
 - ٩٧ « مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٥٣م .
 - فکری (احمد) :
- ۹۸ « مساجد القساهرة ومدارسها » ، الجنزء الشاني ، العصر الأيوبي ، دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ / ٩٦٩ م.
 - فهمي (عبد الرحمن) :
 - ٩٩ « النقود العربية ماضيها وحاضرها » ، المكتبة الثقافية ٣٠٣ ، القاهرة فبراير ١٩٦٤م .
 - القوصى (عطية أحمد محمود):
 - ١٠٠ « بنو الكنز » ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة القاهرة ١٩٧٠م .
 - كانار (ماريوس) :
 - ١٠١ « نخب تاريخية وأدبية ، جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني » ، طبع الجزائر ، ١٩٣٤م .
 - كازانوفا (بول) :
 - ۱۰۲ « تاريخ ووصف قلعة الجبل » ، ترجمة أحمد دراج ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
 - الكتاني (عبد الحي الفاسي) :
- - الكرملي (إنستاس ماري) :
 - ١٠٤ « النقود العربية وعلم النميات » ، القاهرة ١٩٣٩ م .
 - كرويزويل (ك . م) :
 - ١٠٥ « وصف قلعة الجبل » ، ترجمة جمال محرز ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
 - كوبرلى (محمد فؤاد) :
 - ١٠٦ « قيام الدولة العثمانية » ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م .
 - کیلانی (محمد سید) :

- ١٠٧ « الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام » ، القاهرة ١٩٤٩م .
 - لسترنج (المتشرق) :
 - · ١٠٨ « بلدان الخلافة الشرقية » ، طبع بغداد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .
 - ماجد (عبد المنعم) :
 - ۱۰۹ « نظم الفاطميين ورسومهم في مصر (۱ ۲) » ، الأنجلو المصرية ١٩٥٣م .
- ١١ « نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر » (١ ٢) ، الأنجلو المصرية ١٩٦٤م .
 - 111 « ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر » ، دار المعارف بالأسكندرية ١٩٦٨م .
 - ١١٢ « الناصر صلاح الدين الأيوبي » ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م .
 - متز (آدم) :
- ١١٣ « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى » ، ترجمة أبو ريدة ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .
 - متولى (عبد الحميد) :
- ١١٤ « مبادىء نظام الحكم في الإسلام مع مقارنته بالمبادىء الدستورية الحديثة » ، دار المسارف بالأسكندرية ١٩٦٥م .
 - ١١٥ « أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث » ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٠ م .
 - عرز (جمال عمد) :
 - ١١٦ « التصوير الإسلامي ومدارسه » ، المكتبة الثقافية ، مايو ١٩٦٢ م .
 - محمود (رزق محمود) :
- ١١٧ « العلاقات بين أرناط أمير الكرك وصلاح الدين الأيوبي » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعـة عين شمس ، ١٩٧٣ م .
 - مرزوق (محمد عبد العزيز) :
 - ١١٨ « الفن الإسلامي في العصر الأيوبي » ، المكتبة الثقافية ، رقم ٣٠ ، مارس ١٩٦٣م .
 - المصرى (جابر سلامة) :
- ١١٩ « الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك » ، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة ،
 ١٩٧٥ م .
 - موسى (إقبال بن علاوة) :
- ١٢٠ « الحسبة في المغرب مع بعض نصوص خاصة بها » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة عين شمس ،
 ١٢٨ « الحسبة في المغرب مع بعض نصوص خاصة بها » ، رسالة ماجستير ، نوقشت بجامعة عين شمس ،
 - نصار (حسين) :
 - ١٢١ « نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ٩٦٦ ١م .
 - وافي (على عبد الواحد) :
- ١٢٢ « حقوق الإنسان في الإسلام »، دار نهضة مصر ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م.

رابعًا: مقالات بالمجلات والدوريات العربية:

- إبراهيم (عبد اللطيف):
- ١ « الوثائق في خدمة الآثار » ، العصر المماليكي ، سلسلة الدراسات الوثائقية ، (١) ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية ، طبع القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٢٠٥ ١٧٨.
 - الأثرى (محمد بهجة) :
- ٢ « كاتب الدولتين النورية والصلاحية » ، (العماد الأصفهاني) ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلم الرابع ، الجزء الأول ، ١٣٥٥هـ ١٩٥٦م ، ص ١٦ ٣٤ .
 - أمين (أحمد) :
- ٣ « الفتوة في الإسلام » ، مجلة كلية الآداب ، المجلم السيادس ، الجنزء الأول ، مايو ١٩٤٢م ، الطبعة الثانية ١٩٥٣ ، ص ١ ٢١ .
 - باقی (واصف) :
- ٤ « القدس وصلاح الدين » ، مقال بمجلة منار الإسلام ، العدد ٧ ، رجب ١٤١٣هـ ، يساير ١٩٩٣م ،
 ص ١٠٠ ١١٠ .
 - البحيرى (صلاح) :
- ٥ -- « ديوان الجيش في الدولة الأيوبية » ، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٦ -- « ديوان الجيش في الدولة الأيوبية » ، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٧٦ -- « ١٩٧٠ .
 - البرصان (أحمد):
- ٣ « البعد الاستراتيجي عند صلاح الدين الأيوبي » ، مقال بمجلة الفيصل ، العدد ٩٩ ، رمضان
 ١٤٠٥ هـ يونيو ١٩٨٥م ، ص ١٣٦ ١٤١ .
 - بركات (وفيق) :
- ٧ « صفحات مشرقة من تراثنا البحرى: الأسطول البحرى في الفكر العسكرى للناصر صلاح الدين الأيوبي » ، مقال بمجلة التراث العربي ، العدد ٣٥ ٣٦ ، رمضان ذو الحجمة ١٤٠٩هـ / إبريل يوليو ١٩٨٩م ، ص ١١٧ ١٣٨م .
 - برهان (العابد) :
- ٨ « أرناط الفارس اللص » ، مقال بمجلة تاريخ العسرب والعالم ، العدد ١١٩ ١٢٠ ، محرم صفر
 ٩ ١٤هـ / سبتمبر أكتوبر ١٩٨٨ م ، ص ١٢ ٢٣ .
 - البوزيدي (علال) :
- ٩ « صلاح الدين الأيوبى المثل الأعلى في البطولة والحُلق العظيم ، مقال بمجلة المجلة العربية ، العدد ٩٥
 ذو الحجة ١٤٠٥هـ / سبتمبر ١٩٨٥م ، ص ١١٣٠ .

- البيومي (محمد رجب) :
- ١٠ «عماد الدين زنكى » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ١٨ ، ربيع الآخر ١٣٧٤هـ / ديسمبر ١٩٥٤م
 ١٠ «عماد الدين زنكى » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ١٨ ، ربيع الآخر ١٣٧٤هـ / ديسمبر ١٩٥٤م
 - تيمور (أحمد) :
- ۱۱ « تفسير الألفاظ العباسية في نشوار المحاضرة »، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ج ۱۱، ج ۲ ،
 - جاكسون (دافيد) :
- ۱۲ « صلاح الدين : معركة حطين والاستيلاء على القدس (وجهة نظر) » ، مقال بالكتاب التذكارى : ٥٠٠ عام حطين صلاح الدين والدور العربى المشترك ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٩، ١٩٨٩م ، ٥٠ ٩٣٠ .
 - الجنحاني (الحبيب) :
- ۱۳ « حطين رمز الوحدة والتحرر » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١٠٥ ١٠٦ ، ذو القعدة ذو الحجة ١٠٤ د قوز أب ١٩٨٧ م ، ص ٤١ ٤٧ .
- ١٤ « حطين رمز الوحدة والتحرر » ، مقال بمجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٩ ، ٩٠٩ ١٤٠٩ م ،
 م ١٧٧ ١٨٥ .
 - حسن (زكى محمد) :
 - ١٥ « قلعة الحبل » ، مجلة الكتاب ، القاهرة ، أكتوبر ١٩٤٦ ، ١٧٣ ٨٨٢ .
 - حسن (على إبراهيم) :
- ١٦ « آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية » ، بحث في عجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السابع ، ١٩٤٤م .
 - حسن (محمد عبد الغني) :
- ١٧ « والد الملوك الأيوبية » ، مجلة الرسالة ، السنة التاسعة ، ص ٩٩١ ، وتعقيب لجمال الديس الشيال ،
 السنة التاسعة من الرسالة أيضًا ، ص ٩٧٩ ١٠٨٥ .
 - حسين (محمد الخضر):
- ١٨ « الشعر المصرى في عهد الدولة الأيوبية » ، عجلة الهداية الإسلامية ، المجلد التاسع ، الجزء السادس ،
 ذى الحجة ١٣٥٥هـ فبراير ١٩٣٧م ، ص ٣٢١ ٣٣١ .
 - الحسيني (الأمير جعفر) :
- ١٩ « مظاهر الحضارة الإسلامية في دمشق وحلب » ، أبحاث مؤتمر الآثار في البلاد العربية المنعقد في دمشق ١٩٤٧م ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٤٨م ، ص ٥٧ ١٧ .
 - حدی (أحمد عمدو ح) :
- ٢٠ « الطراز الأيوبي في مصر » ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية ، المؤتمر الخامس للأثار في البلاد العربية ، ٩٣٩ م ص ٩٠٩ ٨٢١ .

- الخشاب (يحي) :
- ٢١ « ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلموم للخوارزمسي »
 (بالاشتراك مع الباز العربني) ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨م ، ص ١٦١ ٣١٢ .
 - دار الشروق:
- ۲۲ « ملامح خطة صلاح الدين العسكرية لتحرير القدس » ، مقال نشر بالكتاب التذكسارى : ٨٠٠ عـام حطين صلاح الدين والعمل العربي المشترك ، دار الشروق ، القاهرة ٩٠٤ هـ ١٩٨٩م ، ص ١١١ ١٢٧ .
 - دراج (أحمد) :
- ٣٢ « الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوربية » ، (مصر الإسلامية) ، مقال ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ٩٩١ ، الجزء الأول ، القاهرة ، ٩٩٠ م .
 - الدسوقي (محمد كمال) :
- ٢٤ « أهمية الحجاز في مطلع العصور الحديثة » ، مقال بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، العدد ٣ ، ١٣٩٧هـ ١٤٣٠ .
 - ربيع (حسنين) :
- ٢٥ « نشر ودراسة حجة تمليك ووقف مؤرخة سنة ٤٩هـ وعفوظة بمحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة » ، محفظة رقم ١ ، ١٨٩١ التاريخية المصرية ، المجلد ١٩١، ١٩٦٤ ، ١٩٦١ .
 - رشيد (ناظم) :
- ٢٦ « الأدب عند بني أيوب » ، مجلة المورد العراقية ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، ١٣٩٦هـ / ٢٦ « ١ الأدب عند بني أيوب » . . .
 - رخا (محمد رشید) :
- ۲۷ «ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين » ، مقال بمجلة المسار ، مصر ، العدد ٨ ، جمادى الأولى الا ١٣٥٠ هـ ١٣٥٠ م. ١٣٥٠ م. ١٩٣٠ م.
 - زكار (سهيل) :
- ٢٨ « وقائع معركة حطين » ، مقال بمجلة تاريخ العـرب والعـالم ، العـدد ١٠٥ ١٠٦ ، ذو القعـدة ذو الحجة ٢٠٥٧هـ تموز أب ١٩٨٧م ، ص ٥٧ ٨١ .
 - زكى (عبد الرحمن) :
- ٢٩ « العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبين » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٦ ١٣٣ .
- ٣ « القلاع في الحروب الصليبية » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس عشر ١٩٦٩ ، ص ٢٩ - ٩٧ .
- ٣١ « مدارس الدين في أيام الأيوبيين » ، مجلسة منسبر الإنسلام ، السننة ٢١ ، العدد الأول ، ١٣٨٣هـ / ٣٠

- ٣٢ « نشأة القاهرة وامتدادها في أيام الأيوبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الشامن عشر ، ١٩٧١ م . ص ١١١ ١٦٠ .
- ٣٣ « نقد لكتاب الاستيلاء على دمياط » ، للمؤرخ الصليبي اللاتيني ، أليفر ، الذي صاحب الحملة الصليبية الـ ٥ على مصر سنة ١٩٤٤هـ . المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث العدد الأول ، مايو . . ١٩٥٠ ، ٢٤٩ ٢٤٩ .

ابو زهرة (محمد) :

- ٣٤ «الاقتصاد الإسلامي » ، سلسلة مقالات في مجلة رسالة الإسلام ، السنة الحادية عشر ، ١٣٧٨هـ / ٩٥٩ م ، ١٤٥ م ، العدد الأول ، ص ٢٣ ١٤٠ ، الرابع ، ص ٣٦٠ ، ٣٦٠ ... الخ . ٣٧٢ ... إلخ .
- ٣٥ « محاضرات في الوقف » ، من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ،
 القاهرة ٩٥٩ م .

- زیادة (عمد مصطفی) :

- ٣٦ « الدولة الأيوبية » ، مقال في كتاب « تاريخ الحضارة المصرية » ، العصر اليوناني والرومساني
 والإسلامي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، د. ت ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ ٤٨٠ .
 - ٣٧ « ديوان الزكاة » ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ٢١١ ، يناير ١٩٤٣م .
- ٣٨ « نقد لكتاب مؤلف الطرسوسى في التاريخ الحربي على عهد الأيوبين » ، المجلسة التاريخية المصرية ،
 المجلد الثاني ، العدد الأول ، ٩٩٤٩ ، ص ٢٢٣ ٢٢٥ .
- ٣٩ « نقد لكتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيـوب » ، تحقيـق جمال الديـن الشـيال ، المجلـة التاريخيـة المصرية ، المجلـد الرابع ، العدد الأول ، ١٩٥١ ، ص ٢٥٧ ٢٥٧ .
- ٤٠ بعض ملاحظات جديدة في تاريخ دولة المماليك » ، عجلة كلية الأداب جامعة فؤاد الأول ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ٣٦١ ، الطبعة الثانية ٣٥ ١٩ م ، ص ٧١ ٨٨ .
- ١٤ « يوم حطين » قال بمجلة العربى ، الكويت ، العدد ٥٩ ، جمادى الأولى ١٣٨٣هـ أكتوبسر
 ١٩٦٣م، ص ٣٦ ، ٤٦ .

- السباعي (مصطفى حُسني) :

- ٢٤ « صلاح الدين » ، مقال بمجلة المسلمون ، العدد ٣ ، شوال سنة ١٣٧٧هـ آيـار سنة ١٩٥٨م .
 ص ١ ١٠ .
 - سليمان (حسين) :
- ٤٣ « نبذة تاريخية عن معركة حطين : الرمز والعظة ومدخل التحرير » ، مقال بمجلة لواء الإسلام ،
 العدد ٣ ، شوال سنة ١٣٩٩هـ سبتمبر سنة ١٩٧٩م ، ص ٤١ ٤٥ .
 - شبكة (محمود محمد) :
- ٤٤ « من أدّب الحروب الصليبة » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٦ ، شعبان سنة ١٣٩٢م سبتمبر سنة
 ١٩٧٢م ، ص ٥٧٦ ٥٨١ ، ٥٨٤ .

- الشبيبي (محمد رضا) :
- ٥٤ « الألفاظ الأيوبية في كتاب تقويم النديم » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الشامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٥٥م ، ٣٤٠ ٣٤٤ ، ونشر نفس المقال في مجلة الرسالة العدد ٩١٦ ، بتاريخ
 ٢٢/١/٢٢ م .
 - شراب (محمد حسن) :
- ٢٦ « القاضى الفاضل الوزير الناصح والعقل الراجح » ، مقال بمجلة الحرس الوطنى ، العدد ٨٩ ، رجب سنة ٩٠ ١٤١ .
 - شعث (شوقي):
- ٤٧ « الجيش العربى الإسلامي في عصر موقعة حطين ووسائل الإسناد الأخرى » ، مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد ١١١ ١١٢ جمادى الأولى وجمادى الثانية سنة ١٤٠٨ هـ يشاير وفيراير سنة ١٩٨٨ م ص ٤٤ ٥٤ .
- ٨٤ القدس الشريف بين احتلالين ... » ، مقال بمجلـة المنهـل ، العـدد ٤٦٢ ، شـعبان سـنة ١٤٠٨هـ –
 إبريل سنة ١٩٨٨م ص ١٠٩ ١١٣ .
 - شمس الدين (وجيه) :
- ٤٩ « حطين وصلاح الدين وأولى القبلتين » ، مقال بمجلة الموقف ، لبنان ، العدد ٧٧ ، ذو القعدة سنة
 ١٤١٩ هـ يونيو سنة ١٩٩١م . ص ٤٠ ٤٣ .
 - الشيال (جمال الدين):
- ٥٠ « شاعر من البيت الأيوبي » ، تاج الملوك بورى ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ١٣٠ ، ٢٤ يوليو
 - 01 « نظام الوزارة في العصر الفاطمي » ، مقال بمجلة الثقافة العدد ٦٣٨ ، ١٩ مارس ١٩٥١م .
- ۲۵ « الجاسوسية في حروب بني أيوب » ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، بـيروت ١٣٨٤هـ / ٢٥ ١ ٩٦٤ م. ٧٠ .
- 07 « طريقة مسح الأراضى وتقدير الخراج فى مصر الإسلامية » ، بجلة الثقافية ، السينة الثانيية ، العدد 47 ، • 19 دم .
 - صبره (عفاف سيد):
- ٤٥ « بهاء الدين قراقوش الوزير المفترى عليه » ، مقال بمجلة الدارة ، العدد ٢ ، محرم سنة ١٤٠٨ هـ المسطس سنة ١٩٨٧هـ ، ص ١٣٦ ١٨١ .
 - الصعيدى (عز الدين) :
- ٥٥ « صوت من الماضي إلى الحاضر » , مقال بمجلة المختار الإسلامي , العدد ٧٦ ، شوال سنة ٩٠٤ هـ
 مايو ١٩٨٩م ، ص ٥٢ ٥٣ .
 - طرخان (إبراهيم على) :
- ٣٥ « الإقطاع الإسلامي، أصوله وتطوره ، دراسة مقارنة » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلمد السادس ،
 ١٩٥٧ ، ص ٤٧ ٧١ .

- الطيان (سعيد) :
- 00 00 موقعة حطين : دراسة عسكرية » : مقال بمجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد 0.0 0.0 ذو القعدة 0.00 0.00 دو الحجة سنة 0.00 0.00 د المحددة 0.00 0.00 دو المحددة 0.00 0.00
 - عابدین (محمد صبری) :
- ٥٨ « الأردن في أيام الحروب الصليبية » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ١ ، محرم سنة ١٣٧٣هـ سبتمبر
 ١٩٥٣ ، ص ٥٩ ٦٢ .
 - عارف (محمود) :
- ٩٥ « من أعلام البطولة والقيادة في الإسلام : صلاح الدين الأيوبي » : مقال بمجلة المنهل ، العدد . ١ ١ ، ذو القعدة ذو الحجة سنة ١٣٧١هـ = يوليو أغسطس سنة ١٩٥٣م ، ص ٤٥٣ ٤٥٤ .
 - عاشور (سعيد عبد الفتاح) :
- ٠٦ « البنية البشرية لجيوش صلاح الدين » ، مقال بمجلة المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد ٣٧ ، سنة ١٩٩٠ م ، ص ٨ ٣١ .
- ٦١ « الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمساليك » ، الموسسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الأرض والقلاح في مصر على مر العصور ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢١١ ٢٢٤ .
- ٦٢ « الإمبراطور فردريك الثانى والشرق العربي » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر ،
 ١٩٩٣ ، ص ١٩٥ ٢١٣ .
 - عاشور (فاید) :
- ٣٢ مكرر « الجهاد الإسلامى ضد الصليبين » ، مقال بمجلة الأمة ، قطر ، العدد ٤٦ ، شوال سنة ٤٠ هـ / يوليو سنة ١٩٨٤م ، ص ٤٦ .
 - العبادی (عبد الحمید) :
- ٦٣ « كتب الحسبة وفائدتها في وضع المعجمين الوسيط والكبير » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثامن ، مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٥٥م ، ص ٢٢٧ ٤٢٧ .
 - عبد الحق (عادل سليمان) :
- ٩٤ « مدرج مسرح بصرى وقلعتها » ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ٩٦٣ م ، ص
 ٢٩٥ ٢٩٨ .
 - عبد الحميد (سعد زغلول) :
 - ٦٥ « العلاقة بين صلاح الدين ، وأبى يوسف يعقوب » ، مجلة كلية الأداب بالإسكندرية ١٩٥٣م .
 عبد الحي (سعيد) :
- ٣٦ « صلاح الدين شخصية في سطور » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٧ ، رجب سنة ١٤٠١هـ مايو ١٩٨٠ مايو ١٩٨١ .
 - عبد المنعم (محمد فيصل):
- ٩٧ « قائد ومعركة : القائد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي » ، مقال بمجلة الحرس الوطني ، العدد ٢ ،
 شوال سنة ، ١٤٥هـ أغسطس سنة ، ١٩٨٥م ص ١٢٠ ١٢٦ .
- ۱۸ « الملك مظفر الدين كوكبرى الذئب الأزرق » ، مقال بمجلة الحرس الوطنى ، العدد ٩ رجب سنة ١٤٠٣ « الملك مظفر الدين كوكبرى الذئب الأزرق » ، ١٥ ١٠٣ ، وعدد ١٠٠ ، شوال سنة ١٤٠٣هـ يوليو سنة ١٤٠٣م ، ص ١٩٨٦ .

- عبد الوهاب (حسن):
- ٩٩ « العمارة الإسلامية » ، العصر الأيوبي ، مجلة العمارة ، العدد ٧ ، ٨ ، سنة ١٩٤٠م .
- ٧٠ « العمارة الإسلامية » ، عصر المماليك البحرية ، مجلة العمارة ، العدد ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٤٠ .
- ٧١ « من روائع العمارة الإسلامية في مصر والشام » ، جامعة الدول العربية ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، ١٩٦٣م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٢٩٨ ٣٢٠
- ٧٧ « عميزات العمارة الإسلامية في القاهرة » ، مؤتمر الآثار في البلاد العربية ، سنة ١٩٤٧م ، ص ١٧٩ ١٨٨ - ١٨٨ .
- ٧٤ « الدولة الأيوبية وعمارتها » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ١٩ ، العدد (١٠) ، ١٣٨١هـ /
 ١٩٦٢ م ، ص ٧١ ٧٧ .
- ٧٥ « نشأة المدارس بمصر » ، مجلة منبر الإسلام ، السنة ١٩ ، العدد ٧ ، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، م
 - العبيدى (عبد العزيز بن راشد) :
- ٧٦ « جهود صلاح الدين الأيوبي في بناء الجبهة الإسلامية وتأسيس الدولة الأيوبية حتى سنة ١٥٧٣هـ » ،
 مقال بمجلة مجلة مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٦ ، محسرم سنة ١٤١٣هـ يوليو سنة ١٩٩٣م ، ص ٤٤٧ ٥٣١ .
 - العريني (السيد الباز) :
- ٧٧ « الإقطاع في الشرق الأوسط ، منذ القرن السابع حتى القرن الثالث عشر الميلادى » ، حوليات كلية الأداب ، جامعة عين شمس ، العدد الرابع ، ١٩٥٧م .
 - عزام (عبد الوهاب) :
- ٧٨ « الألفاظ الفارسية والتركية في اللغة العامية المصرية » ، مجلة مجمع اللغة العربية ، الجنزء الشامن ،
 مطبعة وزارة التربية والتعليم ، ١٩٥٥ ، ص ٣٦٧ ٣٦٥ .
 - أبو العز (صفى الدين) :
- ٧٩ « معركة حطين : الإطار والنتائج » ، مقال نُشر في الكتاب التذكارى المعنون بـــ (١٠٠٨ عــام حطين صلاح الدين والعمل العربي المشترك) ، القاهرة : دار الشروق ، سنة ١٩٨٩ ١٩٨٩ م .
 - العقاد (عباس محمود) :
- ٨٠ « صلاح الدين » ، مقال بمجلة العزبي الكويت ، العدد ١ ، جمادي الأولى سنة ١٣٧٨هـ / ديسمبر سنة ١٩٥٨م ، ص ٥٣ ٥٩ .
 - على (عبد الرحمن بله) :
- ٨١ « البحث عن سيف صلاح الدين » مقال بمجلة الجامعة الإسلامية ، العــدد ١، محـرم صفـر ربيـع الأول، سنة ١٤٠٠ هـ ، ص ١٨٣ ١٨٦ .

- عنان (محمد عبد الله) :
- ۸۲ « ابن خلدون وميكيافلي » ، مجلة الرسالة ، العدد ۲۰ ، السنة الأولى ، ۱۳۵۲هـ ۱۹۳۳م ، ۸۲ ۲۱ . ص ۲۰ – ۲۱ .
 - عنان (محمد عبد الله عنان) :
- ۸۳ « ترجم لكل من : صلاح الدين الأيوبى ، ووزيره بهاء الدين قرقوش ، والملكة شجرة الدرر ، وللفقيه الطرطوشى ، والرحالة ابن جبير الذى زار مصر فى عهد صلاح الدين الأيوبى : راجع كتابه : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .
 - عواد (کورکیس) :
- 44 « مؤلف معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، عدد ؟؟ ، سنة ؟؟؟؟؟، ص ٨٧٨ ٣٧٩.
- ٨٥ « الحسبة في خزانة الكتب العربية » ، عجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٧/ ٧ . سنة
 ١٩٤٢ م ، ص ٤١٧ ٤٢٨ .
- ٨٦ « نصاب الاحتساب » ، مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، المجلد ١٧ ، سنة ١٩٤٢م ، ص ٤٣٣ - ٤٤٤ . (عرف هذا الكتاب ومؤلفه حاجى خليفة فى كشف الطنون تحست اسم : « نصساب الاحتساب » . (أحمد) .
 - عویس (عبد الحلیم):
- ۸۷ «قامت على يد واحد من أعظم الرجال وانتهت على يد امرأة» ، مقال بمجلة المجتمع ، العدد ١٢٧ ،
 شوال سنة ١٣٩٢م توقمبر ١٩٧٣م .
 - عيسي (أحمد محمد) :
- ٨٨ « مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء » ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلمد الخامس ، ١٩٥٦م .
 - غربال (محمد شفيق) :
- ٨٩ « مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨ هـ / ١٨٠١) » ، المقالة الأولى ، « ترتيب الديار المصريسة في عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين افندى ، أحمد أفندية الروزنامة في عهد الحملة الفرنسية » ، القاهرة ١٩٣٨ م ، بحث مستخرج من مجلة كلية الأداب ، بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة .
 - الغول (محمود) :
- ٩ « حفيدات بلقيس » ، مقال بمجلة العربي ، العدد ٦٣ ، شعبان سنة ١٣٨٣هـ يناير سنة ١٩٦٤م،
 ص ٢٤ ٣١ .
 - فروخ (عمر) :
- 91 « صلاح الدين قبل معركة حطين » ، مقال بمجلة الباحث ، لبنان ، العدد ؛ ، أكتوبر ديسمبر سنة ٧١ ١٧ .
 - فکری (احمد) :
- 97 « خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي » ، أبحـاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ١٩٦٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ١٩٣٣ ١٩٢ .

- فهمي (عبد الرحمن):
- 97 « من فضة الأيوبيين إلى نحاس المماليك » ، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، العـــد ٣ ، م ٧ ، ١٩٦٤ . ص ٥ وما بعدها .
 - القرني (عبد الحفيظ فرغلي) :
- 44 « أشَدَ الساعات جلكة أقربها إلى طلوع الفجر » ، مقال بمجلة الأزهر ، العدد ٣٤ ، ربيع الثاني مسنة ٣٠ كا ١٥ فيراير سنة ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ ٣٣ .
 - الكرملي (إنستاس مارى) :
- ۹۰ «مقامات ابسن حمویه الجویسی» ، مجلة المجمع العلمی العربی بدمشق ، المجلد ۱۸ ، ص ۴۰۶ ۱۰ ه ، (ثلاث مقالات تباعًا) .
 - اللبابيدي (محمود):
- ٩٦ « نظام الإسلام السياسي » وعلاقة الدين بالدولة في هذا النظام ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الرابعة ،
 العدد الرابع ، محرم سنة ١٩٧٧هـ / أكتوبر ١٩٥٧م ، ص ٣٧٦ ٤٠٢ .
- ٩٧ « الاقتصاد الإسلامي ، مقامة بين الاقتصادين الرأسمالي والشيوعي والاشتراكي » ، مجلة رسالة الإسلام ، السنة الثالث ، العدد الثالث ، رمضان ١٩٥١هـ / ١٩٥١ ص ٢٥٨ ٢٨٠ .
 - لبیب (صبحی ینی) :
- ٩٨ « التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى » ، المجلة التاريخية المصرية المجلد الرابع ، العدد
 الثاني ١٩٥٧ ، ص ٥ ٦٣ .
 - ماجد (عبد المنعم) :
- 99 « أضواء جديدة على موقعة عين جالوت » ، الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، 1979 1978 ، القاهرة 1978 ، ص 1910 1978 .
 - **-** ماهر (سعاد) :
- ١٠٠ « مجرى مياه فيم الخليج » ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، ١٩٥٨م ، ص ١٣٤ ١٤٩ .
 - مخلص (عبد الله) :
- ١٠١ « التواليف الإسلامية في العلوم السياسية والإدارية » ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلسد
 ٧ ، الجزء الـ ٧ والـ ٨ ، سنة ١٩٤٣ م ، ص ٣٣٩ ٣٤٤ (عدد غوز آب جمادي الآخرة رجب) .
 - مرزوق (محمد عبد العزيز) :
- - يوسف (جوزيف نسيم) :
- ٣٠١ « دراسة في وثانق العصرين الفاطمي والأيوبي ، المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين في سيناء » ، فصله من مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد ١٨ ، ١٩٦٤م ، ص ١٧٩ ٢٠١ .

- Amari (Michele):
 - 1- Diplomi Arabi del R. Archivio Fiorentino, Testo Originale, con la Traduzione Lettêrale E Illustraziono Di Michele Amari, in Firenze, 1873.
 - 2- Storia dei Musulmani di Sicilia (1-4) Firenze, 1858.
- Berchem (Van):
 - 3- Materiaux Pour un Gorpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, I, Paris 1903.
- Cahein (c.):
 - 4- Makhzumiyyat. Etude sur l'histoire économique et financière de l'Egypte medievale, Leiden E J. Brill, 1977.
- Elbeheiry (Salah):
 - 5-Les Institutions de L'Eypte au temps des Ayyübides. Thése Principal de Doctorat d'Etat sou-tenue en Sorbone 1971 et Publiée Par l'Université de Lille III, 1972.
- Ernst (H.)
 - 6- Die mamlukischen Sultan Zur Kuden des Sinaiklosters, wiesbaden, 1960.
- Gotts chalk:
 - 7- Al-Malik Al-Kamil, Von Eguypten, Un seine zeit, Otto Harrasowitz wiesbaden, 1958
- Helbing, (N.):
 - 8- Al-QadisAl-Fadil, der Wezir Saladin, eine Biographie, Berlin, 1909.
- Lane-Poole:
 - 9- Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem. London 1898.
- rabie (Hassanein):
 - 10- The Financiel System of Egypt, A.H. 564-741/A.D. 1169-1341, London Oriental Serie, Volume 25, Oxford University, Press, 1972.
- Ricakie (J):
 - 11- La Poesie Profane sous les Ayyoubides et ses Principaux representant, Paris, 1949.
- Pautey (Edmon):
 - 12- Les Bois Sculptés Jusqu' a l'epoque Ayyoubide, Catalogue general du Musée Arabe du Caire, 1931.
- Sauvaget, Wiet, Combe:
 - Repertoire Chronologique D'epigraphie Arabe, Le Caire, Mc MXXXVII, T. 9-10.
- Weill (Jean David):
 - 14- Catalogue General du Musée Arabe du Caire, Les Bois á Epigraphie Jusqu'a l'epoque Mamlouke, le Caire, 1931.
- Wiet (G.):
 - 15- L' Egypte Arabe (Histoire de la Nation Egyptienne, Par Hanateau, T. IV.).

سادساً: أهم المقالات بالدوريات الأجنبية :

- Abdul Hak (M.):
 - 1- Al Qadi ul fadil and his diary, Proc. 10th Al-india or. Conf., 1940, pp 724-725.
- Abel (A):
 - 2- La Sitadelle Ayyubida de Bosra, Annales Archéologiques de Syrie VI, 1956.
- Ashtor (E):
 - 3- Saladin and the Jews. HVCA, Hebrew Union College Annual, V. 27 (1956).
- Balog (P):
 - 4- Dirhems Ayyoubites inédits du Yemen, B.I.E. 36 (1953-54) pp, 347-355.
 - 5- Ayyubid Jetons, Atti Del Terzo Congresso Di Studi Arabi E Islamica, Ravello, 1966, Instituto Universtario Orientale, Napoli, 1967, P 121-125.
 - 6- Dinars of Muâzzam Shams al-Din Turanshâh and al-Aziz, Tugthegen, Ayyubid Princes of the Yemen, Amere, Num, Soc. Museum notes 9, (1960) pp 237-240.
 - 7- Etudes Numismatiques de l'Egypte Musulmane, La Trouvaille de Fayoum, Dirhems Ayoubites, du Premier Roi Mamelouk Aybek et D'Imitation Arabe des Groisés, Extrait du B.I.E.T. 34, 1951-1952.
 - 8- Monnaies Islamiques Rares Fatimides et Ayoubites. B.I.E.T. 36, Le Caire 1955, P. 327-346.
 - 9- Deux dinars inédits du dernier Roi Quyoubite d'Egypte, Al-Malek Al-Achraf aboul Fath Moussa. B.I.E.XXXI, P. 187-190, Le Caire 1949.
 - 10- Etudes Numuimatiques de l'Egypte Musulmane, Fatimites, Ayoubites, Premiers Mamlouks, B.I.E., Session 1952-1953, Le Caire 1954.
 - 11- Etude Numismatiques de l'Eypte Musulmane, Période Fatimides et Ayoubites B.I.E., 1952.
- Basetti-Sani (G.):
 - 12- Conditions de l'apostolat en Egypte au debut de XIII^{ein} siecle, Cah, hist, eg. 5 (1953) pp. 193-216.
- Brinner (W. M.):
 - 13- The Banu Sasra: a study in the transmission of a scholarhy tradition Arabica 7 (1970) pp. 167-195.
- Casanova (P):
 - 14- Les Derviers Fatimides. Memoires de la Mission Archéologique Française du Caire, Tome VI, 1893. PP. 415-445.
 - 15- Notes sur un texte copte du XIIIe siecle, B.I.F.O. I (1901) pp. 113-137.
- Cahein (C.):
 - 16- Une source pour l'histoire des croisades: Les memoires du sacd ad-Din ibn Hamawiyya Huwaini, dans bulletin de la Faculté des lettres de Strasbourg. 1950.
 - 17- La Correspondance de Diyead-Din Ibn al'Athir, Liste de Lettres et textes de diplômes. B.S.O.A.S., 14 (1952), pp. 34-43.

- 18- L'Evolution de l'iqta, etc. dans, Annales Economies-Sociétés-Civilisations, 1953.
- 19- Le Regine des Impots de la Fayyum Ayyubide, Arabica, 3 (1956) pp. 8-30.
- Un traité Financier inedit d'Epoque Fatimide Ayyubide, JESHO. Vol, v Part II, 1962.
- 21- Douanes et Commerce dans les portes Mediterranéens, JESHO, 7, 1964.
- L'administration financiere de l'armée fatimide d'aprés al Makhzumi (JESHO),
 15, 1972.
- Cooper (S.):
 - 23- A note on the dinar J'ayshi, JESHO, 16 (1973).
- Creswell (K.):
 - 24- La sitadelle Ayyubide du Bosra, Annales Archeologiques de Syrie, VI (1956).
 - 25- The Origins of the Cruciform plan of Cairene Modrasahs, bulletin de l'institut Français d'Archeologie orientale Tom 21, p. 1-54, Le Caire, 1922.
- Dietrich (A.):
 - 26- Eine Arabische Eheurhunde aus der Aiyyubidenzeit, Doc. isl. ined, 1952, pp. 121-154.
- Demombynes (G.):
 - 27- Une lettre de Saladin au Calife Almohade. Mil. R. Basset II, 1925, pp. 279-304.
- Ehrenkrentz (A.S.):
 - 28 The Standard of fineness of gold coins circulating in Egypt at the times of the Ctusades J.A.O.S., 74 (1954) pp. 162-166.
 - 29- Contributions to the knowledge of the fiscal administration of Egypt in the Middle Ages, B.S.O.A.S. 16 (1954), pp. 502-514.
 - 30- Extracts from the Technical Mannal on the Ayyubid Mint in Cairo (B.S.O.A.S.), 1953, 15, pp. 424-447.
 - 31- The place of Saladin in the naval history of the Miditerranean see in the Middle Ages J.A.O.S. 75 (1955) pp.100-110.
 - 32- The Crisis of dinar in the Egypt of Saladin J.A.O.S. 76 (1956) pp. 178-184.
 - 33- The Standard of Fineness of Western and Exstern Dinars before the Crusades, J.E.S.H.O., V. VI, (1963), Part I.
 - 34- Byzantine Tetartera and Islamic Dinars, J.E.S.H.O, V. VII, (1964), part II.
 - 35- Arabic Dinars Struck by the Crusaders, JESHO, V. VII (1964) part I.
- Elbeheiry (Salah):
 - 36- Le Decret de nomination de l'historien Ibn Wasil au poste de professeur de la mosqué al-Aqmar, communicationfaute au XXIX congres International des Orientalistes, Paris, 1973, in Bulletin de l'Institut Français d'Archéologic Orientale, Le Caire, 1973.
 - 37- Les Lettres d'un-Nasir Daud, Communication faite au XXVII^e Congres International Orientalistes, Michigan, 1969, publié dans ARABICA, T. XV, fasc. 2, 1968.

- Fink, (H.S):

38- Mawdud I of Mosul precuror of Saladin, M. W. B. (1953), pp. 18-27.

- Gibb (H. A. R.):

- 39- The achievement of saladin, Bull, J. R. Lib. 35 (1952), pp. 44-60.
- 40- Notes on the arabic materials for the History of the Eraly Croisades, B.S.O.A.S. VII: 1935, p. 739-754.
- 41- The armies of Saladin, Cah, Hist, eg. 3 (1961) pp. 304-320.
- 42- The Arabic Sources of the life of Saladin, speculum 25 (1950) pp. 58-72.
- 43- Al-Barq al Shami: the History of Saladin by the Katib Imad ad-Din al-Isfahani, W.Z.K.M. (52) 1953, pp 93-115.

- Goitein (S.D.):

- 44- The Cairo geniza as a source for the history of muslime civilization, SI (Studia Islamica) V. III. 1955.
- 45- The Documents of the Cairo geniza as a source for mediterranean social History, in JAOS., Vol. 80, 1960.
- 46- From the Mediterranean to India, documents on the Trade to India, south Arabia and East Africa from the eleventh and Twelfth centuries, Speculum (29), 1954 (181-191).
- 47- Letters and documents on the India Trade in Medieval Times. IC. (Islamic Culture), V. 37, (1963).
- 48- Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza Records, Arabica, (1962) pp. 1-20.
- 49- The eschange of gold and silves money in Fatimid and Ayyubid times. JESHO., V, VIII, 1965.
- 50- Evidence on the Muslim poll tax from non-Muslim sources. Ageniza Study, JESHO, V. VI, (1963) part, I.

- Godard (André):

51- L'origine de la Medrasah, de la Mosquée et du Caravansérail à quatre Iwan, in Ars Islamica, vol. XV-Xv, 1951 pp. 1-9.

- Gottschalk (XL):

52- Die Aulad saih as-Suyur (Banu Hamawiya) wzkm (53) 1956, pp. 37-87.

- Guyord:

53- Un grand maitre des Assassins au temps de saladin, Journal Asiatique, VII^e serie, 1877.

- Herz (Max):

- 54- Les Sépultures Abbasides prés de la mosquée d'el-Sayeda Nafisa, Bulletin du Comité de Con-servation des Monuments Arabes, Le Caire, 1911.
- 55- Mosquées et Tombeau du sultan salah Negm el-Dyn Ayyoub, Bulletin du comité de conservation de Monuments Arabes, Le Caire, 1902, Reprinted in Bulletin de L'Institut d'Egypte, 4^e serie, No. 5, pp. 25-31, Le Caire, 1904.

- Kahle (p):
 - 56- Eine wichtige Quelle Sur geschichte des sultans saladin, W. O. I. (1947-1952) pp. 299-301.
- Lapidus (I, M.);
 - 57- Ayyubid Religious Policy (in colloque Internationaal sur l'histoire du Caire, p. 279-286).
- Lauffray (J.);
 - 58- Une madrasalı Ayyoubid de la syrie du Nord, La Sultaniya d'Alep, Etude Architecturale, Annales Archeologique de Syrie, tome III, 1953.
- Lewis (Bernard):
 - 59- The Sources for the History of Syrian Assassins (speculum, 1952, XXVIII/4).
 - 60- Saladin and the Assassins, BSOAS., 15 (1953) pp. 239-245.
- Massé (H):
 - 61- Remarques sur le Fath el Qassi d'imad ed-din el-Isfahani, 22 Congrés or. 1951, II (1957)p. 196.
- Mile (G.G.):
 - 62- The Ayyubid of the Yemen and their Coinage, Num. Chron. 5° ser, 19 (1939), pp. 69-94.
- Minoreskey (V.):
 - 63- Prehistory of Saladin, dans studies in Caucasian History, Cambridge 1953, pp. 107-128.
- La Monte, J.L.:
 - 64- Takieddin prince of Hama, N.W. 31 (1941) pp. 149-160.
- Poliak:
 - 65- The Ayyubid Feudalisme, JRAS., 1939, pp. 428-432.
- Rice (s):
 - 66- Islamic Studies in metalwork, bull. of the school of or. st. XIV-XVII, 1952-1955.
- Richard, J.:
 - 67- La chanson de syracon et la légende de Saladin, J.A. 237 (1949) pp. 155-158.
- Sadek (Hassan);
 - 68- Salah el Din's fort on Ras el-Gindi in Sinai, BIE 2(1920) pp. 111-119.
- Sauvaget:
 - 69- Le Cénotaphe de Saladin, Revue des Arts Asiatiques. Paris, 1938.
- Shafek (Ali):
 - 70- Fayoum Irrigation as discribed by Nabulsi in 1245 A.D. Bulletin de la société Royale de Geographie d'Egypte, Tome XX, 1939, pp. 283-326.
- Salmon (Mr George):
 - 71- Repertoire geographique de la Province du fayyoum d'apres kitab Tarikh al-Fayyoum d'an Naboulsi Bulletin d'institut Français d'Archeologique Orientale, Tome I. Le laine 1908.

- Sourdel (Thomine J.);
 - 72- Le Peuplement de la region des villes mortes (syrie du Nord) a l'epoque ayyubides, Arabica I (1954) pp. 187-2000.
 - 73- Les professeurs du Madrasa a Alep au 12^e et 13^e siecle, Revue d'Etudes Oriental de Damas XIII, 1949-1950.
- Stem (S. M.):
 - 74- The succession of the Fatimid iman Al-Amir, The Claims of the Later Fatimids to Imamate, And the Rise of Tayyibi Ismailism, Oriens, Vol 4, No 2, pp. 193 ff.
- Taeschner (f):

- Tewhid (A):
 - 76- Monnaies des Eyoubites de Hisn- Keifa, Extr. des Mem. du Congres internat. de Numismatique... etc, Bruscelles, 1910.
- Wiet (Gaston):
 - 77- Les E nscriptions du Mausolée de chafai, Bulletin de institut d'Egypte, Come XV. Le Caire, 1933.
- Zaki (Ahmed Pacha):
 - 78- Coupe magique dedicé a salah ed-Din (Saladin) B.I.E. 5th ser. 10 (1916) pp. 241-287.



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين تليفون : 3256098 - 3251043